

منير الجوزي

صَيْدَا

عبر حقب التاريخ



منشورات

المكتبة التجارية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت

منير الجوري

الأمين المساعد لمكتبة المركز الاتحادي
لتدريب كبار موظفي التعليم العرب - بيروت

956.9

K4593sA

صَيْدَا

عبر حبيب الشيخ

من ٢٨٠٠ ق.م. إلى ١٩٦٦ م.

منشورات

المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت

احترم مجد المؤسسين القديم ، وشيوخوخة الانسان المكرمة ، وقداسة
المدن العريقة .

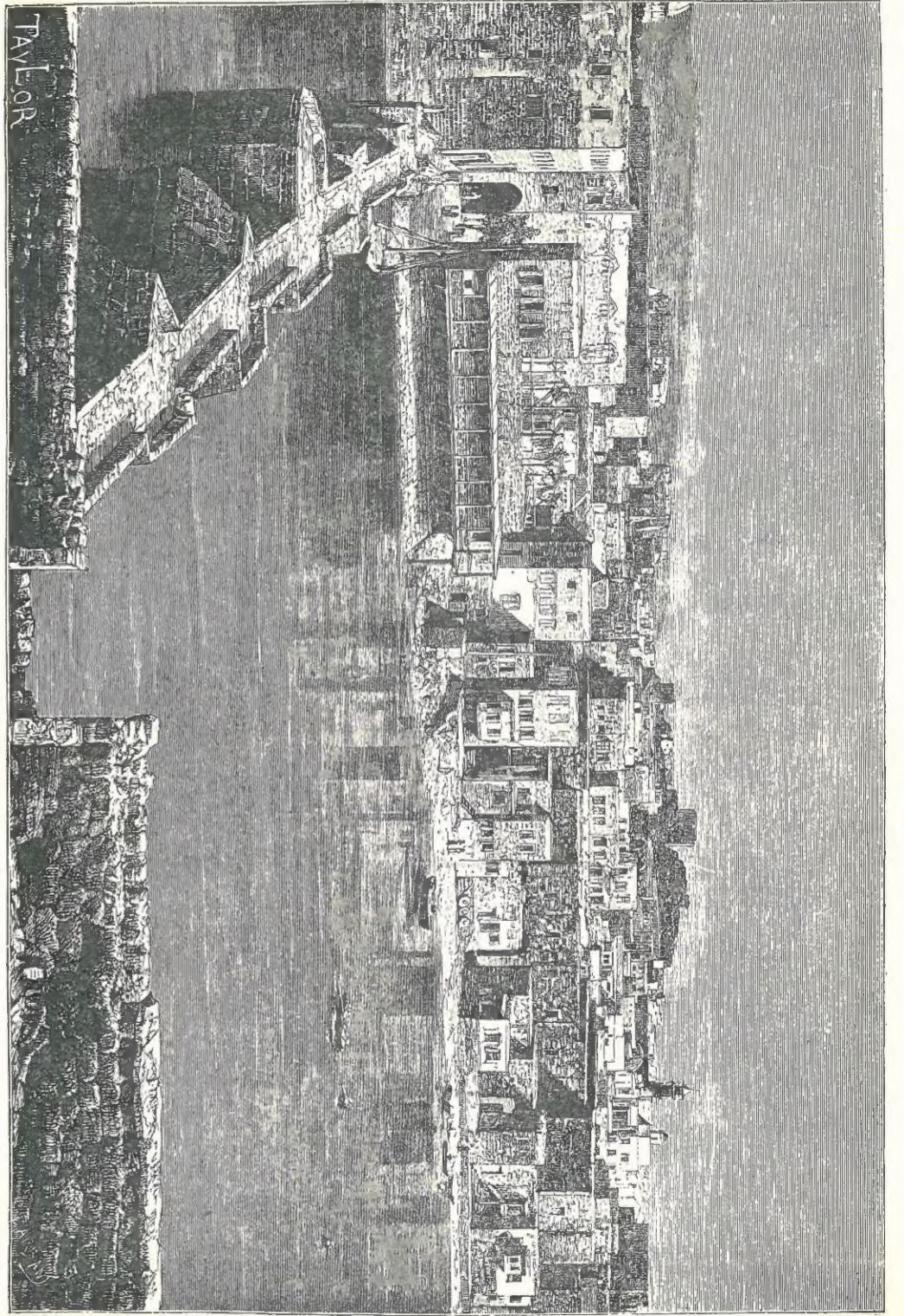
أدّ الاكرام للآثار القديمة ، والاحترام للأعمال العظيمة ، ولا تحقرن
الاساطير .

الخوري عيسى أسعد

بالأساطير ايها الموج رفقا بلهاث القلوع في صيدون
خلف طياتك الغضاب اختلاج لشراع راخر وهزج سفين
كم تعري في ظلها الفجر وانداح نجوماً نشرن شوق عيون
كلما موج العباب تلمّين سنيماً الى صدور سنين
فالشواطىء طروسك الشهب ما هزت شمال وشع وحي بين
وسطور الخلود سمراء لم تجنح الى غيرهما من التلوين
قف تمهل تفضّ ختم كتاب لم في دفتيه سر الفنون
الدكتور علي الشلق

جميع الحقوق محفوظة

١٩٦٦



مدينة وانفس الذي يعلها بقامتها البحرية

الامناء

الى شريكتي في الحياة وزميلتي في العمل المثمر البناء ، الى ذلك القلب
الكبير الذي تفسمت بواسطته اريج صيدا فتغلقت الى مكنون كنوزها ،
ووعيت ملاحم بطولاتها ، وألمت بفضلها على ما قدمته مدينتها من حضارة
للعالم عبر حقب التاريخ ، الى ابنة صيدا - زوجتي :

حنينة نحاس الخوري

اهدي ثمرة جهدي ، اقراراً مني بالفضل ، وشعوراً بالحب ، واعجاباً بشعب
مدينتها الابي .

منير

المقدمة

بقلم : الدكتور عبد الرزاق الحفار

أمين عام المركز الاقليمي واستاذ العلاقات الدولية
في كلية الحقوق - الجامعة اللبنانية

أخي منير

... طالعت كتابك « صيدا » عبر حقب التاريخ « فطالعتني من خلاله صورة لما عرفت به من طموح وتعطش للكشف ، وما تتحلى به من جلد في تقصي الحقائق بدأب الباحث الحصيف .

لم ترهيك أحداث القرون الخمسين التي انقضت على مولد « صيدون » ، ولم تقعدك قلة المصادر عن أحوالها ولا ندرة الوثائق عن وضع مؤلفك ؛ بل انصرفت الى التنقيب عنها بحماسة المفامر ، تستوقفك طويلا دراسة حول رسالة من طين ، وتهش لتقرير والى عثرت على بعض ما تسرب من مقاطعه .

وعرضت في بعض المراحل صفحات منسية من تاريخ لبنان بشكل عام لتبرز من خلالها فكرة عن وضع صيداء إبان حقبة معينة عزت المراجع عنها.

وجعلت من كتابك في كل حال ، سيرة لكفاح لبناني متواصل في سبيل ادراك الأسمى وبلوغ أعلى مراتب المجد .

وصورت نضال صيداء ، في عهود مختلفة ؛ فما كان الدمار الذي تلقاه ، إلا ليزيدها قوة على الانبعاث فتنهض كارد بحري ، تهفو إليه قلوب الملوك ، ويتسابقون على اتخاذها قاعدة بحرية ونقطة انطلاق للتشيد امبراطورياتهم ، ومعين خير لا ينضب .

لقد كانت صيداء قبلة للتجار ومحجة للصناع ، فمعظم دورها في دنيا الاقتصاد وامتد نشاطها الى قبرص ورودس وكريت وجزر ايجه .

جاليات تتقاطر اليها وتتزاحم على الإقامة في ربوعها ، تؤثر في حضارتها وتتأثر بها ؛ ويزيد في ازدهارها ما كانت تقدم من تيسيرات اقتصادية واسعة دون جنوح الى فرض سيطرتها بالقسر والاضضاع ؛ بل بالاتفاقات الاقتصادية الودية ، تنسجها بحنكة وفن ، وتدلل بها على قدرتها في اجتذاب الشعوب واكتسابهم بحسن التعامل وجودة النتاج .

فزجاج « مورانو » في ايطاليا هو صنو لزجاج نفخ في صيدون ، وخشبها المحفور ، وعاجها المنحوت ، وخزفها الملون ، وأقمشتها الأرجوانية كلها كانت سبباً لتعزيز مكانتها الخارجية .

على أن حب الكسب ، لم يصرفها عن العناية بعالم الفكر ، بل لعل مدى كسبها المادي جاء حصيلة عنايتها بالحرف .

أفلم تحضن مدرسة بيروت فترة من الزمن ؟ ألم تدع عنايتها بالطب وباستنباط العقاقير علاجاً شافياً ، يؤكد مدى تطورها العلمي منذ غابر العصور ؟ أفلا تشهد الأسنان الذهبية التي أظهرتها حفرياتها الاخيرة على روعة في هذا المجال تميزت بها صيدون ؟

وتبقى هذه البلدة الجميلة مهبط وحي ومنزل حكمة وميدان فداء ، تخرج للبنان أناساً أمناء على حمل الرسالة الانسانية .

ولئن شحت المعلومات عن نشاطها إبان القرون الخمسة الماضية ، فلقد وجدت ، في بعض أبنائها ، ومنهم منير الخوري ، عزمًا على تدارك ذلك النقص ، بالسعي إلى استقراء الوثائق المحفوظة في استانبول ، ان في سجلات « المفصل » التي حوت اخبار الولايات جغرافياً ومالياً ، أم في سجلات « الالتزامات » و « الطابو » و « الأحكام » .

لقد جمعت في هذا المؤلف خطوط تاريخ صيداء عبر الأحقاب فأغنيت مكتبتنا اللبنانية بدفقة جديدة ، نتعشم ان تتبعها دفقات أخرى تكشف ما زال خافياً علينا من معالم صيداء في حياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

بيروت في ١٥ / ٧ / ١٩٦٦

عبد الرزاق الحفار

المجلد الأول

صيدا

من ٢٨٠٠ حتى ميلاد السيد المسيح

استهلال

حمداً لمن لا يدركه القديم ، ولا تصل إليه عوامل العدم . وبعد ، يسهل على المرء ان يجلس منفرداً على الشاطئ أو تحت شجرة في ليلة مقمرة ويحس من مخيلته أفكاراً يبرزها الى العالم نسيجاً لامعاً فينال حظه من إطراره لما أحدثه فيها من جميل الشكل وحسن الوشي .

ولكن المؤرخ لا يستطيع ان يكون ذلك الرجل ، لأن موضوع بحثه ليس ابتكار فكرة ، أو تصوير خيال ، وإنما يرجى منه دقة شعور ، وحسن نظر ، وقوة ملاحظة يستطيع بها أن يرد الحوادث المروية الى بواعثها الأصلية في صور جديدة ناطقة ينطلق بها قلمه في إحسان وصفها ، بعد ضبط حقيقتها .

ويحظر على المؤرخ الصادق الاستسلام الى التخيلات ، فلا يسوغ له ان يضم ما يتخيله الى ما رواه من سبقه من المؤرخين عن حوادث الكون ، بل يجب عليه ان يعتمد الى المجلدات والأسفار يقلب صفحاتها بإمعان ، وأن يحتضن المجلات والطوامير ينقب في ثناياها ليعثر على المادة التي يكون منها هيكل مؤلفه .

ولا يقتصر عمله على هذا فحسب ، بل يجب عليه بعد التقاطه نثار ضالته ،

ان يحصنها ويغريها ويعرضها على النظر الدقيق لتمييز صحيحها من فاسدها، ثم ينظم ما يقن انه در ، قلادة لجيد الدهر ، يروح اليها الناظر ، ويطمئن لها الخاطر ، وعليه ايضاً ان يحسن التنسيق والتبويب فيسهل على المطالع استيعاب ما نضده وتمثيل ما هضمه فلا يصاب باكتظاظ حيناً يدفع اليه طبق المرويات صبرة واحدة .

وعلى المؤرخ ايضاً ان يستخرج من مروياته النتائج والعبر التي هي هدف التاريخ الحقيقي . والمؤرخ التزيه يقضي ردها من الزمن في المراقبة والتفكير ليقدّم الى العالم مجهودات كبيرة في سفر صغير قد يطالعه القارئ في بضع ساعات ، ولكنه لا يطوي آخر صفحة منه حتى ترتسم في مخيلته صورة واضحة لحوادث الدهر ، تنير سبيله لاقتفاء الأثر ، وتجنب ما في ارتياده من الخطر .

حقائق وأفكار ساورتنا حينما قررنا اصدار تاريخ للبلد المحبوب « صيدا » . ولكننا ما ان حبونا قليلاً حتى اصطدمنا بعقبات في اساس الموضوع . اذ وجدنا أن النصوص التي في متناول اليد قليلة جداً . وكلها او جلها انما يرد فيها ذكر صيدا عرضاً لأنها ليست الهدف الذي ريشته اليه سهام اولئك المجتهدين . وليس لدينا من انباء العصور القديمة ، إلا ما يمكن استقطاره من الاساطير واعتصاره من الآثار وما رواه بعض المؤرخين الأجانب عن الحضارات السامية القديمة ... ثم اصطدمنا إبان متابعتنا البحث بانقطاع سلسلة التاريخ اكثر من مرة قديماً وحديثاً ولا سيما في القرون الوسطى ، ومع ذلك فاننا لم نقع في لجة اليأس ، بل رأينا ان ما لا يدرك كله لا يترك جله . وبالرغم من كل هذه الصعوبات فقد حصلنا على مادة جديدة بالمطالعة تصلح ان تكون اساساً الى ما نرجو ان يستخرجه المنقبون .

وخطتنا وان لم يكن حديدياً تسير عليه قطر الافكار آمنة ، لكنه على كل حال درب يسهل السير عليه بين أدغال المرويات ...

وإني لأترك الحكم على ما انتجته لمن خصوا بمثل هذه المباحث وتقدير ما جنحت فيه عن رأي العامة ، بعد رجوعي الى مصادر يوثق بها من عربية وأجنبية .

فإن أصبت في ما سعيت اليه فذاك ما يطمح اليه البصر ، وإلا فلست بأول سار غرّة القمر ..

الفصل الأول

« نحن صيدونيون موطننا الارض ونأبى اقل ساح الحياة »
« سعيد عقل »

تاريخ صيدا

من يقدم على كتابة تاريخ صيدا منذ نشأتها الاولى يصطدم بعقبة كأداء
حالمًا يمسك بيده اليراع، ولا يستطيع اجتيازها إلا عندما يجد جواباً على هذه
الاسئلة :

- ١ - متى وجدت صيدا ؟
- ٢ - من وضع اسمها الاولى ؟ ومن نسل من ؟ وما هو الاسم الذي وضع
لها - هل اشتق اسمها من اسم اول واضع حجر في اساسها او عن معنى يتضمنه
موقعها ؟
- ٣ - كيف كانت معيشة قاطني هذه البلد ؟ ومن استمدوا نظام مجتمعهم ؟
امن دين تمسكوا به ام من سياسة خاصة كانت تدير شؤونهم ؟ ما هو ذلك الدين
او تلك السياسة ؟

أنها اسئلة تحتاج الى اجوبة يقينية لمعرفةا او لتزجيحها ، والا تطرق الشك الى صحة ما يرويه المؤلف . ومعرفةا واجبة عن طريق الوصول الى مكتوبات تعاصر الوقت الذي بنيت فيه ، وهو امر متعذر (اذ ان صيدا بنيت - كما سنرى - في عصر سابق للتاريخ المدون) .

ولذا كان لا بد لنا من اللواذ بوسائل اخرى تنيلنا هذه الامنية ، وهذه الوسائل هي :

١ - الآثار القديمة المكتشفة حديثاً .

٢ - اساطير الامم وتقاليدها بعد تنقيتها من شوائبها .

٣ - ما نشر في الاسفار التاريخية القديمة .

٤ - ما استنبطه رهط من كبار المؤرخين وعلماء الآثار الاجانب من حضارات الامم القديمة بتحقيقاتهم الشخصية المدعومة بدراسات علمية عميقة .

واذا اضعنا الى ذلك ما حوته التواريخ القديمة وقابلناها جميعاً استطعنا ان نستخرج التاريخ المطلوب بصورة مأمونة أو قريبة من اليقين .

لمحة جغرافية عن صيدا

مدينة صيدا واقعة خلف رأس ممتد في البحر الابيض المتوسط الشرقي على خط عرض ٣٣° و ٣٥° وخط طول ٢٣° و ٣٥° الى الجنوب من مدينة بيروت وعلى مسافة ٢٥ ميلاً منها ، والى الشمال من مدينة صور على بعد ٢٠ ميلاً ، ويبتعد الجبل عنها شرقاً مسافة ميلين .

تبلغ مساحة المدينة ٧ كيلومترات مربعة وسكانها ٣٥ الف نسمة واذا اضعنا اليهم ٢٠ الف عائد فلسطيني بلغ تعداد مجموع السكان الحالي ٥٥ الف نسمة أو يزيدون قليلاً .

تربتها

ارض صيدا ذات تربة مارنية - وهي مزيج من الفخار والكلس . فالمناطق المرتفعة منها كالهلالية والبرامية ودرب السيم هي مارنية بكر . اما المناطق الساحلية المنخفضة فهي مارنية رسوبية (تربة تكونت من الاتربة المحروقة من الاعالي بواسطة السيول والطمى الناتجة عن طغيان مياه المجاري المائية والانهار) واكثرها مزيج من اتربة مختلفة كلسية وعضوية ، ويمكننا تسميتها بالتربة الحديثة التكوين من الناحية الجيولوجية ومن اقدم الاراضي التي اخصبها الانسان على الشاطئ اللبناني .

الفصل الثاني

تاريخ لبنان

من المؤكد ان تاريخ لبنان لم يبحث بحثاً علمياً دقيقاً، ولا يزال المؤرخون حتى عصرنا الحاضر يفتقرون الى مؤلف علمي صحيح يكشف دفائن التاريخ ويستخرج من المكنونات ما ينير السبيل امام المحققين المحدثين .

واستناداً الى هذا رأينا المؤرخ اللبناني الكبير المرحوم الدكتور اسد رستم يقول : « ان اكثرية من كتب في تاريخ لبنان لم يكن مستعداً الاستعداد الكافي . لذلك لم تكن المؤلفات مستكفية الشروط ، ولا علمية موضوعية ، ولذا فإن تاريخ لبنان بمعناه المفهوم يبتدىء منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد - اي منذ الهجرة السامية الاولى الى هذه البلاد - أ هـ (مجلة الاذاعة اللبنانية - شباط ١٩٦٥) .

ونحن وبعد أن اعطينا السبل في مراجعة المخطوطات الكثيرة واستقراء ما دونه علماء الآثار واستقصاء المراجع المختلفة التي دونت حوادث التاريخ القديم نجد ذاتنا امام الحقيقة التي ذكرها الدكتور رستم ، ولذا فقد عمدنا الى تدوين الحوادث المتعلقة بتاريخ صيدا انطلاقاً من تلك الفترة فنقول :

الهجرات السامية

إن اول هجرة سامية حدثت في التاريخ هي تلك التي انطلقت من اليمن حوالي سنة ٣٥٠٠ ق . م . تحمل القبائل الكلدية متجهة على ساحل البحر الأحمر وملتفة بعدئذ حول شبه جزيرة سيناء ومنطلقة نحو مصر لتنزل على سكانها الحاميين فيتولد من المزيج الذي حصل بين الشعبين - المصريين - القدماء - .

وفي الوقت نفسه تقريباً تدفقت هجرة سامية ثانية عن طريق ساحل الخليج العربي لتستقر في وادي دجلة والفرات .

ثم لا تلبث الجزيرة العربية ان تقذف بموجة جديدة من البدو هم المسمون (الاموريون) ومنهم (الكنعانيون) الذين نزل قسم منهم في جنوبي سورية والقسم الآخر الشواطىء وذلك في منتصف القرن الثالث قبل المسيح .

ويؤكد هيرودوتس وهو المعروف بأبي التاريخ وكذلك العلامة الانكليزي بت والعلامة ول ديورانت : ان قسماً من اطلق عليهم اسم الفينيقيين فيما بعد ، جاء من جزيرة البحرين والآخر من سواحل البحر الأحمر ؛ وفي الحالتين فإن هذا الشعب هو من اصل سامي عربي ، سيما وان الحفريات التي اجراها في البحر العلامة بت تثبت ذلك .

ويذهب صاحب كتاب « قصة الحضارة » ديورانت : ان الفينيقيين جاؤوا الى سواحل البحر الابيض المتوسط في القرن الثامن والعشرين قبل ميلاد المسيح .

الفينيقيون : تسميتهم ومن اين جاءت

يقول الدكتور اسد رستم : « الفينيقيون كشعب ، افتراض غير موجود

اصلاً ، بمعنى ان سكان البلاد القدماء الذين يطلق عليهم اسم « فينيقيين » لقبوا بهذا الاسم نسبة الى الصباغ الاحمر ، وهو لفظ يوناني اغريقي معناه « قوم الصباغ الاحمر » او « شعب الصباغ الاحمر » . وقصة الصباغ الأرجواني الذي اكتشفه سكان هذا الشاطئ القدماء معروفة . وكذلك فقد لقب سكان جزيرة « كريت » بالفينقيين . وطبعاً لم يكن هنالك صلة بين اهل كريت والشعب الذي سكن هذه المنطقة سوى ان الاثنين استعملوا الصباغ الأرجواني الاحمر . ومن هنا اتت التسمية .

أما حقيقة ذلك الشعب فهو كنعاني . وكان الفينيقيون يدعون انفسهم « ابناء كنعان » وبلادهم « بلاد كنعان » رغم معرفتهم بالكنية التي كنوا بها .

إذا فلفظة « فينيقيون » كانت مجرد كنية او لقب لقّب به الكنعانيون الذين اتوا من البحرين والحجاز وسكنوا لبنان وفلسطين ولم يذكروا انفسهم كفينيقيين بل ربما قالوا صيدونيين او صوريين او يبروتين ، أما تلك اللفظة فلم يستعملوها ابداً مع أنهم كانوا يعرفون ان اللقب مطلق عليهم . وهم شعب سامي من جملة الشعوب السامية التي نزحت من الجزيرة العربية . ولغتهم — لغة كنعان — هي لغة سامية قريبة من اللغة العربية الحالية (اسدرستم : مجلة الاذاعة اللبنانية شباط ١٩٦٥) .

وأعظم دليل على ان الفينيقيين هم شعب كنعاني هو ما ورد في الانجيل الشريف (متى ١٥ ص ٢١ — ٢٨) : وخرج يسوع من هناك ، ومضى الى نواحي صور وصيدا واذا امرأة كنعانية من تلك الجهات اقبلت تصيح قائلة : يا سيدي يا ابن داود ، ارحمني ان ابني بها شيطان يعذيها جداً الخ ...

كما ورد ذكر الحادثة نفسها في انجيل مرقس (٧ : ٢٤ — ٣٠) : ثم نهض من هناك (السيد المسيح) وانطلق الى نواحي صور وصيدا ودخل بيتاً وكانت يرغب ان لا يعلم به احد ، بيد انه لم يقدر ان يستتر . وان امرأة لها

ابنة صغيرة بها روح نجس ، ما ان سمعت به حتى اقبلت ووقعت على قدميه ، وكانت المرأة وثنية فينيقية المولد فجعلت تسأله ان يخرج الشيطان من ابنتها ... الخ ..

هذه الاثباتات الجلية توضح معالم الطريق امام المؤرخ الصادق حتى انه لا يستطيع تجاهل حقيقة اصل هذا الشعب الذي استوطن شواطئ بلادنا وانه تحدر من اصل سامي خرج من الجزيرة العربية . كما وان عدداً من المؤرخين الاجانب الذين لا يصح اتهامهم بالتعرض للعرب يؤكّدون صحة ما روينا ، امثال العالم الانكليزي سايس والعالم الالماني اشرودر فضلاً عن قدامى المؤرخين اليونان .

الفصل الثالث

صيدا

تسميتها - تاريخ بنائها

مدينة صيدا ، اسمها باللاتينية واليونانية « صيدون » وفي العبرانية « صيدو » والاسم مشتق من كون السمك في شواطئها كثير أو ان اهلها الأقدمون عملوا كصيادي سمك .

وذكرت صيدا في الكتاب المقدس مرات كثيرة ، كما ذكرها المؤرخ اليهودي يوسفوس في تاريخه : « انتشار الناس على وجه الارض » : ان من أبناء كنعان « صيدونيوس » الذي بنى مدينة أسماها باسمه (قديمات : ٣٧ و ٦٤ ع ٢) كما وان العهد القديم من الكتاب المقدس يذكر انه عندما جاء الاسرائيليون الى الأرض المقدسة ، كانت مدينة صيدون مشهورة لأن يشوع ابن نون دعاها بـ « صيدون العظيمة » . مما يرجح ان تاريخ بناء هذه المدينة لا بد ان يكون قد تم قبل تاريخ مجيء يشوع بزمان بعيد حتى تستحق في عصره ان يتحدث عن عظمتها وقوتها .

ويقول جاك نانتي المؤرخ الفرنسي في كتابه : « تاريخ لبنان » (١) .

ان اول مدينة اسسها الفينيقيون هي مدينة صيدا حوالي سنة ٢٨٠٠ ق . م ثم بنيت مدينة جبيل فأرواد فطرابلس .

وقد بنى الصيدونيون مدناً أخرى على طوال الساحل ولكن أشهرها كانت مدينة صور وقد بنيت حوالي سنة ٢٧٥٠ ق . م

وكذلك يقول الاديب المفكر الاستاذ سعيد عقل : « صور أسسها الصيادنة عام ٢٧٥٠ وجبيل وصيدون يفرق تاريخهما في ليل الزمن (لسان الحال العدد ٢٠٠٥٣ في ٢٩ نيسان ١٩٦٥) » .

ويذكر جاك نانتي ان مؤسس مدينة صيدا هو ابن كنعان البكر صيدون الذي اخذت اسمها منه .

ويقول المرحوم الشيخ احمد عارف الزين في مؤلفه « تاريخ صيدا » : ان صيدا من أقدم مدن العالم واسمها مأخوذ من بكر كنعان حفيد نوح وكان ذلك سنة ٢٢١٨ ق . م . أو قبل ذلك ، وكانت في أيام يشوع بن نون ام المدن الفينيقية ، وحداً لتخضع سبط اشير إلا أن الاسرائيليين لم يمتلكوها .

أما القديس اغسطينوس فيؤكد قائلاً : « ان اقدم واشهر الممالك الكنعانية هي مملكة صيدون التي وضع اساساتها بكر كنعان « صيدونيوس » ودعيت مدينة الصيادين اشارة الى سلطانه الأبوي وشجاعته ، وان هذا الاسم لا يدل على القوة والحذاقة في صيد الحيوان فحسب بل على الشجاعة والمهارة في التسلط على الناس واسترقاقهم ، وهكذا فقد رفع هذا البطل (أي صيدون) مقام عشيرته بشهامته وحسن سياسته في صدر الاجيال

راجع ص - ٢٢ Histoire Du Liban; J. Nantet

الاولى ، فجاء شعباً مقدماً سعى وراء المنافع ، ونال قصبات السبق في التسلط على البحار ، وضارع بذلك نمروود الكوشي . ولقب شعب صيدون وكل الشعب الكنعاني بالصيدوني ، إلا أن هذه المملكة لم تكن متسعة الحدود لان العشائر المتسلسلة منها قد اخذت استقلالاً منفرداً عنها ، ولكنهم كانوا جميعاً مشتركين في اللغة والدين والعادات يضافرون بعضهم بعضاً ابان الشدة ويدعون الخارجين عنهم اميين ، كراهة وتحقيراً كما ذكر هيرودوتس .

ويقول المؤرخ موسكاتي ص ٩٨ :

« ان فلسطين وسورية الجنوبية والغربية كانت مأهولة بشعوب سامية منذ اوائل الالف الثالث قبل المسيح وفي ذات العصر الذي جاء فيه الساميون الى جهات ما بين النهرين حيث اسسوا بعد فترة من استيطانهم امبراطوريات كبيرة ، كما يذكر التاريخ اخواناً لهم من نفس الجنس والعنصر جاؤوا الى جهات البحر الابيض المتوسط وسكنوا الشواطىء ، ولقد اطلقت على منطقة - سورية الجنوبية والغربية المتوسطية - اسم ارض كنعان وشعوبها اسم الشعب الكنعاني .

« وهكذا نرى ان الفينيقيين انفسهم هم جزء من الشعب الكنعاني السامي ويؤكد ذلك الفينيقيون انفسهم الذين درجوا على العادات الكنعانية فاسماؤهم كنعانية وكذلك اسماء مستعمراتهم مثل قرطاجنة - القرية الحديثة - كانت تعني ذلك ، وظلوا محتفظين بتلك التسمية والانتماء الى الكنعانيون حتى ايام القديس اوغسطينوس ا ه » .

ولقد شعر الكنعانيون - الفينيقيون - باهمية البلاد التي استوطنوها وبموقعها الاستراتيجي الممتاز وقربها من القارات الثلاث المعروفة وقتئذ ، وكانوا قد قمرسوا باعمال الملاحة منذ ان كانوا على ساحل الخليج العربي ، هذه الاسباب وقد تجمعت لديهم زادت رغبتهم نحو امتطاء متن البحار وتعاطي

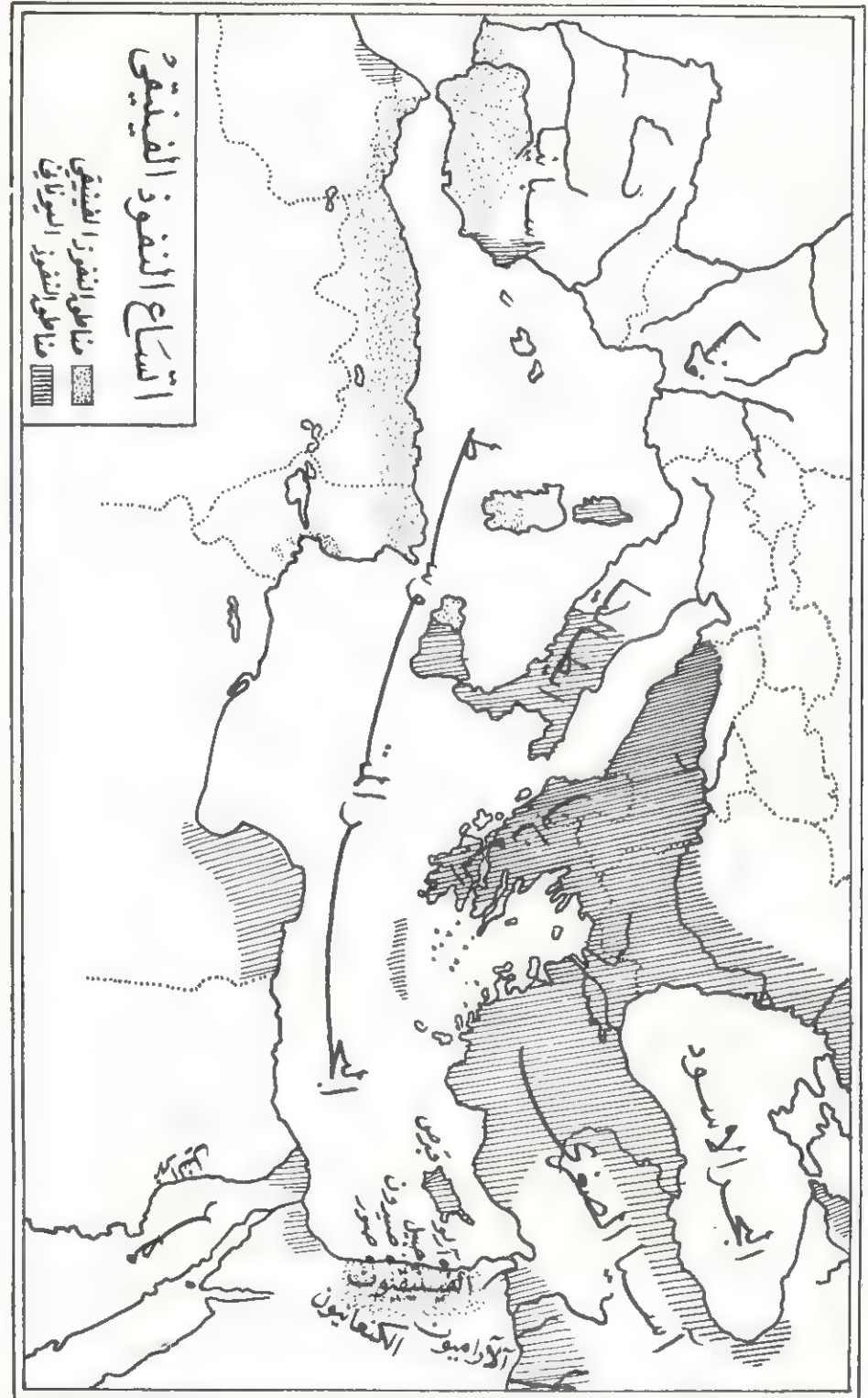
التجارة حتى تفوقوا فيها . ثم تعددت رحلاتهم التجارية في البحر الابيض المتوسط ولكنهم كانوا في اوائل عهدهم لا يحسرون على الابتعاد عن الشاطيء كثيراً ، لا سيما وان سفنهم كانت ذات طابق واحد وصف واحد من المجاذيف . ثم ما لبثوا ان قفّنوا في صناعة السفن بعد استجلاهم الاشجار الصنوبريه والارز الضخمة من اعالي الجبال واخذوا يبنون السفن ذات الطابقين والثلاثة وذات الصفيين أو الثلاثة صفوف من المجاذيف وانطلقوا على مياه البحر الابيض المتوسط يتوغلون في لجهه ويجوبون اصقاعه ويؤسسون المستعمرات على سواحل وشطئانه - في قبرص ورودرس وتاسوس وغيرها .

حكومة صيدون

اما مدينة صيدون فكانت لها حكومة تدير شؤونها وهي مستقلة عن غيرها من المدن الفينيقية . وهذه الحكومة مؤلفة من جماعة الاعيان الذين كانوا يعضدون السياسة الارستوقراطية - أي المنسوبة الى فئتهم وحزبهم فيسيرون امور مدينتهم الادارية وفق مصالحهم المادية - وهي قريبة في تشكيلها من مجالس الادارة في العهد العثماني أو مجالس المحافظات في عهد الانتداب - يجتمعون في دار الندوة كلما دعت الحاجة الى ذلك برئاسة زعيم المدينة الذي يسمونه ملكاً .

وشان الفينيقيين انقسامهم الى عدة ممالك ، ولذا فقد كانت صلة المملكة الواحدة بالآخرى ضعيفة جداً ، وكان بعض العشائر ينضم الى البعض الآخر فيؤلف دولة تسلم قيادتها الى زعيم المدينة الكبرى وهكذا تعدد ملوك الشواطىء بتعدد المدن الكبرى فيها .

ونمت صيدون نمواً هائلاً وتزايدت مواردها فاضحت كعبة للتجار والمغامرين وتضاعف عدد سكانها لدرجة ان بعض المؤرخين بالغ في القول :

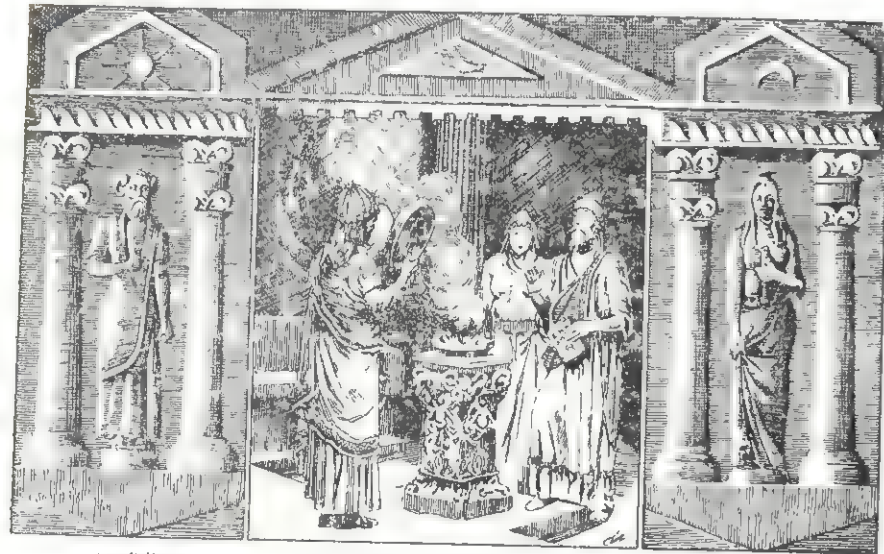


ان سكان مملكة صيدون بلغ في ما بعد القرن العشرين قبل الميلاد مليوني نسمة ونيف وذلك خلال فترة عمارتها وزهوها واستفحال سيطرتها التجارية . وكانت حدود مملكة صيدون تمتد بعيد تأسيسها من الدامور شمالاً وحتى جبل الكرمل جنوباً وإلى منحدرات الجبال شرقاً .

اما مدينة صيدون القديمة فقد كانت منقسمة الى محلتين : صيدون الكبرى وهي الرابضة على شاطئ البحر ، وصيدون الصغرى وهي الواقعة على مسافة منها ، قريبة من الجبل .

ديانة السكان

ديانة الفينيقيين هي الديانة الوثنية بوجه عام ، وكان لكل مدينة من المدن الفينيقية إلهها الخاص بها ، به تفتخر وتعزله تقدم الأضاحي والقربانين ، فالإله أشمون (موجد عقاقير الطب) خاص بمدينة صيدون ، والإله ملقارت بصور ، وعشتاروت ببيروت وأدونيس ببيبل وبشاطيء نهر ابراهيم المقدس



الاله بل

مواسم التضحية للالهة

عشتروت

بالإضافة الى الآلهتين الفينيقيتين الرئيسيتين إيل وبعل ، حيث كان اتباع كل منهما يقتصر لآلهته فيجادل ويناقش خصمه بالحجج والبراهين على تفوق آلهته وعظمتها مما قد يدفع الامر حين احتدام النقاش بين المتنازعين الى حد الاقتتال .

ومن معبودات الفينيقيين أيضاً الأجرام السماوية ولا سيما الشمس التي اتخذوها بمنزلة الإله الأكبر باعتبار انها مصدر النور والحرارة والحياة ولأنها مقياس الزمن . وكانوا يعتقدون ان مرجع جميع الآلهة الى الشمس وهكذا تطرقوا الى عبادة الأسرة الفلكية .

وكانت الحية عندهم مثلاً لهذه الكواكب ، فكانت الحيات في هياكل أشمون تلحس جراح المؤمنين فيبرأون ولأن أشمون في اعتباره هو الذي اوجد عقاقير الطب (العلامة المطران بولس الخوري : أحاديثه في الاذاعة اللبنانية) .

التجارة والحضارة

تاريخ صيدون القديم يقتصر على معرفة تاريخ تجارتها وصناعاتها وملاحظتها والمستعمرات التي انشأتها والهجائية التي انبعثت منها فكانت نوراً للمعرفة في العالم .

وبفضل ما كان يتاجر به سكان صيدون مع البلاد العريقة في قدمها وما كانوا يستوردونه من تلك الأصقاع البعيدة المختلفة لحسابهم ثم يعيدون تصديره الى مناطق مفتقرة اليها ، بات ميناء صيدون يعج بالمراكب التي كانت تحمل اليه الواردات التالية :

من بلاد العرب : البخور والمر والعقيق
ومن الهند : الحجارة الكريمة ، الماس ، البهارات وجميع
انواع التوابل ، العاج والاشخاب الثمينة

ومن مضر : الخيل والكتان والاصواف

ومن تونس والجزائر : الابنوس ، العاج ، ريش النعام

ومن اسبانيا : القمح ، الفضة ، الزئبق

ومن انكلترا والديمارك : القصدير ، الكوربا والعنبر

ومن جزر الأرخيل : النحاس ، الرخام الابيض والاصواف

ومن بلاد ما بين النهرين : الأقمشة الثمينة ، الطنافس والسجاد وأنواع
الطيبوب والحبوب

ومن القوقاز : المعادن بمختلف انواعها والعبيد

أما صناعات صيدون فكانت التالية :

١ - الصباغ الأرجواني

٢ - الزجاج

٣ - انشاء السفن

٤ - صناعة التعدين



الصناعة عند الفينيقيين

وصناعة البرفير او الارجوان
المنسوب الى صور ، ليس هنالك من
دليل على انها سبقت صيدا الى اكتشافه
اللهم إلا تلك الرواية المتداولة عن
ان كلب ابنة ملك صور تلوث فمه
بلون احمر بنفسجي يوم كانت تتنزه
على شاطئ البحر وعندما بحثت عن
سبب تلوثه بهذا اللون الجميل اكتشفت

ومن معها انه ناتج عن صدف الموريكس الموجود بكثرة على الشواطئ ، ولكن وجود جبل كامل في صيدا - عند أباروح - من هذه الاصداف والتي يعود تاريخها الى اوائل الالف الثاني قبل المسيح يظهر بوضوح ان صيدون هي السابقة الى اكتشافه ، أضف الى ذلك الى ان آثارات مصانع الارجوان حول مدينة صور تعود الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد فقط . وهكذا تكون صيدون هي مكتشفة الصباغ الارجواني .

لقد اكتشفت مادة صباغ الارجوان في حيوانات بحرية ذات أصداف تسمى بالموريكس وكان لونها احمرأ بنفسجياً . وعمد الصيدونيون والصوريون الى استعماله في صباغة الحرير والقطن والصوف الناعم . ثم تفنن الصوريون بعدئذ في استعماله فكان لهم قصب التفوق في صناعته .

وعمل الصيدونيون في نسج الصوف والكتان وصبغها بعدئذ .

وهم اول من اصطنع الزجاج ولا سيما الشفاف منه وأنشأوا لصناعته المعامل المهمة . وكانت مصانعهم في صيدون والصرفند اشهر معامل من نوعها في العالم المعروف وقتئذ . وفي متاحف اوربا الآن الكثير من مصنوعات صيدون الزجاجية الملونة الجميلة .

وبرع الصيدونيون كذلك في صنع الاواني الخزفية فكانت من اخص اصناف تجارتهم ، وهم اول من نقل هذه الصناعة الى بلاد اليونان ، كما تفوقوا في صناعة الحفر والنقش وصب الذهب والفضة ومختلف المصنوعات المعدنية وامتازوا بالمصنوعات النحاسية التي تناهت في الزخرف ودقة الصنعة وبرعوا في صنع الاسلحة وحلي العاج واشتهروا ايضاً في زراعة الكرمة واستخراج الخمر منها . وكان للخمر الصيدوني شهرة كبيرة ولا سيما في بلاد اليونان ، وصنعوا آلات الحراثة ومهروا في هندسة البناء وهم اول من عنوا بتبليط الشوارع . واهزرروا في صناعة السفن نصيباً وافراً من المجد والشهرة وكانوا اسبق الامم الى ركوب البحر والتوغل فيه .

اللغة والكتابة :

من اعظم اعمال انسان ما قبل التاريخ وضعه للغة ، وهو عمل شاق قام به بفطرته وسليقته دهوراً طويلة . اذ جعل هذا الانسان بالاتفاق مع بني قومه من الاشارات والحركات والاصوات لغة يعبر بها عن كل ما يخالجه عقله من تصورات ، ونفسه من شعور . وقد كان لوضع اللغة اهمية كبرى ، اذ لولاها لبقيت البشرية في حالة مؤلمة من الجمود العقلي والتحجر الفكري .

ثم عمد الانسان بعدئذ الى اختراع الكتابة ، وهذا الاختراع لم يكن اقل قيمة وأثراً من وضع اللغة ، وإليه يرجع حقيقة بدء التاريخ .

وأول انواع الكتابة هو الكتابة الصورية التي تدل على المعنى بصور تمثل الافكار والشعور وهي مرجع الخط واللغة الهيروغليفية المصرية القديمة وكتابة بعض هنود اميركا . ثم الكتابة الصوتية القائمة على علامات تدل على الصوت وهي ثلاث درجات متنوعة :

تدل العلامة والصورة في الدرجة الاولى على كلمة كاملة كما في الكتابة الصينية . وتدل العلامات في الثانية ، على مقاطع صوتية ، كما في الكتابة البابلية والآشورية . أما في الدرجة الثالثة ، فتتألف الكتابة من علامات تدل ليس على المقاطع بل على ابسط الاصوات البشرية اللفظية . وهذه العلامات صارت حروفاً ، دعي مجموعها حروف الهجاء .

ويذكر وليم لانجر في « موسوعة تاريخ العالم ج ١ ص ٧٢ » في حديثه عن الفينيقيين ما يلي :

« الفينيقيون - المعروفون بالصيداويين في اشعار هوميروس وفي التوراة - فرع من الكنعانيين اذا ما حكمنا عليهم بلغتهم - وهي لهجة من اللهجات السامية العربية وتقرب من العبرية - كانت لغة كنعان . وأعظم عمل قام به الفينيقيون

للحضارة هو اختراع الالهجية الهجائية في القرن الرابع عشر ق. م. او قبل ذلك بقرنين. وتتكون هذه الالهجية من ٢٢ حرفاً ساكناً وليست بها حروف متحركة. ولقد اشتقت الالهجيات القديمة والحديثة من الالهجية الفينيقية. أ. هـ .

وهذا القول يؤكد روايات مؤرخي اليونان انهم عرفوا الهجائية عن طريق الصيدونيين الذين جاءوا الى بلاد اليونان صعبة (قدم) او قدموس حوالي سنة ١٥٨٠ ق. م. والذي حمل معه الحروف الهجائية وبنى مدينة قيسية وتملكها (الحوري عيسى اسعد: تاريخ حصص ج ١ ، وسعيد عقل: قدموس).

ويقول الأب بولس مسعد : « ان الفينيقيين استنبطوا الالهجية ونشروها في الانحاء ابتداء من اليونان بواسطة قدموس الصيدوني » ويقول ايضاً : « ان الامم التي سبقتهم في المدنية اكتنزت علومها وصنائعها وجعلتها اسراراً لها . أما فينيقية فان ابنائها كانوا رسل الحضارة البابلية او الكلدانية وحسب الفينيقيين ان تكون الملاحه وفن الكتابة من اخص مميزاتهم ليشغلوا المركز الاول بين الامم التي اسست الحضارة العالمية أ. هـ .



الفينيقيون يعلمون اليونانيين الهجائية

الفصل الرابع

صيدا قبل الغزو العموري (الآموري)

٢٨٠٠ - ٢٠٠٠ ق. م

يقول العلامة الاثري موريس دونان في كتابه « حضارة الفينيقيين وآثارهم ص ٣١ ما ترجمته » :

« لقد حمل الالف الثالث قبل المسيح في تضاعيف حقبه تقدماً ملموساً في الحضارة في بلاد فينيقية اذ ظهر الى عالم الوجود عدد من المدن الفينيقية مثل شمرا (اوغاريت) الواقعة عند مصب نهر الابرش شمالاً والبترون وصيدون التي ظهرت في العصر الانبوليتيكي . وبدأت تجارتها تتغلغل داخل سورية حتى وصلت خلال فترة وجيزة من الزمن الى ضفاف الفرات شرقاً شمالاً وإلى دمشق التي تبعد عنها حوالي المئة كيلومتر جنوباً شرقاً » .

ويقول البابليون عن العموريين انهم شعب كان يعيش في الصحراء بين الفرات وسورية وهم قبائل قوية ومتنقلة ، وبعضها كان نصف حضري فعمل في الزراعة . وتذكر المخطوطات تاريخ مجيئهم الى سورية انه تم خلال القرن

الثاني والعشرين ق.م وانهم مزيج من بني يمن وبني اسماعيل . ولقد قام الملك قبل الاخير من السلالة الحاكمة لأور - ليحفظ مملكته من عدوانهم - ببناء حصن للمراقبة حوالي سنة ٢١٠٠ ق.م (سيديرسكي وتورو) كما فعلت مصر التي رأت نفسها عرضة للغزوات القبلية عند الدلتا منذ أيام السلالة الرابعة وثانية في أيام السلالة الثانية عشرة عندما قام الفرعون امنيمحات الاول في العام الرابع والعشرين لحكمه - اي حوالي سنة ١٩٦٧ ق.م بتشديد خط دفاع اطلق عليه اسم حصن (حائط) الامير .

صيدا والعموريون : (٢٠٠٠ - ١٧٢٥ ق.م) .

وطد العموريون اقدمهم في سورية وفينيقية وفلسطين في اوائل القرن العشرين قبل المسيح او قبل ذلك بقليل ولكن ليس باستطاعة المؤرخ الصادق اطلاق لفظة استيطان على شعب ما قبل ان يبدأ هذا الشعب عملياً في استثمار خيرات المنطقة التي يعيش على ارضها حتى تحمل اسمه بصورة واقعية ولذا فان اسم العموريين اقترن بالمنطقة واصبح حقيقة ملموسة خلال القرن العشرين ق.م اذ انتشرت فروعهم بين جبال الامانوس شمالاً وسيناء جنوباً ومن سواحل البحر الابيض المتوسط الشرقية غرباً حتى الفرات شرقاً وهذا ما اكدته المخطوطات المكتشفة على الشاطئ الايمن لنهر العاصي قرب مجراه الادنى والتي تقول : انه بين القرن العشرين واوائل القرن الثامن عشر قامت اسرة عمورية فاستلمت زمام الامور في بابل طيلة ثلاثئة عام . وكانت مدن ايزن ولارسا وايشنونا وسيبار وكازالو واشور وحران في بلاد ما بين النهرين وحلب والالاخ وماري وجبيل وقطنه يحكمها امراء عموريون .

ويذهب العالم هورميس Hormis الاخصائي في علم الآثار ان هذه المنطقة عرفت مزيداً من الحضارة اعتباراً من القرن التاسع عشر وحتى عام ١٧٥٠ ق.م ولا سيما في الزراعة والفنون الجميلة ، كما يتحدث عن ظهور عدد من

المدن خلال هذه الفترة من الزمن مثل آكو وفيق واورشليم اضافة الى المدن العريقة الرابضة على الساحل : صيدون وبيروت وجبيل وعرقه واوغاريت وفي الداخل كدمشق وقطنه وحماه وحلب . وهذا التقدم للمنطقة في الزراعة والاقتصاد وضع الدولتين المجاورتين لها - اي في مصر وفي بلاد ما بين النهرين - امام قوة جديدة يحسب حسابها لا سيما وان اعداداً لا يستهان بها من قبائل شرق الاردن اندفعت نحو الشمال لتستوطن المناطق الخصبة بعد ان امتزجت بالسكان لتعمل معها في استغلال خيرات ارضها ، الامر الذي دفع سكان المدن الفينيقية وفي طليعتها صيدون الى تحسين صلاتها التجارية معها اولاً ومع سكان القوقاس وكريت ومصر وبابل عن طريق التفان في صياغة المجوهرات والحلى الذهبية . وبدأت صناعة الذهب تظهر في تزيين الهياكل ومساكن الملوك والامراء والنبلاء كما تطورت صناعة الاسلحة فظهر السيف الدقيق والخنجر والسيف القصير العريض النصل والرمح ذو السنان الرفيع الى جانب المنشار والقدوم والازميل كادوات رئيسية للنجار .

الفصل الخامس

صيدا

ايام المصريين والحثيين والعثانيين

من يكتب في تاريخ لبنان كاملاً كان او مجزئاً لا يستطيع افهام قارئه ما يكتبه ان لم يحسن تعريف الامم التي سكنته او تلك التي كانت لها به صلة ما . سواء أكانت تلك الصلة صلة صداقة او عدا . ولذا فأننا نرى لزماً علينا ونحن نود الاحاطة بتاريخ جزء من هذه البقعة الغالية من الارض ان نرسل اشعة على خبايا هذه الامم حتى لا يؤدي الاغضاء عنها الى غموض ما نريد جلالة من تاريخ صيدون .

ان لصيدون صلات كثيرة بأمم متعددة قديمة بعضها من سكنها وبعضها من اقتحمها لبسط سيطرته عليها او لينار من قاطنيتها ، كالمصريين من الجنوب الغربي والآشوريين والكلدان من الشمال والجنوب الشرقي وبما ان حديثنا يدور عن الفترة الواقعة بين سنة ١٩٠٠ و ١٢٢٥ ق. م. فلنتكلم بإيجاز عن المصريين والحثيين والميتانيين :

١ - المصريون :

المصريون شعب من اصل حامي خالطهم في الازمنة القديمه اقوام ساميون جاءوا الى مصر من الجزيرة العربية عن طريق برزخ السويس . فشكّلوا الامة المصرية التي تعتبر من أعرق الامم مدنية .

وأقدم من كتب من المؤلفين عن مصر بإسهاب وتفصيل هو الكاهن المصري مانيتون الذي نبغ في القرن الثالث ق. م. وألم بتاريخ مصر القديمة ناقلاً مرويّاته عن السجلات الرسمية لدولها الاحدى والثلاثين التي ندون في ما يلي خلاصة عن اهم الحوادث في ايامها :

في عصر الدولة الاولى بنيت مدينة منف التي انشأها منيس اول ملوكها . وفي عصر الدولة الثانية خول الناس حق الجلوس على العرش بأمر الملك بينوتريس .

وفي عصر الدولة الثالثة بني تمثال ابي الهول .

وفي عصر الدولة الرابعة بنيت اهرامات الجيزة وقد بنى اكبرها الفرعون خوفو .

وفي عصر الدولة الخامسة بنيت مقبرة سقاره .

ثم توحدت أقسام مصر كلها تحت لواء واحد قاعدته مدينة طيبة في ايام الدولة الثانية عشرة ومن مآثر أحد ملوكها ارواء الفيوم بمياه بحيرة مورس كما أقام أحدهم مسلة المطرية .

أما الدول الـ ١٥ و ١٦ و ١٧ فملوكها غرباء قدموا من آسيا فدعاهم البعض عمالقة ورأى آخرون انهم عرب وقال البعض الآخر انهم حثيون اقتحموا الاراضي المصرية بداعي القحط لايحاد المراعي لمواشيهم ولقد أسعفتهم

الفتن الأهلية القائمة في مصر وقتئذ من احتلال قسم منها ، ثم أتموا احتلال الباقي بعدئذ . ويعتقد ان طلائعهم قدمت في مدة الدولة الرابعة عشرة كرعاء . ولكنهم ما لبثوا ان وطدوا أقدامهم بعدما استولوا على مراعي الدلتا النضرة وأنشأوا ثمة دولة عرفت فيما بعد بدولة الرعاة (الهكسوس) . وفي أيام دولتهم الثانية (وهي الـ ١٦ من الدول المصرية) قدم الى مصر عدد كبير من السوريين العرب فأكرمهم الرعاة وجندوا من القادمين جيشاً استعانوا به على الفتح وجعلوا اواريس معسكراً لهم . ومن ملوك هذه الدولة « راکن » الذي يسميه العرب الريان بن الوليد وفي أيامه بيع يوسف بن يعقوب للعبودية .

ثم جاءت السلالات المصرية الـ ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ وتعرف في تاريخ مصر بـ « دول مصر الحديثة » ومن مشاهير ملوكها تحوتس الثالث الملقب اسكندر التاريخ المصري وامنهوتب الرابع وكلاهما من ملوك الدولة الثامنة عشرة . وساتي الاول ورعمسيس الثاني الملقب بالكبير وابنه منفتح الذي طرد الاسرائيليين من مصر . وكانت صلات دول مصر الحديثة متينة وقوية بصيادون .

وفي أيام الدول الـ ٢٢ و ٢٣ و ٢٤ و ٢٥ دب الوهن في حكومات مصر فتسنى للأشوريين أن يسيطروا سيطرتهم عليها سنة ٩٥٠ ق.م كما سادها الآشوريون وأنشأوا فيها الدولة الـ ٢٥ . ولكن الامير بساماتيك المصري تمكن في اواسط القرن السابع ق.م من طرد الغزاة وإقامة الدولة الـ ٢٦ .

واقتردى نحو الثاني بأبيه المذكور فهاجم الاشوريين وصرع يوشيا ملك يهوذا لوقوفه في طريقه حتى بلغ الفرات ، مجتاحاً في طريقه الأقاليم السورية واللبنانية ، ثم عاد الى مصر . ولكن نبوخذ نصر سعى لاسترداد سورية فبادر اليه نحو ليشتبك معه في معركة عند الفرات سنة ٦٠٥ ق.م كانت نتيجتها اندحار نحو وعودته الى بلاده .

ثم خلف نحو ابنه بساماتيك الثاني سنة ٥٩٦ ق.م الذي خلفه ابنه خفرع سنة ٥٩٠ وفي أيام هذا غزا نبوخذنصر مصر سنة ٥٧٢ ق.م . وقتل آنئذ الفرعون خفرع في المعركة .

وفي أيام آخر ملوك هذه الدولة اقتحم قبيل الفارسي مصر وأسر بساماتيك الثالث بن احس سنة ٥٢٧ وأنشأ في مصر الدولة السابعة والعشرين وهكذا خضع المصريون للفرس طيلة ١٢١ سنة ولكنهم ما لبثوا ان تمردوا في أيام داريوس اوخوس وتمكنوا من طرد الغزاة ثم انشأوا الدولة الـ ٢٨ المصرية (٤٠٦ - ٣٩٦ ق.م) .

ولم يلبث المصريون ان ثاروا على امبرتيوس منشاء هذه الدولة لأنه لم يكن من سلالة ملكية وتولى العرش اسرة اخرى عرفت بالمنديسية وهي الدولة الـ ٢٩ (٣٩٣-٣٧٨ ق.م) التي عاضد ثالث ملوكها بعض ملوك الفينيقيين ضد الفرس .

ثم تسلم العرش المصري اسرة سمنودين (٣٧٨ - ٣٤٠ ق.م) وهي الدولة الثلاثون . قام منها ثلاثة ملوك ، اهاج ثالثهم الفيلقيين على الفرس فاستاء الاخيريون وبعدهم حطموا ثورة الفيلقيين هاجموا مصر فكسروا جيشها الكبير وفر ملكها الى كوش .

وعادت مصر بعد ان نعمت باستقلالها ١٦ سنة لتخضع ثانية لنير الفرس طيلة ثماني سنوات (٣٤٠ - ٣٣٢) وهي مدة الدولة الحادية والثلاثين .

وفي أيام دارا الثالث الفارسي ضعفت دولة الفرس وعلا نجم اليونان بظهور الاسكندر المكدوني الذي ثل عرش الفرس واستولى على مصر سنة ٣٣٢ ق.م .

٢ - الحثيون :

الحثيون من عرق آري . وجدوا لأول عهدهم بالتاريخ في جبل اللكام ثم انحدروا نحو السهل في القرن الحادي والعشرين بسبب تكاثر عددهم فذهب فريق منهم الى كبادوكية غرباً وانتشر فريق آخر في الشرق الجنوبي ما بين الفرات وحلب وحمص . ولما تكاثر عدد هؤلاء انحدر بعضهم الى الجنوب مستوطنين البقعة الجنوبية من سوريا واتصلوا بالفينيقيين .

ويظهر ان الحثيين كانوا أقوىاء الشكيمة ذوي بأس في الحروب فقصوا بصولتهم على كثير من العناصر السامية واجتاحوا بلادها وشادوا فيها مملكة قوية منذ الالف الثانية قبل الميلاد ، ولقد أرشدتنا الآثار الى اسماء عدد من ملوكهم اليك أشهرهم :

١ - تورماليا الذي ظهر في القرن التاسع عشر ق.م ووسع حدود بلاده فكانت للحثيين أربع عواصم هي : حاتوشا وكوثر وفازا وزايا .

٢ - حاتوشيل الاول الذي اقتحم سوريا الشمالية وبسط سيطرته على مدينة حلب .

٣ - مورسيل الذي زحف على بابل في القرن الثامن عشر وعاد منها بغنائم وافرة الى عاصمته حاتوشا .

٤ - سوبيلوليوما (١٣٨٧ ق.م) وهو أعز الملوك الحثيين شأنًا ، امتدت فتوحاته الى نهر دجلة وطوق مملكتي الحوريين والميثانيين وحرر غربي الفرات ودانت له كركميش فجعلها قاعدة الشمال ودمر قطنه (المشرفة - شرقي حمص) واستولى على قادش ووصلت حدود مملكته الى فلسطين جنوباً وفينيقية غرباً ولولا فتن الاناضول (١٣٧٨ - ١٣٥٨) لغزا مصر .

٥ - مواتعلو بن مورسيل الثاني (١٣٢٠ ق.م) الذي حدثت في ايامه حروب ساقى الاول (١٣١٨ ق.م) ورعسيس الثاني (١٢٩٤ ق.م) .

٦ - اورخي نخشوب (١٢٩٢ - ١٢٨٥ ق.م) الذي رأب الصدع الذي أحدثه المصريون في المملكة .

٧ - حاتوشيل الثالث (١٢٨٥ ق.م) الذي ظهرت في ايامه مطامع شلمنصر الاول الاشوري (١٢٨٠ - ١٢٦٠ ق.م) فاضطر بسبب ذلك ان يعاهد رعسيس سنة ١٢٧٨ ق.م ويؤوجه ابنته .

بعد هذا كبر المراك بين الحثيين والاشوريين مما يترك بحسبه الى وقت حديثنا عن الاشوريين وعلاقتهم بصيادون . وخلاصة القول عن الحثيين في هذه الحقبة انه كان لهم اربعة مراكز حربية : كركميش في الشمال وياتن عند مصب العاصي ، وقادش في وادي العاصي ومجدو في سهل بزرعبل (مرج ابن عامر) في الجنوب .

٣ - الميثانيون

هم شعب قوي كان في شمال الجزيرة في اوائل الالف الثالثة قبل الميلاد وقد ورث الحضارة السومرية وشاد حضارته على انقاض تلك .

كانت دولتهم متاخمة للدولة الحورية في الشمال ، اذ كانت قاعدة الحوريين أورفا وقاعدة الميثانيين شوكاني . ولما تضاعفت قوة الحوريين في الالف الثاني وخبا ذكرهم تألقت نور الميثانيين واتسع نطاق مجدهم .

وبلغ من سوءدهم انهم مدوا سيطرتهم حتى بلغوا شواطئ العاصي وتحالفوا مع بعض ممالك الفينيقيين ، ووصلوا الى درجة من الترف جعلت

ملكهم سوزارطا (في اواسط القرن الخامس عشر) يعمل لعاصمته ابوابا من فضة وذهب . واعترف الفراعنة ان الميثانيين صدوا غارة تحوتس الاول ، ولكنهم يذكرون ان تحوتس الثالث كسرهم في حملته على سورية . غير ان هذه العداوة بين المصريين والميثانيين انقلبت الى صداقة وصارت مملكة ميثاني في مقدمة الممالك الموالية لمصر .

وفي مسألة امنوفيس الثاني صورة لكبراء الميثانيين يقدمون له الجزية . ولعل هذه الصداقة نتجت عن معاداة الميثانيين للحثيين اذ سلبهم هؤلاء ما اقتطعوه من وادي العاصي . وتمززت اواصر الصداقة بين المصريين والميثانيين بزواج تحوتس الرابع ابنة ملكهم ارنظاما كما ان ملك الميثانيين سوطارنا قدم ابنته جيلوهيبا حظية لامنوفيس الثالث .

على ان هذه المصاهرة اساءت سوبيلوليوما الحثي فأخذ يطرق المقاطعات السورية الخاضعة لنفوذ الميثانيين ويحتلها بالدهاء واحدة اثر الاخرى . مما دفع بالميثانيين الى الثورة على ملكهم توارطا سنة ١٣٧٠ ق.م وقتله . فاستفاد ابنه الصغير مايتعوذا بسوبيلوليوما فأيده واسترد له عرش ابنه وزوجه ابنته على شرط ان يكون عرش ميثاني للمولودين منها دون ذراري نسائه العشر . ولكن حظ مايتعوذا اقل بوفاة حميه سوبيلوليوما سنة ١٣٤٧ ق.م اذ شعر الاشوريون بضعفه فهاجموه واستولوا على منطقته كلها ملحقينها بالبلاد الاشورية . وهكذا باد ذكر الميثانيين من تاريخ الامم في اواخر القرن الرابع عشر (المقتطف ٩٣ : ص ٤٢) .

اهم حوادث هذه الحقبة

صيدون من ١٧٢٥ - ١٢٢٥ ق.م

كانت صيدون تحتل المقام الاول وتتمتع بمقعد الزعامة على الشواطىء

الفينيقية ولذا كان من الطبيعي ان يحول تجارتها وجههم شطر الحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط حيث حطوا رحالهم على شاطئ بحر ايجه والارخبيل فاستعمروا جزر سيكلاد وجزر سبوراد وبنوا فيها مستودعات تجارية ، ثم رادوا جزيرة كريت وعاشوا فيها اجيالاً .

ولقد حملهم مجذافهم الى ارض اليونان ، واليونان يومذاك في حالة البربرية فنقلوا اليها البضاعة والفكر وأسس الصيغونيين في الارض اليونانية مستعمرة « تيبه » .



قدموس

أما كيف تأسست هذه المستعمرة من قبل الصيغونيين فيرويه الأب العالم « بوفيه لايبير » كما يذكره الاستاذ سعيد عقل في مسرحيته « قدموس » وغيرها نقلا عن الاساطير اليونانية المخطوطة بما موجزه :

لما اختطف زوس (زفس) كبير الالهة ، اوروب بنت ملك صيدون اجينور لحق بها قدموس بن اجينور الى بلاد الاغريق ليسترد اخته . وفي البيوسي قتل قتيلاً كان قد فتك بإثنين من رجاله ، وبأمر من آلهة الحكمة بذر قدموس اضراره في الارض فأنبئت له رجلاً شاكي السلاح اقتتلوا الاخمسة أصبحوا فيما

بعد نبلاء « تيبه » التي بنماها قدموس وأعلنته اثينا عليها ملكاً . ووهبه

[زفس^(١) زوجة هي « ارمونيا » ابنة افروذيتي^(٢) وآريس^(٣) .

وحضر هذا الزواج جميع الآلهة الذين اجتمعوا في « قدميا » التي صارت بعدئذ اكروبول « تيبه » .

وأوروب هي التي أعطت الغرب اسمها كما أعطها قدموس حروف الهجاء .

ويعتقد غالبية المؤرخين أن أسطورة قدموس وإن لم تكن حقيقية مئة بالمئة فإن سفره الى بلاد الاغريق مع حفنة من رجالة بقصد الثار لأخته من جهة وفتح آفاق جديدة لتجارة بلاده من جهة ثانية امر قد حصل فعلاً وذلك فيما بين سنة (١٥٨٠ - ١٥٦٠ ق. م) .

وهكذا كان أوروب وقدموس ،
الاولى رسالة الحب والثاني رسالة المعرفة
الى اوروبا .



أوروب

ويقول الأب لابيير : انه حق ذلك
الوقت ، كان الصيدونيون ينزلون في
الاراضي ويقيمون فيها مستودعات
تجارية لأجل كسبهم المادي فقط ، غير
انهم حين استعمروا مدينة « تيبه »
ارسلوا اليها فلاحين ليحرثوا الأرض
ويستثمروا خيراتها لأنفسهم .

(١) زفس : إله الآلهة .

(٢) افروذيتي (افروديت) : آلهة الجمال .

(٣) آريس : إله الحرب .

الفصل السادس

صيدون خلال الصراع الحثي والمصري

دخلت جبيل تحت الحماية المصرية منذ الألف الثاني قبل المسح وكانت تشكل حكماً داخلياً على شيء من الاستقلال الذاتي رغبة منها في اتقاء أخطار الحثيين الجائحين الى جوارها وتأميناً لأرباحها الناتجة من بيع خشب الأرز الثمين والبضائع المختلفة الى السلالات المصرية الحاكمة .

أما صيدون فكانت تتمتع بالاستقلال التام ، يحكمها ملوكها الوطنيون ويؤازرهم مجلس من الاعيان قوامه مئة عضو ولذلك كانت تتسلق ذرى المجد في التجارة والاقتصاد كما في السياسة . وهكذا احتفظت صيدون بقسم زمام المدن والممالك الفينيقية المستقلة الاخرى كصور وبيروت وطرابلس وأرواد .

ثم ما لبثت جبيل ان أصبحت تابعة للملك مصر يعينون أمراءها ويتحكمون بأمورها ، الأمر الذي خشي معه الصيدونيون ان يمتد الحكم المصري الى مملكتهم فعمدوا الى تحصين مدينتهم وإحاطتها بسور من جهاتها الثلاث والى تأسيس جيش من المرتزقة الذين كانوا يؤمنونها من الانحاء المجاورة سعياً وراء الكسب .

ولكن ما ينفع الجيش المأجور الذي يدافع عن منطقة هي ليست وطنه
الاصلي امام قوة عسكرية هائلة مدربة يقودها قادة دهاة محنكون ؟

اذ ما ان غزا تحوتس الثالث فرعون مصر (١٥٠٣ - ١٩٤٩) في اواسط
القرن الخامس عشر البلاد السورية وانتصر في معركة مجدو حتى خضعت له
معظم المدن الفينيقية وفي عدادها صيدون التي قدمت له الجزية المفروضة
صاغرة وأصبح ملوكها تحت الحماية المصرية في نفس الوقت الذي كان به ريب
عداي امير جبيل يحارب الحثيين الى جانب المصريين .

وما انت انكفأ المصريون الى ديارهم بعد ان فازوا بالفنائم الهائلة
معتمدين على المحالفات التي عقدوها مع بعض امراء سورية وفينيقية . حتى
هب الحثيون للثأر من حلفاء المصريين وفي طليعتهم امير جبيل الفينيقي الذي
دلت رسائله العديدة التي وجدت بين مجموعة رسائل تل العمارنة على شكواه
المرّة من خصم قوي بطاش يدعو عبد الشرى وابنه اريزو ويتمرمر لأن
ولاة المدن السورية والفينيقية كلهم لم يعبأوا بأمره ويتهمهم بالاتفاق مع
الخصم عليه .

ويفهم من هذه الرسالة ايضاً ان الناظر المصري (وزير البلاط) امانيا
اشار على ريب عداي ان يرسل من قبله رسولا الى بلاط الملك المصري
لاستشارة حماسته ، فقبل ريب عداي هذا الرأي والتمس من امانيا ابقاء
ذلك سرا بينهما خشية ان يدري عبد الشرى بالامر فلتسوء النتيجة (آثار
لبنان ص ٧٩) .

ويروي الاب لامنس ان اريزو بن عبد الشرى لما عرف بعدم مبالاة ملك
مصر بامير جبيل ، اغتتم الفرصة وغزا ايلاته وأخذ يحتل بلاده قطعة قطعة
حتى ضبط كل النواحي المجاورة وترك له مدينته منفردة .

ويقول العلامة (شارل كنت) في مؤلفه جغرافية الكتاب (ص ٦٥ - ٩٨) :
ان السلطة المصرية حالت دون الحروب بين الامارات الصغيرة مدة . ولكنها
لم تستطع ضبطها كما يجب اذ أبقت امراء البلاد في مناطقهم على ان يؤدوا لها
أكبر جزية يمكن استيفاؤها منهم .

وتذكر الرسائل التي وجدت في تل العمارنة ان مصر في زمن امنحوتب
الرابع (اخناتون) وقعت في حالة فوضى ، لانهاك الملك المذكور بالاصلاحات
الدينية ، فضعت سلطته على ولاياته البعيدة ولذلك هب أكثرها لاستعادة
استقلالها وفي طليعتها صيدون التي كان يحكمها الملك الفينيقي زميردا في ذات
الوقت الذي وحد فيه الحثيون قواهم ومدوا سيطرتهم على البلاد الداخلية
أيام سوبيلوليوما .

وتفصيل ذلك : ان الملك الحثي سوبيلوليوما (١٣٨٨ - ١٣٤٧ ق. م.)
تمكن من توحيد الامارات الحثية تحت رايته ، ثم انقض على مملكة الميثانيين
عام ١٣٥٥ ق. م. ، وملكها وقتئذ ماتيوآزا حليف مصر ، ففضى عليها
نهائياً وادخل بلادها تحت حكمه ولم يبادر المصريون الى نجدة حليفهم نظراً
لانهاك امنحوتب الرابع في اصلاحاته الدينية في بلاده . الامر الذي شجع
عدداً من امراء شرق البحر الابيض المتوسط للتحالف فيما بينهم على طرد
الغزاة المصريين . وسرعان ما قامت الثورات في كل مكان . ففي قادش هب
ملكها اتيكاً لمهاجمة بيبيلوس حليفة مصر وصنيعتها في هذه المنطقة ، كما أعلن
ملك صيدون زميردا الثورة على المصريين متحالفاً مع الحثيين ، وبادر نحو صور
في عام ١٣٥٤ ق. م. فتمكن من دخولها واخضاعها لحكمه مزيلاً عنها التبعية المصرية .

اما فرعون مصر ساتي الاول ١٣١٨ - ١٢٩٩ ق. م. فقد تابع سياسة
والده رعسيس الاول اذ دفع في السنوات الاولى للملكه ، غزاة العرب عن
بلادهم ، ولكنه في عام ١٣١٣ اخترق صحراء سيناء الى فلسطين محققاً بالسلم

أهدافه الرامية الى إعادة سلطة مصر على هذه الديار وتسنى له اخضاع بيسان وصور وعدلون (في وسط الطريق بين صور وصيدون) وهوران ولكنه لم يتمكن من اخضاع صيدون التي كانت على صلة بملك الحثيين في قادش « موتنار » ولذلك فقد حول وجهه شطر سورية الوسطى التي قدمت له الهدايا لاسترضائه وتابع سيره نحو قادش التي وقفت في وجهه ببسالة اضطر ان يعقد معها معاهدة صلح مع ملكها موتنار وان ينكفى عائداً الى بلاده مكتفياً بما ناله من غنائم في البلاد التي مر بها . بعد قيام إسرائيل (بنى إسرائيل) أما صيدون فكانت لا تزال معتصمة بقوتها وبزعامة الساحل الفينيقي خلال هذه الحقبة من الزمن .

وفي عام ١٢٩٩ ق. م. اعتلى العرش المصري رمسيس الثاني (ميامون) ابن الملك ساتي الاول ، الذي يعتبره المؤرخون احد افذاذ القادة العسكريين الذين انجبههم التاريخ .

سار رمسيس في السنة الخامسة لتوليته العرش - ١٢٩٤ ق. م. - على رأس اربعة جيوش فاجتاز صحراء سيناء وانطلق منها نحو بلاد كنعان الساحلية فدخل صور التي هبت لاستقباله مرحبة ومعلنة ابتهاجها بقدومه وخلصها من تسلط مدينة صيدون عليها .

وما ان وصلت انباء هذا الزحف المصري الى مسامع ملك صيدون حتى دب الهلع الى فؤاده وعرف انه ليس في قدرته مجابهة هذه الجيوش الجرارة فجمع مجلس الاعيان وعرض عليهم الأمر للتداول وبعد بحث طويل وتفكير عميق تقرر ارسال وفد لمقابلة فرعون مصر لعرض خضوعهم وولائهم وقد قبل هذا رجاءهم وجاء الى صيدون فدخلها سلباً بعد ان اخذ منها جزية ضخمة .

وتابع رمسيس الثاني زحفه نحو بيروت فدخلها وأخذ منها الجزية . ثم سار حتى وصل الى نهر الكلب فانعطف نحو سورية ليهاجم في داخلتها قادش وملكها وقتئذ (موتنار موآلي) الحثي . وهناك جرت المعارك الدامية التي استبسل فيها الحثيون ولكن فرعون مصر تمكن بالرغم من ذلك من تحقيق انتصاره وفرض الجزية عليهم بعد ان فاز بغنائم واسلاب ثينة جداً مما دفع بالحثيين الى التراجع نحو مناطقهم الشمالية وعودة حكم البلاد الى سكانها الأصليين من الآراميين .

ولم بعد الفينيقيون يابون خلال القرن الثالث عشر ق. م. وبعد فرض الحماية المصرية عليهم للنواحي السياسية ، حتى ما تعلق منها بأمر استقلالهم الدفاع عن موطنهم ضد المغيرين ، الأمر الذي لاحظته المؤرخون عند دراستهم اسباب الحروب المستقلة بين المصريين والحثيين لأنهم - اي الفينيقيين - كانوا يسرون في ركاب الدولة المحتلة ويقدمون لها مختلف الخدمات لقاء احتفاظهم بحق العمل التجاري ووسائل الربح المادي كما ظهر بوضوح تفسخ الصلات بين المدن الفينيقية المختلفة بأجل مظاهره ، اذ ان كل مدينة اخذت تسعى وراء نجاح تجارتها ورفع نسبة ارباحها حتى ولو جاء ذلك على حساب شقيقتها المدينة الفينيقية الثانية وهلاكها .

وبدا هذا جلياً عند مجيء الفلسطينيين الى بلادنا خلال القرن الثالث عشر ق. م. من جزر بحر الروم .

وكان الفلسطينيون قد حاولوا في بداية الامر الاستيلاء على مصر ولكن رمسيس الثاني صدم عنها عام ١٢٥٦ ق. م. فتوجهوا نحو الارض الواقعة بين مصر وسوريا - جهات غزة واشدود وعسقلان وجت وعقرون .

ولم يرض على وصول الفلسطينيين (قوم كريت) الى تلك المنطقة اكثر من قرن حتى اشتد ساعدهم فضايقوا بني اسرائيل نحواً من نصف قرن ، ثم

سيروا اسطولا قويا باغتوا به مدينة صيدون سنة ١١٠٥ ق. م. وتمكنوا من دخولها فابسلوا أهلها وقضوا على سؤدها وسيادتها حقبة من الزمن.

وكانت حروب رعمسيس الثالث سنة ١١٨٨ ق. م. قد سجلت آخر انتصارات مصرية في سورية وفينيقية .

... ما لبثت صيدون ان قامت من عثرتها وفي ذات الوقت تمكنت ارواد ربيبة صيدون ان تقضي على قوة اوغاريت وتطفئ نورها وتأخذ منها زمام العمل التجاري لا سيما وأنه لم يكن لارواد اي مجال حيائي اللهم الا منعها كصخرة حصينة لجزيرة قائمة في البحر وليس هنالك من مجال حياة مرفأين قوين متقابلين وفي منطقة واحدة .

الفصل السابع

صيدون من سنة ١١٠٠ — ٥٣٩ ق. م.

حل القرنان الثاني والحادي عشر في تضاعيفها الى صيدون تغيراً ملحوظاً، فالشعوب التي وصلت الى الشواطئ من اوربا وامتزجت بالسكان ساهمت في تطوير الحياة الفكرية والمعيشية، إذ اخذت الاعمال الفنية الدقيقة ذات الطابع الغربي في الظهور، كما ان وصول العبرانيين والآراميين الى المناطق المجاورة أضفى لوناً جديداً على الاعمال الصناعية بشكل نستطيع معه القول انه بواسطة هذه الصناعات توصل اليونانيون أولاً ثم الغرب المعروف وقتئذ ثانياً الى التعرف على فينيقية التي كانت حدودها تمتد على طول الشاطئ السوري وتتصل شرقاً بالمرتفعات الآرامية وجنوباً بفلسطين الاسرائيلية التي لم تصل حدودها مطلقاً الى البحر المتوسط .

هذه الأمور عرفناها من مدونات كبار المؤرخين وعلماء الآثار ومن الياذة هوميروس بالذات الذي ، بعد ان نذكر لحظة عن حياته ، نذكر بعض ما دونه عن صناعات صيدون وأهميتها .

هوميروس او اوميروس لفظ يوناني ترجمته الحرفية : « الذي بلا بصر » وهو لقب لا اسم له في الاصل ، وقد اشتهر به بعدما كفّ بصره حتى نسي اسمه الاصيل .

قيل ان والدته كريتيس ولدته على ضفة نهر ميلس قرب ازميز فدعته ميلسيجينيس ، اي « وليد النهر » ولم تذكر المؤلفات شيئاً عن ابيه لأنه توفي وابنه طفل . ولما فطمته امه عن الرضاع سلمته الى استاذ بارع في ازميز يدعى فيميوس ، فأستأجرها هو لغزل الصوف . وكانت كريتيس راجحة العقل هادئة ، فأعجب بها فيميوس وخطبها لنفسه واعدأ إياها يجعل ابنها الذكي نابغة عصره . فرضيت به بعلاً ، وبرّ هو بوعدة لها . ففاق ميلسيجينيس جميع اقرانه ، وما مر بضعة اعوام حتى كاد يبرز استاذة نفسه .

توفي فيميوس وانحصر ارثه في هوميروس ، فقام مقامه في المدرسة . وأعجب به الأزميريون ، وطارت شهرته في الآفاق ، فقصده الداني والقاصي ، وصار مجلسه كعبة الحكمة وديوان الادب .

ومن اختلف الى مدرسته ربّان حكيم محب للعلم ، اسمه منتس . وهذا رغبة منه في ملازمته حبب اليه الاسفار ومشاهدة الامصار لاستزادة معارفه واعدأ إياه بحمله في سفيلته ان رضي مرافقته . فقبل هوميروس رأيه وغادر المدرسة ممطياً متن البحار ، حيث اختزن من المعلومات التي مرت به شيئاً كثيراً . ولكنه اصاب لكثرة ما نقب بالرمد . واضطر منتس ان يبقيه في جزيرة ايتاكي عند صديق له فيها ريثما تعود اليه صحة النظر ، فأحسن هذا ضيافته ، وإذا لم يكن رمد هوميروس ليمنعه من المطالعة والتبهر ، التقط اخبار اوديس التي جعلها بعدئذ مادة لقصيدته الاوديسية .

ولما عاد الربان من رحلته اخذه في سفيلته واستأنفا السفر . فاشتد عليه الرمد حتى فقد بصره وظل كفيفاً حتى مات ولقب منذئذ هوميروس .

فلما كف بصره قصد ازميز وأخذ ينظم الشعر ليعيش ، واضطر بعدئذ ان يحوب الاصقاع اليونانية يستثمر قصائده . وأصيب بعدة نكبات كانت السبب لزيادة شهرته . وأخيراً عول ان يقصد اثينا فركب سفينة مع جماعة من ساموس ، فرض ونزل الى جزيرة « يوس » بغية ابلاله من مرضه ولكن الداء اشتد عليه فاحتضر ومات ودفن قرب الشاطئ .

أما الزمن الذي نشأ فيه هوميروس فبين المؤرخين خلاف بشأنه ولكنهم يجمعون انه عاش بين القرنين الثاني عشر والعاشر قبل الميلاد .

ولقد استفدنا من منظومات هوميروس تصويره حالة الشعوب القديمة المعاصرة لصيدون ، كما تحدث اكثر من مرة عن نتاج صيدون وتجارتها وغناها فيقول :

« ان الخدق والمهارة والشهرة التي كانت للصيدونيين في صنائعهم والقوة والبأس والبطش التي كانت في جيوشهم لم تنحصر في سوريا بل انتشرت منهم الى اقاصي الارض ، فان في زمان حروب تروادة الشهيرة كان الصيدونيون يقومون بأمورك كثيرة عدوانية ضد الترواديين ، على ان هؤلاء عملوا على الانتقام منهم ، فمزقوا ثياباً ثينة جداً من صنع بنات صيدون ، وكان يظن ان تقدمه اي منها لمعبودة الحرب واسطة لاستجلاب رضاها نحوهم . »

ولم يكتف هوميروس بهذه الاشارة الى صيدون في شعره ، بل ذكرها مراراً : « فان صناعتها بلغت اقصى اليونان حتى ان اشيل البطل اليوناني اجاز اللاعبين بتذكار جناز بتركس بقدرح من الفضة كان قد صاغه رجل من حذاق الصيدونيين . وكذلك الرداء الذي قدمه هيكوبا كفارة عن ذنوبه الى

مينرفا - كان صنع امرأة صيدونية اخذها باريس مختطف هيلانة بعد ان زار فينيقية .

ومن رواية عن اوليس ان صيدون كانت كثيرة السكان ، ولم تكن صور ذات شهرة مثلها بل انها كانت خاضعة لصيدون في هذه الفترة . وكما روى سترابو : « ان الصيدونيين خلال القرن الثاني عشر كانوا متقدمين في معرفة الفلك والهندسة والتجارة ومسالك البحار والفلسفة » .

ويقول موسكاتي في كتابه « تاريخ وحضارة الشعوب السامية » :

« انه حتى القرن الحادي عشر قبل المسيح كانت صيدون متفوقة على كل المدن الفينيقية وتزعمها ولكنه بعدئذ جاء دور صور التي بواسطتها قاست اعظم المستعمرات الفينيقية على الاطلاق - قرطاجة - » .

صيدون

في أيام آشور وكلدان وفارس

٨٨٥ - ٣٣١ ق.م

الآشوريون

أشور هو الابن الثاني لسام . ومن آشور هذا تسلسلت القبائل الآشورية الساكنة في الشرق من دجلة وقد صارت دولة عظيمة عاصمتها نينوى .

ويحد بلاد آشور من الشمال ارمينيا ومن الجنوب العراق ومن الشرق جبال زاغروس ومن الغرب الفرات وبلاد ما بين النهرين (قاموس الكتاب ١ ص ١٠٢) .

وقد قسم ثقات المؤرخين تاريخ آشور القديم الى ثلاث حقبة . الاولى من بداية امرهم الى فتح بابل سنة ١٣٠٠ ق.م . والثانية من فتح بابل الى ملك تغلات بلاسر الثالث سنة ٧٣٥ ق.م . والثالثة من تغلات بلاسر الثالث الى انقراض دولتهم سنة ٦٢٥ ق.م .

ودلت الآثار على ان الدولة الآشورية بلغت قمة المجد ثلاث مرات في التاريخ . الاولى في عهد تغلات بلاسر الاول (١١٣٠-١١١٥ ق.م) والثانية في عهد اود نيراري الثاني وخلفائه (٩٠٠-٧٨٣ ق.م) والثالثة في زمن تغلات بلاسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) .

ونجاح الآشوريين في هذه الفترات من الزمن خولهم عظمة وعتواً دلت عليها كتاباتهم المنقوشة على المرمر ، والتي وجدت في صروح ملوكهم حتى سماهم بعض المؤرخين « برابرة آسيا » وقال : انهم كانوا يقودون ملوك الأعداء بصنارات ينشبونها في شفاههم ، ويسلخون جلود الأسرى وهم أحياء ، ويقورون عيون بعضهم برؤوس السنات ، ويقتلعون السنة البعض الآخر (مابار ع : ٦٥) .

رأى الآشوريون الفرصة سانحة لتوسيع نطاق حدودهم في الشمال السوري فلم يفلحوا في بداية الأمر ، ولكن بغيتهم هذه اخذت تتحقق في منتصف القرن التاسع يوم بلغ آشور نازيربال سنة ٨٧٠ ق.م . ساحل البحر المتوسط ولكنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بمواقعهم أمداً طويلاً .

وفي اواسط القرن الثامن استأنفوا مساعيهم فنجحوا ؛ اذ اخضعوا سوريا ولبنان شيئاً فشيئاً ضامين اجزاءها المتفرقة الى ولايتهم لعدم استطاعة ملوكها الضعفاء الوقوف امام جيوش آشور القوية .

على ان اتساع نطاق المملكة الآشورية أدى في النهاية الى ضعفها . اذ

كثرت الثورات في البلاد ، وبينما كان الآراميون يزحفون من جهة الهلال
المخصب ، كان الكلدان يزحفون من جهة الخليج العربي منتشرين في طول
البلاد وعرضها . وهب نبولاسر (٦٢٥-٦٠٥ ق.م) الذي كان من أتباع ملك
اشور فقلب لمتبوعه الاعظم ظهر المجن واسقط اشور سقوطاً لم تقم بعده ، سنة
٦١٢ ق.م . (براسند ص ١٠٦ - ١٢٥) .

الكلدانيون

هم احدى الامم القديمة في التاريخ وجدت في العراق العربي ونشأت كأمة
ودولة في القرن الثالث والعشرين ق.م . ومؤسسها حسب التقليد المتناقل نمرود
الجبار وأقدم دولها الدولة الأكادية . ويأتي بعد هذه الدولة في الاممية دولة
قيل انها عربية . وهي خامس دولة في تاريخ الكلدان (بورتز ص ٤١)
أنشأها الاموريون القادمون من سوريا حوالي سنة ٢٢٠٠ ق.م . فاستولوا على
بابل الصغيرة . واخذوا يشنون الغارات على (سومير واكاد) للاستيلاء عليها . ومن
مشاهير هذه الدولة حمورابي سادس ملوكها الذي ملك نحو ٣٠ سنة صرف
معظمها في الحروب ففاز على جميع خصومه وجعل بابل قاعدة ملكه ، سيدة
مدائن البلاد منذ القرن الحادي والعشرين وقد برهن خلال فترة حكمه انه
اقدر ملوك الأسرة الامورية ودلت رسائله الباقية على انه كان من اعظم
المشرعين .

وولي الدولة العربية المذكورة دولتان اخريان . ثم انحطت دولة بابل
القديمة بعد ان ظلت قاعدة المدنية الشرقية ازيد من ألف وخمسمائة سنة . وإبان
هذا الضعف زحف المصريون على الفرات وتمكنوا من اخضاعها ٢٤٥ سنة
وبلغ عدد من ملك من الكلدان تحت سلطنة الفراعنة تسعة ملوك يقول
بيروس عنهم انهم من اصل عربي من سوريا (بابل وآشور) (للدور ص ١٨١)
ثم استخلصها منهم سنة ١٣١٤ ق.م . تغلبت ممدان فخضعت بابل للآشوريين

حتى اواسط القرن الثامن حينما كسر نير اشور من اعناقهم نبوخذنصر سنة
٧٤٧ ق.م . (بورتز ص ٧٤) . وفي ايام نبوخذنصر الشهير ، بسط هذا
سيطرته التامة على بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين ومات بعد ما ملك ٤٣ سنة
وفي سنة ٥٣٨ ق.م قضى كورش الفارسي على نبوخذنصر الكلداني كما قضى نهائياً
على الدولة الكلدانية .

الفرس

أمة آرية الاصل كانت قبائلها تسكن هضبة ايران وقد خضعت في القرن
العاشر للسلطة الآشورية . وظل ذلك شأنها حتى برزت دولة مادى في القرن
السابع وهذه أقدم دول ايران ثم تلتها الدولة الكيسانية في اواسط القرن
السادس وبها يبدأ العصر الفارسي الحقيقي (الهلال ١٦ : ٣٤٥ و ٥٧ : ٢٥) .

اول ملوكها كورش (٥٥٨-٥٢٩ ق.م) اخضع لحكمه البرقيين والأرمن
والأناضول وما بين النهرين وسوريا وجزءاً من بلاد العرب ومات بعد ما ملك
٣٠ سنة .

وآخر ملوكها هو داريوس قدما سنة ٣٣٥ ق.م . الذي بطش به الاسكندر
المكدوني سنة ٣٣١ ق.م .

صيدون في هذه الفترة

في ايلم حيرام الاول بن ابيمعل ملك صور (٩٦٩-٩٣٦ ق.م) خضعت
صيدون سياسياً لمدينة صور وساهمت في تزويد الملك سليمان بالصناعيين والمواد
اللازمة له في اعماله البنائية كما ساهمت ايضاً في بناء اسطول له في البحر
الأحمر وكانت تتمتع في ادارتها الداخلية بشيء من الاستقلال الذاتي .

ثم لما اجتاز سوريا نيبال الثاني الآشوري (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م) الفرات واحتل شمالي سوريا انحدر الى سهول العاصي ومنها الى شواطئ البحر الأبيض المتوسط الامر الذي ارتأى معه ملوك المدن الفينيقية الذين كان مهمهم الرئيسي المحافظة على تجارتهم وأرباحهم أن يجمعوا الأموال ويقدمونها له كهدية وجزية .

وكذلك فعلت صيدون في أيام ابنه شلناصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م) الذي تابع انقضاذه على الغرب واستحم هو وجيشه في البحر الكبير اذ قدمت له مع المدن الفينيقية الاخرى الجزية بعد ان حطم جموع الامراء الآراميين في معركة قرقر وأصبح امام المدن الفينيقية .

وبهذه الوسطة تمتعت صيدون وبقية المدن الفينيقية بحياة وتجارة مزدهرة وصناعة جميلة كانت تصدر الى العالم المعروف وقتئذ ، كما ساهم ابناءؤها في تزيين بيوت ملوك آشور ودمشق واسرائيل بأدق النقوش وأجملها والتي شوهدت في العديد من الهياكل والمعابد في السامرية ومجدو وآخاب وغيرها كما ان تزيين سروج الخيل والعربات يعود الى الصناعات الصيدونيين وليس للعناصر الغربية (موريس دونان ص ٨٥) .

اما تغلات فلاسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق.م) الذي كان يملك قوى حربية هائلة فقد تمكن من السيطرة على كل البلاد التي تفصله عن وادي النيل سنة ٧٣٨ وبينها صيدون وأرواد وببيلوس ما عدا صور التي كان يحكمها وقتئذ حيرام الثاني التي دفعت له الجزية دون ان تسمح للقاتح بدخولها . وفي عام ٧٣٠ ق.م دفع له متينا (متان) ملك صور جزية ضخمة .

سنة ٧٠٦ ق.م استعاد اليلايوس ملك صور وصيدون (٧٢٥ - ٦٩٠ ق.م) حكم جزيرة قبرص التي سبق لسرجون ان احتلها عام ٧٠٩ ق.م وهرب اليها عندما استولى سنحريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) على فينيقية .

صيدون في عهد سنحريب

على أثر تولي سنحريب العرش (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م) قام سنة ٧٠١ بغزو البلاد المجاورة له فاخترق بلاد حثو بعد ان قتل ملوكهم ثم اتجه نحو الشاطئ وكان ملك صيدون وصور وقتئذ الملك ايلولايوس الذي سبق له ان استولى على قبرص سنة ٧٠٦ مستخلصاً إياها من حكم سرجون .

وعندما شعر الملك ايلولايوس بمعجزه عن الوقوف في وجه الفاتح ركب البحر وانطلق نحو احدى الجزر حيث توفي فيها . اما سنحريب فقد احتل الموالي الفينيقية كلها بعد ان اعلنت خضوعها وطاعتها ، وهي صيدون الكبيرة وصيدون الصغيرة (كما تذكر التوراة) وسارييتا وعكا . وعين سنحريب على صيدون ملكاً جديداً هو ايتوبعل . وقد اسرع ملوك وامراء ارواد وجبيل وعمون ومؤاب وآدم لمقابلة الملك في صيدون ، معلنين خضوعهم التسام له ، مرتين على اقدامه للعفو عنهم ، فقبل رجاءهم وهداياهم (شعوب وحضارات لبيير جوفي ورفاقه ج ١ ص ٣٨١ - ٣٨٢) .

ثورة صيدون سنة ٦٧٦ ق.م

وفي أيام اسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م) اشتعلت الثورة في بلاد حثو بتحريض من ملك صيدون عبد ملكوتي ، فأسرع اسرحدون سنة ٦٧٦ ق.م على رأس جيشه لتأديب العصاة وجعل هدفه الرئيسي مدينة صيدون ، ودافع الملك عبد ملكوتي مع الاهلين دفاعاً شديداً عن مملكته ، ولكنه اضطر أخيراً للفرار عن طريق البحر الى كيليكية ، حيث عقد محالفة مع الملك صاندواري ملك كوندى (بالقرب من فارس وسير) ولكن ملك الآشوريين بسمدان تم له الاستيلاء على صيدون أحرقها ونهب كنوزها وخيراتها ، ولم يهدأ له بال ، فطارد الحليفين حتى وقعا بين يديه الواحد أثر الآخر ، ثم أسر عبد ملكوتي

خلال شهر تشرين (ايلول - تشرين الاول سنة ٦٧٦ ق.م.) فقطع رأسه وأرسله الى نينوى حيث طيف به امام الاهلين ، وكان مصير صاندواري شبيهاً بعبد ملكوتي ، إذ بعد سقوطه في الأسر قطع رأسه وطيف به في نينوى في شهر آذار (شباط - آذار سنة ٦٧٥ ق.م.) .

ولكي يتمكن اسرحدون من مراقبة فينيقية وأمرائها وحكمها مباشرة ، عمد الى بناء مدينة أطلق عليها اسمه (كاراشور الكالدين) ومعناها : مدينة اسرحدون .



الاشوريون يحرقون صيدا

ونتيجة لغزوة اسرحدون الى صيدون عقد هذا محالفة مع ملك صور ، بعل ، منح الاخير بموجبها حق الاشراف على عدد من الموانئ الفلسطينية والفينيقية مثل عكا ودور وجييل (تحت الحماية الاشورية) وقد شهد على هذا التحالف آلهة الاشوريين الى جانب الاله بعل الفينيقي وملكات معبود صور .

وهذه الاحداث تؤكد الصورة المنقوشة على الصخور المكتشفة في نينوى وهي تتحدث عن انتصارات اسرحدون وتصور الملك الصيدوني عبد ملكوتي يقدم خضوعه للملك الاشوري بيدين مبسوطتين ورأس منخفض (شعوب وحضارات لموسكاتي) .

ويذكر المؤرخون الثقات ان ملوك اشور فرضوا الخضوع التام منذ عام ٧٤٠ ق.م. على كل البلاد السورية والفينيقية ولم يبق خارج هذه السيطرة إلا

امارة صيدون التي كانت تقدم الجزية فقط والتي خضعت نهائياً عام ٦٧٧ ق.م. وصور التي اخضعت عام ٦٧٥ ق.م. ولكنها ظلت محتفظة بقوتها وبشرط تعيين ملوكها من أبناءها (يوسفوس الذي يذكر أسماء ستة ملوك تعاقبوا على حكمها منذ عام ٧٥٠ ق.م.م : .

موتون الاول - الولا (اليلايوس) - ايتوبعل الثاني - بعل - يملك .

وعلى أثر وفاة اشور بانيبال سنة ٦٢٥ ق.م. اشتعلت الثورات في كل الجهات التي كانت تخضع للاشوريين فكانت ثورة الكلدانيين في بابل فلجأت اشور عندئذ الى طلب مساعدة مصر عام ٦١٢ ق.م. ، وهب ملكها بساماتيك الى الاستيلاء على سورية وفينيقية التي انتقلت من يد أجنبية الى يد أجنبية اخرى .

ولما تسلم عرش مصر نيكخاو سنة ٦٠٩ ق.م. اجتاز سورية للانقضاض على بابل ولكنه انهزم عام ٦٠٥ ق.م. امام نبوخذنصر في كركيش فاضطر الى مغادرة البلاد السورية محتفظاً بصيدون التي تمكن نبوخذنصر من الاستيلاء عليها عام ٥٨٦ ق.م. واورشليم التي فتحها عام ٥٨٦ ق.م. وأرسل أهلها سبايا الى بابل. اما صور التي دافعت عن نفسها طيلة ١٣ سنة فقد اجبرت على دفع الجزية للكلدانيين سنة ٥٦٧ ق.م. في ايام ملكها ايتوبعل الثالث (٥٧٤ - ٥٦٤ ق.م.) .

وظل الصوريون محتفظين باستقلالهم الذاتي ايام ملوكها بعل لا تور وميربعل وحيرام الرابع الذي حضر حفلة تتويجه في صور سنة ٥٥٢ ق.م. الملك نبونيد آخر ملوك بابل .

وابان هذه الحوادث التي كانت تجري في الغرب كانت امور خطيرة تقوم في الشرق اذ اعتلى عرش بلاد فارس ومادي رجل جبار هو الملك كورش الذي وحد المملكتين عام ٥٥٥ ق.م. ووجه الضربة القاضية الى الحكم الكلداني سنة ٥٣٩ ق.م. .

الفصل الثامن

صيدون تحت الحكم الفارسي

٥٣٩ - ٣٣٣ ق.م.



دارا الكبير

على أثر استيلاء الفرس على
بابل سنة ٥٣٩ ق.م. في عهد
الملك كورش دخلت كل البلاد
الواقعة بين جبال الأمانوس
وسيناء تحت حكمهم وبوجب
التقسيم الإداري الذي أحدثته
الدولة الفارسية أصبحت فينيقية
تشكل مع قبرص الولاية الخامسة
في الامبراطورية الفارسية كما
اتخذ الوالي الفارسي من صيدون
عاصمة للولاية وبنى فيها قصراً
ملكياً ساهم الصيدونيون في بنائه وزخرفته .

وفي عام ٥٢٥ ق.م. قام قمبيز بن كورش الفارسي بحملة على مصر في أيام ملكها
بسامتيك الثالث آخر ملوك السلالة الفيليبية فأخضعها لحكمه ثم تابع زحفه
حتى وصل إلى واحة أمون وهناك فكر بالزحف على قرطاجة لأخضاعها
وقاوض الصوريين والصيدونيين الذين كانوا يساعدونه خلال حروبه في مصر
- لتقديم أسطولهم حتى يتابع زحفه ويستولي على قرطاجة ولكن أولئك
رفضوا الانصياع لرغبته معتذرين بأنهم لن يقاتلوا أبناء عموماتهم في إفريقية
كما عرضوا عليه استعدادهم التام لخدمة الفرس في حروبهم مع اليونانيين .

وبوجب معاهدة كالياس ٤٩٤ ق.م. استطاع ارتاكزكسيس (داريوس)
الأول أن يعتمد على الأسطولين الصيدوني والصوري خلال زحفه على بلاد
اليونان والذي مني بالفشل في معركة ماراثون ، التي فصلها فيما يلي :



الأسطول الفينيقي وملك صيدا - في معركة سلاميس

معركة سلاميس

رافق الحملة الهائلة التي قام بها زركسيس لليونان عمارة كبيرة من سفن الفينيقيين قيل انها كانت مؤلفة من ١٢٠٠ سفينة كبيرة ذات ثلاث طبقات و ٣٠٠٠ سفينة صغيرة (تاريخ سورية ليني) وعندما وصل الجيش والجند الى بوغاز (جناق قلعة - مقابل الاستانة حالياً) المعروف وقتئذ بالهليسبونت ، امر زركسيس ان تصف المراكب والقوارب ملاصقة لبعضها البعض حتى يمر الجنود من فوقها الى الضفة الثانية وكان الفينيقيون يربطون السفن بحبال ضخمة قوية فلما تم العمل جاءت موجة قوية تحركها رياح عاصفة فهدمت ذلك الجسر فغضب زركسيس غضباً شديداً وأمر بقطع رؤوس المهندسين ثم امر ببناء جسر آخر فشرع القوم بصنعه واستخدموا لذلك ذات المواد على ان الحبال كانت اشد متانة من الاولى ، كما حفروا قناة في البوغاز تصل بين جبل آتوس والبر مقابله ، وقبل ان يبدأ زركسيس زحفه امتحن قواته فأظهر الفينيقيون ولا سيما الصيديونيون منهم مهارتهم الفائقة ونالوا قصب السبق على بقية الجنود المحاربين . وذكر هيرودوتس اسماء قادة تلك الحملة وكان بينهم تيرمستوس بن انيسوس الصيديوني وماين بن سيروم الصوري وماريال بن اكبال الاروادي . وكان نوتية الفينيقيين يرتدون الخوذ المشابهة لخوذ اليونانيين ويحملون الرماح والدروع والجهان .

ولما حدثت معركة سلاميس تولى الفينيقيون قتال الاثينيين وكانوا تحت امره اميلياس اخي اشيلوس ففشلوا وظن الفرس ان الامر خيانة من الفينيقيين فأبلغوا ذلك الى زركسيس الذي امر بقطع رؤوس عدد كبير من قادتهم . فلما رأى الفينيقيون هذا الغبن وهذه المعاملة السيئة عرفوا ان الدائرة ستدور على الفرس فسرعان ما ركبوا سفنهم وكرروا عائدين الى ديارهم .

ولكنهم عادوا ثانية فاشتركوا في معركة ابريمدون سنة ٤٦٦ ق. م. وفي هذه المعركة فشلوا ايضاً وأسر الاثينيون من سفنهم مائة سفينة . وسرعان ما انتقموا لأنفسهم بعد مضي خمس سنوات على تلك المعركة اذ دمروا السفن

الاثينية بالقرب من مانديسيا عند مصب النيل .

وأبان الحروب التي دارت بين اسبارطة وأثينا (٤٣١-٤٠٤ ق. م) تحالف الفينيقيون بموافقة الفرس مع الاثينيين ونتيجة لهذا التحالف عمل فارنا بازوس رئيس سفن الفينيقيين والقبرصيين تحت قيادة كوتون رئيس عمارة الاثينيين فانتصروا على الاسبارطيين في معركة كنيديوس . وهذا الانتصار دعم صلات الوداد والتجارة بين الشعبين اذ اخذ الفينيقيون يترددون على بلاد الاثينيين ويقطنون فيها حيث اشادوا المباني والصروح والمعابد ، يمارسون فيها طقوس ديانتهم . ولقد وجد القوم ثلاث صفائح حجرية فينيقية احداها بلغتهم والاثنتان باليونانية . أما تاريخها فبعد السنة المائة الاولمبية بزمان قصير (تعادل سنة ٣٨٠ ق. م) .

اشمون عازار وسلالته :

في ١٩ كانون الثاني ١٨٥٤ م. اكتشف في صيدا ناووس عظيم كان محفوراً عليه اثنان وعشرون سطرأ باللغة الفينيقية وقد ترجمت كما يلي :

« في شهر بول في السنة الرابع عشرة توفي ملك الملوك اشمون عازار ملك الصيديونيين . اني قد حملت ثم ابتلعت في مدفني . انتهت المشقات في رواق . وأنا راقد في حظيري وقبري في موضع قد بنيته . ودعائي مع كل الممالك هي ان لا يفتح احد موضع راحتي ولا يطلع داخل موضع رقادي كيف حالة البشر في محل نومي ، ولا ينزع حائط مكان راحتي ، ولا يرفع ما داخل موضع راحتي ، ان دخلت موضع راحتي ، وإن كنت انساناً . الحاكم الأعلى ابل ، فلتسمع دينونته من كل الممالك ، والذي يفتح مدخل راحتي ، والذي يفتح محيط سراجي والذي يرفع ما داخل مراحي ، فلا يكون له راحة بين الجبابرة ولا يدفن في قبر ولا يكون له عقب ، وليكن له شر في المواضع السفلى ، ومن عصا فليدن من الآلهة والمقدسين ومن المملكة بواسطة السلطة العظمى لابن ملك

الصيدونيين على الممالك ، من فتح مدخل موضع راحتي ، من رفع حائطي فليختبر بنفسه صحة هذا القول ، ليت من فعل لا يعد له حقل راحة لذيدة بين معالي النور ، بين العائشين تحت الشمس مثل راحتي . قد حملت ، قد ابتلعت في مدفني . انا اشمون عازار ملك الصيدونيين ها قد بنينا بيت الآلهة ، بيت حكم حكم البر والبحر وشيدنا بيت عشتروت ، فليتعالى اسم النور ، نحن الذين بنينا بيت امي رحباً غنياً . النور على الآلهة ، وبنينا الهياكل لآلهة الصيدونيين ، هيكل بعل صيدون وهيكل عشتروت ليتعالى اسم بعل حتى يعطينا رب الملك اللذة والحسن . قد امتلكننا المحاصن وزودناها قلاع اطراف البلاد لحماية الصيدونيين الى الابد .

ويظهر من هذه الكتابة نسب هذا الملك وعظمة ما قام به من اعمال وانه هو باي الهياكل لبعل وعشتروت غير انه ليس لهذه الكتابة المهمة تاريخ يظهر زمان حفرها ولكن ما يؤكد خبراء الآثار انها تعود الى ما بين القرنين السادس والرابع قبل المسيح . وهذه الصفحة موجودة الآن في متحف اللوفر بباريس .

وفي مطلع عام ١٩٦٤ بدأ المهندس الفرنسي السيد دونان ، تحت اشراف الامير موريس شهاب مدير الآثار اللبنانية حفرياته في هيكل اشمون إله الصحة والشفاء عند الفينيقيين - الواقع على الضفة الجنوبية الغربية لنهر الاولي وعلى مسافة ٣ كيلومترات من صيدا شرقي جسر الاولي في بستان آل الشيخ فعثر بين المدرجات ذات الحجارة الضخمة وفي بقايا الهيكل المتاخمة لضفة النهر على ثلاثة عشر تمثالاً لاطفال فينيقيين .

وتشير الكتابات الفينيقية المكتشفة والتي قام بترجمتها العالم الأثري الامير موريس شهاب الى ان هؤلاء الاطفال كانوا مرضى وقد جيء بهم الى هيكل اشمون كي يمنحهم الآلهة الشفاء والصحة ، فقمسوا في حوض الماء المقدس الشافي من الامراض الامر الذي يثبت ان ذوي هؤلاء الاطفال كانوا يقدمون تماثيل اطفالهم بعد شفائهم هدية للآلهة اشمون اعترافاً

بفضله في شفاء اطفالهم ، ولكي تحفظ في اماكن خاصة حتى يشاهدها زوار الهيكل .

وهذا الاكتشاف ينفي التهمة عن سكان صيدون بصورة خاصة وفينيقية بصورة عامة ، بأنهم كانوا يضجون بأطفالهم على مذابح الآلهة ، ويعود تاريخ هذه التماثيل الى القرن الخامس قبل الميلاد .

والتماثيل المكتشفة منحوتة من حجر المرمر الوردي اللون نحتاً بلغ غاية الاتقان والابداع حتى ان الناظر اليها يعتقد انها من صنع عصرنا الحاضر ، مما يوضح ان صناعة النحت في صيدون كانت عريقة القدم .

وأما الهيكل الكبير لمعبد اشمون فقد اكتشفه المهندس العثماني مكريدي بك سنة ١٩٠١ الذي بعد ان أزاح التراب عن اطرافه كشف سوراً عرضه ٥٩ متراً وطوله ٤٥ متراً وهو ينحدر باتجاه النهر ، وحجارته ضخمة جداً ... (انظر جريدة « الجريدة » اللبنانية العدد ٣٨٤٢ تاريخ ٦/٦/٦٥ ص ٧ بقلم صبحي سعيد) .

واستناداً الى ما توفر لدينا من معلومات وثيقة عن مراجع صادقة نستطيع ان نضع جدولاً باسماء ملوك صيدون خلال هذه الفترة وسنفي حكمهم بوجه التقريب لا على التحديد :

١	اشمون عازار الاول	٤٧٢ - ٤٥٧
٢	تبنيث الاول	٤٥٧ - ٤٢١
٣	اشمون عازار الثاني	٤٢١ - ٣٩٦
٤	تبنيث الثاني	٣٩٦ - ٣٨٤
٥	استراتون الاول	٣٨٤ - ٣٦٢
٦	قنيس	٣٦٢ - ٣٤٦
٧	ايفاغوراس القبرصي	٣٤٦ - ٣٤٥
٨	استراتون الثاني	٣٤٥ - ٣٣٣

وفي مطلع القرن العشرين اكتشف في احد بساتين صيدا عدة نواويس بينها ناووس في داخله جثة محنطة وقد كتب على النواويس باللغة الفينيقية ما ترجمته :

« انا تبنيث كاهن عشتروت ملك الصيدونيين ، ابي اشمون عازار الراقد في هذا القبر . اعلن كل من يريد فتح قبوري ان ليس فيه ذهب ولا فضة ولا حجارة كريمة ، فاذا تجاسرت واقلقت راحتي لا يكون لك توفيق تحت الشمس ولا يكون لك راحة في قبرك » .



ناووس اشمون عازار

كما وجد في صيدا ناووس اطلق عليه الاثريون اسم ناووس الملكة الذي يعود تاريخه الى هذه الفترة من الزمن ويعتقد انه ناووس الملكة امعشتروت امرأة تبنيث المذكور آنفاً .

صيدون واثينا :

في سنة ٣٩٢ ق.م شعرت صيدون بالضعف يدب في اوصال المملكة الفارسية لذلك ومحافضة على زعامتها التجارية اتجهت بابصارها الى اثينا اليونانية فعقدت معها محالفة تجارية وسياسية سمح بموجبها لاهالي البلدين بتعاطي التجارة بحرية مطلقة كل في اراضي حليفه والسكن فيها .

وبموجب الاتفاق الذي عقده ستراتون الاول ملك صيدون سنة ٣٦٨ ق.م مع مجلس الشيوخ الاثيني اعفي كل الرعايا الصيدونيين الموجودين في اثينا من دفع الخراج والضرائب التي يدفعها رعايا تلك الدولة ومحالفوها .

وعمت النقمة ارجاء الامبراطورية الفارسية اثر تزايد الضرائب عليها فاندلعت الثورة في آسيا الصغرى وسوريا وفينيقية وأعلن استراتون الاول استقلاله التام سنة ٣٦٢ ق.م مشكلاً قوة حربية اطلق عليها اسم جيوش التحرير ، وبادرت دولة اسبارطة الى مدده بالمال والرجال برأ وبجراً . وعندئذ هب ملك مصر تاخوس لمهاجمة سوريا والاستيلاء عليها ولكنه التزم اخيراً ان يترك الملك وقيادة الجيش ويلجأ الى ارتحششتا نفسه حيث قتل عند اسوار طانيس سنة ٣٦٠ ق.م .

وفي سنة ٣٥٩ ق.م . مات ارتحششتا الفارسي ثم ابنه الاكبر داريوس فاستلم العرش ابنه الصغير (اوخوس) المعروف باسم ارتحششتا الثالث .

بطولة صيدون وحريقها :

توفي الملك البطل استراتون الاول عام ٣٦٠ ق.م فتولى عرش صيدون بعده تنيث . وتابع تنيث هذا لأول وهلة السياسة الاستقلالية التي وضع اسسها سلفه استراتون .

وكانت مصر قد أعلنت استقلالها التام عن الفرس ، ولذا عمد اوخوس الى ارسال جنوده الي فينيقية لتقي ثغورها وتحفظها تحت الطاعة والخضوع ، فنزل والي الفرس وجيشه مقابل صيدا وأخذوا يعاملون الاهالي معاملة قاسية جداً ، ثم تابع الجيش الفارسي زحفه لمقابلة الجيش المصري الذي كان يقوده وقتشد القائدان اليونانيان ديوفانتوس ولاميوس فالتقاه في حبات غزة فكسراه شر كسرة وذلك في عام ٣٥٣ ق.م . واضطر اوخوس على اثرها ان يتراجع الى بلاده .

فلما ذاعت هذه الاخبار في البلاد وكان الاهلون قد ضجروا من مظالم الفرس ومصادرتهم لأملاكهم وأموالهم بما لا يستطيعون البقاء معه في رغد من العيش .

فتنادى اعيان المدن الفينيقية للاجتماع في دار مشورتهم في طرابلس سنة ٣٥٢ ق.م (كما يقول نيني) سنة ٣٤٨ ق.م (كما يقول العلامة الحوري عيسى اسعد والاثري دونان) وقرروا خلع سلطة الفرس واعلان استقلالهم .

وعلى اثر عودة ممثلي مدينة صيدون اليها هاجموا قصر نائب الملك الفارسي الذي كان يقيم فيه مع بطانته وقد سبق له ان سام اهلهما ما يكرهون وقتلهم جميعاً معلنين استقلالهم التام عن الدولة الفارسية .

وعند الصيدونيون بعدئذ الى هدم القصر الملكي ومخازن المؤن والذخائر المعدة لفرسان الفرس في صيدون وحشدوا عمارة بحرية كبيرة من ذات الثلاث طبقات واستأجروا رجالاً من الاجانب ليكونوا جنوداً يدافعون عنهم وزودوهم بالسلاح وأرسلوا وقد استقدم نيكتانبوس المصري لنجدتهم .

ما ان بلغت هذه الأنباء آذان أوخوس حتى ثارت فيه نخوة اجداده وأقسم ان لا يد له من الانتقام من الفينيقين وخصوصاً الصيدونيين ، فأخذ منذ عام ٣٤٨ ق.م يجمع الجيوش من المشاة والفرسان في بابل ولما كملت عدتها سار بها نحو الساحل . اما سوريا فلم تعص كفينيقية وكذلك كيليكية بل اعلنت خضوعها ولذلك امر اوخوس والي سورية ووالي كيليكية ان يزحفا يجنودهما على فينيقية وكانت مصر قد ارسلت نجدة الى تينيس ملك صيدا قوامها أربعة آلاف رجل من اليونانيين المستأجرين فانضم هؤلاء الى الجنود الصيدونيين وأصبحوا جميعاً يشكلون قوة استطاعت رد الواليين الى الورا .

وكان اوخوس وقتئذ لا يزال في بلاده ولذلك اسرع على رأس جيوشه الكثيفة التي قدر بعض المؤرخين عددها بحوالي ٢٠٠ ألف جندي ، لتأديب العصاة والقضاء عليهم . وما ان بلغ تينيس ملك صيدون هذا النبأ حتى جزع منه وأخذ الخوف على نفسه فدعا بوزيره تيساليون من ارباب التدبير وارسله

الى الملك الفارسي ليتفق معه على تسليم صيدون عندما يأتي اليها يجنوده وبرغبته في السير بركابه لتأديب مصر لأنه يعرف بلدانها ومواقعها حق المعرفة .

سرّ اوخوس كثيراً من اخبارية الرسول غير ان كبرياه ابته عليه إلا الغضب والانتقام عندما طلب منه تيساليون وزير تينيس ان يمد الملك يده اليمنى علامة للقبول ؛ اذ امر بقطع رأس الوزير في الحال ولكن تيساليون قال للملك : انت يا مولاي حر في تصرفك ولكنك مع ذلك لن تتمكن من تنفيذ مأربك بدون مساعدة تينيس . ورجع الملك عن قراره فبسط يده (وهي عادة مقدسة عند الفرس) . ثم امر الملك عندئذ بالزحف .

اما تينيس فلما امن جانب اوخوس (ارتحششتا الثالث) تقاعس عن الاستعداد ولكن الشعب الصيدوني لم يترك الوقت يذهب سدى بل تابع استعداداه فأعد عمارة قوية من ذات الخمس طبقات كما تحصن بسور منيع واخذ يعلم الفتيان فنون الجندية . على ان كل ذلك لم يجد نفعاً لقاء خيانة ملكهم تينيس .

اذ ما ان دنا اوخوس من صيدون حتى امر تينيس امرته الملكية بالتوجه الى طرابلس مع بطانته لعقد المشورة في دارها مع بقية المدن الفينيقية . ثم اخذ مائة من الاعيان وسار بهم حتى معسكر الملك الفارسي فسلمهم ليده فأمر هذا بقتلهم عن آخرهم ، ثم تقدم الفرس نحو المدينة فخرج اليه حوالي خمسة من رجالها وبأيديهم رسائل الخضوع فأخذ اوخوس تلك الرسائل والتفت الى تينيس متسائلاً عما اذا كان باستطاعته تسليم المدينة فأجابه هذا بالايحاب . وكان اوخوس يرغب في الانتقام من الصيدونيين ليلقي الرعب في قلوب الممالك الاخرى ولذا امر بقتل الخمسة رافضاً خضوعهم .

ورأى الصيدونيون الخطر المحدق بهم وان خيانتة مليكهم جعلتهم
فريسة لأعدائهم فأحبوا الموت بأيديهم وفضلوه على الموت بيد المنتصر
العاتي . فبادروا لاحراق سفنهم حتى لا يتمكن احد منهم من الهرب فيها
ثم اجتمعوا ودخل كل بيته بنفسائه واولاده وامواله واشعلوا النار فهاوتها
حرقاً بعد ان صارت اقوناً من النار المتقدة واحترق فيها زهاء الاربعين
الف نسمة مع كنوزهم واموالهم فكانت هذه الحادثة الانتحارية اعظم ما
دونه التاريخ في صفحاته المجيدة لبطولة شعب .

اما تينيس الخائن فقد شعر بمدى ما ارتكبه بحق مدينته من إثم ،
فأحب ان يقتل نفسه غير ان امرأته الوطنية سبقته الى ذلك منتقمة منه
لمدينتها الحبيبة ثم قتلت نفسها فوقه حتى لا يظالمها قانون اوخوس الجائر ...
وعين المنتصر ملكاً على صيدون بعدئذ احد اتباعه وهو ايفاغوراس من
المنصر القبرصي ثم استراون الثاني الذي في ايامه وصل الاسكندر المكدوني الى
هذه البلاد سنة ٣٣٣ ق . م .

حالة صيدون العمرانية والاقتصادية خازل الحكم الفارسي

كانت صيدون خلال القرنين من الحكم الفارسي شأنها شأن بقية المدن
الفينيقية ترتفع في مجبوحة من الازدهار الاقتصادي والعمراني اذ امتدت ابنتها
الى مناطق غير مأهولة سابقاً فبنى هيكل اشمون على الهضبة الشمالية الشرقية
من مدينة صيدون وفي مكان مرتفع يشرف على نهر الاولي والى القرب من مصبه .
وكان الفن المعماري الواضح في حجارته ونقوشه مزيجاً من الفنين اليوناني
والفينيقي .

ونظراً لسعة رقعة الامبراطورية الفارسية وامتدادها وهي اكبر

الامبراطوريات في عصرها كانت السبل التجارية في ارجائها سهلة وامينة فازدهر
الاقتصاد الزراعي والتجاري في صيدون وجنى التجار الارباح الطائلة .

وارتدى الأهلون الملابس على الزي الفارسي - اي الثوب الطويل الذي
يقطي القدمين .

وكانت قوافل سفنهم البحرية تنقل البضائع من موغادور على الاطلسي
غرباً الى بحر آرال شرقاً وقوافلهم تسير من بلاد النوبة جنوباً الى القوقاس شمالاً .

الفصل التاسع

Hellenic period

صيدون في العصر الهليني ٣٣٣ — ٦٤ ق.م.

من هو الاسكندر المكدوني

هو ابن الملك فيليبس المكدوني الذي تولى عرش مكدونية سنة ٣٥٩ ق.م. وكان مقداماً شجاعاً اهتم بالجندية وهو اول من اخترع نظام الفالانكس - اي ترتيب صفوف كتيبة من اقوياء الجند يحملون رماحاً طويلة جداً متى بسطوها امامهم كانت لهم سياجاً من حديد لا يمكن الدنو منه - كما درب الفرسان على الفنون الحربية واعتمد عليها كثيراً اذ لم يكن للفرسان شأن يذكر قبل فيليبس لان امتطاء الخيول كان خاصاً بالاشراف فقط وادخل الى فن المحاربة تحسيناً آخر اذ الف قلب الجيش من صفوف المشاة المتراصة . وجعل جناحيه من الفرسان تزحف كلها معاً وكأنها آلة حربية واحدة .

استطاع فيليبس ان يوحد كل البلاد اليونانية تحت زعامته سنة ٣٣٨ ق.م. ما عدا اسبارطة .

في اواخر ايامه اختلف مع زوجته اولمبياس (والدة الاسكندر) فطلقها

وتزوج بأخرى اسمها كليوباترا وولد له منها ولد . وحاول فيليبس تعيين ابنه الصغير ولياً للعهد دون الاسكندر فأدى ذلك الى استياء محاربي الاسكندر فاستسبحوا الفرصة وفتكوا بفيليبس ابان حفلة زفاف ابنته سنة ٣٣٦ ق.م. وتسلم اسكندر العرش وهو ابن عشرين سنة .

ولد الاسكندر في ٢٩ قوز سنة ٣٥٦ ق.م فعهد ابوه الى ليسماك بتربيته الاولى . ولما بلغ الثالثة عشرة سلمه لاريسطو الفيلسوف اليوناني الذي عني به عناية خاصة . وكانت الياذة هوميروس اول شيء تعلمه فنشأ منذ حداثته حريصاً ميالاً الى المجد .

رافق اياه وهو حدث في عدة معارك ابدى فيها من ضروب الشجاعة والاقدام ما ادهش به الناظرين وشارك في معركة خيرونيا التي وضعت اسس الوحدة اليونانية تحت زعامة المكدونيين - وهو ابن ١٨ سنة فادهش القيادة المحنكين والابطال .

ولما توفي ابوه سنة ٣٣٦ ق.م كان عمره عشرين سنة فقط فتولى الملك والأخطار تحدى به من كل جانب ففرض على كل من توقع مزاحمته على العرش ، كما اهتم بإخضاع الثائرين في الشمال فأدخل الرعب في قلوب العتاة وكل من زينت له نفسه التمرد عليه .

وبعدما هدأت الحركات في اوروبا قرر محاربة الفرس سنة ٣٣٥ ق.م فكتب له الفوز بثلاث معارك عليهم .

الاولى - معركة نهر غرانكوس على سواحل بحر مرمرية في ربيع سنة ٣٣٤ ق.م وكان جيش الاسكندر لا يحسب شيئاً مذكوراً ازاء جيش الفرس العظيم .

الثانية - معركة مضيق ايسوس قرب الاسكندرونه في ٢٩ تشرين الثاني سنة ٣٣٣ ق.م فاز فيها على جيش داريوس الضخم وأسرام داريوس وامراته وابنه ، وفر داريوس الى الشرق .

الثالثة - معركة اربل على ضفاف الدجلة في ٢ تشرين الاول سنة ٣٣١ ق.م حيث كسر الفرس شر كسره و فرق شملهم تفريقاً لا اجتماع بعده .

وأتم الاسكندر فتح بلاد الفرس بمدة ثلاث سنوات ثم هاجم الهند سنة ٣٢٧ ق.م وأخضعها لحكمه وعاد الى بابل سنة ٣٢٤ ق.م وفيها سولت له نفسه توحيد الفرس واليونان فصاهرهم وأجبر قاداته ان يفعلوا مثله ، وأدخل في الجيش اليوناني عدداً كبيراً من جنود الفرس محاولاً ان يجعل العالم كله دولة واحدة وأمة واحدة .

ولكن حظ اليونان لم يكمل لقصر حياة الاسكندر الذي مات سنة ٣٢٣ ق.م لمضي ١٢ سنة و ٨ اشهر على ملكه وهو في الثالثة والثلاثين من عمره .

صيدون في عهد الاسكندر

بعد ان تغلب الاسكندر على داريوس الفارسي في معركة ايسوس عام ٣٣٣ ق.م وفرار الاخير الى الشرق مع بقية جيوشه اتجه الى الثغور السورية وفي طريقه لقيته ملك ارواد وجوارها وقدم له تاجاً من ذهب ومسلماً اليه جزيرة ارواد، ومر بطرابلس والبترون وجبيل وبيروت فخرج اليه السكان والامراء معلنين خضوعهم . وقيل وصوله



الاسكندر المكدوني

الى صيدون دعاه اعابها لدخول مدينتهم مرجعين بقدمه ومعلنين خضوعهم له وانتهاجهم بانقاذهم من الفرس قد دخلها منصوراً .

وكان الفرس قد عينوا على صيدون الملك استراتون الذي كان قد انضم الى العمارة الفارسية وفر من المدينة . ولذا عمد الاسكندر فور دخوله صيدون الى تعيين ابدالينموس حاكماً عليها وكان هذا من انساب العائلة المالكة الصيدونية غير انه كان فقيراً بستانياً ولكنه يتمتع بجميع الصفات والمزايا الحميدة والحكمة التي تؤهله للحكم .

ثم تابع الاسكندر زحفه نحو صور التي كان ملكها ازمليكوس متحالفاً مع الفرس فأرسل هذا ولده مع وفد يعلن الطاعة ولكنه يطلب عدم دخول المدينة ومنعه بعض الامتيازات فرفض الاسكندر هذا الطلب وصمم ان يمتلكها (لانه كان يخشى المسير الى مصر تاركاً خلفه مدينة حصينة كصور غير خاضعة له مما قد يسبب له المتاعب لو عادت الى تحالفها مع الفرس) وليقدم بنفسه كقارة الى ملقارت هركيل (لان الملوك المكدونيين كانوا يعتقدون انهم من نسل ذلك المعبود) . ولكن الصوريين ابوا ذلك ولذا عمد الاسكندر الى فرض الحصار على الجزيرة بعد ان دمر صور البرية .

وطال الحصار زهاء سبعة شهور تمكن بعدها الاسكندر من دخول المدينة البحرية بمساعدة الاساطيل الفينيقية ولا سيما الصيدونية منها التي بادرت للانتقام من جاريتها، لأنها لم تقادر الى محبتها ايام تعرضت لهجوم (اوخوس) الفارسي مما سبب نكبتها الكبرى وقتلها .

وما يروى عن شجاعة الاسكندر وبسالته ابان حصار صور ، انه تم فتح منفذ في أحد الأسوار فصعد اليه احد قاداته الشجعان فقتل ، فلم يرد الاسكندر اضاعة الفرصة فأسرع وصعد الى برج عال محاذ للصور فصبوب الصوريون اليه سهامهم فلم يخشاهم بل اقتحمهم فقتل بعضهم بسيفه وبعضهم بمجته ودخل المدينة على رأس قواته ثم اتجه نحو القصر الملكي وأقام فيه . أما الصوريون فقد ساءم الفتح فاعتصموا في منازلهم وأقاموا فيها محاصرين حتى قتلوا او اسروا .

ولما استتب الامر للاسكندر في صور أشفق على الناجين وعلى خراب المدينة فاستحضر جماعة من الكاريين وأسكنهم فيها وسمح لهم باعادة بنائها . ثم تابع زحفه متجهاً الى مصر فاستولى على كل المدن سداً ما عدا غزة التي قاومتها فحاصرها مدة شهرين ثم دخلها عنوة . وفي مصر بنى مدينة الاسكندرية ٣٣١ ق.م ثم عاد الى صور حيث قدم الذبيحة لهركيل . وتابع بعدئذ زحفه الى بلاد فارس والهند .

وبعد وفاة الاسكندر سنة ٣٢٣ ق.م قسمت مملكته الى اربع ممالك كبرى هي :

١ - مصر : تولاها بطليموس سوتير مع بر العرب وفلسطين .

٢ - مكدونية وبلاد اليونان : تولاها كاسندر .

٣ - تراكيا وآسيا الصغرى : تولاها ليسياس .

٤ - سوريا وما بين النهرين الى الهند : تولاها سلوقس .

صيدون تحت حكم السلوقيين والبطالسة

تولى حكم سورية وفينيقية لأول وهلة القائد اليوناني ليومبيدون وكان يحكم مدينة صيدون وبقية المدن الفينيقية امراؤها من السلالات الوطنية الحاكمة فنعمت جميعها بالراحة حتى عام ٣١٨ ق.م اذ طمع بطليموس حاكم مصر بضم اليهودية وفينيقية وقبرص الى مملكته اتقاء لهجمات ذوي المطامع فأرسل نيكاتور القائد يجيش بري - عندما بلغته انباء اختلاف القائدين الكبيرين انثيغون واومين - الى سوريا وقاده هو الاسطول لفتح السواحل فتوفق الاثنان بعد ان سقط ليومبيدون اسيراً بيد نيكاتور ودخلت فينيقية كلها بما فيها صيدون تحت حكم بطليموس الذي أقام فيها الخفراء للدفاع عنها .

ولكن لما تحالف بطليموس وكساندر ليقسيماخوس وسلوقس سنة ٣١٥ ق.م ضد انثيغون واخذوا منه قبرص . حشد هذا جيشاً كبيراً وقدم به الى سورية للثأر من بطليموس فلم تحل استعدادات الاخير العظيمة دون فوز انثيغون ببغيتته فاحتل سورية ولبنان وانشأ مراكز لجمع غلال القمح في كل من طرابلس وجبيل وصيدون .

وحق يتمكن من الانقضاء على بطليموس اتخذ انثيغون مدينة صيدون مركزاً لقيادته حيث جمع تحت امرته ملوك فينيقية وهياً الجيش ثم زحف بهم نحو صور ولكن هذه المدينة لم تستسلم لأول وهلة لذلك جمع انثيغون ثمانية آلاف رجل وامرهم بقطع اشجار الارز من جبال لبنان ففعلوا واحضر الف ثور فأمر الرجال بربط الخشب الى اعناقها لجره الى طرابلس وجبيل وصيدون لينبي بها سفناً له ولما تم بناء السفن جاء بهذه العمارة الى صور فحاصرها بجزراً بعد ان كان يحاصرها براً فقط وتمكن بعد خمسة عشر شهراً من دخول مدينة صور والاستيلاء عليها سنة ٣١١ ق.م .

ومن صيدون ارسل انثيغون عمارة لمحاربة عمارة بطليموس في قبرص فكسرها وشتت شملها واستولى على الجزيرة .

وفي عام ٣٠٧ ق.م حاول انثيغون الاغارة على مصر غير انه لم يكتب له النجاح . وأثر تراجعه عاد بطليموس فاستولى على ثغور فينيقية مدة يسيرة اذعنت له كلها ما عدا مدينة صيدون التي وقفت تدافع عن كرامتها وعن ولائها لانثيغون . وابان حصار بطليموس لها وصله نبأ يقول بغوز انثيغون وقرب مجيئه فجزع وعقد هدنة مع صيدون وانكفأ عائداً الى مصر .

وإثر وفاة انثيفون سنة ٣٠١ ق.م. دخلت صيدون وصور وبقية المدن الفينيقية تحت حكم البطالسة بالرغم من محاولات سلوقوس وابنه انطيوخوس الاول وحفيده انطيوخوس الثاني الاستيلاء عليها .

وتمكن السلوقيون في عام ٢٨٤ ق.م. من الاستيلاء على صور وصيدون مع بقية المدن الساحلية اللبنانية ، وأبقوا الحكم الداخلي في ايدي حكامها الوطنيين .

ثم جاء بطليموس ابوار جستيس ملك مصر على رأس حملة قوية فاستولى على سلوقية وصور وعكا حرباً ، أما صيدون فقد استسلمت بدون حرب الى امير البحر المصري نيقولاوس الذي التجأ اليها بعد معركة بحرية بينه وبين السفن السورية سنة ٢٤١ ق.م. .

وتابع بطليموس زحفه في داخلية البلاد دون مقاومة تذكر حتى بلغ نهري دجلة والفرات .

وفي ايام انطيوخوس الكبير زحف هذا لمقابلة الجيوش المصرية التي كان يقودها القائد سكوباس وبعد معركة حاسمة في باثيوم انهزم القائد المصري ملتجئاً الى مدينة صيدون ولكن جيوش انطيوخوس لاحقته وحاصرت فيها حصاراً شديداً دفعه الى تسليم المدينة .

وبفتح صيدون تم انضمام فينيقية كلها للدولة السلوقية .

وفي سنة ١٨٦ ق.م. قتل انطيوخوس وتولى الملك بعده ابنه سلوقوس فيلوپاتر حتى سنة ١٧٦ ق.م. وقتل . فتولى بعده اخوه انطيوخوس ايفانوس حتى سنة ١٦٤ ق.م. وجلس على العرش بعده ابنه انطيوخوس اوباتور - وفي ايامه جاء البطالسة وحكموا لبنان فترة من الزمن ثم استردها منهم السلوقيون .

وظلت صيدون وبقية البلاد اللبنانية تتعاورها ايدي البطالسة والسلوقيين حتى سنة ٦٥ ق.م. ولكنها مع ذلك ظلت تتمتع باستقلال داخلي بدليل وجود مسكوكات وطنية يعود تاريخها الى سنة ١٢٦ ق.م. .

وبعد مدة اخذ النفوذ العربي طريقه الى الظهور . اذ ان الحارث المعروف بكتابات الاقرنج باسم ارثاس وهو احد ملوك العرب من آل غسان اتى مدينة دمشق مستخلصاً اياها من حكم السلوقيين سنة ٨٥ ق.م. ومنذئذ بدأ تغلغل القبائل العربية الى المناطق الساحلية واستيطانها ولاسيما في منطقتي صور وصيدون ؛ وما لبثت اعدادهم ان تزايدت فيها بعد فترة وجيزة (جاك ثاني وجرجي يفي) .

حصار صيدون في هذه الفترة

كانت المدنية التي تربط بين الفينيقيين واليونانيين متقاربة ومتجانسة وهي اقرب بكثير من تلك التي تربطهم بشعوب ما وراء الفرات . ولذا رأينا انه بانتصار الاسكندر تحققت اماني المفكرين من ابناء المدن اللبنانية المتأثرين بفلسفة اريسطو وافلاطون وسقراط فتلففوها مستسيغين حكمها وبهاؤها ..

وترك الاسكندر لأبناء البلاد حكمهم الاداري الوطني تحت رعايته ورعاية خلفائه .

واستعمل الاهلون الدراخما والتيترا دراخما كنقد للتداول في البيع والشراء وبنوا المدن الحديثة على الطراز اليوناني كما اخذت المدن القديمة تستعمل في ابنيتها الحديثة الاعمدة ذات الاشكال الهندسية اليونانية مع الاحتفاظ بطابع بنائها القديم .

والى جانب الفلسفة اليونانية التي تغلغلت في البلاد دخل معها عبادة

آلهتهم أيضاً مع بعض عاداتهم كالألعاب الأولمبية . فأصبح الإله هيراكليس عوضاً عن ملقارت . وبعل زيوس عوضاً عن افروديت وتعلم الأهلون اللغة اليونانية الى جانب لغتهم السامية التي احتفظوا بها كما احتفظوا بعاداتهم الأصلية وبملابسهم (جاك فانتى وجرجي يني) .

الفصل العاشر

صيدون من الحكم الروماني حتي ظهور المسيحية

٦٤ ق.م - ١ م

الرومانيون - لمحة عنهم

الرومان قبيلة شرقية الأصل ظعننت من الأناضول الى أوروبا وأقامت في وسط ايطاليا نحو اربعة قرون قبل بناء رومة .

وروميلوس احد المتسلسلين من هؤلاء بنى رومة سنة ٧٥٣ ق.م . ثم ملك عليها وخلفه ستة ملوك آخرون في مدة ٢٤٤ سنة عظم خلالها شأن رومة ووفرت ثروتها .

ولما امتدت تخوم المملكة تحولات الحكومة الى جمهورية سنة ٥٠٩ ق.م . وضبط زمام أمورها قنصلان كان الاشراف يختاروهما لمدة محدودة .

وفي الحروب التي دارت بين رومة وقرطاجة انتصرت الأولى وضمت اليها صقلية واسبانيا وافريقيا (٢٦٤ - ١٤٦ ق.م .) .

وبالرغم من المنازعات الاهلية فقد اتسعت تخوم الدولة الرومانية وأصبحت فرنسا اقليماً رومانياً وصارت رومة اعظم دول العالم وقتئذ سنة ٥٤ ق.م.

ثم تحولت الحكومة الى الملكية في ايام أغسطس قيصر في اوائل الاجيال المسيحية كما ساد السلام منذ ايامه والى مئتي سنة ويدعوها المؤرخون قرني السلام؛ الاول (٣١ ق.م. - ٦٨ م) والثاني (٦٩ - ١٦٧ م).

صيدون خلال الحكم الروماني

بعد ان تردت حالة الدولة السلوقية جاء الرومان بقيادة بومبيوس سنة ٦٥ ق.م. فاجتاح سورية وفلسطين والسواحل ومصر وأخضعها للحكم الروماني وتم له ذلك في سنة ٦٤ ق.م. وأبقى الحكم الداخلي في البلاد التي مر بها وخاصة في المدن الفينيقية بأيدي ابناءها الوطنيين تحت امرة حاكم روماني .

وعندما جاء القائد مارك انطونيوس كحاكم للشرق وعشق كليوباترة ملكة مصر وهبها كل المدن السورية الواقعة بين مصر ومصب النهر الكبير ما عدا مدينتي صيدون وصور فانه حفظها لنفسه ومنحها استقلالها الذاتي .

ولقد حفظت المدينتان لانطونيوس الجميل اذ انها لما وقع الخلاف بين اوكتافوس وأنطونيوس ساعدتا الثاني ولكنها قد تغلب اوكتافوس اذعنتا له سنة ٣٠ ق.م وقدم زعماء المدينتين الخضوع فقبل ذلك .

وعاملت الدولة الرومانية الاهلين بالحلم والرفق والعدل فرتع الناس خلال حكمها بالامن والسلام واعتاضت صيدون عن اهميتها السياسية بالشهرة في المعارف والعلوم واتقان صناعاتي الزجاج والارجوان وغير ذلك .

وقأسس فيها مدرسة فلسفية كانت تعلم وفق المنهاج المتبع في مدرسة

الاسكندرية فلسفة ارسطو إلا ان مبادئها كانت مزيجاً من الفلسفة اليونانية والشرقية . وكان بعض اساتذتها يحاول التوفيق بين الفلسفة والدين كما ذكر المؤرخ سترابو .

وفي العصر الروماني المنتهي في سنة ١٠٦ م تمتع عدد من المدن السورية واللبنانية بحريات واسعة وامتيازات متعددة منها انطاكية وصور وصيدون وجبيل وبيروت وتدمر ودمشق كما نال بعضها لقب مستعمرة كصور وصيدون وبيروت وانطاكية بمعنى ان سكان هذه المدن اعتبروا في نظر الشرع الروماني مواطنين رومانيين لهم ما لأهل روما وايطاليا من الحقوق المدنية والامتيازات الادارية مثل اعفائهم من الضرائب الثلاث التي كانت تجبى من غير الرعايا. وهي ضريبة الاعناق والمكلفين وضريبة الاملاك - الويركو - وضريبة الجمارك والمكوس .

وظهر في هذه الفترة عدد من الامارات المستقلة في بلادنا حكمتها حكومات عربية مثل آل سميذع في تدمر وآل سمسغرام في حمص وفي سورية الداخلية والدولة النبطية في البتراء التي امتد حكمها على دمشق وحمص وصوران وسهل مرجعيون والاردن ودام حتى عام ١٠٦ م ثم الدول العربية التي قامت من بطون تنوخ وغسان (امين الريحاني) .

وفي هذه الايام تحول اسم مدينة صيدون الى صيدا .

الحقبة الثانية
ص ٧
من سنة ١ م. إلى ١٢٩١ م.

ظهور المسيحية

السيد المسيح وأمه في صيدا



السيد المسيح وأمه
في ضواحي صيدا (مقدوشة)

ورد في الإصحاح الخامس عشر من
انجيل متى عن مجيء السيد المسيح الى
صيدا ما يلي : « ثم خرج من هناك
وانصرف الى نواحي صور وصيدا » .

وورد في الإصحاح الرابع من انجيل
لوقا : « ولم يرسل ايلى الى واحدة منها
إلا الى امرأة أرملة الى صرفة صيداء^(١) .

وجاء في الإصحاح الثالث من انجيل
مرقس : « والذين حول صور وصيدا
جمع كبير اذ سمعوا كم صنع، أتوا إليه » .

(١) صرفة صيداء : الصرغند حالياً .

كما ورد في الاصحاح السادس من انجيل لوقا : « ونزل معهم ووقف في موضع سهل هو وجمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب ومن جميع اليهودية وأورشليم وساحل صور وصيدا الذين جاءوا ليسمعوه ويشفوا من أمراضهم » .

وفي انجيل متى الاصحاح الحادي عشر ورد ما يلي : « ويل لك يا كور زين ويل لك يا بيت صيدا ، لأنه لو صنعت في صور وصيدا القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً في المسوح والرماد ولكن ، الحق اقول لكم ان صور وصيدا تكون لهما حالة اكثر احتمالاً يوم الدين مما لكما » .

وفي انجيل لوقا - الاصحاح العاشر :

« الويل لك يا خورزين ! الويل لك يا بيت صيدا ! لأنه لو جرى في صور وصيدا ما جرى فيكما من العجائب لتابتا من عهد بعيد ، جالستين في المسوح والرماد ، ولذلك فان صور وصيدا ستكونان في الدينونة ، أهون مصيراً منكما » .

ويذكر مؤلف كتاب « سيدة المنطرة » ان العذراء مريم والدة السيد المسيح جاءت الى تخوم صيدا وانتظرت ابنها في المكان الذي يحمل الآن اسم كنيسة سيدة المنطرة في مغدوشة - البلدة الجميلة الواقعة الى الجنوب الشرقي من صيدا وعلى مسافة ٥ كيلومترات منها - ويعمل هذه الحادثة باستناده الى تقليد قديم يستند الى نص الانجيل الشريف الاصحاح السابع من بشارة القديس مرقس فيما يلي : « ثم نهض من هناك وانطلق الى نواحي صور وصيدا ودخل بيتاً الخ ... »

واستناداً الى هذه النصوص فان التقليد يرجع ان السيد المسيح قد اتى المغارة (كنيسة المنطرة حالياً) ولحق بأمه الى هناك لأنه اذ لم يرد ان تدخل امه البتول المدينة الوثنية الملتطخة بالفساد اوعز اليها ان تسبقه الى المغارة

برفقة القديس يوحنا الحبيب . فذهبت العذراء الى المغارة واستراحت من عناء الطريق منتظرة رجوع ابنها اليها . ولهذا سميت « المنطرة » ومتخذة جعل المكان مسكناً للنسك المتعبدين للعذراء القديسة ولابنها المسيح ...

القديس بولس الرسول في صيدا

وابتأن كرازته وتبشيره بالديانة المسيحية مر بها القديس بولس الرسول . ويختلف الرواة في تاريخ مروره بها . فمن قائل انه انطلق منها الى روما على متن سفينة اثناء رحلته الثانية في عام ٥٨ م . (جاك فانتي) . كما يذكر الاستاذ حليم مجدلاوي في كتابه « دليل صيدا الاثري » ان بولس الرسول عندما رفع دعواه الى القيصر سافر الى روما من مرفأ صيدون وكانت الحركة التجارية في هذه المدينة بالرغم مما اعترها من جمود لا بأس بها .

ويقول الاستاذ الشيخ احمد عارف الزين في كتابه : (تاريخ صيدا) ان بولس الرسول مر في صيدا لتفقد شؤون المسيحيين وذلك حين ذهابه الى روما .

اما الاستاذ سليم بسيسو فيذكر في مجلة « العربي » الكويتية العدد ٤٨ سنة ١٩٦٢ صفحة ٦٨ - ٩١ : ان القديس بولس الرسول مر في صيدا ابان عودته من روما .

والمدقق يلاحظ انه وان اختلفت الآراء حول زمن مرور بولس الرسول في مدينة صيدا في طريق ذهابه الى روما او اياها منها ، فإن من المؤكد ان مروره بها قد حصل وانه وهو المبشر الاكبر بالديانة المسيحية لا بد وان يكون له الفضل في غرس بذرتها في المدينة ونواحيها ..

ومن صيدا ارسل القديس بولس ٩٠ مبشراً بالديانة المسيحية الى ارجاء الجبل اللبناني (تاريخ لبنان لجاك فانتي) .

وهكذا اخذت الديانة المسيحية تنتشر بسرعة في صيدا وجوارها حتى
انها اصبحت في اوائل القرن الرابع المسيحي مقر اسقفية .

صيدا في عصر الابطارة السوريين

ظلت صيدا مع بقية المدن الفينيقية تحتفظ بامتيازاتها السياسية كاستعمرة
رومانية الى عهد سبتيموس سيفيروس اذ انه في عام ١٩٣ ق.م قسم حكم
فينيقية الى قسمين : فينيقية الساحلية وتشمل المدن الساحلية ؛ وفينيقية
البنانية وتشمل الجبل اللبناني وسهل البقاع ومدينة حمص .

وتفصيل ذلك : ان القيصر سيفيروس عندما استتب له الامر في روما
امر سنة ١٩٣ ق.م بوضع فئة من الجيش في مدينة صور بصورة دائمة والى
الامتيازات الممنوحة سابقاً للمدن الفينيقية بعد ان قسمها الى قسمين ساحلية
وداخلية ضمن الولاية السورية .

وعندما جاء الى انطاكية عام ٢٠١ م بايع لابنه كراكلا من زوجته
السورية النشأة والمحصية المولد جوليا دمنه التي تزوجها عندما كان قائداً
للجيش الروماني في سوريا سنة ١٨٠ م ، ولأن عرافاً بشرها قاتلاً وقتئذ
انها ستتولى الملك .

وجلس كراكلا على العرش سنة ٢١١ م وسار الى آسيا سنة ٢١٦ م واما
معه فأقامت في انطاكية . ولما جاءها خبر مقتل ابنها بيد ماكرينوس ،
تكدرت كثيراً ، فأماقت نفسها جوعاً سنة ٢١٧ م . أما روما فقد بايعت
ديادومينوس بن ماكرينوس قيصرأ . ولكن السوريين الذين شعروا بلذة الحكم
التفوا حول امرأة كراكلا التي اذاعت ان حفيدها باسيانوس (الكاهن اليافع
لهيكل الشمس في حمص) هو ابن القيصر ، فألبسته الحلة القيصرية وكانت
محترمة من الجيش الروماني ، وخرجت به من ابواب حمص ومعها العائلة المالكة

وسائر الحشم ومنهم ايثيوس وكافيس المشهور بالحكمة والثبات في الرأي ،
ودخلوا تخيم الجيش الرابض خارج البلدة فاعترفوا به قيصرأ وسموه باسم
اوغسطس آيلوكابال وقرروا مؤازرته ، فأغدق عليهم الاموال . ثم توجه على
رأس الجيش لمحاربة ماكرينوس فتمكن منه في ٨ حزيران سنة ٢١٨ م
بالقرب من انطاكية ، وعم السلام الأرجاء السورية بما فيها فينيقية .

ولم يذهب الامبراطور الى روما إلا في سنة ٢١٩ م حيث أدخل معه اليها
عبادة الأصنام التي كان من كهنتها في سوريا كما أدخل معه العبادات السورية ،
ولكن نسيه القيصر اسكندر سيفيروس الذي خلفه في الملك عمداً الى ابطالها
إذ شعر باستنكار الاهل للديانة الجديدة وأعاد بناء هيكل روما كما أمر بإعادة
الأصنام وعبادتها الى سورية .

تسلم اسكندر سيفيروس الحكم سنة ٢٢٢ م ، فأحسن السياسة وعدل بين
الناس فأحبه الشعب وأجمعت قلوبهم على الولاء له ، ويذكر المؤرخون سيرته
بأحسن ما تميز بها الملوك العادلون المحسنون ، وأشهرها انتصاره على الفرس في
أيام ازدشير بن بابك الساماني ومحافظة على الاخلاق وتأثيره على الجنود .
وقد قتل هذا القيصر غيلة بيد مكسيمين سنة ٢٣٥ م ابان حروبه مع الالمان
في جوار ماينس .

وظلت فينيقية وسورية تتمتعان بشبه استقلال داخلي في امورها حتى جاء
سابور بن ازدشير سنة ٢٥٨ م الى انطاكية فدمرها وأعمل في سكانها
القتل والسلب .

اذينة وزنوبيا

في عام ٢٦٠ م قام اذينة بن السميندع صاحب قديم العربي بدفع الفرس
منجداً الرومانيين ، فانتصر عليهم وأجلاهم عن سورية بعد ان كانوا اسروا

الامبراطور الروماني فاليريانوس . ومكافأة له (أي لأذينة) جعله كالينوس شريكاً له في السلطنة وعينه ملكاً على الولايات الشرقية سنة ٢٦٤ م .

وأثر مقتل اذينة في حصص - صيف سنة ٢٦٦ م - تقلدت زوجته زنوبيا زمام الاحكام سنة ٢٦٧ م كوصية على ابنها البكر وهب اللات .

زنوبيا العربية ملكة تدمر

كانت زنوبيا بديعة الصورة حسنة الهندام ، ولكن جمالها لم يطوح بها الى وادي التهلك بل لزم جانب العفاف فصانت هيبتها من العبث ، وقد حوت في صدرها قلباً لا يخاف الاهوال وفي رأسها دماغاً طموحاً الى المعالي . وروي انها كانت تفقه كل اللغات التي يتكلم بها اهل تدمر واثينا ، كما كانت مولعة بمطالعة كتب هوميروس وافلاطون ، فتفوقت في الشعر والفلسفة ، ولذلك استقدمت اليها من اثينا لونيخ الفيلسوف المحصي الأصل وجعلته وزيراً ومستشاراً لها ، كما استقدمت من انطاكية العالم بولس السامساطي وعينته في بلاطها .

وامتازت زنوبيا ايضاً في الفروسية اذ انها كانت من اقدر الناس على ضبط شكيمة الخيل .

بهذه المواهب الممتازة ملكت زنوبيا قلوب رعيته فاصبحوا رهن اشارتها وعندئذ شعرت ان الاكتفاء بضبط زمام الاحكام في تدمر وما جاورها انما هو قعود لا يرضاه ذور النفوس الكبيرة ولذلك فكرت في احياء المملكة السلوقية في الشرق فبادرت الى تجهيز حملة كبيرة اسلمت قيادتها الى اليطل التدمري زبيدي الذي تمكن من فتح آسيا الصغرى وبادرت زنوبيا لنجدته حينما هب هراكيان على رأس جيش غاليان الروماني للافاتته فتمكنت من تحطيم جيشه بعد ان قتلت القائد هراكيان الروماني سنة ٢٦٨ م .

ولم تكتف زنوبيا بهذا النصر بل قررت ان تفتح القطر المصري وتضمه الى امبراطوريتها ولذا جهزت جيشاً مؤلفاً من سبعين ألف مقاتل في اواخر سنة ٢٦٩ بقيادة زبيدي التدمري . وسار الجيش التدمري ففتحت له المدن السورية ابوابها مرحبة ومعلنة الولاء واتجهت بعض قواته نحو المدن الفينيقية فدخلتها ايضاً دون اهراق قطرة من دماء وفي عدادها مدينة صيدا وتابع الجيش التدمري الزحف على مصر فاستولى على الاعمال الشمالية منها بسهولة ولكن الجيش الروماني الذي تجمع في مصر السفلى بقيادة القائد برويس تصدى للتدامرة عند منف وبعد حرب طاحنة انتصر الجيش التدمري العربي ووقع برويس نفسه اسيراً في قبضتهم ...

وباستيلاء زنوبيا على مصر ، اصبحت حدود مملكتها ممتدة من الشمال الى اقاصي آسيا الصغرى ، ومن الشرق الى الفرات ، ومن الجنوب الى ضفتي النيل ، ومن الغرب الى البحر الابيض المتوسط .

هذه الانتصارات التي حققتها زنوبيا في فترة وجيزة من الزمن دفعها الى الالتفات الى اصلاح داخل مملكتها الواسعة فحققت السلام والراحة والعمل والرخاء لجميع شعوبها بمساعدة الشرقيين لآسيا وان الملكة التي تحكمهم هي من بنات وطنهم البالغات في الحكمة شلوأ عظيماً .

ثم لقيت زنوبيا ابنها وهب اللات اوغسطوس وأزال اسم القيصر عن النقود التي سكنتها وعمدت الى سك نقود جديدة تحمل صورتها وصورة ابنها .

فاغتاط القيصر الروماني اورليانوس الذي تسلم العرش سنة ٢٧٠ وعزم على ارجاع شأن السلطنة الرومانية وتعزيز كلمتها في الشرق فأرسل حملة عظيمة على مصر تمكنت من اخراج التدامرة منها بالقوة ثم جاء بنفسه لمحاربة زنوبيا ، وبعد حروب ضارية تمكن من فتح تدمر واقتاد ملكتها أسيرة الى روما بعد

عرضها على جماهير الشعب الروماني تسير أمام موكبه مغلولة الأيدي في قيود من ذهب .

وكانت صيدا مع كافة المدن الفينيقية قد دخلت تحت حكم التدمريين في عام ٢٦٩ م وظلت كذلك حتى تاريخ سقوط زنوبيا سنة ٢٧٣ م فعادت الى الحكم الروماني .

ونتيجة لانتصار اورليانوس حرم هذا سورية من التمتع بلذة الاستقلال - وكأنه كتب على هذه البلاد ألا تحكم نفسها بنفسها - .

ولما مات اورليانوس سنة ٢٧٥ م وأصبح ناسيوس قيصرأ عين هذا القائد مكسيمين والياً على سورية .

وكان الأخير متفطرساً قاسياً فاهتاج الأهليون من سوء تصرفه لا سيما وأنهم كانوا خارجين بالسيف من تحت حكومة وطنية عربية الى حكومة أجنبية فثسروا راية الثورة في سائر البلاد وقتلوا والي المذکور وساروا يقودهم عدد من القادة المدربين الوطنيين للمقاومة القيصر في آسيا الصغرى فقتلوه ثم اتبعوه بأخيه فلوريانوس. فخلفه على العرش الامبراطور بروبوس الذي جاء سوريا سنة ٢٧٩ وقضى على الفتنة وأخضع المدن السورية واللبنانية جميعاً (يني : تاريخ سوريا) .

وفي ايام ديوكليتيانوس الذي تبوأ العرش الروماني سنة ٢٩٢ ق.م قسمت الامبراطورية الرومانية الى اربعة اقسام تولى هو القسم الشرقي منها ولقب نفسه اغسطوس واعطى شريكه الاول كالاريوس حكم الولايات الالمانية وولى مكسيميانوس على ايطاليا وافريقيا واقام قسطنطينوس على الولايات الغربية كاسبانيا وغاليا وبريطانيا .

الحالة الاقتصادية خلال هذه الفترة

يعتبر العصر الروماني من اسعد العصور للمنطقة السورية واللبنانية . اذ ازدهرت الصناعة والتجارة والزراعة فتدفقت مناهل الثروة ونعم الاهلون برفاهية لم يخبروها لا من قبل ولا من بعد مما جعل بعض المؤرخين يطلق على هذه الفترة من الزمن - العصر الذهبي .

وبلغ عدد سكان سورية ولبنان وقتئذ ما يقارب الثمانية ملايين نسمة .

وعنيت المدن الساحلية بصناعة الارجوان ولا سيما مدينة صيدا التي كانت تحيك الملابس الحريرية وترسلها الى روما ليرتديها الاباطرة وزوجاتهم ورجال البلاط وكبار الاثرياء . وكانت المصنوعات السورية واللبنانية كافة من زجاج ملون واسلحة واقمشة كتانية وجلود وزيت عطرية واصواف ملونة تعرض في اسواق امهات مدن الامبراطورية الرومانية .

اما التجارة فقد سهلت مرافقها ببناء الطرق الرومانية المعبدة المتينة التي كانت تربط الولايات بعضها ببعض فتسهل معها المعاملات التجارية .

وكذلك قل عن الزراعة فقد اصبحت البلاد بفضل مختلف منتجاتها الزراعية من اغنى ولايات الامبراطورية (فكانت صيدا تصدر الزيت والزيتون والتين . والبقاع وسورية الداخلية وحواران الحبوب بانواعها المختلفة ، ودمشق الفواكه الشبية ، وجبال لبنان التين ، وصور وبيروت الكتان) مما جعل المؤرخين يطلقون على سورية آنئذ لقب اهرام روما .

الفنون والعلوم

لم يكن حظ الفنون والعلوم والمعارف في بلادنا بأقل من حظ الصناعة والتجارة والزراعة . فقد تأصلت الحضارة الرومانية في الذوق والفكر

اللبناني والسوري وتهاافت عليها أبناء البلاد وتلقفوها - وقد عرفوا في التاريخ بيولهم الى الآداب الرفيعة والفنون الجميلة - واقتبسوا انوار المدنية الرومانية وأحيوا معالمها بينهم ، فاكتظت البلاد بمعاهد العلم والفن وبالمؤسسات الدينية والمدنية من هياكل ومسارح ومنتزهات عمومية وحمامات وقناطر وأقنية لجر المياه .

وخص الرومان مدينة بيروت بعناية كبرى وذلك في عهد اغسطوس قيصر لحسن موقعها الجغرافي ولما نصرت لها إبان خلافه مع انطونيوس ؛ بينما نراه لا يأبه قط لصور وصيدا لاعتناقهما قضية خصمه . فشادوا في بيروت الهياكل الفخمة والأبنية الجميلة والمقاصف والملاعب التي تتخللها الحدائق والبساتين . كما أسس في بيروت الفقيهان بابنيان وأولميان مدرسة الحقوق .

وكانت اللاتينية لغة الجيش والفقهاء واليونانية لغة الخطباء والفلاسفة والآرامية والعربية القديمة لغتا السواد الأعظم من الشعب .

الديانة

تاريخ بلادنا الديني في هذه الفترة حافل بكبريات الحداث التي كان لها شأن عظيم على مصير تاريخ البشرية واتجاهها الجديد . ومن ذلك :

١ - ولادة المسيح في السنة الرابعة عشرة من ملك اغسطوس قيصر في بيت لحم اليهودية وعديشته المستورة في الناصرة وتعاليمه السامية التي غيرت وجه تاريخ الانسانية ، وقد دون الانجيليون هذه السيرة وتلك التعاليم بأناجيلهم الأربعة المنسوبة الى متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

٢ - كرازة الرسل وتبشيرهم بالتماليم المسيحية في فلسطين ولبنان وسوريا وجميع اقطسار العالم المعروف ، فانتشرت المسيحية اولاً بين الجاليات الاسرائيلية ثم بين الأمم المجاورة وهكذا أخذت الوثنية تتقلص وظلها ينكش

رويداً رويداً ولم يبزغ فجر الجيل الثالث حتى كانت انطاكية وهي عاصمة ولاية سوريا مركزاً أعلى للمسيحية ، حتى ان بطاركة الطوائف الشرقية على اختلافها تحمل لقب البطريرك الانطاكي .

٣ - اضطهاد السلطة الرومانية الزمنية والدينية المسيحية والمسيحيين اضطهادات شديدة أذاقوهم فيها كل أنواع المظالم والعذاب والتنكيل والتشويه . فكانت هذه الاضطهادات من اكبر عوامل انتشار الديانة المسيحية .

٤ - محاولة الامبراطور يوليان الجاحد بعث الوثنية ونشرها بعد أن تقلص ظلها ، وتجديد روحها وتلقيحها بمبادئ الفلسفة اليونانية الجديدة ومناصرته اليهودية بمحاولة ترميم هيكل اورشليم وفشله في ذلك .

الأسقف زنوبيوس

من أعظم الشخصيات الدينية والعلمية التي نبغت في اواخر القرن الثالث الأسقف القديس زنوبيوس وقد رأس كنيسة صيدا ورعاها باخلاص وألف كتاب سورية المقدسة . وقد استشهد مع عدد من كهنته إبان حملة الاضطهادات التي وجهها الامبراطور ديوكليان سنة ٣٠٣ للمسيحية .

الفصل الثاني

الحكم البيزنطي

قسطنطين الكبير

تولى العرش الروماني الامبراطور قسطنطين سنة ٣٠٦ ق.م. وكان عادلاً محباً للرعية يرعى شؤونها باخلاص وجدارة الى جانب حكمة وقدرة بالفتن جعلت المؤرخين يطلقون عليه بحق اسم قسطنطين الكبير .

شعر هذا الامبراطور بأنه من المتعذر عليه ان يعلن اعتناقه الديانة المسيحية في المدينة المتمسكة بوثنيتها - روما - فقرر الانتقال الى مدينة بيزنطية الواقعة على الضفة الشمالية لمضيق البوسفور وجعلها عاصمة له لكي يتسنى له مراقبة الشعوب المتربصة بامبراطوريته اولاً ولإعلان اعتناقه الدين المسيحي الذي سبق لوالدته هيلانة ان اعتنقته وأثر بتبنيها بتعاليمه السامية ثانياً .

وفي عام ٣٢٤ م ، جاءت هيلانة الى الاراضي المقدسة لتفتش عن عود الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح (دائرة المعارف) وكانت قد اقامت

في الاماكن المرتفعة من القدس حتى بيزنطية - التي اصبحت اسمها القسطنطينية منذ ان جعلها قسطنطين الكبير عاصمة له - اماكن للحراسة وضعت فيها اكواماً من الحطب لإشعالها فور اكتشافها عود الصليب المقدس .

ولما تم لها تحقيق حلمها الجميل اشعلت النار على قمة جبل الزيتون وكانت ذلك في ليل ١٤ ايلول سنة ٣٢٤ م فعلم القائلون في الجبال بالامر وأشعلوا نيرانهم وهكذا تسنى للامبراطور قسطنطين ان يعلم بالحادثة فور وقوعها .

ويروي كتاب (سيدة المنطرة ص ٢٧) انه تم اشعال النار في جهات صيدا في المكان الذي يقوم عليه حالياً تمثال سيدة المنطرة في بلدة مغدوشة .

وفي عام ٣٢٨ م قام الامبراطور قسطنطين بزيارة سوريا وأقام لأمه هيلانة المتوفية قبل عام، تمثالاً في دفنة بالقرب من انطاكية وأباح للسوريين التمتع بالانصرانية بعد أن كانت محرمة عليهم، فكانت هذه الاباحة بداية عصر ديني جديد تزعمت فيه اركان الوثنية من البلاد السورية واللبنانية ومنها صيدا . ونبغ في تلك الفترة من الزمن فيلسوفان كبيران هما سوباتر وسترانج اللذان كان لهما الفضل العميم في نشر الفلسفة اليونانية في ارجاء بلادنا .

ولما وصل الامبراطور قسطنطين الى صيدا وصعد الى المغارة الجاثمة امام البحر على مرتفع بلدة مغدوشة حالياً - والمسيطر على الاودية والسهول المجاورة لها - أحب هذه البقعة الجميلة وحول المغارة الى معبد لوالدة المسيح وبني بالقرب منها برجاً دعي برج المنارة لأنه سبق ان اشعلت النار على رأسه علامة للعثور على عود الصليب المقدس الذي اكتشفته والدته القديسة هيلانة (سيدة المنطرة صفحة ٢٧) وعجائب سيدة المنطرة للطران باسيلوس حجار (ص ٣٣) .

وفي عام ٣٣٣ م ، اجتاحت البلاد وباء عظيم ومجاعة شديدة ارتفعت فيها اسعار الحنطة كثيراً فأشفق الامبراطور قسطنطين على الشعب وأرسل اليهم

احتمالاً كثيرة منها ، رفع بواسطتها اعباء المجاعة عن كامل الاهلين .

وعندما توفي قسطنطين الكبير سنة ٣٣٧ م اقتسم ابناؤه الثلاثة السلطة الرومانية فيما بينهم فكان المشرق من نصيب ابنه قوستانيس الذي نعمت بلادنا خلال عهده بالراحة والطمأنينة ٣٣٧ - ٣٤٠ م .

ولكن ما ان تسلم يوليانوس الجاحد وهو ابن اخت قسطنطين الكبير عرش الامبراطورية سنة ٣٦١ م حتى عاد الى الوثنية وحاول اثناء مروره في سورية تثبيت دعائمها ولكنه فشل لأن جذور المسيحية كانت قد تأصلت في نفوس الغالبية المطلقة من السكان .

وبعد مقتل يوليانوس سنة ٣٦٣ م وهو في حرب مع الفرس ، تسلم الحكم جوفيانوس فجعل المسيحية دين الدولة الرسمي وأباح حرية الاعتقاد وتوفي هذا سنة ٣٦٤ م .

وفي أيام الامبراطور فالنطيانوس اصدر هذا أمراً بمعاقبة الولاة الذين يأمرؤن الفلاحين بالقيام بأعمال غير اعمالهم الزراعية - إذ لاحظ ان مناطق خصبة من بلاده غير مزروعة - وحشتم على الفلاحين استثمار اراضيهم دون أن يعملوا عملاً آخر .

التشكيلات الادارية البيزنطية

ان اتساع الامبراطورية الرومانية وتبسطها الفخم جعل الباطرة الرومانيين منذ الجيل الرابع يضيقون ذرعاً في الذود عن حياضها المترامية الاطراف ، كيف لا والشعب الروماني قد هرم وشاخ وأقلع عن عوائده الاخلاقية السامية ملتفتاً الى ملذاته والسعي في القضاء على المذهب المسيحي والتشكيل بأبناءه البلاد الذين لا يدينون بالوثنية ، ودب عامل الفساد الى الجيش وقد كان من



نصب قنثال العذراء مريم في مقدوشة

قبل اكبر اداة للفتح وإحلال السلام والامن في ارجاء الامبراطورية ، وكانت الشعوب البربرية المتاخمة لأعمال الامبراطورية تشن الغارة تلو الغارة - والدم اللقي يغلي في عروقها - على الولايات الرومانية طامعة بخيراتها ، مقتطفة منها ما لذ وطاب لقمة سائغة ، مما دفع الامبراطور ثيودوسيوس العظيم قبيل وفاته الى تقرير قسمة الامبراطورية بين ولديه ، شرقية وغربية ، كما حاول ذلك بعض اسلافه تسهيلا للدفاع عنها. فنال اركاديوس الشرق وكانت عاصمته بيزنطية - القسطنطينية ، وأخذ هنوريوس الغرب وقاعدته ميلانو، وتم ذلك سنة ٣٩٥ م .

ومن ملحقات الامبراطورية الشرقية : تراقية ، مكدونية ، اليونان ، آسيا الصغرى ، سورية ولبنان ، مصر ، افريقية الشمالية ، تونس وطرابلس الغرب . ولذا سمي هذا العصر من تاريخ بلادنا العام بالعصر البيزنطي .

وعمل البيزنطيون على تقسيم البلاد الى تشكيلات ادارية تخالف التنظيمات الرومانية ، فانشأوا في سورية ثلاث مقاطعات عرفت كل واحدة منها بسورية وليس من يميز بينها سوى العدد او الرقم وقسمت سورية الوسطى الى فينيقية الساحلية وقاعدتها صور ، وتشمل عكا وصور وصيدا وبيروت وجبيل وطرابلس ، وفينيقية الداخلية وقاعدتها دمشق وتشمل البقاع وحمص وحماء . اما فلسطين فقد اقيم فيها ثلاث ايلات رئيسية .

وهكذا حكم البيزنطيون بلادنا مائتين وخمسين سنة كانت من اشأم عصور تاريخنا الوطني .

اهم العوامل المؤثرة في هذا العصر

كثيرة . هي العوامل التي تضافرت على اتعاس البلاد واشقاقها اثناء العهد البيزنطي ، وترجع اسبابها الى امور كثيرة ؛ منها ما هو خارجي ومنها ما هو

داخلي . فمن الاولى : غارات الشعوب المجاورة المتكررة . ومن الثانية : (١) العوامل الطبيعية « الجراد والهواء الاصفر والمجاعات والزلازل الارضية العنيفة . » (٢) سياسة الولاة الادارية الرعناء اذ كان الولاة ينكبون على جمع المال من الرعية بشق الطرق ويتحرشون في الجدل القائم بين ابناء رعيتهم فيسايرون من يدفع اكثر ويتدخلون في المشاكل الديقية كالدعايات المذهبية والهرطقات مما ادى الى تطاحن الاحزاب والمذاهب وقيام السكان بعضهم على بعض .

واشهر الاسباب الخارجية لهذا الشقاء يحل ببلادنا الغارات التي حدثت في هذه الفترة وقد قام بها :

١ - الهون ، وهم شعوب قترية نزحت من اواسط آسيا في اواخر القرن الرابع للمسيح تحت ضغط شعوب اخرى طورانية فهبطت روسيا الجنوبية وضواحي البحر الاسود ودخلت قبائل منها الى سورية الشمالية فعاصرت انطاكية ثم عادت ادراجها الى ما بين النهرين .

٢ - العرب وهم قبائل تنوخ ولخم البدوية الضاربة في بلاد الجزيرة بأمر المناذرة ملوك الحيرة وحلفاء أكاسرة الفرس . وعهد البيزنطيون - كأسلافهم الرومانيين - الى استمالة عرب الفساسنة وملوكهم وقد هبطوا سوريا في القرون الاولى لليلاد على اثر انهيار سد مأرب وأقاموا في بلاد الشام الجنوبية منتشرين شرقاً الى الصحراء السورية وغرباً الى مشارف البحر ، حيث انشأوا بمساعدة الرومانيين دولة عظيمة الشأن قاعدتها بصرى اسكي شام ووقفوا احقاباً متطاولة ، سداً منيعاً في وجه المناذرة الذين كانوا من وقت الى آخر يقلقون الامن على تخوم الامبراطورية البيزنطية .

٣ - الفرس الساسانيون ٢٢٦ - ٦٣٤ م . الساسانيون دولة فارسية ضخمة قاعدتها المدائن ، قامت على انقاض البرثيين ، وقد نازعوا البيزنطيين

كما نازع اسلافهم الرومانيين من قبل السيطرة على الشرق ، اثنين وثمانين سنة (٥٣٠ - ٦١٢) كانت بلادنا في اثنائها ساحة الميادين لمبارك دامية بين الفرس والبيزنطيين وأول من قاد حملات الفرس الملك قباد (٥٣٠ - ٥٣٢ م) الذي ادركته المنية وهو في بدء غارته العسكرية فصد لهم القائد بلزاربوس وفل فلولهم .

وتلاه كسرى الكبير الملقب انوشروان (٥٣٢ - ٥٧٩ م) فاكثسح سورية الشمالية بجيش لجب يربو على ٩٠ ألفاً فاجتاز منبج (هيرا بولس القديمة) الى حلب فاستباحها وأحرقها بالنار لعجزها عن دفع الفدية ، وقدم من انطاكية فاستولى عليها عنوة وأعمل في اهلها السيف واستحل خماها واقتاد قسماً كبيراً من سكانها اميرى . وحين عجز البيزنطيون عن انقاذ سورية عملوا على جلاء الفرس عنها بدفع فدية باهظة لهم فرجع كسرى الى بلاده وهو يحجر وراءه الاموال والغنائم الكثيرة .

وغشي بلادنا بعده كسرى الثاني وتناولت غارته هذه سورية من ادناها الى اقصاها فكانت اطول حملات الفرس واشدها على الاطلاق نظراً لما جرّت عليها من ويلات وخراب عظيم فاستولى على دمشق سنة ٦١٤ ق.م واجتاح السواحل اللبنانية فاستولى على بيروت وصيدا وصور في ذات العام والقدس سنة ٦١٥ ق.م واستباح المدن واعمل فيها النيران بعد نهب الاموال واصبحت بلادنا ركماً وخراباً كما اوضحت مقاطعة فارسية .

ولقد ساعد الفرس على هذا الفتح اليسير نفور قلوب الاهلين من الروم البيزنطيين لسوء ادارتهم من جهة ، ولتطاحن السكان من جهة ثانية بسبب اختلافهم في الطقوس والمذاهب الدينية مختلفة والمنتمين الى عدد من البدع المنتشرة في الصقعين السوري واللبناني ، ولخلو البلاد واكثر المدن الهامة من الحاميات العسكرية ثالثاً ، ومؤازرة اليهود للفرس تشجيعاً وانتقاماً من

اصحاب الدين المسيحي الذي اوشك ان يقضي على مذهبهم ، ومعرفتهم بان في انتصار الفرس على الروم نجاحاً لقضيتهم ودينهم وقضاء على خصومهم رايماً .

واثارت اخبار هذه النكبة تحمل في بلادنا همه الامبراطور هرقل بعد اهمال وتجاهل ، فهب لناواة الفرس واجلائهم عن المقاطعات المحتلة ، وكانت طلائعهم تدق ابواب القسطنطينية فعمد الى ائزال جيوشه مع اعتدتها الحربية في خليج اسوس (الاسكندرونة) وتمكن بست حملات على جيوش الاكاسرة من اجلائهم عن بلادنا ثم طاردهم الى ما وراء الفرات واستعاد خشبة الصليب من الاسر واحضرها بأبهة واجلال الى المدينة المقدسة .

هذه الهجمات الفارسية التي جرّت الولايات على بلادنا حدثت بين سنة ٥٣٢ و ٦٢٩ ق.م وكان قياصرة هذا العصر :

- | | |
|--------------------------------|-----------------|
| ١ - يوستنيانوس الاول او الكبير | سنة ٥٢٧ - ٥٦٥ م |
| ٢ - يوستنيانوس الثاني | سنة ٥٦٥ - ٥٧٨ م |
| ٣ - طيباريوس الثاني | ٥٧٨ - ٥٨٢ م |
| ٤ - موريق | ٥٨٢ - ٦٠٢ م |
| ٥ - فوكا | ٦٠٢ - ٦١٠ م |
| ٦ - هرقل | ٦١٠ - ٦٤١ م |

ونحن اذ نمر في هذه الفترة من تاريخنا نجد من المستعجب ان نذكر لحظة عن تاريخ امبراطورين منها لها علاقة مباشرة بتاريخ بلادنا وهما : يوستنيانوس وهرقل .

يوستنيانوس الكبير : ٥٢٧ - ٥٦٥ م

ان تاريخ يوستنيانوس وملكه لمن أجد تاريخ القياصرة الروم الشرقيين ؟

وذلك لما تم في أيامه وتحت اشرافه من الاعمال الجليلة مثل: فتوحاته الشهيرة بواسطة قائديه بليزاريوس ونرسيس ، وابنيته الفخمة الكثيرة التي من أشهرها كنيسة آجياصوفيا ، مفخرة الكنائس الشرقية ، وتشريع العظم الذي يعتبر اس الشرع الحديث وحجر الزاوية في الدساتير العصرية والذي كان لأبناء بلادنا اليد الطولى في انشائه - دوريته واناقوليوس وكلاهما من خريجي جامعة بيروت في الحقوق .

الامبراطور هرقل ٦١٠ - ٦٤١ م

ان حياة هذا الامبراطور وملكه لمن اغرب المدهشات في التاريخ لعدم استقراره على مبدأ رامن ولسباته العميق في الايام العصيبة التي يجب ان لا يكون فيها جباناً فيبنا نراه ينهض لتخليص بيزنطية من المغتصب فوكا ، يغشاه بحران السكينة والهدوء فيدع الفرس يمزقون ولاياته الاسيوية فلا تستغزه إذ ذاك الحمية وينقذها من ايديهم الا بعد حين. ثم يعتريه الجود ثانية وتقتدر جميع اعصابه وقواه فيشهد ولا يتأثر، ولاياته تلتناثر امام موجة العرب المظفرة دون ان يعمل على خلاصها .

ونعود الآن الى ذكر الاسباب الداخلية التي أدت الى شقاء بلادنا في هذا العهد وأشهرها : (١) الزلازل العنيفة التي دمرت كثيراً من المدن السورية وعلى الاخص زلزال سنة ٥٥٥ م الذي قوض الشطر الاكبر من مدينة بيروت وذهب بكلية الحقوق فيها وقضى على ثلاثين الف نسمة من السكان كما هدم ما يقارب نصف مدينة صيدا . (٢) وافدة الجراد وهي حشرة تذهب بمواسم البلاد الزراعية وتهدد السكان بخطر المجاعات ، وكانت مكافحتها وقتئذ مشلولة تقريباً . (٣) الامراض السارية والابوثة الفتاكة من طاعون وهواء اصفر وتيفوس ، وقد ازهقت الوفاً من ارواح السكان . (٤) الحرطقات والمشاحنات الدينية إذ لم تكن المحاصمات الدينية الناجمة عن البدع الكثيرة في

البلاد بأقل شأناً في يؤس هذا العهد ، فكنت ترى البدع في الدين المسيحي والمروق من مذهب الى مذهب آخر، عوامل مؤلمة في تقسيم البلاد احزاباً وشيعاً يقوم بعضها على البعض الآخر .

واذا اضعنا الى ذلك جشع العمال البيزنطيين وابتزازهم اموال الاهلين وإرهاقهم الرعية بالضرائب الفادحة وتحمسهم للمسائل الدينية وإذكاهم روح الحزبية والمحسوبية لتكونت لنا صورة مصغرة عن العوامل المعقدة التي تضافرت على اتعاس بلادنا خلال فترة الحكم البيزنطي مادياً ومعنوياً .

الحركة الصناعية والتجارية في هذا العصر

تغلغل البنانيون ومنهم الصيداويون في اسواق اوربا التجارية وأسسوا جاليات ناهضة في كثير من مدن ايطاليا وفرنسا واسبانيا . اما الصناعة فقد نشطت كثيراً ولا سيما بعد ادخال تربية دودة الحرير الى البلاد وذلك في أواسط القرن السادس (في عهد الامبراطور يوستنيانوس الكبير) بواسطة راهبين ذهباً للكرازة والتبشير في الصين فحملاً منها خفية البذرة الثمينة . وقد أصبحت منتوجاتنا من اكبر مصادر ثروة بلادنا وخصوصاً صيدا . غير ان احتكار الحكومة للنسج الحرير وحيالته في معاملها ، حال دون رواج هذه الصناعة في ارجاء البلاد .

الآداب والفنون والحركة الفكرية

العصر البيزنطي هو العصر الذهبي لكلية الحقوق الشهيرة في بيروت ، التي أنشئت في عهد اغسطس قيصر أي في فجر المسيحية وسارت في اطراد التكامل والتحسين تحت رعاية الأباطرة السوريين حتى أصبحت من أواسط القرن الثالث الى منتصف القرن السادس كعبة طلاب الفقه وقبلة المشرعين في

العالم الروماني، يؤمها الطلبة من كل فج وصوب للدراسة على أساتذتها المشهورين أئمة الفقه في عهدهم مثل أورليان السوري وبابنيان الحمصي وغيرهما .

وبقيت هذه المدرسة في مقدمة كليات المدن الرومانية الكبرى مثل روما والقسطنطينية وأثينا والاسكندرية حتى ذلك الزلزال معالمها سنة ٥٥٥ م فانتقلت مدة ٢٠ سنة إلى صيدا ولكنها لم تعمر فيها طويلا للزلزال الذي أصابها سنة ٥٧٣ فطمس أخبارها ومعالمها .

كلية الحقوق في صيدا

أما الأستاذ اميل مجاني استاذ القانون الروماني في كلية الحقوق - بيروت - فيقول في مقال منشور له في ملحق جريدة النهار العدد ٩٢٢٩ الصادرة في أول كانون الثاني سنة ١٩٦٦ ص ١٧ ما يلي :

« ولقد ضرب القدر مدرسة الحقوق في بيروت إذ أصابها عام ٥٥١ م (والصواب ٥٥٥ م) زلزال مدمر واجتاحها حرائق هائلة عمت الضوء من تلك المنارة العالية ، ويقال أنها لم تأبه لسخط الطبيعة فنتقلت نشاطها إلى صيدون وربما استمرت هناك حتى الفتح العربي » .

والرواية الأولى أقرب إلى الصواب إذ أن الزلزال الذي دمر صيدا عام ٥٧٣ م لم يبق على معالم العديد من مساكنها بما فيها كلية الحقوق التي دكت معالمها ولم تبق حتى الفتح العربي ، كما ذكر الأستاذ مجاني .

أما الفن ولا سيما فن البناء ، فكان دينياً محضاً يتميز بكثرة القباب وبزخرفة النسق الهندسي المتشابه التقاطيع والمتلاحم الصور والهيئات، وأما لئلا يرى العرب بعد الفتح الإسلامي ، والقريبين في بدء عصر الانبعاث ، يستوحون هذا الطراز الفني السوري في أبنيتهم ويستلهمونه في رسومهم



الذي خلال عصر الأباطرة السوريين

ونقوشهم . وهذه الصبغة الدينية في الانشاء الفني ؛ فاجمة عن رسوخ في العبادة ، وتأصل مناسكها في الذوق الفني الوطني نظراً لانتشار الحياة الرهبانية بين طبقات الشعب ، ولا سيما حب التنسك والتوغل في العزلة للانقطاع إلى التأملات الدينية . كل هذا استأنس من الخواطر والنفوس وظهر إلى حيز الوجود في النتاج الفني .

ومن الشخصيات الدينية البارزة في هذه الحقبة القديس مارون شفيع الطائفة المارونية ، والقديس يوحنا الذهبي الفم وليد انطاكية وبطريرك القسطنطينية ، الذي كان له وقفات باسلة في وجه خلاعة الامبراطورة اودكسيا .

ويتميز هذا العصر بنصب غريب في البسج والبيع الجديدة ذات الاعتقادات المتباينة التي زادت في البغضاء والشحناء بين تلك الجماعات المختلفة النزعات ، التي من أشهرها النساطرة واليعاقبة والآريوسية .

اشهر اساقفة صيدا في هذه الفترة

١ - الاسقف ثاوذورس : مطران صيدا - كان في عداد الآباء الذين اشتركوا في اعمال المجمع المسكوني الاول الذي عقد في فينيقية سنة ٣٢٥ م

ووثق على وثيقة حرم آريوس ...

٢ - الاسقف بولس : مطران صيدا - وقد اشترك في المجمع المسكوني الثاني الذي عقد في القسطنطينية سنة ٣٨١ م وعرف بقزارة علمه ...

٣ - الاسقف لاونديوس : مطران صيدا - كان في عداد آباء الكنيسة الذين اشتركوا في اعمال المجمع المسكوني الثالث المنعقد في مدينة افسس برئاسة القديس كيرلس الاسكندري وسام في التوقيع على الحرم الذي اصدره المجمع بحق نسطوريوس سنة ٤٣١ م .

٤ - الاسقف داميانوس : مطران صيدا - احد آباء الكنيسة الذين اجتمعوا في مدينة خلقيدونية في جلسات المجمع المسكوني الرابع سنة ٤٥١ م لشجب تعاليم اوطيخا .

٥ - الاسقف بيفاس : مطران صيدا - خليفة الاسقف داميانوس ، وقع مع ذوروثاوس مطران صور ومع اساقفة فينيقية رسالة جمعية مكانية بعثوا بها الى الملك لاون الكبير بوجوب قبول احكام المجمع المسكوني الرابع وذلك في عام ٤٥٩ م .

مجمع الاساقفة في صيدا

وفي سنة ٥١١ م عقد في صيدا مجمع بأمر الملك انسطاسيوس اشترك فيه نحو ثمانين أسقفاً من الروم . وكان هدف الملك من عقد هذا المجمع ابطال اعمال المجمع المسكوني الرابع الخلقيدوني ومن اشترك فيه البطريرك الانطاكي فلابيانوس والبطريرك الاورشليمي ايليا . ولما علم الملك ان البطريركين لا يوافقانه على مراده امر بحل المجمع قبل ختامه . وكانت مطران صيدا اندراوس على مذهب بطريركه الانطاكي .

٦ - الاسقف اندراوس : مطران صيدا - اشترك في مجمع الاساقفة ، ثم امضى سنة ٥١٨ م رسالة بجمعية مع اساقفة فينيقية برئاسة ابيفانيوس مطران صور وأرسلوها الى بطريرك القسطنطينية يوحنا بتأييد اعمال المجمع المسكوني الرابع .

٧ - الاسقف اوسابيوس : مطران صيدا - هو احد الآباء الذين اشتركوا في المجمع المسكوني الخامس المنعقد في القسطنطينية سنة ٥٥٣ م .

والقبائل العربية تتفرع الى بطون وافخاذ وفصائل وعائلات تربطها جميعاً
اواصر العصبية الوثقى ، يرأسها شيخ القبيلة ويده زمام امرها السياسي
والديني والمدني .

اما ديانتهم فقد كانت الشرك على الاجمال ، ويتدخل عقيدتهم شيء من
اليهودية والمسيحية والمجوسية . فهم عبدة الاوثان يكرمون نصباً ورقى
وعزائم يرون فيها قوى الهية ومقدرة على الشفاء . لهم مزارهم الديني
واصنامهم القومية ، منها اللات والعزى ومناة ، يحتفلون بتكريمها في بعض
مواسم السنة للتبرك . واهم هذه المزارات الكعبة في مكة لوجود الحجر
الاسود ، وسدنتها من قريش .

وفي الحجاز واليمن ايضاً قامت جاليات يهودية كان لها بعض الشأن في
مقدرات البلاد ولا سيما في اليمن حيث اسسوا فيها مملكة ترأسها ملوك يهود .
كما نبغ بينهم شعراء مجلون ، ومنهم السموأل المشهور بالوفاء . اما المسيحية فقد
تسربت ايضاً الى الجزيرة العربية ، وكان لها فيها بعض الاتباع في الحجاز واليمن
(نجران) .

وللعرب مواسم وأسواق ، أشهرها في الجاهلية عكاظ . وفي الاسلام
المريد ، يعقدونها كل سنة ، تحضر اليها القبائل العربية من أقصى البلاد المتاجرة
والمباراة الادبية فينظمون فيها القصائد الطوال ، متنافسين متناحرين ،
يعلقون أجودها بعد التحكيم على جدران الكعبة ، ولذا عرفت بالمعلقات أو
المذهبات وهي من عيون الشعر ، وأصحاب هذه القصائد سبع او عشر .

أما علوم العرب في الجاهلية فأهمها النجامة والعرافة ، وقيافة الأثرومهب
الأرياح ، والطب ، والبيطرة ، والميثولوجيا - التكنن - والأنساب ، وهم
شديدو التمسك بها ، نبغ منهم رهط عرفوا بالرواة والنسابين ، كما قام فيهم
شعراء مجيدون لا يقلون عن أنبغ شعراء الغرب . وشعرهم على الأغلب قصصي

الفصل الثالث

الفتح العربي الاسلامي

٦٣٤ - ٦٦١

من هم العرب ؟

العرب شعب سامي ضربت قبائله في شبه الجزيرة العربية والعراق وبادية
الشام وهم في طراز معيشتهم على قسمين : الحضري والبدوي .

فالحضر ويعرفون ايضاً بأهل المدن يقطنون المدن مثل مكة والمدينة
والطائف وحران وبصرى اسكي شام والحيرة . عيشتهم الاتجار وارتياذ البلاد
والاسواق التجارية بقصد الكسب . اما البدوي ويعرفون بأهل الدير ، هم سكان
القفر ، والقبائل الطاعنة ، ينتجون السائغة ويكلاون الضرع في الواحات
والمراعي الخضر . حياتهم شن الغارات للغزو والسلب .

والعربي ربيب الحرية والاستقلال ، كثير الاعتداد بنفسه ، فخور بنفسه ،
جريء ، صريح ، صادق ، مرهف العاطفة والحس ، مضياف ، صبور .

وصفي حكيم . والشعراء في الجاهلية هم حماة الأعراض وحفظة الآثار ونقلة الأخبار .

النبي العربي محمد بن عبد الله (ص)

في هذه البيئة وذلك المحيط، وتحت تأثير تلك العوامل الأخلاقية والمدنية التي أتينا على وصفها ، ولد صاحب الدعوة الإسلامية في مكة سنة ٥٧٠ م المعروفة عند العرب بعام الفيل^(١) من أبوين هما عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب من قبيلة قريش ومن بيت هاشم . وقد ربي في بيت عمه أبي طالب بعد يتيمه المبكر، فشب ناهياً مستقيماً عطوفاً مما جعل له منزلة رفيعة بين صحبه وآله . وقد أكسبته مهارته في التجارة وأمانته وحذقه في الأمور ثقة ذويه فألقت إليه خديجة بنت خويلد إدارة تجارتها فقام بها خير قيام . ثم رغبت فيه وعرضت نفسها عليه للزواج فتزوجها وهي في العقد الرابع ورزق منها أولاده الذين لم يبق منهم على قيد الحياة أو ينجب إلا فاطمة الزهراء التي تزوج منها علي بن أبي طالب ابن عم النبي وإليها ينتسب الفاطميون . وبعد وفاة خديجة تزوج النبي بعدد من الزوجات أشهرهن عائشة بنت أبي بكر الصديق ولم يرزق النبي منهن بأولاد البتة ..

وفي الأربعين من سنه جاءه الوحي ، ليكون المرسل الذي أرسلته السماء لإحقاق الحق وإهداء قومه إلى الصراط المستقيم فعظم شأنه حتى خشي أسياؤه قريش من ضياع سلطتهم ونفوذهم وديانتهم فعملوا على اضطهاده ، واذ لم يكن له طاقة على احتمال المظالم التي ألحقوها به هاجر إلى المدينة - يثرب - وهي

(١) عام الفيل ، يوافق هجوم الاحباش بقيادة ابرهة الأشرم على الحجاز في القرن السادس الميلادي وكان ذلك سنة ٤٨ للهجرة كسرى انوشروان (٥٣١ - ٥٧٨ م) ومنه اخذ أهل الجزيرة يؤرخون وكانوا قبل ذلك يؤقتون بموت الوليد بن المغيرة .

في عداء ومناقسة تجارية مع مكة وبصحبتة من آمن بدعوته فعرفوا بالمهاجرين اما أهل المدينة فدعوا بالأنصار لنصرتهم النبي وكان ذلك سنة ٦٣٢ م . وهذه الهجرة هي بدء التاريخ الإسلامي .

ولما أصبح النبي في مأمن من غدر عشيرته انقطع لتنظيم اتباعه فتم له بمؤازرة الأنصار الغلبة على أعدائه في واقعة بدر ٦٢٤ م والحدائق ٦٢٩ م . وفي سنة ٦٣٠ م غزا مكة وقد اشتد ساعده لتغلبه على بني خيبر وقريظة والنضير ، ففتحها سلماً ، ثم أوفد البعثات تحمل أهل الجزيرة العربية إلى الإسلام والاعتراف بنبوته ولم تأت وفاته سنة ٦٣٢ م حتى خيم الإسلام برواقه فوق كل أقطار الجزيرة العربية .

المبادئ الإسلامية والتوحيد

أساس الإسلام وكنهه، التوحيد « لا إله الا الله ومحمد رسول الله » ويقول بخلود النفس بعد الموت وبقِيامة الموتى . أركانه خمس (١) الصلاة مرات خمساً في اليوم - الصبح - الظهر - العصر - المغرب - العشاء . (٢) صوم رمضان . (٣) فريضة حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً . (٤) الشهادة أن (٥) إيتاء الزكاة .

أما المعاصي التي ينهي عنها فهي : الفحش والسكر وتعاطي الرباء وغير ذلك من الموبقات .

والقرآن الكريم هو دستور المسلم في الدين ويتألف من ١١٤ سورة تختلف طولاً وتزولاً وتقسم إلى مكية ومدنية .

الخلفاء الراشدون

قبض صاحب الدعوة الإسلامية ولم يعين خليفته ، وقد كان حياً يرزق ،

القاضي والقائد والحاكم والزعيم والمدير . ارادته مطلقة في جميع الشؤون فأحدث بموته فراغاً عظيماً . فاجتمع رجالات الاسلام من انصار ومهاجرين وكلهم يرغب في الخلافة لنفسه ، استناداً على الاسبقية في الاسلام او النصرة له ، او لزعامة عريقة في مكة ، او لقراية من النبي . واشتد الخلاف وكاد يستفحل الامر لولا عبقرية عمر فاستقر بهم الاجماع في الرأي على تولية ابي بكر الصديق ، حمي الرسول ونودي به امير المؤمنين وهو اول الخلفاء الراشدين .

ميزة الخلفاء الراشدين

عصر هؤلاء الخلفاء يعتبر العصر الذهبي للدين الاسلامي . كانت الدولة تركز على العدل والتقوى ، عمادها الفيرة الحقيقية على الدين ، ونبت الدنيا وملذاتها ، وزهد الخلفاء في حطامها .

ابو بكر الصديق ٦٣٢ - ٦٣٤ م

هو الخليفة الاول ، قام بحروب الردة - وهي حركة رجعية عقب وفاة صاحب الشريعة الاسلامية قام بها الذين حطم الاسلام نفوذهم او وقف في سبيل اغراضهم النفعية . مما ادى الى اضطراب اهل الجزيرة . وحمل بعضهم على المدينة وهاجموها وكادوا يأخذونها لولا حزم ابي بكر ودربه السياسية - .

ولما فرغ ابو بكر من تلك الحروب واعاد الامن والدين الى الجزيرة العربية فكر في توجيه الجيوش الى الشام والعراق فعقد الالوية ليزيد بن ابي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة وابي عبيدة بن الجراح والمثنى بن حارثة وخالد بن الوليد فدخل هؤلاء مع البيزنطيين والفرس مفاوضات بسيطة عجموا اثناءها عيادات تلك الجيوش ليتبينوا اصلها فاذا به فتات .

عمر بن الخطاب ٦٣٤ - ٦٤٤ م

رجل الاسلام والعرب ومؤسس الامبراطورية العربية ومنظم ادارتها ، العادل ، الحازم ، النزيه ، المقدام ، في ايامه فتح العرب سورية والعراق وفارس ومصر وطرابلس الغرب .

عثمان بن عفان ٦٤٤ - ٦٥٦ م

أموي النسب ، جامع القرآن الكريم خشية عليه من الضياع والتلاعب ، محب لأسرته واشارها بالمناصب العليا مما أدى الى حدوث فتنة دموية انتهت بمقتله .

علي بن ابي طالب ٦٥٦ - ٦٦١ م

ابن عم النبي ، وزوج ابنته فاطمة ، ووالد الحسن والحسين . في خلافته حدث واقعة الجمل الشهيرة التي كانت الغلبة له فيها على منافسيه طلحة بن محمد والزبير بن العوام وعائشة أم المؤمنين . ثم قيام معاوية بن ابي سفيان مطالباً علياً بدم نسيبه عثمان ، طامعاً بالخلافة ، فكانت بينهما معركة صفين التي انتهت بالتحكيم وخروج بعض رجال علي عليه وقد سموا بالخوارج واغتيل علي بيد أحدهم - عبد الرحمن بن ملجم - .

حالة بلادنا قبل الفتح العربي

مات النبي العربي وهو يتأهب لارسال البعثات العسكرية على الفرس والروم . فيجمل بنا والحالة هذه ان نلقي نظرة عابرة على حالة بلادنا من نواحيها السياسية والاجتماعية والاخلاقية والدينية ، والى الفوارق الكائنة في اللغات لدى السكان .

كانت بلادنا تثن من هول ما ألم بها من الخراب والدمار في حروب الفرس ،
فالفساد والجور والعذاب منتشرة كلها اينما أجلت نظرك .

وزاد الحالة حرجاً ما كنت تراه من الشحنة والبغضاء بين الطوائف
الدينية العديدة التي كانت البلاد تحتكم بها وهي بسوادها مغايرة لعقيدة الملوك ،
وكثيراً ما انقلبت هذه البدع الى احزاب وطنية تسعى لاستقلالها السياسي
نيلاً لاستقلالها الديني . فلا نعجب ، اذ نراهم يغتبطون لقدم الغزاة ، اذ منهم
يرجون الامرين معاً صفقة واحدة ..

ومن دواعي الانقسام الاجتماعي تعدد الاسنة في بلادنا قبيل الفتح العربي .
اذ زاد عدد اللغات المتعارف بها وقتئذ عن ٥ لغات فاللغة اليونانية يعم
استعمالها في المدن وحتى بين الطبقات الدنيا ، واللغة السريانية تنتشر في سورية
الشمالية وبعض الوسطى بين النساطرة واليعاقبة والوارنة لاقتراها من الرها
منارة العرقان والآداب السريانية في هذه الحقبة . اما في سوريا الجنوبية
بوجهها الساحلي والداخلي فنرى العربية تتأصل بواسطة نفوذ الفساسنة في
الشام وحوارن ولبنان الجنوبي ، وعلى اثر تدفق القبائل من جزيرة العرب
المتهمضة بكبريات الحدثان . كما كانت اللغة العبرانية لغة اليهود الذين كانوا
يشكلون جاليات في بعض المدن السورية واللبنانية .

كل هذا يظهر لنا مدى استعداد بلادنا الديني والعمري والسياسي لاستقبال
الفتح العربي كمنفذ لا سيما وفيها عنصر نشيط نابه لا يستهان به ، تربطه
والغازي رابطة اللغة والعصبية والمزاج النفسي والاخلاقي .

القواد الذين تم الفتح على ايديهم

ان فجر الاسلام يعتبر من أخصب عصور التاريخ بنبوغ القادة العظام ومن
اشهرهم ، القادة الذين عقد لهم الخليفة أبو بكر الأولوية على الجيوش التي أرسلها

الى سورية وبلاد فارس بعد حروب الردة ، وهم يحق من انبغ القادة في الفنون
العسكرية وإدارة الجيوش والشجاعة ليس في عصرهم فحسب ، بل وفي عصور
التاريخ العام على الاطلاق وأشهرهم :

- (١) خالد بن الوليد .
- (٢) ابو عبيدة بن الجراح .
- (٣) عمرو بن العاص .
- (٤) يزيد بن ابي سفيان .
- (٥) شرحبيل بن حسنة .

اعظم المعارك الفاصلة لهذا الفتح

غشي العرب شرقي البحر الميت وغربه تحت امرة عمرو بن العاص ويزيد
ابن ابي سفيان وشرحبيل بن حسنة فكسروا الجيوش البيزنطية سنة ٦٣٤ م .
اما المعارك الكبرى الحاسمة فهي :

١ - معركة اجنادين (٦٣٥ م) : احرز الظفر فيها خالد بن الوليد وكان
ابو بكر قد استقدمه من العراق على جناح السرعة عندما سمع بأهبة البيزنطيين
وحشدتهم الجيوش . وبعد ان كسر الروم تقدم بكتائبه من دمشق تاركاً يزيد
في مدن فلسطين الساحلية ، فأخذ غوطتها واقام الحصار حول المدينة ، وبعد
حصار سبعة اشهر سقطت دمشق .

٢ - معركة اليرموك (٦٣٦ م) : وعلى اثر اندحار الروم في اجنادين فر
الامبراطور هرقل من حمص وقد دب الذعر في قلبه الى انطاكية ، فاعتصم بها
وأخذ يجهز حملة جديدة يهاجم بها جموع المسلمين الذين استقر رأيهم على

الانسحاب من سورية والتراجع الى فلسطين فخيّموا على شواطئ اليرموك احد روافد الاردن الشرقية .

جمع الامبراطور جيشاً كبيراً مؤلفاً من الروم والارمن وبعض السوريين المرتزقة ، واكثرهم لا خبرة له بالفنون العسكرية والحركات الحربية ، وأرسله بقيادة ابن عمه للاشتباك مع العرب وردهم عن سورية العزيزة .

وكان خالد القائد الاعلى للجيش العربي ، قد نظم جيشه تنظيمًا جديداً لم يكن معروفاً من قبل بشكل كراديس ، وعين رئيساً لكل فرقة وكتيبة .

التحم الفريقان واستطاع فرسان الروم بهجّتهم ، من خرق صفوف العرب ثلاث مرات متوالية ، ولكن سرعان ما كان العرب يرتدون عليهم ويؤلفون صفوفهم وهم يستطيعون الموت على شفرات الاسنة ، وكانت نساء العرب تثرن حماسة الرجال بزغاريدهن واهازيجهن ، ويشجعونهن على متابعة القتال والمصاهرة والكل يردد « الجنة امامكم والنار وراءكم » فازدادت بهن قوى العرب المعنوية وانقضوا على الروم وقد اعياهم التعب واضنكهم حر آب اللاهب فزقوهم شر ممزق ، وتم النصر نهائياً للعرب .

وبهذه المعركة ، تم الاجهاز على البقية الباقية من سيطرة البيزنطيين على بلادنا وفتحت في وجه العرب امهات المدن السورية حتى حلب وانطاكية الغزلاء من كل حامية .

وفي سنة ٦٣٨ م ، سقطت مدينة القدس صلحا بعد حصار طويل ، فدخلها الخليفة عمر بن الخطاب وهو راكب راحلته ، مؤمناً الاهلين على ارواحهم ودمائهم واموالهم وكنائسهم .

سرعة هذه الفتوحات

قد يتساءل المرء عن الاسباب المهمة التي ساعدت العرب على هذا الفتح

السريع ، ولذلك نجملها بما يلي :

- ١ - نبوغ رجال صدر الاسلام ودربتهم في قيادة الجيوش ، واختصاصهم بنخبة من قادة المسلمين في الحرب والسياسة والدهاء .
- ٢ - وهن الامبراطور هرقل وفوضى الاحكام والادارة في المملكة البيزنطية وانحلال الروح العسكرية فيها .
- ٣ - نقمة (الرعية) على حكامها .
- ٤ - نجدة عرب الشام وعطفهم على قضية ابناء عمومهم .
- ٥ - الضعف العمراني والسياسي والضعف الديني الذي كانت البلاد ترسف فيه من جراء غزوات الفرس والهرطقات .
- ٦ - خصب البلاد المفتوحة وغزارة مواردها الطبيعية .
- ٧ - مؤازرة غالبية السكان الكارهة للبيزنطيين .
- ٨ - عدل المسلمين الأوائل وزهدهم ورفقهم .

التشكيلات الادارية الجديدة

فتح العرب المسلمون بلادنا وعمل عمر على تنظيمها ادارياً فقسم البلاد عسكرياً الى خمسة أجناد تقيم فيها الجيوش للمحافظة على الأمن وجمع الضرائب وهي : شرقي الاردن ، فلسطين ، دمشق ، حمص وقنسرين .. (وكانت صيدا تابعة لجند دمشق) .

وكان المجتمع ينقسم الى فئتين :

(١) العرب المسلمون وهم الطبقة الشريفة المتمتعة بكل امتيازات الفاتح

ولهم حصن الدولة وسياجها وسلاحها ولهم وحدهم أعطي شرف التجنيد وحقوقه .

(٢) الذميون الذين دخلوا في ذمة المسلمين وعليهم ان يدفعوا الجزية والخراج . وكانت الجزية تختلف باختلاف احوال الناس ودخلهم ..

ولاية سورية بعد الفتح العربي

كانت الجيوش العربية اثناء الفتح تحت إمرة ابي عبيدة بن الجراح . ولما قبض مع من جرفهم طاعون عمواس الذي ذهب بأكثر من عشرين ألف نسمة خلفه في القيادة يزيد بن ابي سفيان . وكان عمر قد عينه بعد ذلك بسنة واحدة - سنة ٦٣٨ م - حاكماً على الشام ولكن حكمه لم يطل اذ توفي ايضاً ، فخلفه أخوه معاوية (مؤسس خلافة بني امية) .

فتح صيدا

يقول ابن الأثير وجاهك ثاني وجرجي يني : لما استخلف ابو عبيدة بن الجراح يزيد بن ابي سفيان على دمشق وسار الى فعل ، سار يزيد الى مدينة صيدا وجبيل وبيروت ٦٣٧ م وهي سواحل دمشق وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحاً يسيراً ، وجلا كثير من اهلها ، وتولى فتح عرقه أخوه معاوية بنفسه في ولاية يزيد ، وفتحت مدينة صور سنة ٦٣٨ م .

ولكن الروم سرعان ما عادوا الى بعض الثغور ومنها صيدا فغلبوا عليها في آخر خلافة عمر وأول خلافة عثمان ٦٤٣ م وما لبث معاوية ان قصدها ثانية ففتحها ورمها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع .

ولما كان معاوية لا يزال يخشى عودة البيزنطيين ولهم في البلاد الساحلية اكثر من مرقد عنزة كطرابلس مثلاً ، عيّد الى انشاء اساطيل حربية

بحرية في مينائي صور وصيدا والخشب متوفر لديه في لبنان ، والمسيحيون وهم ورثة الفينيقيين ، أناط بهم قيادة السفن تحت اشراف قادته ، وهو النازع في سياسته مع عرب الشام الى تأليف قلوبهم حوله ، وكسب عطفهم ، وليجعلهم في المستقبل عضده وذخره في تمدين عرب البادية وصقل طبائهم الحشنة وترويض أمزجتهم سياسياً وإدارياً ، فتم له ما اراد ؛ اذ ما هي إلا سنوات قلائل حتى كان لديه في صور وصيدا اسطول كبير قوامه ١٧٠٠ سفينة حربية ، قاده بحارة مسيحيون استطاع بواسطته اكتساح قبرص وروُدس ، ومحطماً عمارات البيزنطيين القوية ...

الفصل الرابع

الامويون

معاوية بن ابي سفيان

لما قتل الخليفة علي بن ابي طالب في الكوفة سنة ٤٠ هـ ٦٦١ م. خلا الجو لمعاوية ، فاجتمع رجال الاسلام وأمرأؤه في القدس الشريف ونادوا به خليفة للرسول وأميراً للمؤمنين . وقد اتخذ معاوية دمشق قاعدة للملكة للاعتبارات الآتية :

١ - ان المدينة المنورة والحجاز لا يزالان في دهشة النبوة ، وروعة جلال البيت الكريم (آل هاشم) وليس معاوية منه .

٢ - مناوأة اهل العراق له ، وعطفهم على علي وولده من بعده .

٣ - توسط دمشق ومركزها من الخلافة الاسلامية .

٤ - رغبته في اظهار عرفان الجميل لعرب الشام الذين قاموا بقضيته أحسن قيام وللمسيحيين الذين تزوج منهم ميسون أم ولده يزيد .

وتميزت خلافته عن خلافة الراشدين بأن السلطة فيها تحولت من الخلافة الدينية الى السلطة السياسية الزمنية ، وعن السلطة العباسية بأنها حزبية بحتة ، شديدة التعصب للعرب أياً كان مذهبهم ، كثيرة الاحتقار لسواهم ؛ قامت على الدهاء والسياسة ، بذلت المال وعاشت به ، ومعاوية أول من تظاهر بسمه الملوك ، وأول من لبس التاج بين خلفاء المسلمين معزراً في ذلك امر الملك ، معلياً شأنه ، كما كان أول من أنشأ ديوان الخاتم .

أما الاسباب التي ساعدت معاوية على تولي الخلافة ، وفي المسلمين كثيرون ممن هم أحق بها منه فهي :

(١) استخدامهم في شد ازره رجالاً هم أشهر دهاء الاسلام استدعاهم اليه بالترغيب ، منهم عمرو بن العاص وزيد بن ابيه وابنه عبيد الله بن زياد .

(٢) بذل المال ؛ اذ به كان يصطنع الاحزاب ويستدني الاعداء ، وهو أعرف الناس كيف يلين قناة خصومه .

(٣) الدهاء والحزم وسعة الصدر والحلم فهو يفوق تعقلاً وحكمة ودهاء أكبر رجال السياسة حق من أهل هذا العصر .

(٤) العطاء من بيت المال ؛ اذ بواسطته اصطنع الرجال وكسر شوكة أخصامه . وببذله الأموال الطائلة ، كان يقبض على رقاب المسلمين ويؤلف القبائل حوله منها بعدت عنه نسباً وعصبية ...

(٥) قطعه السنة الشعراء بتقريبهم منه ومدح هؤلاء له وخلافته .

بهذه الاسباب استطاع معاوية ان يهذب في الأعراب روح البداوة فيروضها وينفخ فيها روح المدنية والحضارة ؛ وأن يحول بدهائه الخلافة الى ملكية وراثية في بيته بعد ان كانت انتخابية او شورية . كما تمكن من تألف

المسيحيين حوله إذ اتخذ من أعلامهم مساعدين له ومستشارين وخبراء ؛ ومن أشهرهم الطبيب ابن آثال الذي عينه متسلماً على خراج حصص ، كما عين منصور ابن سرجون رئيساً لديوان مال الدولة .

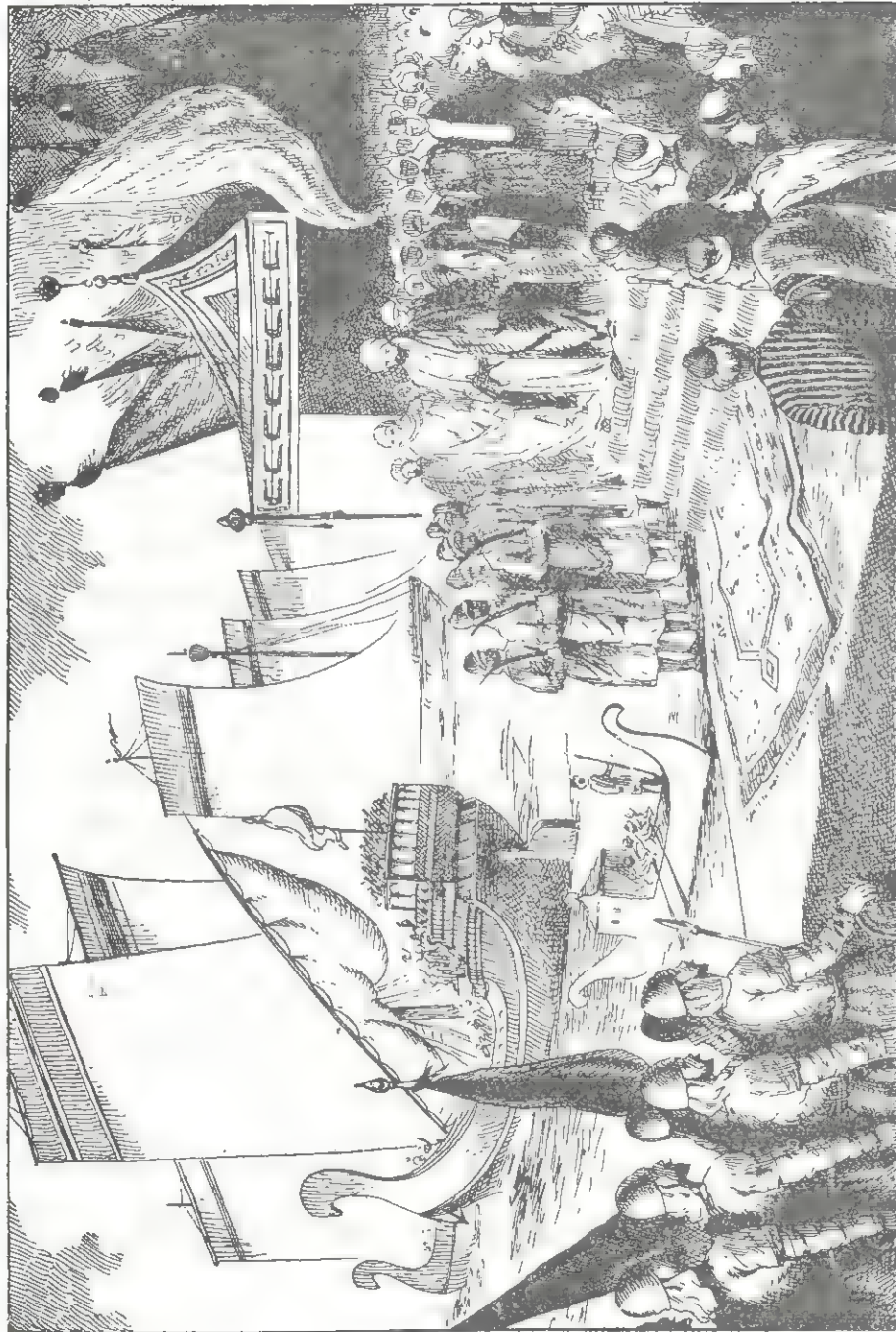
البحرية عند العرب

قلما اعتنى العرب قبيل الاسلام بانشاء السفن وركوب البحر واول من فكر منهم بانشاء اسطول بحري هو معاوية بن ابي سفيان الذي بعد ان استأذن الخليفة عثمان ابنتى له اسطولا قويا في صيدا وصور وجهزه بالمعدات اللازمة ، واستطاع بواسطته اولاً ان يحمي الثغور ثم ان يستولي ثانياً على ما وراء البحار من جزر البحر الابيض المتوسط في حوضه الشرقي .

ابتدأ هذا الاسطول عمله بتوطيد الامن على الشواطئ السورية واللبنانية فقطع دابر القرصنة التي كانت منتشرة بكثرة في هذه المنطقة .

ثم امر معاوية القائد عبدالله بن قيس اول امير بحر عربي بأن يتوجه مع سفنه الرابضة في ميناءي صيدا وصور الى قبرص للاستيلاء عليها . وهكذا أبحرت السفن العربية وعلى متنها الجيوش العربية المدربة على القتال ؛ ويقودها ربابنة مسيحيون من صيدا وصور حتى وصلت الى مقابل قبرص وبعد معركة بحرية هائلة مع الروم ، تمكن الاسطول العربي من الحاق الهزيمة بالاسطول البيزنطي وبالتالي من نزول الجيوش العربية الى الجزيرة ورفع العلم العربي فوق روابيها .

وتحت قيادة جنادة بن ابي أمية الأزدي للاسطول العربي ، تمكن العرب من احتلال جزيرة رودس .



معاوية يبدئ الاسطول العربي في صيدا

الحضارة زمن معاوية

ورأى معاوية أن الفتح الاسلامي تحق الكثير من العلوم والآداب الرومانية والبيزنطية وتأكد أنه من العسير عليه توطيد اركان دولته ما لم يبذل عنايته للعلوم والآداب والمعارف فأخذ يبدد العلماء وبدأ يشجعهم ويفقد عليهم المكافآت . ولما تم له فتح بعض الجزر اليونانية ، أمر باحضار العديد من علماءها واکرامهم وقد جاؤا بعلوم قومهم ومؤلفات فلاسفتهم التي عمد المترجمون لعمدها الى تعريبها فكانت سبباً في ازدهار المعارف تحت ظله .

يزيد بن معاوية

تولى الخلافة بعد معاوية ابنه يزيد سنة ٦٨٠ م . وكان شاعراً اديباً ومحباً للادباء ، ولكن شأن خلافته مقتل الحسين بن علي ومن معه في معركة كربلاء سنة ٦٨٠ م .

وروى ابن الاثير ان الرجل الذي قتل عبدالله بن عقيل وهو طفل في معركة كربلاء المشؤومة هو عمرو بن صبيح الصيداوي مما يثبت ان بعض الصيداويين كانوا في عداد الجيش الشامي الذي شارك في مقتل الحسين واصحابه .

وتوفي يزيد سنة ٦٨٣ م فخلفه ابنه معاوية الثاني الذي رفض الخلافة وخلع نفسه ، فبايع الامويون مروان بن الحكم ومنه انتقلت الخلافة الى ابنه عبد الملك سنة ٦٨٥ م وهو مؤسس الفرع الاموي المرواني .

عبد الملك بن مروان ٦٨٥ - ٧٠٥ م

تسلم عبد الملك الخلافة والرياح والثورات تعصف في ارجاء دولته ، ولكنه

وهو المشهور بسعة الصدر والدهاء والشجاعة تمكن من احلال السلام في كافة ربوعها وامصارها .

وما أن استتب له الأمر حتى شمر عن ساعد الجد وصمم على إقامة دولة عربية خالصة فأكرم العلماء والأدباء ، وأمر بتعريب دواوين الدولة ونقلها الى العربية بعد ان كانت - فارسية في العراق ويونانية في بلادنا - فتم له ما أراد .

ومن الأدلة على دهائه ورغبته في اكتساب صداقة المسيحيين عامة والمردة بنوع خاص انه لم يشأ محاربة المردة الذين كانوا يهاجمون من جبالهم الحاميات العربية المعسكرة في السواحل والضواحي ، بل فاوض جوستينيانوس امبراطور الروم مقدماً اليه الاموال الطائلة ، ليأمر بكف أذى المردة عن جيوشه ، فتم له ما اراد ؛ اذ اعز الامبراطور الى قائده الروماني أن يقضي على امير المردة المسيحي يوحنا ففعل ، وتم ذلك في قب الياس . ولكن المردة هاجموا للقائد الروماني بالقرب من أميرون وقتلوه سنة ٦٩٤ م .

وهكذا نرى الفرق بين السياسة العربية السمحاء المتبعة ، وسياسة البيزنطيين الخرقاء .

واشتهر عبد الملك بتسامحه الديني مع سائر الطوائف بالرغم من تمسكه بدينه . وكان ديوانه موثلاً للعلماء والأدباء والشعراء يتبارون أمامه ويفقد على المجلين منهم الأعطيات الجزيلة . ومن اشهر الشعراء الذين حفل بهم ديوانه : الأخطل والفرزدق وجريز .

البطريرك يوحنا مارون

في عام ٦٨٥ م ، قال يوحنا مارون أسقف البترون وجبيل من قداسة البابا سرجيوس الموافقة على تسميته بطريركاً على الموارنة ، في الوقت الذي لم يكن يحق لأحد حمل هذه التسمية إلا للبطريرك الأرثوذكسي ، وكان عدد من اقباعه قد دخل الجبل اللبناني وأخذوا بهاجمة الامويين وقطع طرق مواصلاتهم .

ولكن الانتصارات التي سبق أن ذكرناها آنفاً والتي حققها عليهم عبد الملك بن مروان وخلفاؤه من بعده ، سمحت للغة العربية أن تتغلغل في الجبل اللبناني بعد أن كانت مقتصرة على السواحل والداخل مزيجاً للغة الآرامية - السريانية عن الصدارة في هذه المنطقة أيضاً .

الوليد بن عبد الملك ٧٠٥ - ٧١٥ م

تولى الخلافة بعد عبد الملك ، ابنه الوليد وهي موطدة الأمن والنظام تنعم خزائن الدولة بالاموال الطائلة ، قسار فيها سيرة عمرانية بناءة ؛ إذ أمر ببناء المسجد النبوي في المدينة المنورة ، كما أمر ببناء جامع كبير في دمشق (هو المسجد الأموي الآن) .

وفي أيامه امتدت سطوة المسلمين الى أواسط فرنسا غرباً وخفقت راياتهم فوق حصون الهند وتركستان شرقاً .

الخلفاء الأمويون بعد الوليد وانقراض الدولة الأموية سنة ٧٥٠ م

أخذ مجد بني أمية بعد موت الوليد يخبو بالرغم من بعض صحوة المجد القليلة العابرة أيام هشام - إذ نرى سليمان بن عبد الملك (٧١٥ - ٧١٧ م) يرجع مخدولاً من حصار القسطنطينية ، وجيوش العرب تندحر أمام الفرنجة في معركة بواتيه سنة ٧٣٢ م ، والحزبية القبلية تذر قرنهما بين القيسيين واليمانيين في سورية فتشتعل بينهم الحروب وتزداد العصبية ويقتتل أبناء العمومة من الاسرة الأموية الحاكمة ؛ وإذا بالوحدة الوطنية تتمزق في بلادنا ويقتسم أهل البيت (العلويون والعباسيون) الفرصة للقيام بالمطالبة بالخلافة بعد أن نزعوا فترة من الزمن الى الدعة والسكينة ، يؤازرهم أهل خراسان وهم الناقون المتورون على الدولة الأموية العربية التي أبعدتهم عن الجيش والصدارة بالرغم من دخولهم في الاسلام ، بل اعتمدت على العناصر العربية فقط ولم تثق بسواهم .

ولقد وفق العباسيون في بدء دعوتهم الى اكتساب أبي مسلم الخراساني وهو من أكبر قواد المسلمين . فوحد هذا صفوف الخراسانيين ورفع العلم الأسود وأخذ يطارد جيوش الأمويين في خراسان . ثم انتصر على الخليفة الأموي مروان ابن محمد في معركة الزاب سنة ٧٥٠ م ففر هذا الى مصر . ولكن الجيوش العباسية تابعت بقيادة عبدالله بن علي ، عم أبي العباس السفاح حتى ألقت القبض عليه في كنيسة بوضير فاحتزت رأسه وأرسلته الى أبي العباس في الكوفة ، وكان قد نودي به خليفة على المسلمين فيها ، وهو الخليفة العباسي الأول .

بعض مشاهير صيداء خلال هذه الحقبة

من الشخصيات العلمية البازرة التي اشتهرت :

١ - العالم هشام بن الغاز بن ربيعة الجرشي الصيداوي

تعمق في الفقه والحديث ودرس في صيداء واعتبر من الصادقين . روى عن مكحول ونافع وابن المبارك ووكيع ، ومات سنة ١٥٦ هـ = ٧٧٢ م . وقد ذكره ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان .

٢ - المطران بولس الانطاكي

تحدث عنه عدد كبير من مؤرخي تاريخ الكنيسة المسيحية منهم المطران يوسف الدبس في كتابه تاريخ سورية ، والخوري عيسى أسعد في كتابه الطرفة النقية في تاريخ الكنيسة المسيحية ، والخوري قسطنطين الباشا والخوري يوسف الشماس وغيرهم . ونحن نوجز ما أورده عنه فيما يلي :

هو من أساقفة صيداء عاش في القرن الثامن المسيحي . وقد ولد في

انطاكية ودخل سلك الرهبنة ثم سيم أسقفاً على صيدا ، وكان عالماً كبيراً
وإنسانياً مثالياً . وتوفي ودفن في صيدا سنة ٧٧٠ م .

من مؤلفاته : الكتاب الخمسون وهو يشتمل على موجز في اللاهوت وينقسم
الى اثنين وعشرين فصلاً ، وعلى مقالة في مجيء السيد المسيح فند فيها مزاعم
اليهود وتخريصاتهم .

وكتب رسالة الى أحد المسلمين من سكان صيدا بين فيها ما يقوله النصراني
في الرسول محمد (ص) وسفته ، وصحة الدين المسيحي .

كما كتب مقالة في البدع المنتشرة في عصره يفند فيها آراء المبتدعين ، ومقالة
أخرى في التثليث والتجسد انفذها الى رجل صيداوي اسمه أبو سرور .
وله خطبة في تفسير بعض آيات الانجيل ولا سيما القول الشريف : من نظر
امراًة ليشتتها .. وخطبة أخرى في الايمان القويم .

وله كتاب في الفضائل المسيحية وممارستها وكتاب لاهوتي في الشرع
المسيحي درس فيه احدى وسبعين قضية ، مستنداً على نصوص الاسفار المقدسة
وقد كتب هذا المؤلف على ورق وباللغة العربية وعدد صفحاته ١٦٤ صفحة .

الحالة الاجتماعية في عصر بني أمية

كان الشعب في بلادنا ينقسم الى ثلاث طبقات :

١- العرب المسلمون ، وهم أقلية صغيرة إنما ممتازة ترفل بكل مميزات
الفاتح المبغية على نظرية عمر بن الخطاب : إن العرب أمة مختارة ، لهم أعدت
السيادة والقيادة وتوزع عليهم الأعطيات والأثارة . وعددهم لا يتجاوز
الـ ٢٠٠٠٠٠٠ نسمة .

٢- الذميون : وهم غير المسلمين . أكثرية ساحقة ، يحترفون التجارة

والصناعات المختلفة والفنون الحرة الجميلة . أما حرياتهم الدينية والقومية
فمصرية على الإجمال ، غير أنه بتوالي الحروب في عهد بني أمية وثقتهم المطلقة
بالسكان واعتمادهم على العنصر العربي فقط في الجيش ، عمدوا الى تشكيل
وحدات نظامية من الذميين منحوها من الامتيازات مثل ما للمسلمين العرب .
ثم اليهود وكانوا يتمتعون إجمالاً بكل حرياتهم ما عدا إقامتهم في القدس .

٣- جهرة العبيد - وهذه الطبقة كانت تتزايد وتتضخم مع الفتوح
والاسر ، ولذا كنت ترى الممدن تفص بالعديد منهم . عملهم حراثة الارض
والخدمة في جميع نواحي الحياة العملية . وفي حالة العتق والتحرير كانوا
يدخلون في طبقة الموالي .

الحركة الفكرية

الشعر في هذا العصر هو اكبر مجالي العقل والتفكير ، لا سيما وهو في نظر
الدولة الاموية من جهة الاعوان على تلك خواطر العامة ، لكثرة خصوصها ،
ومقت المسلمين لها لانها بعيدة القرابة عن بيت النبي . ومن نوابغ الشعراء في
العصر الاموي : الاخطل النصراني شاعر بني أمية الخاص ، وجريز والفريزدق
وعمر بن ابي ربيعة والشاعرة حميدة بنت النعمان بن بشير الانصاري حاكم
حمص .

اما الفلسفة فأكبر مدارسها مدرسة دمشق - وقد انتقلت اليها من
صيداء - وازدهرت في الجيلين السابع والثامن فانجبت صفرونيوس بطريرك
اورشليم ، ويوحنا الدمشقي اغزر كتبة الشرق وقد برز في جميع مناحي العلوم
في الفلسفة واللاهوت والخطابة والجدل الديني والتاريخ والشعر . وقد كان
لهذا المجرى الفلسفي تأثير على بعض رجال الاسلام ، إذ نرى القديريين مثلاً في
عهد الوليد يستلذون البحوث الفلسفية ويعملون في حقولها ...

الحالة الفنية

كانت الفنون الجميلة في عصر بني أمية محصورة بين أيدي السوريين ولذلك ظلت الهندسة البنائية محتفظة بطابعها السوري واليوناني . ومن أجل نتائج الهندسة في هذا العصر - الجامع الأموي في دمشق وقد ازدان بالفسيفساء والقيشاني والزجاج الملون ، وقد بناه الوليد .

ومسجد الصخرة في القدس وقد بناه عبد الملك بن مروان .

الحالة الاقتصادية

ظلت البلاد في هذا العصر محتفظة بنشاطها الاقتصادي إذ كان الأهليون يصدرون إلى أوروبا وبقية أنحاء العالم صادرات بلادهم الزراعية والصناعية ويشهد بهذا بعض حجاج الفرنجة الذين هبطوا البلاد خلال هذه الفترة وبرزوا في صيداء فاشتروا منها الأواني الزجاجية الملونة الجميلة مع بعض الأدوات النحاسية التي نقش عليها عبارات باللغة العربية من الإنجيل الشريف والقرآن الكريم .

الحالة الدينية

بالإضافة إلى المسلمين واليهود ، كان في البلاد ثلاث طوائف مسيحية يلقب رأسها الأعلى بطيريك أنطاكية وهم : البعاقبة (السريان) إخصام المجمع الحلكيدوني (٤٥١م) والارثوذكس القائلون بتماليم المجمع المذكور ، والموارنة وهو المنتسبون إلى القديس مارون وقد تزحوا عن وادي العاصي إلى جبل لبنان عند الفتح العربي .

الفصل الخامس

الدولة العباسية

مميزات الدولة العباسية

قامت خلافة بني العباس على سواعد العنصر الفارسي . فالفرس هم مادتها وذخرها وحماها ، ومن بعدهم جاء الديلم والترك . عاصمتها مدينة بغداد لتوسطها من العراق الذي سيمثل في هذه الخلافة الدور الذي لعبته الشام في خلافة بني أمية .

اعتلى عرش هذه الدولة ٥٨ خليفة تولى الحكم منهم في بغداد ٣٧ والبقية في القاهرة اثر استيلاء المغول على بغداد في أيام هولاكو سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٦م . وظلوا هناك حتى فتح سليم الأول العثماني مصر مستخلصاً الخلافة منهم لنفسه ولذريته من بعده .

وأشهر الخلفاء العباسيين هم :

١ - أبو العباس السفاح ٧٥٠ - ٧٥٤ م . مؤسس الخلافة العباسية ، ولقب

بالسفاح لكثرة ما سفح من دماء الامويين في خلافته. مركزه الانبار ، على الفرات ، غربي بغداد .

٢ - ابو جعفر المنصور ٧٥٤ - ٧٧٥ م . هو باني مدينة بغداد عاصمة الخلافة . قتل غيلة أبا مسلم الخرساني خوفاً على الخلافة من طغيان العنصر الفارسي ، شجع العلم والأدب والفنون ، وأغدق على أربابها الاموال بالرغم من اشتهاره بالشح .

٣ - هرون الرشيد ٧٨٦ - ٨٠٩ م . اشهر الخلفاء العباسيين وأبعدهم ذكراً ، اشتهر بعلاقاته السياسية مع شارلمان امبراطور فرنسا والمانيا . ويعود مرد هذا التقارب بين المعاهدين الى سياسة شارلمان العدائية ضد العرب في اسبانيا ، وحروبه معهم بعد تأسيس الخلافة الاموية فيها . اذ كانت هذه الدولة تشكل خطراً كبيراً على أوروبا عامة وفرنسا خاصة ، والاخيرة لا تزال تذكر غزوات العرب المسلمين لها (بواتيه) ومن جهة اخرى ، رغبة العباسيين وخاصة هارون الرشيد في سحق الدولة الاموية الفتية في الاندلس التي تشكل منازعاً قوياً لشرعية الخلافة العباسية ، وخطراً على سيادتها في الاقطار الغربية .

في ايامه حدثت نكبة البرامكة - الاسرة الفارسية المتحكمة في الدولة العباسية - اذ قضى الرشيد عليها وصادر ممتلكاتها وأموالها سنة ١٨٧ هـ = سنة ٨٠٢ م . كان محباً للعلوم ، حفل بلاطه برجال العلم والأدب والشعر والنثر الذين كان يقوم بنفسه على خدمتهم .

٤ - المأمون ٨١٣ - ٨٣٣ م . خلافته أبهى عصور العباسيين وأزهارها في الاسلام ، ولا سيما آداب اللغة العربية فقد بلغت أوجها في ايامه ، وذلك لتبحره في العلوم وشغفه بها وبعلمائها الذين أجزل لهم الأعطيات وكفل لهم اسباب الراحة والهناء ؛ فكان ذلك الحصب الادبي والفكري الذي لم يعرف تاريخ العربية مثله ابداً .

٥ - المتوكل ٨٤٧ - ٨٦١ م . نقل قاعدة ملكه الى دمشق قراراً من نفوذ الحرس التركي ولكنه اضطر للعودة الى « سر من رأى » في العراق القاعدة التي انشأها والده المعتصم ، وهناك قتل بيد القادة الاتراك .

ابان اقامته في دمشق ترك بين المسيحيين أفضح الذكرى اذ وضع القوانين الصارمة التي سامهم فيها الظلم والتعسف وأمرهم بارتداء لباس خاص بهم (الغنبار والقبعة الصفراء) ومنعهم من ركوب الخيل ، كما امر بهدم كل الكنائس التي بنيت بعد الفتح العربي - مما اوجد هوة بين المسلمين والمسيحيين - وقد كانوا يعيشون في السابق وخصوصاً في ايام بني امية متآخين متحابين . وقد شمل هذا القانون جميع المسيحيين في بلادنا ومنهم مسيحي صيدا ..

بعض حكام صيدا خلال هذه الحقبة

١ - الامير النعمان الارسلاني

على أثر مقتل الخليفة العباسي المهتدي بالله العباسي سنة ٨٧٠ م تعين ماجور التركي والياً على بلاد الشام وعندما جاء هذا الى دمشق سنة ٨٧٦ م . استدعى اليه الامير النعمان بن عامر بن هاني الارسلاني وكان شاباً ، وعينه أميراً على بيروت وصيداء ؛ فأدار هذا دفعة الحكم بيد حديدية ، وحنكة زائدة وتسامح بين ، الأمر الذي حببه جسداً الى الأهليين وانطق السفتهم بالثناء عليه وظل هذا حاكماً على المدينتين حتى توفي سنة ٩٣٦ م ، ودفن مأسوفاً عليه في بيروت .

وقد عرف هذا الامير بشجاعته وكرمه وفصاحته بالاضافة الى ذكائه وحسن فراسته . (اخبرنا الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنوس بن يوسف الشدياق) .

٢ - الأمير غالب الارسلاني

في سنة ٩٩٦ م. ، تعين الأمير سليمان الكتامي والياً على بلاد الشام من قبل الحاكم بأمر الله الفاطمي فولى هذا بدوره الأمير غالب بن مسمود بن المنذر الارسلاني على مدينة صيداء فقام بأعبائها خير قيام.

الدويلات الاقليمية

انحطاط الدولة العباسية

قامت الدولة العباسية وعاشت بنفوذ الاغراب من الفرس والأتراك فتمصبت لهم على العرب . وقد كانوا في أيام بني أمية سياج الدين والدنيا ولذا رأينا الخلفاء منذ أيام المتوكل يعتلون دست الحكم ويتولون أريكتهم ما شاء قادة الجند ان تسلطن هذا وتخلع ذاك . ولذلك اخذ أولئك القادة وجلهم من الأتراك يتولون مقدرات الحكم في الولايات النائية ؛ وقصد كلفوا امر الدفاع عنها فأسسوا فيها مع الوقت امارات اقليمية ، وراثية مستقلة ، تضرقت بمصير الدولة وشؤونها تصرف الأمر المستبد . وكانت بلادنا تنتقل من يد الدولة الاولى الى يد الثانية ...

ومن اشهر هذه الدويلات التي لها علاقة ببلادنا :

الدولة الطولونية ٨٧٨ - ٩٠٥ م

اسسها في مصر احمد بن طولون احد المماليك الأتراك . وكان ابن طولون عالي الهمة شجاعاً قديراً ذا هيبة وسطوة ، القيت اليه مهام مصر فوطد فيها دعائم نفوذه ، ثم تولى شؤون سورية والدفاع عنها من غارات البيزنطيين ومن أشهر آثاره بناء عاصمة جديدة له هي مدينة القطائع ، وبناء الجامع الطولوني الكبير في مصر .

٢ - الدولة الأخشيديّة ٩٣٥ - ٩٦٩ م

دولة تركية أسسها الأخشيدي في مصر وهو أول والٍ عليها من قبل الخليفة العباسي ، وقد أنس منه نجابة في إدارة شؤون سورية من قبل . ولما استفحل أمره فيها ، أضاف سورية الى ملكه . ومن خلفائه كافور الأخشيدي ، ممدوح المتنبي الشاعر . وزالت هذه الدولة بفتح الفاطميين لمصر والمحدثين لسورية .

٣ - الدولة المحدثية ٩٤٤ - ١٠٠٣ م

هي دولة عربية من قبيلة تغلب ، نشأت في أواسط الدولة العباسية واستقلت في شمالي سورية استقلالاً إدارياً تاماً ، مركزها الموصل وحلب . حكم منها أربعة أمراء في الموصل وخمسة في حلب أشهرهم سيف الدولة (٩٤٤ - ٩٦٧ م) الذي يعتبر من أكبر عاضدي جمهورية الأدب في زمانه ، وكان بلاطه ندوة العلماء والشعراء . ومن المقربين اليه أبو الطيب المتنبي الذي امتدحه بقصائد رفاعة خلدت ذكره على مر الأيام .

ولقب سيف الدولة بهذا الاسم لكثرة حروبه ضد البيزنطيين الذين كانوا يشنون الهجمات على شمالي سورية في عهد الامبراطور نيكفور فيقف معجده وحده في وجوههم .

ومن نتائج الهندسة البنائية في هذا العصر بناء قلعة حلب وجامع حلب الكبير سنة ٩٧٦ م .

الدولة الفاطمية ٩٧٧ - ١٠٩٨ م

الدولة الفاطمية وتسمى ايضاً العبيدية (نسبة الى عبيد الله المهدي) وهي احدى الدول الاسلامية الكبرى استقلت استقلالاً تاماً في مصر وسورية .

عاصمتها القاهرة . عدد خلفاءها اربعة عشر ينتسبون الى قاطمة الزهراء ابنة النبي ، عن طريق جعفر الصادق .

اول من ظهر بالدعوة منهم عبيد الله المهدي - وكان قد فر من السجدة بالقرب من حصن الى المغرب خوفاً من ايقاع العباسيين به وبدعوته - واعاقته على نيل الخلافة ابو عبد الله الشيعي ، ولما استلب له الامر قتله كما قتل المنصور ابا مسلم الخرساني .

وفي سنة ٣٦٦ هـ = ٩٧٧ م . كانت شوكة هذه الدولة قد قويت في ايام المعز ، فدخلوا مصر بواسطة قائدهم جوهر الصقلي كما استولوا على جنوبي سورية ولبنان .

من آثارهم بناء مدينة القاهرة والجامع الازهر .

ومكث الفاطميون يحكمون مصر وسورية ولبنان حتى قضى عليهم صلاح الدين الايوبي مؤسس الدولة الايوبية .

بلدنا خلال هذه الفترة

يذكر الاستاذ شاكرو مصطفى في كتابه « في التاريخ العباسي » ان الاقاليم في عهد العباسيين كانت على الشكل التالي :

١ - جزيرة العرب وتشمل الحجاز (ومركزه المدينة) واليمن (ومركزه صنعاء) وعمان هجر .

٢ - العراق ويشمل الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وحلوان وسامراء حتى جنوبي الموصل .

٣ - الجزيرة - العراق الشمالي - وفيه ديار ربيعة (مركزها الموصل) وديار مصر (مركزها الزقة) وديار بكر (مركزها آمد) .

٤ - الشام وتضم خمس مقاطعات : قنسرين (وعاصمتها حلب) ومعهها انطاكية والاسكندرونة . ثم حمص وتشمل ما بين تدمر الى سواحل اللاذقية . ثم دمشق ومعه الساحل من طرابلس الى صيدا . ثم الاردن ومركزه طبرية ومعه صور وعكا وبيسان . ثم فلسطين ومركزها الرملة وفيها يافا والقدس وغزة وقيسارية وأريحا وعمان والشرارة حتى قبوك .

٥ - مصر .

٦ - افريقيا وقصبتها القيروان .

٧ - ما وراء النهر وفيه فرغانة وفاراب وأشروسنة وبخاري .

٨ - خراسان وقصبتها مرو .

٩ - الديلم وتشمل جرجان وطبرستان .

١٠ - ارمينية .

١١ - ايران الغربية - الري ومزدان وأصفهان .

١٢ - خزستان .

١٣ - فارس وفيها شيراز واصطخر .

١٤ - كرمان .

١٥ - السند وتشمل افغانستان وبلوخستان وحوض السند .

شعر السوريون واللبنانيون بأقول نجمهم منذ أن انتقل مركز الخلافة من دمشق الى بغداد ولمسوا بوادر التفرقة الدينية والعنصرية تعصف في جنبات بلادهم فاستكانوا للقوة على مضض منتظرين الفرصة السانحة للوثوب ، وهم الذين كانوا ركن الدولة الأموية العربية المتين . والأباة الذين ما تعودوا الرضوخ للظلم - لا سيما وأن موقفهم اخذ يتطور مع مرور الايام من سني الى أسوأ

حتى تركهم محرومين من مناصب الدولة . وكذلك النصارى فقد ساءت احوالهم بسبب التآدي في ابتزاز اموالهم وزيادة الضرائب عليهم . وما زاد الطين بلة أن الخليفة المأمون أمر بمسح اراضي سورية ولبنان مسحاً جديداً ، فرض بموجبه على الاهلين جميعاً الضرائب الفادحة ولذا فقد كثرت الثورات في بلادنا وأعظمها تلك التي اعلنها في اواخر عهد الامين المضطرب ، رجل اسمه علي بن عبد الله المعروف بالسفياني اذ رفع العلم الابيض - العلم الاموي - وأزال العلم الاسود ، شعار العباسيين . وكان هذا التأثير من العلماء وله من العمر تسعون عاماً فاستطاع ان يجمع حوله جماعة من المؤيدين بينهم حاكم صيدا سنة ٨١٢ م وسار مع انصاره الى حمص فاحتلها ثم حاصر دمشق ودخلها بعد ان طرد عامل العباسيين منها .

ولكن هذه الثورة لم تدم اكثر من ثلاث سنوات انتهت بقتل السفياني وتشتت انصاره وعودة البلاد الى الحكم العباسي في عهد المأمون سنة ٨١٥ م .

الحافظ الصيداوي

من اشهر من نسب الى صيدا في هذه الحقبة ، ابن جميع وهو ابو الحسن محمد ابن يحيى بن عبد الرحمن بن جميع الفساني الحافظ الصيداوي ، رحل في طلب الحديث الى مصر والعراق والجزيرة وفارس وسمع فأكثر ، وجمع لنفسه معجماً لشيوخه .

ومن روى عنه عبد الغني بن سعيد الحافظ وهو من اقرانه وتقام بن محمد وأبو عبد الله السوري وعبد الله بن ابي عقيل وأبو نصر بن طلاب وغيرهم . وقد كان من الاعيان والأئمة الثقات ولد سنة ٣٠٥ هـ . ٩١٧ م ومات بصيدا في رجب سنة ٤٠٢ هـ . ١٠١١ م . وأكثر ما يقال له الصيداوي .

حالة صيدا السياسية خلال هذه الحقبة

لم تعد لصيدا منذ ان أقل نجم الدولة الاموية المكانة التي كانت تتمتع بها سابقاً ، ولم يعد لبحارتها اساطيل تمخر بهم عباب اليم ، بل عم البؤس ارجاءها ومن كان يعيش في بسطة من العيش أصبح في عوز إذ وقفت الحركة التجارية فيها وغادرها النشيطون من ابناءها يبحثون عن عمل في مناطق وعواصم الولايات فاذا بها تصبح قرية كبيرة ومحطة للمسافرين على الساحل . وما شل في عضدها تنأحر الولاة وحروبهم مع بعضهم . فمن حروب الطولونيين مع البيزنطيين الى غزوات الاخشيديين للحمديانيين - وما اصاب البلاد الواقعة بينها من خراب وسلب ونهب - الى مهاجمة القرامطة للبلاد ومجيء الفاطميين واحتلالهم صور وصيدا . ومن ثم مهاجمة البيزنطيين البلاد السورية واحتلالهم عدداً من المدن الساحلية كطرابلس وبيروت وصيدا سنة ٩٧٩ م والداخلية حلب ودمشق سنة ٩٧٦ وأنطاكية التي ظلت في ايديهم الى ما بعد سنة ١٠٠٤ م ...

هذا الفقر الذي اصاب البلاد ، ومردّه للمبدأ القائل « فرق تسد » الذي اتبعه الفاطميون في الحكم اذ كانوا يبدلون ويفيرون ، وينقلون ولاتهم وعمالهم الذين جعلوا هدفهم ابتزاز اموال الرعية بجميع الطرق ويرتكبون كافة ألوان الفساد والظلم مما زاد الطين بلة وجعل الاهلين يتمنون الخلاص .

بشارة الاخشيدي

ومع ذلك فقد وفق الفاطميون في اواخر القرن العاشر الى رجل شد من ازرم في منطقتنا الصيداوية فخدم مصلحتهم بكل قواه واتبع مع خصومهم وخصومه طريقة العباسيين في التخلص من الامويين ، ذلك هو بشارة الاخشيدي (٩٩٨ م) الذي تنسب اليه بلاد بشارة (جبل عامل) .

اكتسب بشارة بدهائه ثقة البلاد ورجالاتها فوطد دعائم الامن وقطع دابر زعماء المعارضة للنظام الفاطمي اذ قتل ما ينيف على مائتي شاب دفعة واحدة كما نفى كثيراً من الاهلين الى مصر ...

ومن الثورات التي اشتعلت في هذه الفترة ضد الفاطميين ثورة مدينة صور تحت امرة البحار الصوري علافة ٩٩٧ م اذ استأثر بالسلطة في المدينة بعد ان قضى على القوة الفاطمية فيها وضرب النقود باسمه ولكن سرعان ما غلب على امره بالرغم من نجدة البيزنطيين له فأخذ اسيراً الى مصر حيث سلخ حياً وحشي جلده بالتبن .

والطغيان الديني والسياسي الذي سار عليه الفاطميون زاد في شل حركة الادارة وتقلص ظل الولاة عليها مما حدا بقبائل عرب الشام الى اقتسامها فتال بنو الجراح فلسطين وبنو كليب دمشق وبنو كلاب حلب اذ أسسوا فيها الدولة المرادية وبنو عمار طرابلس وبنو عقيل صور وصيدا وكانت هذه الحكومات الوطنية في اصطدام دائم مع جيوش الفاطميين .

وظلت هذه حالة البلاد ، فوضى مستمرة ، وخراب اثر خراب حتى قبض الله للدولة الفاطمية سنة ٤٦٣ هـ - ١٠٧٠ م رجل ارمني الاصل اسمه بدر الجمالي وكان حاجباً عند صاحب دمشق ، فلما مات مولاه توجه الى مصر فعينه الخليفة الفاطمي المنتصر والياً على عكا فأجرى العدالة بين الشعب مما أطلق ألسنة الرعية بالدعاء له الامر الذي دفع بالخليفة لاستدعائه ثانية الى مصر ليشرف على تدبير احوال الخلافة ، وحظي هذا من الخليفة بمكان عال وتمكن ببره وجزية من التغلب على العصاة امثال ابن عمار في طرابلس وابن معرف في عسقلان وبنو عقيل في صور وجوارها فاستتب للدولة الفاطمية الامر .

في هذه الاثناء ظهرت الدولة السلجوقية في بغداد ، واخذت تستولي على

كثير من المدن الشامية مما دفع بدر الجمالي الى ارسال القائيد نصير الدولة الى دمشق بعد ان استولى عليها السلاجقة سنة ١٠٧٥ م فاستولى عليها ولكنه سرعان ما انسحب منها الى جنوب سورية .

بدر الجمالي في صيدا

ما ان وصلت انباء تراجع القوات الفاطمية من دمشق حتى هيا بدر الجمالي جيشاً كبيراً على رأسه كبار قادته وارسله الى الديار الشامية عن طريق الساحل فتمكن من استرجاع مدينة صور من ايدي اولاد القاضي عين الدولة بن ابي عقيل ، ثم توجه الى صيدا ففتحها ومكث فيها بضعة ايام ريثما ضبط الامور وولى على صور وصيدا منير الدولة على ان يقوم بضبط الاحكام فيها بجيش من بطانته .

منير الدولة

ما ان وصلت الى منير الدولة الانباء باستيلاء الافرنج على جزيرة صقلية حتى انتقض هذا على سيده الجمالي فأعلن عصيانه واستقلاله عنه سنة ٤٨٦ هـ = ١٠٩٣ م فأرسل اليه امير الجيوش العساكر التي ما ان وصلت الى القرب من صور حتى ثار على الوالي الاهلون فتمكن القائد الفاطمي من القاء القبض على منير الدولة وأرسله الى مصر حيث قتل . وتوفي امير الجيوش بدر الجمالي سنة ٤٨٧ هـ = ١٠٩٤ م في شهر ربيع الأول وعمره ٨٠ / سنة .

الحالة الفكرية

حفل العصر العباسي ودويلاته بالعديد من الادباء والعلماء والشعراء واغلبهم نبغ في سورية ومن اشهرهم: ابو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف ، وابو الطيب المتنبي الشاعر الحكيم الأبي ، وابو فراس الحمداني والفارابي الفيلسوف الكبير

وابو تمام والبحثري وقسطا بن لوقا الفيلسوف البعلبكي وناقل العلوم اليونانية الى العربية والفيلسوف الغزالي .

الصناعة والتجارة

الاضطرابات الاجتماعية والسياسية والدينية التي عمت البلاد خلال هذه الحقبة من الزمن وما نتج عنها من تلبل بال الحال لا يتفق مع رواج سوق التجارة والصناعة . ومع ذلك فان بعض المدن كصور وصيدا ودمشق وحلب وحمص ظلت تصنع الأقمشة الثمينة والزجاج بأشكاله الجميلة وكافة انواع الأسلحة الجميلة وتصدرها الى خارج البلاد ولكن بصورة محدودة وضئيلة عما سلف من الأزمنة .

الحالة الدينية

المسيحيون - تعتبر هذه الحقبة فترة اضطهاد ديني من قبل السلطة العليا للمسيحيين . فالقوانين الجائرة التي أصدرها المتوكل حبست الأنفاس على النصارى ، وجاء اضطهاد الحاكم بأمر الله الفاطمي لهم وهدمه كنيسة القيامة ثالثة الأثافي مما زاد في عمق الهوة بين طبقات الشعب المتباينة العقائد والمذاهب والتي لم تكن تعرف التفرقة المذهبية بشكلها القبيح ايام حكم الأمويين للبلاد . وهذه الاضطهادات هي احدى المسببات التي أدت الى قيام الحروب الصليبية وما نجم عنها من سفك للدماء وإزهاق للأرواح واستباحة للأموال وخراب للبلاد ...

المسلمون

في هذه الحقبة نشأت المذاهب السنية الأربعة :

١ - المذهب الحنفي : نسبة الى ابي حنيفة النعمان ٧٦٧ م .

٢ - المذهب المالكي : الى مالك بن أنس سنة ٧٩٥ م .

٣ - المذهب الشافعي : الى محمد بن ادريس الشافعي سنة ٨١٩ م .

٤ - المذهب الحنبلي : الى احمد بن حنبل ٨٥٥ م .

وفي هذه الحقبة قوي التشيع للامام علي وذريته فأطلق عليهم اسم الشيعة وتفرع من الشيعة العديد من الفرق كالاسماعيلية والدروز « الموحدون » والعلويون والقرامطة ..

ما ظهرت في هذه الحقبة فرقة المعتزلة التي قالت بخلق القرآن وفرقة المرجئة التي تقول: « لا تضر مع الايمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة » .

جمال صيدا

وفي القرن الخامس الهجري (الحادي عشر ميلادي) مر الرحالة الفارسي المشهور ناصري خسرو في صيدا فقال عنها في كتابه سفرنامه ص ١٤ - ١٥ ما يلي :

« ثم توجهنا الى مدينة صيدا وهي على شاطئ البحر بزرع فيها قصب السكر بوفرة وبها قلعة حجرية محكمة يلج اليها بواسطة ثلاث بوابات وفيها مسجد جمعة جميل يبعث في النفس هيبة تامة ، وقد فرش بالحصير المنقوش .

وفي صيدا سوق جميل نظيف وقد ظننت حين رأيته انه زين خاصة لمقدم السلطان او لأن بشري سعيدة أذيعت ، فلما سألت قبل لي هكذا عادة هذه المدينة دائما وفيها حدائق وأشجار منسقة حتى لتقول ان سلطانا هاويا غرسها ...

وكان الحجاج المسيحيون عند رجوعهم الى الغرب يروون المدهشات
ويصورون لمواطنيهم حالة المسيحيين الشرقيين في افجع الحالات وأدماها
ويهيئون بالنبل الى انقاذ قبر المسيح من تسلط المسلمين .

اسباب الحروب الصليبية

إن هذه الحروب الدامية التي ذهبت بلايين الارواح وأغرقت اوروبا
وبلادنا بسيول من الدمار والويلات وجرت ذبول الخراب طيلة قرنين من
الزمن ، تعود لأسباب عديدة مختلفة الوجوه متنوعة النزعات ، منها ما هو
ديني ونفسي ومنها ما هو سياسي واقتصادي ، ومنها ما يجمع الامرين معاً .

ونحن نجتزئ الأسباب الكثيرة فيما يلي :

١ - قيام الدولة السلجوقية وتضخمها السريع في فلسطين ولبنان وسورية
وآسيا الصغرى بعد ان سحقت جيوشها جيوش بيزنطية واستولت على امهات
مدن الاناضول (ازمير وقونية) وبعض جزر الارخبيل مما شكل خطراً
كبيراً على اوروبا المسيحية التي رأت فيها سيفاً مسلطاً على الغرب وسداً في
وجه الحجاج الى فلسطين .

٢ - جزع الامبراطورية البيزنطية وخوفها من الانهيار دفعها للاستنجاد
بشعوب الغرب الغنية واستدرا عطف بابا رومية الذي رأى في مؤازرة
الامبراطورية الشرقية الارثوذكسية فرصة سانحة لربط مسيحيي الشرق بكرويه
بعد الانشقاق التام الذي جرى بين الكنيستين الشرقية والغربية سنة ١٠٥٤م .

٣ - تضخم النظام الاقطاعي في الغرب الى حد غير معقول ، جر معه
الى الشعب الاوروبي التضعف الادبي والمادي والحروب والمنازعات ، وعبثاً
حاولت الكنيسة تخفيف هذه الويلات والحروب فلم تتمكن من ازالة الازمة
الاقتصادية الآخذة بخناق الشعب لذلك عمدت الى تحويل الحروب الأهلية

الفصل السادس

الحروب الصليبية وأسبابها

(١٠٩٨ - ١٢٩٢ م)

حالة بلادنا قبيل الحروب الصليبية

إن نكاثر الدويلات المستقلة في البلاد وتعدد البدع والنحل من اسماعيليين
وزيديين وعلويين وشيعيين وقرامطة جعل بلادنا ممزقة الاوصال متضععة .
فالشعب متململ وقد توالى عليه المظالم والاحن اجيالاً متطاولة والحاكم تلو
الحاكم ، والفاتح اثر الفاتح يحرق وراءه جيوشاً نهمة لا تعرف سوى النهب
والسلب والسبي والاستباحة ولا هم لهم الا ابتزاز المال وعصر هذا الشعب
المستكين لاستنزاف دمه . كل هذا جعل ابواب بلادنا مفتوحة على مصراعها
لاقتبال سيطرة كل فاتح جديد . وبدلاً من ان تتكاتف هذه الاعتبارات
السياسية والدينية وتتحد عصبة واحدة في وجه الغازي الغريب ، نراها
تتناهض وتنبذ جانبا كل فكرة اتحاد وتتسابق الى اكتساب رضى الامر العتيد
وإحراز عونه للايقاع بمنظريها .

الاوروبية تدريجياً الى حرب موجبة ضد عدو الدين - كما قالت - فاتحة باب الجهاد على مصراعيه امام المجاهد ليعمل (في صفقة واحدة) لدينه ودينياه فيأمن غوائل الجوع وينال الثواب في الآخرة (مجمع كليرمونت ١٠٩٥ م) .

٤ - حب المغامرة لدى الفرنجة وهم أبناء وأنسال تلك القبائل البربرية الهوجاء التي انقضت على المملكة الرومانية فدكت مدينتها وقد أصبحت تلك القبائل في هذه الحقبة تشكل ممالك وامارات مختلفة واقطاعات وهمية لا تسمن ولا تغني من جوع فوجدوا في الشرق سحره وكنوزه مما حجب اليهم الغنى السريع عن طريق ظنوها سهلة المنال .

٥ - كرازة بطرس الناسك اثر عودته من فلسطين ووصفه حالة المسيحيين هناك بشكل مؤثر وقد طاف بأمر من البابا في اصقاع اوروبا ببلادة وحرارة ما يرسف به المسيحيون من سلاسل الرق والهوان والعبودية غير ان تأثير بشارته لم يكن لها الاثر الفعال الذي اعاره اياه بعض المؤرخين السطحيين .

الحملة الاولى ١٠٩٥ - ١٠٩٩ م

تمتاز هذه الحملة بأنها دينية بحتة وان كان فيها اقوام من الرعاع وحشالة الشعوب الذين يسعون وراء المكاسب المادية والمطامع الشخصية . وكان قادتها غودفروا دي بويون الفرنسي وشقيقه بودوان من امراء الفلاندر وبوهيموند النورمندي وابن اخيه تنكريد الايطالي وريموند دي تولوز .

اتبعت هذه الحملة بمعظمها طريق البر فاحتلت الرها في سنة ١٠٩٨ م وأنشأت فيها اول اماراة صليبية . تولى امارتها بودوين شقيق غودفروا ثم فتحت مدينة انطاكية سنة ١٠٩٨ م وأنشأت فيها اماراة انطاكية التي أنيط حكمها بالأمير بوهيموند ومن ثم توجهت الى القدس .

الصليبيون عند صيدا

وصل غودفروا دي بويون وجيشه الى الحدود اللبنانية الساحلية فاستقبله الموارنة وآزروه وأمدوه بالمؤن والأغذية ونظراً لما أصيب به من خسائر في اشتباكاتة السابقة مع قوات المسلمين فقد وضع خطته القاضية بالسير على الشواطئ اللبنانية دون ان يفكر بالاستيلاء على المدن الساحلية جاعلاً نصب عيفيه الوصول بقواته سالمة الى فلسطين ولما وصل الى صيدا في ١٩ أيار سنة ١٠٩٩ م وتوقف عند أبوابها تعرضت له القوات المدافعة عنها فحدثت الاشتباكات التي انتهت بأن قبل أهل صيدا ان يدفعوا جزية سنوية للصليبيين مقدارها ٢٠٠٠ دينار على ان لا تمس مدينتهم . وعلى ذلك بارح الصليبيون ضواحي المدينة في طريقهم الى يافا فالرملة ومنها الى القدس التي حاصروها ٣٩ يوماً تمكنوا بعدئذ من احتلالها في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩ م وأجروا فيها من الفظائع ما تأباه الانسانية ، اذ ذكر بعض المؤرخين ومنهم أجنبان ان عدد القتلى بلغ في القدس وحدها ٧٠ ألف نسمة .

وفي القدس تشكلت مملكة الصليبيين الأولى وارتقى عرشها غودفروا دي بويون فلم يمكث أكثر من سنة ثم توفي وخلفه اخوه باسم بودوين الاول (١١٠٠ - ١١١٨ م) .

في الطريق الى صيدا

سار ريمون دي تولوز من طرابلس الى بيت المقدس بقصد الحج سنة ١١٠١ م فوصلت أخباره الى الأمير عضد الدولة الارسلاني حاكم الساحل فجمع هذا رجلاً من بيروت وصيدا وصور وعكا وتوجه بهم الى نهر الكلب ليقطع الطريق عليه فاستنجد ريمون بالملك بودوين ففر عضد الدولة برجاله الى بيروت . وبلغ ذلك شمس الملوك دقاق ملك الشام فكتب الى الأمير كتاباً يوليه به على

صيدا ويأمره بتحسين كل من صيدا وبيروت وللحال ارسل عضد الدولة من قبله الامير مجد الدولة محمد بن عبيدي من بني عبد الله الى صيدا نائباً وبدأ هذا في تحسين بلدته واعداد العدة للدفاع عنها .

بودوين امام صيدا

ورأى بودوين الاول انه اصبح من المتوجب عليه ان يتوسع بمحدود مملكته نحو الشمال ، فأرسل جيشاً الى صيدا سنة ١١٠٧ م لاحتلالها . ولكن حامية المدينة بقيادة الامير مجد الدولة قاومت الغزاة بضراوة الأمر الذي أكره المهاجمين على عقد صلح مع المدينة فالوا بموجبه جزية اكبر من السابقة ، ومنع هذا فان بودوين لم يقتنع بها بل جاء بنفسه على رأس جيش قوي في اواخر تلك السنة وضرب الحصار على صيدا ولكنه ارتد عنها مكرهاً للمرة الثانية امام المقاومة العنيفة التي أبداهها الامير مجد الدولة ورجاله الابطال .

فتح صيدا

وفي عام ١١١٠ هياً بودوين حملة كبيرة تولى قيادتها بنفسه وأوكل الحكم في القدس الى برتران دي سانت جيل وتوجه الى بيروت رأساً حيث وضع عليها الحصار في اواخر شباط وتمكن في ١٣ ايار سنة ١١١٠ م من احتلالها بالرغم من مقاومة الفاطميين الضارية آنشد ...

وبعد ان استتب الامر لبودوين في بيروت ونظم شؤون الحكم فيها ، عاد بقواته نحو الجنوب وبغيته تنصب على احتلال صيدا مهما كلفه الثمن ..

وصلت جيوشه الى مقابل صيدا في اواسط شهر تشرين الاول سنة ١١١٠ م فوضعت عليها الحصار وشدت الخناق طيلة اربعين يوماً دونما نتيجة ولكن وصول القوات البحرية الكثيرة من جنوى والبندقية بالاضافة الى الستين مركباً

بحرياً نرويحيماً التي كان يقودها الامير النرويحي سيمون مع عشرة آلاف محارب ومجيه الكونت برتران المعين حاكماً على طرابلس مع قوات جديدة ، ضيق الخناق على صيدا فاضطرت الى الاستسلام للصليبيين ودخلها بودوين فاتحاً في ٤ كانون الاول سنة ١١١٠ م بعد ان قضى على الحامية فيها .

اما ابن الاثير فيفصل احتلال صيدا كما يلي :

« في ربيع الآخر سنة ٥٠٤ هـ - ١١١٠ م . ملك الفرنجة صيداء من ساحل الشام وسبب ذلك انه وصل الى الشام ستون مركباً للفرنجية مشحونة بالرجال والذخائر مع بعض ملوكهم ليحجوا الى بيت المقدس وليغزوا المسلمين فاجتمع بهم بلدوين ملك القدس وتقررت القساعة بينهم ان يقصدوا بلاد الاسلام فرحلوا من القدس ونزلوا مدينة صيداء ثالث ربيع الآخر من هذه السنة وضايقوها برأً وبحراً وكان الاسطول المصري الفاطمي مقيماً على صور فلم يقدر على انجاد صيداء فصنع الفرنجة برجاً من الخشب وأحكموه وجعلوا عليه ما يمنع النار والحجارة عنه وزحفوا به . فلما عين اهل صيداء ذلك ذلك ضعفت نفوسهم وأشفقوا ان يصيبهم ما اصاب اهل بيروت فأرسلوا قاضيها ومعه جماعة من شيوخها الى الفرنجة وطلبوا من ملكهم الامان ، فأمنهم على انفسهم وأموالهم والعسكر الذي عندهم ومن اراد المقام به عندهم امنوه ، ومن اراد المسير عنهم لم يمنعه وحلف لهم على ذلك . فخرج الموالي وجماعة كثيرة من اعيان اهل البلاد في العشرين من جمادي الاول الى دمشق وأقام بالبلد خلق كثير تحت الامان .

وكانت مدة الحصار سبعة وأربعين يوماً ورحل بودوين عنها الى القدس ثم عاد الى صيداء بعد مدة يسيرة فقرر على المسلمين الذين اقاموا بها عشرين ألف دينار فأفقرهم واستغرق اموالهم .. (ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٣٦ - ٣٣٧) .

ويروي احد المؤرخين الثقة ان بودوين كاد يقع فريسة سهلة في يد خادمه الذي كان مسلماً فتنصر سعيًا وراء اغتيال الملك . ولكنه فشل في مسعاه اذ اكتشف امره قبل تنفيذ امنيته وقتل ...

بارونية صيدا

عين بودوين على صيدا حاكماً جديداً هو الشفالييه اوستاش جزيفيه وأقطعه إياها بعد ان أتبعها بملكة القدس وجعلها بارونية كما أقطع مدينة بيروت الى اسرة ديبلين ...

ونتيجة لانتصار بودوين العسكري في صيدا واحتلال خلفائه لمدينة صور في ٧ تموز سنة ١١٢٤م. فقد ألحقت أسقفيات صيدا وصور وبيروت ببطريركية القدس بعد ان كانت تخضع لبطريركية انطاكية تبعاً للتقسيمات السياسية . لأن مملكة اورشليم الصليبية كانت تمتد من نهر الكلب شمالاً الى صحراء سيناء وخليج العقبة جنوباً وتشمل بارونيات القدس ، نابلس ، عكا ، صور ، صيدا ، يافا ، والكرك . وكان من أمنح حصون هذه المملكة قلعة الشقيف الواقعة الى الجنوب الشرقي من صيدا وقلعة بانياس وحصن الكرك في شرق الاردن.

وكانت حدود بارونية صيدا تمتد شمالاً حتى الدامور وجبل الكنيسة والى الشرق والجنوب تمتد حتى مسيل الليطاني وألحق بهذه البارونية نيايات عدلون وساريتا والشوف وجزين ومنطقتي مرجعيون وحاصبيا .

ويذكر جاك نانتي في « تاريخ لبنان » ان صيدا لعبت دوراً هاماً وبارزاً خلال هذه الفترة من حكم الصليبيين ، اذ تمت مواردها وكثر سكانها وأصبح لها شأن كبير في تموين وتعزيز القوات الصليبية الموجودة في بقية مناطق المملكة .

قبيلة ربيعة

في اوائل القرن الثاني عشر دخل لبنان قبيلة عربية متحدرة من قبيلة ربيعة يرأسها الامير معن الايوبي ونصبت خيامها لاول وهلة بالقرب من دير القمر على عين المزاريب. وفي عام ١١١٨م اصبح المعنيون سادة هذه القياقي التي كان يقطنها الدروز فاتصلوا بالتنوخيين ومنهم أخذوا المذهب الدرزي . وبعد وفاة الامير معن ورثه في الحكم ابنه الامير يونس الذي كان يقف مع قبيلته سداً منيعاً في وجه الصليبيين يمنعهم من التغلغل في الجبل اللبناني .

وخلال هذه الفترة نزح الى صيدا وجوارها عدد من الدروز فاستوطنوا فيها وعاشوا بسلام وأمن مع اخوانهم سكان المنطقة .

المجتمع الصيداوي

الصليبيون الأجانب هم السادة ويليهم في المرتبة السكان المسيحيون اذ اعتبرهم الصليبيون حلفاءهم الامناء ما عدا الارثوذكس منهم الذين رفضوا الخضوع لسدة البابا فعوملوا معاملة قاسية واضطهد رجال دينهم وأهينوا وفرضت عليهم الضرائب المحقة التي اثقلت كواهلهم مما دفع بغالبيتهم الى النزوح من البلاد الساحلية واللواذ بالمناطق الداخلية التي لم يحتلها الصليبيون مفضلين الخضوع للمسلمين على تغيير مذهبهم اما من بقي منهم فبعضهم تحمل الاساءة ولم يغير عقيدته والبعض الآخر أعلن الخضوع للكرسي البابوي فشكّلوا نواة الملكيين الكاثوليك . وهكذا تضاعف عدد المسيحيين في صيدا الى اقل من نصف السكان بينما كان عددهم قبل ذلك يناهز الثلثين (جاك نانتي - تاريخ لبنان) .

ويأتي في الدرجة الثانية بعد المسيحيين المسلمون المستوطنون الذين فرض

عليهم الصليبيون الضرائب المرهقة وقفنوا في جبايتها تسديداً لنفقات
جيش المحتلين .

أما الجالية اليهودية فتأتي في المرتبة الثالثة وكان عددها في صيدا
ستون عائلة تعمل جميعها في التجارة والصيرفة والسمسرة والصباغة وبيع
المجوهرات وكانوا يؤدون الضرائب المفروضة عليهم للفاحين واكلهم برعوا
في التهرب من تأديتها كاملة بأساليب لا يحاربهم بها احد فتارة يتظاهرون
بالفقر المدقع والعوز وأخرى بالتمرغ على الاعتاب والتزلف الى الحكام وثالثة
بتأدية الخدمات الخاصة ...

الفصل السابع

صلاح الدين الأيوبي

هو يوسف صلاح الدين بن أيوب حاكم قلعة تكريت في الجزيرة قرب الموصل . ولد في تكريت وفيها نشأ وتربى .

سار مع عمه أسد الدين شيركوه على رأس جيش أرسله نور الدين السلجوقي نجدة للخليفة الفاطمي في مصر ضد اموري ملك القدس فتمكن شيركوه من إيقاف الصليبيين موصداً في وجههم ابواب مصر ولذلك عينه الخليفة الفاطمي وزيراً له .

ولما مات شيركوه وليه في الوزارة ابن أخيه صلاح الدين وكان شاباً في العقد الثالث من العمر ذكياً شجاعاً حكيماً فتمكن بمقدرته العقلية والسياسية من تذليل كل العقبات التي كانت تحول دون وصوله الى السيادة العليا .

وما لبث الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله أن توفي سنة ١١٧١ م فاستتب الامر لصلاح الدين في مصر وحكمها باسم سيده نور الدين ونفسه تطمح الى الاستقلال التام بها . وحسن طالعها قبض نور الدين ملك الشام وكذلك اموري الملك الصليبي سنة ١١٧٤ م وبين وفاة الاثنين فترة شهرين فقط ، فخلا الجو



صلاح الدين الايوبي

لصلاح الدين في القطرين المصري والسوري وأصبحت سلطته ترمي بظلالها من
ضفاف النيل الى ما وراء الفرات معيداً الخطبة باسم العباسيين بعد ان توفي
آخر خليفة فاطمي في مصر .

وكان صلاح الدين - مؤسس الدولة الأيوبية - لعزة نفسه، يرى المملكة
اللاتينية قذى في عين العالم الاسلامي فأخذ يعمل على إزالتها وتسنى له ذلك

اذ كسر الصليبيين وأمرأهم شر كسرة في حطين - وهو سهل واقع بين طبرية والناصره - سنة ١١٨٧م ووقع في اسره الملك «غي دي لوسينيان» وعدد كبير من الاشراف بينهم «رينو دي شاتيلون» Renaud de Chatillon امير الكرك. ثم فتح بيت المقدس صلحاً بعد حصار قصير، على فدية جرت على الرجال والنساء فقط. وأظهر صلاح الدين عند فتح القدس من الشهامة وعزة النفس والارحية العربية ومكارم الاخلاق، ما يفصح عند المقابلة والمقارنة، مظالم الصليبيين واستباحتهم القدس وسكانها اثر فتحهم لها، اذ كانوا يكرهون العرب على إلقاء انفسهم من أعالي البروج والبيوت او يجمعونهم طمعاً للنار او يخرجونهم من الأقبية ويخرجونهم في الساحات ثم يقتلونهم فوق جثث الأدميين. وكانوا في كل بلد يدخلونه يقتلون من اهله ويخربون عمارانه ويحرقون كتبه ومتاعه وآثاره (المؤرخ الفرنسي ميشو، وأمين الريحاني في كتابه النكبات).

صلاح الدين يستعيد صيدا

بعه ان استولى صلاح الدين على مدينة القدس تابع زحفه على المدن الساحلية فاستولى على يافا وعكا وصيدا وبيروت وقد فتحها صلحاً في نفس عام ١١٨٧م وقد اصدر فور استلام صيدا امرأ بهدم حصونها خوفاً من عودة الصليبيين اليها.. ولم يبق بين أيديهم سوى صور وطرابلس وانطاكية وما اليها من معاقل وحصون. وكانت فلول الصليبيين قد تجمعت في مدينة صور فعمد صلاح الدين الى تضيق الحصار عليها فلم يتمكن من فتحها نظراً لمناعتها الحربية، ولوصول الأنباء اليه بمجيء الحملة الصليبية الثالثة التي يقودها اعظم ملوك اوروبا في ذلك العصر...

اما ابن الاثير فيروي احتلال صلاح الدين مدينة صيدا على الوجه التالي :

« واما صيدا فان صلاح الدين لما فرغ من تبين رحل عنها الى صيدا فاحتاز بطريقه الصرغند فأخذها صفواً بغير قتال وسار عنها الى صيدا وهي من مدن

الساحل المعروفة ، فلما سمع صاحبها بمسيره نحوه ، سار عنها وتركها فارغة من مانع ومدافع . فلما وصلها صلاح الدين تسلمها ساعة وصوله دون إراقة نقطة من الدماء . وكان ملكها للسمع بقين من جمادى الأولى سنة ٥٨٣ هـ = (١١٨٧ م) .

الحملة الصليبية الثالثة

انزعجت أوروبا وهاجت لما ألم بالصليبيين من ذل في حطين وسقوط بيت المقدس في أيدي المسلمين ، وقام رئيس أساقفة صور وليم الصوري - وهو من المؤرخين الثقات للحروب الصليبية - يدعو أوروبا ويستفزهم شعوبها للأخذ بالثأر واستعادة ممتلكات الصليبيين في الشرق ، فتألفت الحملة الصليبية الثالثة بزعامة ملوك أوروبا :

- | | |
|------------------------|-------------------------|
| ١ - فريديريك بارباروس | امبراطور المانيا |
| ٢ - فيليب اوغست | ملك فرنسا وثلعب الحملة |
| ٣ - ريكاردوس قلب الاسد | ملك انكلترا وبطل الحملة |
| ٤ - ليوبولد | ارشيذوق النمسا . |

والمؤرخ المذدق يجد في هذه الحملة كل ضمانات النجاح . فمن دهاء السياسة الى قوة البأس والبطش وكثرة العدد والعُد ما يكفل لها الفوز ، غير ان تعدد الرؤوس وفقدان وحدة القيادة وتأصل العداء بينهم جعل الحملة في مكان بعيد بالنسبة الى المسلمين وفيهم في شخص صلاح الدين ما في الفرجة مجتمعين من دهاء وحكمة وبأس وقوة . فضلاً على ذلك وحدة القيادة والزعامة والسياسة وهذه افضلية فيها كل عوامل النجاح .

وبنتيجة الحرب الصليبية الثالثة ، تمكن الصليبيون من احتلال عكا وقيصرية وعسقلان وصور بفضل البسالة التي أبداهم ريكاردوس قلب الاسد غير ان هذا

قعد عن فتح القدس لاختلافه مع زعماء الصليبيين فاضطر للمهادنة وعقد صلحاً مع صلاح الدين مدته ثلاث سنوات تتوقف خلالها الحرب . بين الفريقين ويعترف المسلمون بحق الصليبيين في تملك الشواطئ البحرية من يافا الى صور وعاد ريكاردوس الى بلاده ...

أما صلاح الدين فقد ارقى صحته ما قام به من حروب وجهاد وما عاناه من نوائب وملمات فعماد الى دمشق حيث توفي فيها سنة ١١٩٣ م ودفن في جوار المسجد الاموي ...

صيدا في ايدي الصليبيين ثانية

ما ان توفي صلاح الدين الايوبي وتقسام ابناؤه المملكة الكبيرة حتى دب الخلاف بينهم واشتعلت الحروب ، الامر الذي سمح للصليبيين المجتمعين في صور من تهينة حملة عسكرية تسلم زمام قيادتها ايحوا الثالث الملقب بالاعرج وانقضوا على مدينة صيدا التي كانت مخربة الحصون فتمكنوا من دخولها وأعلنوا ضمها اليهم . وقد تم ذلك عام ١١٩٨ م .

وظلت صيدا تحت حكم الصليبيين فترة من الزمن كما اعترف الملك العادل شقيق صلاح الدين الايوبي للصليبيين بحق الاحتفاظ بها سنة ١٢٠٤ م .

وتمكن المسلمون في عام ١٢٢٠ م من الوصول الى صيدا وعقدوا مع الصليبيين معاهدة تنص على اقتسام المدينة بينهما .

ويؤكد هذا ما ذكره ابن الاثير في تاريخه عن حوادث سنة ٦٢٠ هـ اذ يقول : « في هذه السنة - اي في سنة ٦٢٠ هـ - ١٢٢٣ م - خرج كثير من الافرنج من بلادهم التي هي في الغرب من صقلية وما ورامها من البلاد الى بلادهم التي بالشام عكا وصور وغيرهما من ساحل الشام فكثرت جمعهم وكان قد خرج قبل هؤلاء جمع

آخر أيضاً إلا أنهم لم يتمكنوا من الحركة والشروع في امر الحرب لأن ملكهم
الاماني ولقبه انبروز (امبراطور) ومعناه ملك الامراء ولأن المعظم كان حياً
وكان شهماً شجاعاً مقداماً . فلما توفي المعظم وولي بعده ابنه ملك دمشق طمع
الفرنجية وظهروا من عكا وصور وبيروت الى مدينة صيدا وكانت مناصفة بينهم
وبين المسلمين وسورها حراب فعمروها واستولوا عليها وازالوا عنها حكم المسلمين.
وانما تم لهم ذلك بسبب تخريب الحصون القريبة منها كتبتين وهونين وغيرهما .

وفي سنة ١٢٢٧م عمده الصليبيون الى تحصين صيدا تحصيناً قوياً فبنوا قلعة
البحر وسكنوها في عام ١٢٢٨م واقاموا على اسوارها الحامية والمخافر..

وفي عام ١٢٢٩م تمت المفاوضات بين فريديريك الثاني امبراطور المانيا وقائد
الحملة الصليبية السادسة ، والملك الكامل ناصر الدين وعقدت بينهما معاهدة ياقا في
١١ شباط سنة ١٢٢٩م اعترف بموجبها لفريديريك بالاستيلاء على بيت لحم
والناصرية وبحقه في حاكمية صيدا وتوابعها .

وعلى اثر عودة فريديريك الى بلاده اشتملت نيران الثورة بين الصليبيين
انفسهم فدارت رحى المعارك الطاحنة . ولم تأت سنة ١٢٤٣م على الاوروبيين
الا وكانت قواتهم ضعيفة متخاذلة .

ولم ينل الفرنسيون من جراء الحروب المشتعلة بينهم وبين المسلمين ،
وبينهم وبين بقية الاطراف الصليبية الاخرى الا الخسائر الكبرى في الارواح
والاموال في وقت جنى فيه الجنوبيون (المقيمون في جبيل وطرابلس والبنادقة
المقيمون في صيدا وصور) الارباح المادية الجزيلة لما اخذوه من نفائس البلاد
وكنوزها وما قاموا به من اعمال تجارية رابحة جداً ...

صيда تعود الى ايدي المسلمين

وكنتيجة للنزاع الواقع في صفوف الصليبيين واقتتلهم فيما بينهم تهباً المسلمون

للاقتضاض على صيدا في الوقت المناسب ، فقتلهم ذلك سنة ١٢٤٩م . فدخلوها
ودكوا اسوارها الى الخضم وفرت حامية المدينة ملتجئة الى صور .

عودة الصليبيين

... حاول الصليبيون اكثر من مرة استعادة مدينة صيدا ، ولكنهم باؤوا
بالفشل ، وفي شهر تموز سنة ١٢٥٣ جاء الملك لويس التاسع ملك فرنسا وجمع
شئات الفرنجة وحامياتهم وتمكن من استعادة صيدا سلماً ، فعمد الى تحصينها
وأحاط المدينة بسور ضخمة كما عمده الى ترميم قلعة صيدا البرية وأحاطها هي أيضاً
بسور متين .

وظلت صيدا في ايدي الصليبيين تنعم بالهدوء والاستقرار حتى ايام سلطان
المماليك البحرية الظاهر بيبرس البندقداري (١٢٦٠ - ١٢٧٤ م) الذي اشترك
في معركة عين جالوت ضد التتر وانتصر عليهم ثم غدر بالسلطان قطز وتولى
حكم مصر مكانه .

ومن اشهر اعماله محاربة الصليبيين ، إذ جهز عليهم عدة حملات قضت على
اقطاعاتهم المتلاشية وهاجم صيدا وفتك بأكثرية حاميتها واكنه لم يتمكن من
فتحها . لأن الدفاع المستميت الذي قام به فرسان الهيكل الذين سبق لهم ان
اشتروا صيدا من حاكمها جولييان سنة ١٢٦٠م صده عنها .

وظلت صيدا في ايدي الصليبيين حتى ايام الملك الأشرف (١٢٩٠-١٢٩٣م)
الذي آلت إليه مقاليد الحكم بعد وفاة ابيه السلطان قلاوون . فصمم هذا على
اقتلاع شوكة الصليبيين من جسم الدولة الاسلامية ، فسار بجيشه القوي وحاصر
عكا وضيق عليها الخناق مستخدماً ٩٢ منجنيقاً ، وفي ١٨ ايار سنة ١٢٩١م
تمكن من احتلالها ففتك بالهيكلين أشد الفتك وأعمل في أهلها النهب والسلب ثم
امر بهدمها فدكت أسوارها ومنازلها ، وهكذا أصبحت عكا قاعاً بلقماً .

وبسقوط مدينة عكا الحصينة تقرر مصير المدن الساحلية القليلة الباقية اذ اخلت صور في اليوم نفسه واستسلمت صيدا في ١٤ تموز سنة ١٢٩١ م اثر فرار الفرسان الهيكلين منها الى طرطوس فدكت اسوارها حتى الحضيض واستسلمت بيروت سنة ١٢٩١ م في ٢١ تموز . وصمدت ارواد بعدئذ ١١ سنة ولكنهما سقطتا وبسقوطها أسدل الستار على اروع فصل في تاريخ النضال بين الشرق والغرب .

وأقام المماليك لأجل حراسة السواحل البحرية بعضاً من عشائر التركمان والأتراك ليحولوا دون اتصال نصارى الجبل بالفرنجة الذين ظلوا يشنون الغارات خلال القرن الرابع عشر على السواحل ..

وفقدت صيدا أهميتها العسكرية . منذ ذلك التاريخ ولم تقم من عثرتها حق مجيء فخر الدين المعني الكبير في اواخر القرن السادس عشر ومطلع القرن السابع عشر ..

الفصل الثامن

نتائج الحروب الصليبية وأثرها

في الشرق والغرب

التفاعل الحضاري

الحروب الصليبية وما رافقها من شرور وويلات ذهبت بالآلاف من الأرواح البريئة أزهرت كلها باسم الدين الذي وكأنما أنزل للفرقة والانشقاق وليس لتوحيد القلوب وتآليفها - ولو شاء ربك لجعلها أمة واحدة - .

ويقول الدكتور فيليب حقي في كتابه تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، الجزء الثاني ، صفحة ٢٥٠ - ٢٦٣ ما خلاصته :

« لقد ابدع الصليبيون في روائع الاحداث وغرائب الوقائع ، الا انهم كانوا مدعاة لخيبة الأمل في ما أتى الفكر وما أثر الحضارة ، فكانوا من حيث فاعليتهم الحضارية ابعد تأثيراً في الغرب منهم في الشرق . ذلك انهم فتحوا امام بصائر الأوروبيين آفاقاً جديدة - صناعية وتجارية واستعمارية ، وكانت الدول التي

أقاموها من قبل الممالك الاستعمارية الحديثة ، وكان التاجر او الحاج آتئذ في مقام الجندي المسرح اليوم - أداة فمالة في نقل الحضارة ، على انهم تركوا في الشرق من النفور بين المسلمين والنصارى ما هو باقي الأثر حتى اليوم .

واننا لنوجز تأثير هذه الحملات فيما يلي :

١ - تأثيرها على بلادنا

أ - الهندسة البنائية : سجل بناء القلاع والحصون طرازاً هندسياً جديداً هو وليد الحكم الاقطاعي ، الذي أضر كثيراً بكنوز بلادنا الأثرية ، اذ ان الصليبيين اضطروا في تشييد معاقلم الى ذلك كثير من آثارنا القديمة وتقويض أركانها مما جعل بعض اسرارها يغمض فهمه حتى الآن ...

وأبرز ما خلفه الصليبيون من الآثار في بلادنا هو تلك الحصون العديدة التي لا تزال تتوج روابيها ، ومن أبرزها في صيدا حصن القديس لويس الذي ما برح قائماً في قلعة صيدا البرية . ويحيط بعد الحصون الكنائس . اعتمد الفرنجة في بناء الكنائس الطراز الروماني والطراز القوطي ، لكنهم اتخذوا لتزيينها الزخارف البيزنطية والسورية . فقلدوا كنيسة القيامة وقبة الصخرة في كثير من مبانيهم الكنسية ... ثم تحول كثير من كنائس الصليبيين بعد انقضاء ذلك العهد الى مساجد ، ومنها كنيسة صيدا التي بناها الفرسان الاسبتاريون في سنة ١١٣٥ م ، وتحولت اثر خروج الصليبيين سنة ١٢٩١ م من صيدا الى المسجد المعروف حالياً باسم الجامع الكبير « جامع البحر » وبنائه من الداخل يشهد بذلك .

ب - في المجتمع : ان النظام الاقطاعي الذي درج عليه الصليبيون في بلادنا لم يذهب بذهابهم منها ، بل بقي معمولاً به دهوراً وحقى يومنا هذا . وقد شاع استعماله كثيراً في العصر العثماني ، اذ اقطع السلاطين العائلات الكثيرة في لبنان

المناطق المختلفة ومنهم : آل ارسلان ، شهاب ، جنبلاط ، تلحوق ، تنوخ ، معن ، الحازن ، ابي المص ، آل عساف ، خرفوش ، حماده ، الاسعد ، وسوام .

ج - في اللغة : اما التأثير اللغوي فينبعصر في اقتباس بعض الكلمات والمفردات الجديدة ، فدرجت في لغة ابناء الضاد مثل : كلسات ، كرتينا ، دكان ، صفران .

٢ - الحالة الاجتماعية

كان الصليبيون يشكلون ثلاث طبقات :

أ - طبقة الاكثريوس ، وكانت تتمتع بامتيازات واسعة النطاق وكان بطريك القدس اللاتيني يقوم بحفلة تتويج الملك وإليه ترجع الوصاية على العرش في حالة وفاة الملك .

ب - طبقة النبلاء والاشراف ، كانوا يشغلون الوظائف الكبرى في الدولة ويملكون الثروات الطائلة والقصور الفخمة ويسيطرون على ألوف العبيد .

ج - طبقة الاحرار ، وهم الصليبيون الافرنج والجاليات الاوروبية وبعض ابناء البلاد الذين رضوا ان يعيشوا ضمن حدود المملكة الصليبية . وكان الاحرار تجاراً وصناعاً يعيشون في المدن ولا يخضعون لرجال الاقطاع ولهم الحق في اقتناء الاملاك والعقارات .

أما طبقة العبيد والفقراء وعامة الشعب ، فكانوا يحبون حياة معذبة شقية ويعملون في الزراعة عند اسيادهم ولطالما باعهم اصحاب الاملاك مع ممتلكاتهم . وكانت نظرة النبلاء والاقطاعيين اليهم كنظرتهم الى سقط المتاع .

٣ - القضاء في عهد الصليبيين

وكان لكل طبقة اجتماعية مجلس قضاء خاص بها . والمجالس القضائية على

نوعين : (١) مجلس محاكمة الصليبيين والافرنج ومجالس محاكمة الاوروبيين من غير الصليبيين و (٢) محاكم خاصة بأبناء البلاد الاصليين .

وكان في القدس مجلس قضائي أعلى يرأسه الملك ، وأعضاؤه من النبلاء وهو ينظر فقط في الدعاوى التي قد تنشأ بين الملك والاشراف او بين نبيل وآخر وكان الى جانب هذا المجلس محكمة كنسية للنظر في دعاوى الطلاق والزواج .

وكان للطبقة المتوسطة من الفرنجية محكمة خاصة بها تتألف من رئيس يعينه الملك ومن اثني عشر عضواً . وهو ينظر في الدعاوى الجزائية كالسرقة والقتل وفي الدعاوى المدنية كالدين والبيع والشراء .

وسمح الصليبيون فيما بعد للجاليات الاجنبية بإنشاء محاكم خاصة بها كما سمحوا ايضاً لسكان البلاد الاصليين بهذا الحق ايضاً . ولم تكن الحكومة الصليبية لتتدخل في شؤونهم الا اذ بدر منهم ما يعكر صفو الامن في البلاد .

التجارة والصناعة والزراعة

عرفت البلاد في عهد الصليبيين ولا سيما الاسكندرية البحرية فيها نشاطاً تجارياً عظيماً ورواجاً قلما بلغته من قبل وذلك لأسباب شتى منها : تخفيض الضرائب والمكوس التي كانت من اكبر العراقيل في سبيل انعاش التجارة والصناعة اذ وفدت على بلادنا جاليات عديدة من اكثر جمهوريات ايطاليا : البندقية وبيزنه وفلورنسا وجنوى ، ومن مدن فرنسا الجنوبية : مرسيليا - ومونبيليه . وأخذت الأساطيل البحرية تنقل الى أوروبا حاصلات آسيا على اختلاف انواعها : الخزف الدقيق الصنعة والزجاج الصيداوي الملون وأنواع التوابل والطيب ، وسكر القصب والانسجة الشرقية من حريرية وقطنية وصوفية وألوان الصباغة والعقاقير والمساحيق الكيماوية والادوية . وكانت عكا وصور وصيدا في طليعة المدن التجارية فراجت اسواقها أيما رواج وازدهت مرافئها ازدحاماً لم تعرفه

حتى في ازهى سنى تاريخها الفينيقي ... وكانت سهول صيدا وصور مركزاً رئيسياً لزراعة قصب السكر ولم يكن الصليبيون يعرفون السكر قبل قدومهم الى بلادنا بل كانوا يعمدون الى تحلية اطعمتهم بالعسل ...

٥ - الازياء والملابس والرياش

أما الازياء والملابس والرياش المنزلية الشرقية فقد اقتنع الفرنجية بأن الملابس الاهلية هي خير من ملابسهم . فأخذ الرجال منهم في ارتداء الجلبب الفضفاضة وستر رؤوسهم بالكوفية . وعمدت النساء الى لبس الشفوف المطرزة بالسكة (سقع) . والجلوس على الدواوين مصغيات الى الحان العود وأنغام الرباب ، حتى انهن عمدن الى اتخاذ الحجاب في المجتمعات العامة^(١) . وكان المحاربون والحجاج والتجار ، يعودون الى اوطانهم حاملين السجاد والبسط والمزركشات ، وهي من ضروب الخزاف البيتمية التي كانت المنازل في الشرق الادنى تحف بها منذ عهد عريق في القدم وازداد الطلب على المجوهرات التي تصنع في دمشق والقاهرة وصيدا وصور وكذلك المرايا الزجاجية التي حلت محل المعدنية واشتهرت صناعتها في صيدا منذ القدم . يضاف الى هذا ما رافق الاقمشة والمصنوعات المعدنية مما اتصل بها من الاصباغ لا سيما الالوان الجديدة نظير الليلكي والأحمر القرمزي والأرجواني ، وقلدوا كذلك صناعات الخزف والذهب والفضة والميناء والزجاج الملون ، وجميعها اشتهرت به مدينة صيدا .

٦ - الحالة الفكرية

لم تكن الخواطر إبان الحروب الصليبية في سكيئة وطمانينة للتفرغ الى الأدب ؛ والأمور العقلية هي أحوج ما تكون الى الراحة والطمأنينة نظراً لما تحتاجه من روية وأعمال فكر . ومع ذلك فقد نبغ في الطب والفلسفة والعلوم الرياضية والاجتماعية عدد من أشهرهم :

(١) ابن جبير ص ٣٣٣ .

١ - ابن المعبري (١٢٢٦ - ١٢٨٦ م) مؤرخ ضليح واسع الاطلاع في العربية والسريانية واليونانية له مؤلفات كثيرة جملة النفع في اللاهوت والفلسفة واللغة والأدب تشهد له ببعد الغور في هذه البحوث .

٢ - ياقوت الحموي (توفي سنة ١٢٢٩ م) من أكبر جغرافيي العرب ، له معجم البلدان وهو موسوعة في الجغرافية العالمية ومعجم الشعراء ومعجم الأدباء .
أما اللغات المتعارف بها في هذا العصر فهي العربية وهي لغة سكان البلاد وقلبها السريانية .

أما اللاتينية فهي لغة الكنيسة والمملكة اللاتينية في طقوسها ، وكانت الفرنسية لغة الأعيان والأشراف ، والإيطالية لغة الجاليات الإيطالية العديدة من التجار الذين هبطوا صيدا وصور وعكا وأنشأوا فيها أحياء خاصة بهم تمتعت زمناً بامتيازات واسعة .

الحقبة الثالثة

١٢٩١ - ١٦٩٧ م.

من عهد المماليك حتى نهاية المعنيين

الماليك

من هم الماليك ؟

هم عبيد من الأتراك والشر كس ، استأثروا بالسلطة والملك في مصر إثر المخطاط الدولة الأيوبية ، فأسسوا مملكة جمعت بين مصر وسورية . ويقسمون الى بحرية وبرجية ، وقد اشتهر بالاكثار منهم نجم الدين أيوب آخر ملوك الدولة الايوبية الذي خلفته امرأته شجرة الدر بعد وفاته على عرش المملكة كوصية على ابنه القاصر طوران شاه ، وعملت هذه بمساعدة أحد ماليك زوجها عز الدين ايبك ، على اغتيال ابنها . ثم عمدت بعدئذ الى قتل ايبك ، فشق ذلك على الماليك وثأروا لسيدهم بقتلها ، وأقاموا خلفاً له المملوك قطز الذي لقب باسم الملك المظفر قطز اول سلاطين الماليك البحرية التي دام حكمها من سنة ١٢٥٠ — ١٣٨١ م. وتولى السلطنة منهم ٢٥ سلطاناً .

أما دولة الماليك البرجية فقد حكمت من سنة ١٣٨١ — ١٥١٦ م. وبلغ عدد سلاطينها ٢٢ سلطاناً . وقد تميزت هذه الدولة بأن الحكم فيها لم يكن وراثياً بل انتخابياً يتولاه اشد الماليك سوءداً وأقوام ساعداً وأكثرهم بطشاً خلافاً للدولة البحرية التي كان الحكم فيها وراثياً .

ميزة هذا العصر

تميز عهد المماليك بفساد الأحكام وبتوالي ضروب العسف وأصناف المظالم لطغيان سلاطين هذه الدولة ولتكاثر ثوراتهم الدامية التي طالما أودت بملوكها إلى أشنع الميئات . ولعل هذا العصر اسوأ عصور تاريخنا لضياح العدل والحكمة فيه ولفقدان النصفة في القضاء . ولعله أيضاً أخصب العصور التي مرت بها بلادنا في الاقتتال والاستباحة والظلمات الصارخة وذلك لتأصل العداء والحزبية بين المماليك ، وحروبهم المتتالية ضد الخوارجيين والتتر ، وقلول الصليبيين التي كانت تهاجم المدن الساحلية من قبرص بين آونة وأخرى .

التشكيلات الادارية

قسم المماليك البلاد السورية واللبنانية إلى ست نيابات اقاموا على كل منها نائباً يتولى الشؤون الادارية والسياسية ..

واشهر نياباتهم كانت نيابة دمشق التي كان يتبعها مقاطعات :

- ١ - البقاع ومركزها بعلبك .
- ٢ - البقاع العزيزي .
- ٣ - مقاطعة بيروت .
- ٤ - مقاطعة صيدا التي كانت اكبر المقاطعات واكثرها امتداداً اذ كانت تشمل القسم الاكبر من لبنان الحالي .
- ونيابة طرابلس وتشمل مقاطعات عكار وجبة المنيطرة والضنية وشمال بشري .
- ونيابة صفد وتتبعها مقاطعة صور ..

صيدا واهم الحوادث التي مرت بها خلال هذه الفترة

اجمع المؤرخون على ان صيدا بلغت خلال عصر المماليك درجة كبيرة من

الانحطاط . فلقد هجرها التجار وتهدمت بيوتاتها من جراء الحروب المستمرة . وعمل المماليك بدورهم على افقار الشعب فساموه الذل والعذاب وارهبوا كاهله بالضرائب الباهظة وتنادوا في اظهار التعصب المذهبي اذ قتلوا اعداداً كبيرة من بقية الطوائف بحجة انهم يتواطأون على الدولة مع الاجانب ؛ ولذا فقد التجأ الكثيرون من المسيحيين والشيعية إلى الجبال حيث وجدوا بعض الراحة والأمن .

وصلت صيدا في هذه المرحلة إلى مرتبة وضيعة جداً ، ان في عدد سكانها أم في اقتصادياتها وعلومها وآدابها .

وذكر المؤرخ الايوبي ابو الفداء صاحب حماء في باب حوادث سنة ٧٢١ هـ - ١٣٢١ م ان صيدا مدينة صغيرة فقيرة على ساحل بحر الشام ، وفيها قلعة متهدمة بمحض الشيء وانها تحت ايلة الشام .

آل تنوخ حكام صيدا



احد اسواق صيدا القديمة العربية

ومنذ ان تولى المماليك حكم البلاد اللبنانية اناطوا حكم صيدا بآل تنوخ بعد ان ثبت لهم حسن بلائهم في الحروب ضد الصليبيين وكان ذلك في اوائل القرن الرابع عشر .

وفي سنة ١٣٤٢ م وزع المماليك الاوامر على النيابات بتجهيز الجيوش لاستخلاص الكرك وطلبوا من حاكم مقاطعتي بيروت وصيدا - وكان وقتئذ الامير ناصر الدين الحسين التنوخي - ان يهيئ من لدنه خمسمئة رجل للاشتراك في الحملة . فبادر الامير

المذكور لتجهيز رجاله وأناط قياضهم بشقيقه الأمير عز الدين الحسن الذي سار على رأسهم واشترك مع قوات النبلات في الحرب المشتعلة عند أسوار الكرك وأظهر أثناءها من الشجاعة والمهارة ما تحدث عنه الركبان وسقط شهيداً خلال المعركة . حدث ذلك في نيابة الأمير يلبغا الاتابكي نائب دمشق (اخبار الاعيان في جبل لبنان للشيخ طنوس الشدياق ج - ٢ -) .

وفي سنة ١٣٥٥ م = ٧٥٥ هـ ، مر بالقرب من بيروت اسطول للفرنجية فلم يتعرضوا لها بل توجهوا الى صيدا فنزلوا فيها بعد ان قتلوا عدداً كبيراً من اهلها ومن المدافعين عنها كما أسروا جماعة كبيرة منهم ، وبالمقابل فقد تمكن المدافعون من قتل عدد لا يستهان به من الفرنجية وبعثوا برؤوسهم الى دمشق حيث أمر النائب بتعليقها في القلعة وكانت بضعاً وثلاثين رأساً .

ووصلت هذه الأنباء الى الأمير شهاب الدين بن صبح نائب صفد فاسرع على رأس قوة من جيشه لنجدة حامية صيدا وسبق وصوله وصول العسكر الشامي وكان الاسطول الفرنجي على جزيرة صيدا ولما لم يكن لدى الأمير قطع بحرية لمطاردة الفرنجية عمد الى شراء اسرى المسلمين منهم بمعدل خمسمئة درهم عن كل شخص اسير ، واخذ مال القدية من ديوان الاسرى وبلغ ذلك ثلاثين الف درهم (ابن الاثير) .

وفي سنة ١٣٨٢ م = ٧٨٤ هـ هاجمت صيدا عمارة جنوبية فاحتلتها وبعد ان نهبت الكثير من بيوتها جلت عنها بعد ان دمرتها وعاثت في ارجائها (صالح بن يحيى - تاريخ بيروت وحاك ناتي : تاريخ لبنان) .

وفي سنة ١٤٠٤ م جاء الاميرال بوكيو كولت وركز اقدامه على شواطئ بيروت فاستسلمت له ثم انطلق الى طرابلس فأخذ منها الجزية الباهظة ، وعاد الى صيدا فأصاب منها غنائم كثيرة ثم غادرها عائداً الى بلاده . ومكنت صيدا

مع بقية الشطوط اللبنانية تتعرض بين حين وآخر الى مهاجمة قراصنة الصليبيين المعتصمين بجزيرة قبرص حتى عام ١٤٢١ م .

وكانت سياسة المماليك المتبعة في بلادنا تقضي بتدمير وهدم كافة التحصينات القائمة على السواحل اللبنانية وخصوصاً في المناطق التي تسكنها غالبية شيعية او مسيحية او درزية ؛ ولهذا كان من الطبيعي ان نراهم يعمدون الى تقويض كل التحصينات الموجودة في مدينة صيدا وازالتها من الوجود . وكذلك فعلوا بتحصينات مدينة بيروت وانها اعمالهم التدميرية بان خربوا المرافق فيها ايضاً وفعلوا الشيء ذاته في مدينة صور ، ثم احضروا جماعات من الاكراد والتركمان السني المذهب واسكنوهم على السواحل بين طرابلس وبيروت على اعتبار انهم موالون لحكم المماليك اولاً ونظراً للرابطه الدينية التي تربطهم بالحكام ثانياً ..

في هذه الفترة تزايد عدد الشيعة في ضواحي صيدا وفي صور ايضاً . كما ظهر في لبنان شكل الحكم الاقطاعي بأجلى بيان .

واشهر احداث بلادنا في هذه الفترة غزوة المغول تحت امره الطاغية الجبار تيمورلنك ، الذي بعد ان اكتسح بلاد فارس والناضول سنة ١٤٠٢ م وردت اليه دعوة من امراء سوريا المتناهبين ، فانحدر جنوباً وفتح حلب واستباحها نهباً وسبياً . ثم دخل دمشق عنوة واجرى على اهلها اصناف العذاب وهتك الاعراض واتي جيشه من المظالم ما تقشعر له الابدان . وزاد تيمورلنك في تعنته فأمر بنقل اصحاب المهن والصنائع من فنانين ومهندسين وصاغة من المدن السورية واللبنانية الى بلاده فكان عمله هذا ضربة قاضية على الصناعة الفنية في بلادنا .

الامير عز الدين صدقة التنوخي

وفي عام ١٤٤٤ م توفي الامير عز الدين صدقة بن عيسى بن احمد بن صالح بن الحسن البحري التنوخي في مدينة بيروت وكان جليلاً متقدماً على جميع الامراء

مسموع الكلمة عند الملوك والنواب وكافت حدود مقاطعته تمتد من طرابلس
حتى صفد وبيده مقاليد الحكم في بيروت وصيدا التي كلف بإدارتها بعض انسابه
من التتوخيين حتى انتهى حكمها الى الامير عثمان المعني سنة ١٤٧٦ م (اخبار
الاعيان لطنوس الشدياق) .

وفي عام ١٥٠٧ توفي الامير عثمان المعني ودفن في صيدا وهو والد الامير
فخر الدين المعني الاول حاكم لبنان .

الفصل الثاني

القبائل العربية المستوطنة قبل الفتح العثماني

كان لبعض القبائل العربية التي أقامت في بلادنا من الشأن والنفوذ ابان عصر
المماليك وفي ايام العثمانيين وعلاقتهم الوطيدة بمدينة صيدا ما يحملنا على ان نأتي
بنبذة موجزة عن تاريخها :

١ - بنو بختر - أمراء الغرب

لا نعرف تماماً تاريخ هبوط هؤلاء الأمراء الربوع اللبنانية ، ولعل وصولهم
كما يرجح ذلك عدد من كبار المؤرخين (صالح بن يحيى والشيخ طنوس الشدياق
وعيسى اسكندر المعلوف وغيرهم) ، كان في النصف الثاني من القرن الحادي
عشر ، وأقاموا في الجبال المتاخمة لمدينتي بيروت وصيدا (الشوف) . وكان
الامير بختر صاحب النفوذ في مدينة بيروت عند مرور الصليبيين في طريقهم نحو
القدس . وقد ناجزوا في بداية الامر القرنجة العدا وحاربهم ارضاء منهم
لأسيادهم الفاطميين وانتصروا على الصليبيين في معركة نهر التينة بالقرب من نهر
الغدير - كفرشيا - .

وبنى البحريون بعض القلاع والحصون المنيعه (سرحمول ، عرامون ، عبيه) . ولما قويت شوكة الفرنجة في الساحل وامتلكوا بعض الحصون ، عمد البحريون الى سياسة المظاعنة ، فكانوا يميلون مع كفة الميزان الراجحة رامين من جراء ذلك الى اكتساب ثقة الفريقين . ولكنهم ما ان شعروا بضعف الصليبيين حتى بالغوا في التحزب ضدهم ، فأناط بهم السلطان الانشرف أمر حماية بيروت وصيدا بعد ان طرد الفرنجة من بلادنا فأقاموا عليها فرقاً للحراسة فلتناوب امرهما شهراً فشهرأ بالتعاقب .

٢ - بنو معن :

هم من أصل عربي صميم ، من قبيلة ربيعة ، نزح جدهم في بدء القرن الثاني عشر عن ضواحي الشهباء اثر هزيمة اماس بودوين الاول الذي كان يطمع في فتح حلب . فقصداً لبنان بعد مكث قصير في البقاع وهبط صحراء بعقلين في الشوف متودداً الى الأمراء التنوخيين من آل بختر ، منتصراً لهم على الفرنجة . وأخذ نجمهم في التسامق وشوكتهم تكبر ، لا سيما بعد سقوط نفوذ البحريين لموالاتهم المماليك البرجية ضد آل عثمان . وما زال امرهم يزداد ويعظم حتى قام منهم الامير فخر الدين المعني الثاني الكبير ، حامل مشعل الوطنية والاستقلال ، ومنفذ فكرة الوحدة الوطنية في بلادنا ...

٣ - آل شهاب :

يمت آل شهاب الى بطن مخزوم من قبيلة قريش العربية . نزحوا عن حوران الى وادي التيم في أواخر القرن الثاني عشر . فكان بينهم وبين الصليبيين هناك مناوشات ومناجزات عدة قبض لهم فيها النصر ، فأقطعهم السلطان صلاح الدين الايوبي تلك الاراضي مكافأة لهم على خدماتهم . وتبسط نفوذهم فوق سهل البقاع وتقرّبوا من المعنيين فكان بين البيتين وداد تام زادت أواصره متانة

بالمصاهرة والمجاورة . وكان بعضهم يعتنق المذهب الدرزي والآخر المذهب السني ، غير ان قسماً كبيراً من الشهابيين اعتنق الديانة المسيحية في عهد الامير بشير الثاني الكبير .

بلادنا حتى نهاية القرن الخامس عشر :

على اثر انطفاء جذوة الجهاد في الغرب واضطرار الفرنجة الى مغادرة بلادنا ومثابرة بعض قراصنتهم على القيام بهجمات على صيدا وغيرها من المدن الساحلية - من جزيرة قبرص بين حين وآخر ؛ فقد ادى هذا الى شل حركة الاشغال والمعاملات التجارية بين الشرق والغرب . وزاد الحال تعقداً وجوداً وركوداً اثر توالي غارات المغول العنيفة وارتطام موجاتهم بقوى المماليك .

غير ان الغرب وشعوبه لم يكونوا في غنى عن محاصيل الشرق وتناجه من طيوب وعطورات ومساحيق وأقمشة حريرية وصوفية وأسلحة شرقية الى غير ذلك من نتائج الصناعة الوطنية وقد اعتادوها اجنبالاً ، فلم يستنكفوا من استئناف علاقاتهم التجارية تدريجياً بالموانئ السورية والمصرية بعد ان لسوا في اواخر المماليك بعض التساهل واللين لافتقارهم الى المواد الصناعية الاولى من خشب وحديد ورقيق - يأتونهم به من جبال القوقاس وروسيا الجنوبية - .

وهكذا أخذت الحركة التجارية تلتعش تدريجياً خلال القرن الخامس عشر في مدينة بيروت بنوع خاص لقدم بعض الفرنجة وغيرهم من الموجودين في جزيرة قبرص ، واستيطانهم فيها بعد خراب بقية الاساكن البحرية وتدميرها مثل صور وصيدا وعكا وطرابلس .

شجع المماليك حركة بيروت التجارية دون غيرها نظراً لما كانت تدره عليهم من الدخل والرسوم وعاملوا الفرنجة بالحسنى والملاطفة استنداء لهم ، فتوارد تجار الغرب على اختلاف جنسياتهم وتباينها ، من بنادقة وجنوبيين وكتالانيين

وفلورنسين وسمحوا لهم بعدئذ بالإقامة في بعض المدن الساحلية كصيدا وطرابلس ، وإنشاء أحياء خاصة بهم ...

ولقد كان لتلك الوحدات السياسية ممثلون سياسيون وقناصل رسميون يدافعون عن مصالح أبناء جلدتهم ، وكثيراً ما كان لوساطاتهم عند المماليك ومداخلتهم مع الحكام التأثير الحسن على حالة المسيحيين في الشرق . ونالت تلك المؤسسات الدولية نواة الامتيازات الأجنبية فيما بعد .

الحضارة في بلادنا خلال عصر المماليك

قلما ذاقت بلادنا أثناء تاريخها السحيق عصراً مريراً تعساً كالعصر الذي حكم فيه المماليك . ففيه توالى الضربات والإحزن واستحكمت الفوضى في جميع دواليب الإدارة وتعاقبت الحروب والثورات في البلاد وانتهكت أقدس الحرمات واستباححت المقدسات فعم الدؤس والشقاء جميع طبقات الشعب . ومع أن صيدا أصيبت بأشد الضربات وأقساها مما سبب هجرة العديد من ابنائها إلى مناطق أخرى ، فقد قامت في بعض أرجاء بلادنا حركة فكرية معتبرة كان لها تأثير بيّن على الطبقة العلمية إذ أنجبت جبهة من العلماء الأعلام والأدباء وكبار المؤلفين في عدة مناح فكرية .

ولعل أسباب هذه الحركة الفكرية تعود إلى الحدث السياسي العظيم ألا وهو سقوط بغداد المزدوج ، إذ أنها بعد أن كانت قاعدة الدين والدنيا ، فقد فقدت هذه المكانة وصغرت ثم زالت وقت سقوطها بين أيدي المغول . فغادرها الخليفة العباسي إلى مصر وهكذا تحول مركز الجاذبية السياسية والعلمية والأدبية إلى سورية ووادي النيل فنبت جلة من الأدباء والأعلام في طليعتهم :

١ - أبو الفداء الأيوبي صاحب حياه (١٢٣٧ - ١٣٣١ م) من أكبر مؤلفي العرب ، له كتب نفيسة في التاريخ والجغرافية ، منها المختصر في أخبار البشر ، وتقويم البلدان .

٢ - شهاب الدين بن عرب شاه الدمشقي (١٣٨٨ - ١٤٥٠ م) تفقه في العلوم ووضع تاريخ تيمورلنك .

٣ - شمس الدين الدمشقي ، مؤلف كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر .

٤ - صلاح الدين الكتبي الحلبي ، المتوفى سنة ١٣٦٢ م ، صاحب فوات الوفيات وهو تكملة لكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان .

٥ - صلاح الدين الصفدي ، المتوفى في دمشق سنة ١٣٦٣ م ، واضع كتاب الوافي بالوفيات جمع فيه تراجم الأعيان من الصحابة والتابعين والملوك والأمراء والعلماء .

٦ - هبة الله المحوي ، المتوفى سنة ١٣٣٧ م ، واضع مؤلفات عدة في التفسير والحديث والفتاوى وغيرها من تعليق وشروح وتلخيص .

٧ - ابن قيمية (٦٦١ هـ = ١٢٦٢ م - ٧٢٨ هـ = ١٣٢٧ م) ، إمام حنبلي مشهور وأعظم علماء عصره في العلوم الإسلامية ، له مؤلفات عدة في الردود والفتاوى والأجوبة والقواعد الدينية . تعاليمه يتبعها الآن الوهابيون في المملكة العربية السعودية .

أما فنون الهندسة والبناء فقد ظلت خلال هذه الفترة مزيجاً من الهندسة العربية والصليبية ...

الفتح العثماني

نشأة الدولة العثمانية

العثمانيون قبيلة طورانية اقامت في آسيا الصغرى الى جوار السلطنة السلجوقية ، وقبض الله لهذه القبيلة في القرن الرابع عشر رجلاً أشده ذوي حزم ودربة ، كالسلطان عثمان والسلطان اورخان والسلطان مراد الاول ، قاموا برفع منارها ، فبسطت نفوذها تباعاً فوق جميع ربوع شبه الجزيرة الآسيوية الصغرى وتقدمت من ولايات دولة الروم الشرقية فاحتلت سلاطينها بعض معاقلها الاوروبية (غاليبولي) ومنها اخذت الجيوش العثمانية تجوب المقاطعات البلقانية وتحتلها الواحدة تلو الاخرى ؛ وكادوا يلقون الحصار على القسطنطينية لولا ان انقض تيمورلنك المغولي (١٣٣٦ - ١٤٠٥ م) على الممالك الآسيوية الغربية فمزقها شر ممزق وكسر العثمانيين في معركة انقره سنة ١٤٠٢ م وأسر سلطانهم بيلازيد ، الامر الذي رفع كابوس العثمانيين عن الامبراطورية الشرقية بعدما سدت المنافذ في وجهها ، وأمد في اجلها نصف قرن من الزمن .

ولم يمضِ إلا القليل حتى ضم العثمانيون جراحهم واستأنفوا سياسة الفتح والتوسع فاحتلوا القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م يقودهم السلطان محمد الثاني الفاتح ، وقويت شوكتهم في اوروبا فاحتلوا قسماً كبيراً من البلقان وأصبحوا يشكلون خطراً مداهما يهدد دول اوروبا المسيحية .

هكذا كانت حالة الدولة العثمانية لما تولى حكمها السلطان سليم الاول (١٥١٢ - ١٥٢٠ م) الذي قهر الفرس وأخذ يتأهب لمنازلة المماليك في سورية ومصر .

اسباب سرعة فتوحاتهم

ولو اردنا ان نعلل المسببات التي ادت سراعاً الى تضخم ولايات هذه الدولة لرأينا ذلك يعود الى :

- ١ - كفاءة ودربة رجال صدر هذه الدولة وخبرتهم في تعبئة الجيش وتنظيمه على أصول وفنون حربية حديثة ، والى تشكيل الجيش الانكشاري من اسرى الحرب الصغار الذين كانوا يترعرعون في الثكنات ويتدربون على اساليب الحرب فكانوا اكبر اداة للفتح العثماني .
 - ٢ - اقتباس معدات حربية جديدة كان لها تأثير هام وحاسم في الحروب وهي المدافع والمدمرات .
 - ٣ - معاصرهم ومجاورتهم دولاً هزمت استحكمت فيها الفوضى ونخرها سوس الفساد والانحلال مثل الدولة البيزنطية والدولة الصفوية ودولة المماليك .
- حالة دولة المماليك في القرن السادس عشر

ذكرنا فيما مضى ما كان عليه نظام دولتي المماليك البحرية والبرجية من مساوئ وفساد ، وما أتاها سلاطينها بحق الشعب من صنوف الظلم وضروب العسف والجور . فعمد المقت لهذه الدولة وأخذ الجميع يتمنون زوالها .

وازدادت الفوضى المستحكة في بلادنا أيام قانصوه الغوري الذي ارهقها بالضرائب والمظالم ، ولعل تاريخ ملكه يفوق بشروره مساويء من تقدمه من سلاطين المماليك .

الاسباب التي سوغت الفتح للعثمانيين

قام السلطان سليم ونفسه تطمح الى التوسع وإعادة الوحدة الى الخلافة الاسلامية مها كلفه الامر ، لا سيما وان الحكومات المتاخمة له على ما هي عليه من الفوضى والتضعف فأخذ يتحين الفرص للانقضاض . ولكي يبرر سياسته هذه وحروبه مع المماليك فتقت له الحاجة اعذاراً ذر بها رماداً في أعين العامة لا الخاصة ، منها :

١ - قملته من سياسة التقرب بين المماليك السنيين وشاهات الفرس الشيعيين والمعاهدات المعقودة بين الطرفين الامر الذي كان يعرقل سبل التجارة امام العثمانيين وتعبئة فرقة الانكشارية التي كانت وليدة الاتجار بالرقيق .

٢ - ادعاؤه بعدم مقدرة المماليك على حماية طرق الحج ، إذ كثيراً ما كان الحجاج عرضة لاجطاع البدو وقراصنة البر .

٣ - عدم اعتراف المماليك بتلقيب آل عثمان بالسلطين .

وليست هذه الاسباب بمجموعة لتشكيل وزناً للحرب بين الدولتين لولا ان السبب الجوهرى لهذه الفتوحات هو رغبة العثمانيين في التبسط ، وتوحيد البلاد الاسلامية تحت رايتهم .

معركة مرج دابق

التقى الجيش العثماني بجيش المماليك في مكان يعرف باسم مرج دابق ويقع الى الشمال من مدينة حلب ، يقود الاول السلطان سليم الاول كما يقود الثاني

السلطان قانصوه الغوري . وكان في عداد قادة الغوري ، جان بردي الغزالي وخاير بك وبعض الامراء اللبنانيين . وكان السلطان سليم قد اتصل سرّاً بأكثر قادة الغوري وأغدى عليهم الوعود طالباً منهم الانسحاب من المعركة حين احتدامها . ولما حدث الاصطدام بين الجيشين في ٢٤ آب سنة ١٥١٦ م تراجع المتآمرون وتمكن الجيش العثماني من الانتصار بعد ان قتل السلطان الغوري وتمزق جيشه . وهكذا دخل السلطان سليم مدينة حلب ثم تابع سيره والمدن السورية تفتح له ابوابها سلماً معلنة خضوعها وابتهاجها بالفاتح الجديد الذي ظنت فيه صلاح امورها . ولما وصل السلطان سليم دمشق في ٩ تشرين الاول سنة ١٥١٦ م فتح له حاكمها ابوابها لا سيما وانه سبق له ان تواطأ مع السلطان سليم ضد اسياده المماليك .

وفي ١٢ تشرين الاول ١٥١٦ م وصل الى دمشق وقد يضم عدداً من الامراء اللبنانيين لمقابلة السلطان سليم واعلان خضوعهم له وعند المقابلة تكلم باسمهم الامير فخر الدين المعني الاول الذي لقي خطاباً قبولاً من السلطان فثبته على رأس امراء الجبل اللبناني .

بذكر حالنا في ان المدن الساحلية اللبنانية دخلها العثمانيون دون اية مقاومة ، فاحتلوا طرابلس ثم بيروت فصيدا وصور . وهكذا خضعت كل البلاد اللبنانية لهم ما عدا منطقة البقاع التي وقف فيها الامير حروفوش الشيعي يقاوم الغزو العثماني ، فكلف السلطان سليم بمحاربته الغزالي حاكم دمشق ، فانتصر هذا عليه واحتز رأسه وأرسله الى الاستانة .

وتابع السلطان سليم زحفه فاحتل فلسطين ثم سار نحو القاهرة فاحتلها في ٢٢ كانون الثاني ١٥١٧ م ، مجهزاً على طومان باي آخر سلاطين المماليك ، وقابضاً على الخليفة العباسي الذي اجبره على التنازل عن الخلافة له . وهكذا انتقلت الخلافة الدينية الاسلامية للعثمانيين وظلت في ايديهم حتى الغيت في عهد كمال اتاتورك سنة ١٩٢٤ م ، اثر خلع السلطان عبد المجيد الثاني آخر خليفة عثماني .

اول حاكم لصيدا في عهد العثمانيين

لما تم الفتح العثماني ولي السلطان سليم على حلب قره جه باشا وعلى حماد قاسم باشا وعلى حمص احمات اوغلو وعلى دمشق جان بردي الغزالي وعلى بيروت وصيدا ونواحيها محمد بك د قورقماز اوغلو .

وكانت صيدا تابعة لولاية الشام وتؤلف إحدى سناجقها ، وظلت كذلك حتى أواسط القرن السابع عشر حين أرادت الدولة ان تجعل من مدينة صيدا مركزاً لوزير عثماني يكون قريباً من الجبل ، وليراقب حركات الدروز وسكناتهم بعد ان كانت منجقية صيدا . يعود حكمها الى آل معين او لأحد اتباعهم ومؤيديهم .

ثورة الغزالي

بعد استيلاء السلطان سليم العثماني على مصر توجه الى الحجاز لقضاء فريضة الحج والتبرك بزيارة الأماكن المقدسة ، وهناك اعلن ضم الجزيرة العربية الى سلطانه . وما ان عاد الى سورية حتى نظم شؤونها وأبقى الادارة السابقة على ما كانت عليه وعين الغزالي والياً على دمشق مستبدلاً اسم النيابة بالولاية . وثبت في لبنان الامراء على اقطاعياتهم ملحقاً اياهم بولاية دمشق .

ولما قضى السلطان سليم سنة ١٥٢٠ م ثار الغزالي في دمشق يؤازره بعض الامراء اللبنانيين وأعلن نفسه سلطاناً على البلاد تحت اسم الملك الأشرف فسير إليه السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٠ م) جيشاً كبيراً بقيادة فرهاد باشا لتأديب العصاة .

وفي المعركة التي دارت بين الجيشين في القابون بالقرب من دمشق قتل الغزالي في ٢٧ كانون الثاني ١٥٢١ م . وقام الجيش الانكشاري بمجازر رهيبة في المناطق التي اجتاحتها مما جعل الناس يترحلون على عهد المماليك البائد .

اما البلاد السورية فقد قسمت الى ثلاث ولايات انيط حكمها بولاية عثمانيين وهي :

- ١ - ولاية دمشق ويتبعها سناجق دمشق وبيروت وصفد وصيدا وغزة ونابلس والقدس الشريف وتدمر . وعين عليها أياس باشا .
- ٢ - ولاية حلب وتشمل مدينة حلب وكل سورية الشمالية .
- ٣ - ولاية طرابلس وتضم مدينة طرابلس وسناجق حمص وحماد وجبله .

نظرة الى هذا العهد :

ان الفترة التاريخية بين الفتح العثماني والقرن السابع عشر تعتبر من اشقى عصور تاريخنا وادمها اذ وصلت مقدرات البلاد من ثروة وعلم وصناعة واقتصاد واخلاق الى ادنى دركات الذل والشقاء . فما كانت حياة السكان اذا ذاك سوى سلسلة لاحد لها من مظالم واستباحات ومجازر واعتساف . ليس هنالك ذرة من رحمة او شفقة في قلوب الولاة .

وكان باشاوات الاتراك يتسابقون في المجيء الى هذه البلاد ، يرون فيها فرصة مناسبة لاشباع اطماعهم الاشعبية ، واصبحت المناصب والرتب سلماً تشرى وتباع بالمزاد في دار السلطنة فيعمد الوالي بعدئذ الى الاغتصاب والاختلاس وارهاق ابناء ولايته بالضرائب تعويضاً لما دفعه وحتى لا يكون من الخاسرين (النكبات لامين الريحاني) .

وفي تقرير رفعه احد قناصل البندقية الى دوقه يقول : ان منصب الوالي كان يكلف من ٨٠ - ١٠٠ الف دوكا ومنصب الدفتردار يشرى من ٤٠ - ٥٠ الف دوكا (الدوكا نصف ليرة ذهبية) : وهذا المبلغ يتوجب تأديته سنوياً الى السلطان .

ولقد تعاقب على ولاية دمشق خلال مئة سنة حوالي ٣٣ والياً لم يمكث في ولايته منهم اكثر من سنتين سوى عدد ضئيل .

وكانت الضريبة في الولاية تستوفى من الاهلين على شكلين : اولهما ضريبة

الاعشار ، وتستوفى عن الانتاج الزراعي للارض وثانيها الضريبة الشخصية على الفرد .

اما في لبنان فكان هنالك بعض الاختلاف في استيفاء الضريبة ، اذ ان الامراء اللبنانيين كانوا يقومون بحماية الاموال ووضعها في صناديقهم كما كانوا يفعلون في السابق ثم يعمدون الى تقديم مبلغ من المال الى الوالي يتفق عليه اضافة الى الضريبة الجمركية المتوجب دفعها . ولقاء ذلك سمح للامراء ان يحتفظوا بجيش خاص بهم يتولى تنفيذ رغباتهم ...

اذ لا عجب والحالة هذه ان انتهكت الحرية الشخصية وساد الوشاة والجواسيس وعمت الرشوة ؛ ولا عجب ايضاً ان خيم الفقر بسراجه الاسود يفرق ارجاء البلاد ويتضاءل معه عدد السكان والكل ينتحب ويتظلم وليس من يسمع او يجيب .

الفصل الرابع

الامتيازات الاجنبية وتعريفها

الامتيازات الاجنبية عبارة عن معاهدات تجارية - ثقافية - سياسية عقدتها تبعاً لدول اوروبا : فرنسا والمجترات وروسيا مع الدولة العثمانية تسهلاً لعلاقاتها التجارية مع اعتراف الفريق الثاني للفريق الاول ببعض الحقوق الدينية والحرية السياسية التي اصبحت فيما بعد اساساً لسياسة المطالبة بحماية الاقليات المسيحية في الشرق وبمركز ممتاز ، فكانت هذه الامتيازات بمثابة ثغرات يطل منها الغرب على بواطن السياسة العثمانية ويشرف على دخيلة أمرها .

واول عهدة ارتبط بها الباب العالي هي محالفته في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦ م) مع فرنسوا الاول ملك فرنسا (١٥١٥ - ١٥٤٧ م) وذلك سنة ١٥٣٦ تحت تأثير عوامل سياسية حدثت للعاهلين الشرقي والغربي الى التقارب وتوحيد خططهما في وجه عدوهما المشترك شارلكان .

نصت هذه الاتفاقية على اعتراف الباب العالي بحق الفرنسيين في الاتجار مع الممالك العثمانية وحرية مباشرة واجباتهم الدينية فيها بكل راحة وامان ، وتمتع بثمار هذه الاتفاقية كل الدول المرتبطة مع فرنسا بعري الصداقة . وتحقيقاً لهذه الاتفاقية رأى انا جان رينيه اول قنصل فرنسي يصل الى طرابلس سنة ١٥٤٨ م فيتلص بمجيئه النفوذ التجاري لجنوى والبندقية ، ويأخذ النفوذ الفرنسي في الامتداد فيشمل بيروت سنة ١٥٥٠ م وصيدا بعد فترة وجيزة .

وفي عام ١٥٧٨ م اعلنت فرنسا حمايتها بموافقة الباب العالي لجميع المسيحيين في لبنان بما فيهم الارثوذكس والسماح لهم بممارسة طقوسهم الدينية . وبدأت الارساليات الدينية الاجنبية تصل بلادنا تباعاً . ونال الامتياز الاول عند الفرنسيين ، الموارنة الذين عهد البابا غريغوار الثاني عشر حرصاً منه على تمتين صلات الفاتيكان بهم الى تأسيس الكلية الشرقية في روما سنة ١٥٨٤ م واستقدم من لبنان للدراسة فيها ٢٠ / تلميذاً اكليركياً مارونياً (تاريخ لبنان - جاك نانقي) .

عصيان حاكم صيدا

وسنة ١٥١٧ م خرج الامير ناصر الدين محمد بن الحنش صاحب صيدا والبقاعين عن طاعة السلطان ، فزحف عليه جان بردي الغزالي والي دمشق . وفي طريقه التقاه الأمير جمال الدين الارسلاني وتوجه معه لفتح صيدا ، وما أن شعر ان الحنش بقدمومها حتى غادر المدينة ناجياً بنفسه . وبعد ان دخل الظافران صيدا واستراحا فيها مدة من الزمن واستوليا على منازل ابن الحنش ونهبها موجوداتها ، توجهوا الى الشوف لان امراء آل معن اظهروا الميل لابن الحنش وتلكأوا عن مساعدة جيش السلطان في القضاء على العاصي ...

ولما وصلت جيوش والي دمشق الى الشوف القت القبض على الامراء المعنيين زين الدين وقرقماز وعلم الدين سليمان كما قبضت على الامير شرف الدين يحيى التنوخي ولم يتمكن العثمانيون من القضاء القبض على الامير فخر الدين الاول الذي توارى عن الانظار ، فاكتفى الغزالي باسر من ذكرنا وبغزل الامير فخر الدين من ولايته وفوض امرها الى الامير جمال الدين ارسلان لقاء خدمته له وطاعته واخلاصه . الامر الذي اشعل نار العداء بين الاميرين المعني والارسلاني وكان السبب الرئيسي لخروج فخر الدين بآله من الحزب اليميني وصيرورتهم من القيسيين .

وبعد ان قبض الغزالي على الامراء نقلهم معه الى صيدا ومن هناك ارسلهم في البحر الى صور ومنها الى قلعه صفد فقلعة دمشق ، وكان السلطان سليم لا يزال

في دمشق فجاءه اليها الامير فخر الدين يبرر نفسه وبنيه من وصمة العقوق والعصيان التي الصقها به اعداؤه فقبل السلطان اعتذاره واقره على ولايته ، ولكنه ظل محتفظاً بالامراء المعتقلين كرهائن ، ثم نقلهم معه الى حلب حيث اودعهم في قلعتها حتى وصلته الانباء تشعر بقتل ابن الحنش حاكم صيدا فاطلق سراحهم .

فخر الدين الاول وقرقماز

ادعى مصطفى باشا والي دمشق ان الامير فخر الدين المعني الاول قد خرج عن طاعة الدولة العلية لانه تمنع اكثر من مرة عن دفع الضريبة المترتبة عليه فقتله سنة ١٥٤٤ م ووافق على تعيين ابنه الامير قرقماز الاول اميراً على الجبل مكان ابيه . ولكن سطو آل فريخ على خراج مصر المنقول الى السلطان في اراضي آل سيفا بالقرب من جون عكار ، جعل العثمانيين يتهمون الامير قرقماز بالحادثة . وهكذا ساق ابراهيم باشا والي مصر حملة عليه تولى قيادتها بنفسه .

ولما وصل الى بلادنا وقف قرقماز مدافعاً في عدة معارك كان فيها الامير اللبناني ، ذلك البطل المدافع عن كرامته وعرينه وتمكن عدة مرات من الافلات من الطوق معتصماً ببعض المغاور والكهوف في جهات جزين .

ولكن الحملة الاخيرة التي قام بها ابراهيم باشا منطلقاً من مدينة صيدا نحو الجبال ، وضعت حداً لحياة هذا الامير المعني الجريء فمات خنقاً في مغارة جزين سنة ١٥٨٥ م . واثناء مرور ابراهيم باشا في دير القمر القى القبض على ثلاثة الاف اسير بينهم مقدم البلدة فامر بخوزقته حياً .

واضطر ابراهيم باشا الى العودة الى مصر ماراً في صيدا اثر معرفته باشتعال ثورة فيها ضده ، تاركاً للعثمانيين امر التفتيش على سلالة قرقماز والقضاء عليها ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك ، اذ ان الست نسب الاميرة التنوخية ، التي يطلق عليها بحق اسم الاميرة المنقذة ارسلت ولديها الاميرين يونس وفخر الدين الى الشيخ ابي نادر الخازن في كسروان فرباهما وسهر على سلامتهما وحفظهما من الاعداء .



الامير فخر الدين المعني الكبير

الفصل الخامس

الامير فخر الدين الكبير

لما كانت تاريخ مدينة صيدا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الأمير فخر الدين لأنه أعاد الحياة إليها وجعلها عاصمة أمارته ومركز ثقله العمراني والاقتصادي ، رأينا من حق التاريخ علينا أن نتبسط في الحديث عن هذه الفترة بالذات معتمدين على أوثق المصادر وأدق الوثائق المحفوظة ومؤلفات أصدق المؤرخين .

ولد الأمير فخر الدين سنة ٨٩٠ هـ = ١٥٧٢ م ووالده الأمير قرقماز المعني وأمه الأميرة نسب شقيقة الأميرين التنوخيين منذر وسيف الدين .

ولما قتل الأمير قرقماز سنة ١٥٨٥ م وطوردت العائلة المعنية ، خافت الأميرة على ولديها الصغيرين فخر الدين ويونس فعهدت إلى الحاج كيوان أحد اتباع الأمير قرقماز باخفائهما في كسروان عند آل الخازن فسار هذا بهما إلى بلونه وعهد بهما إلى سر كيس الخازن المعروف بالأمانة والوفاء .

ولبت الغلامان عند آل الخازن ست سنوات يتلقيان مبادئ التربية الفاضلة . ولما هدأت القلاقل أوعز الأمير سيف الدين التنوخي إلى حفظة الأميرين أن يظهرهما ، فجيء بهما إليه فولى أكبرهما فخر الدين أمانة الشوف وكان ذلك سنة ١٥٩٠ م .

وفي عام ١٥٩٢ مرّ والي الشام مراد باشا القبوجي بصيدا فاستقبله الأمير فخر الدين وخاله الأمير سيف الدين استقبلاً حافلاً وقدماً إليه الهدايا الثمينة فنالاً رضاه ومنح فخر الدين حكم سنجقية صيدا فتسلمها في الثامن من كانون الثاني ١٥٩٣ (كما يقول المحي) واتخذها قاعدةً لأمارته ولسياسته التجارية ومنفذاً لمحصلاتها ، وما زال يجاهد في سبيل ترقيتها حتى أصبحت أكبر ميناء تجاري شرقي البحر الأبيض المتوسط (الحوري بولس قرأ لي - فخر الدين المعني الثاني ودولة تونسكانا) .

الاحداث السياسية في عهد فخر الدين

كان من عادة الامراء اتخاذ مدبرين لهم من أهل الحصافة والامانة ، فاختر فخر الدين ابراهيم الخازن مدبراً ، واتخذ اخاه رباحاً دهقاناً ، مكافأةً لعنايتهم به حين كان مستتراً عندهما ، فكان ذلك ابتداءً وجاهةً آل الخازن الذين نالوا عند الامراء المكانة العليا بصداقتهم وامانتهم ، كما كان هذا العمل دليلاً على حسن سياسة الأمير في اجتذاب النصارى اليه باستخدام اعاضهم .

وكان الأمير قصد في سياسته عند توليه الاحكام ان يثأر لأبيه وجده من قتلتهما فوضع نصب عينيه مناوأة العثمانيين ومناصبتهم العدا . ولكن بظاهر موه بالطاعة فلم يتعد ذلك قلبه ولم يحجر على لسانه قط .

ورأى ان لبنان متعدد الطوائف كثير الإمارات ، فتقرب من المسيحيين ، وأظهر صداقته للأمرء من مجاوريه ، وتحالف مع الأمير علي بن منصور الشهابي وانتقم لوالده من الأمير منصور المعروف بابن فريخ صاحب البقاع اذ قتله مراد باشا والي الشام باغراء منه .

وما ان رسخت اقدام فخر الدين في الشوف وصيدا حتى حدثته نفسه بالمزيد من العزة والسؤدد . وجاءت الظروف موافقةً لأمانيه اذ كلفه مراد باشا بالقاء

القبض على ابناء فريخ العشرة الذين فروا من بوارج ملتجئين الى يوسف باشا سيفاً في كسروان ، فاستأذن فخر الدين مراد باشا بمداومة كسروان فجاز له الزحف ، وأوشك الأمير ان يدهمها ولكنه لما علم ان يوسف باشا أبى قبول ابناء الفريخ ، عاد الى صيدا ومنها الى الشوف .

وارتداد فخر الدين عن كسروان لم يكن الا مؤقتاً لأن نفسه ما برحت تحذره بالاستيلاء عليها وعلى بيروت وضمهما الى امارته ، ولم ير من سبيل الى ذلك الا بمحاربة يوسف باشا فزحف الفريقان سنة ١٥٩٨ م وتواقعا عند نهر الكلب فانكسر يوسف باشا بعد ان قتل ابن اخيه الأمير علي وتشتت جيشه . وهكذا تولى الأمير فخر الدين حكم بيروت وكسروان .

ولبثت بيروت وكسروان تحت حكم فخر الدين سنة واحدة اعادها بعدئذ الى يوسف باشا استجلاً لصداقته .

وحاول يوسف باشا سيفاً مرات متعددة الانتقام من الأمير المعني فلم يستطع الى ذلك سبيلاً مما اضطر معه الأمير فخر الدين الى تحين الفرص للانقضاض عليه والانتقام من اسياده العثمانيين وتقويض سلطانهم عن دياره ...

وظهر ذلك جلياً في حادثة علي جنبلاط الذي ثار على الدولة في حلب ، وكان متحالفاً مع الأمير فخر الدين ، اذ ارسل يوسف باشا سيفاً والي طرابلس يعرض على الدولة العلية خدماته في القضاء على علي جنبلاط اذا عينته الدولة سرداراً على الجيش السلطاني ، فصدرت له الاوامر بذلك ولكنه عندما حدثت المعركة بالقرب من حماه لم يقو يوسف باشا على الثبات طويلاً بل انكسر عسكره واستولى الأمير وعلي باشا على نخيم يوسف باشا وجيشه وغنا غنائم وافرة .

هجرة الأمير فخر الدين الى اوروبا

وجن جنون العثمانيين فعينوا على دمشق احد قادتهم الأشداء وهو حافظ

باشا الذي استعان بالاسطول العثماني للقضاء على المتمردين وفي طليعتهم الامير فخر الدين .

وعلم الامير المعني ان الاسطول العثماني قادم عليه بقيادة الاميرال محمد باشا ، وان هذا انفذ الى صيدا عشرة سفن بامرة يحيى باشا ليرصد طريق البحر فلا يفر الامير بواسطته . وللحال نهض فخرالدين الى صيدا ومنها الى النهر حيث اجتمع بيحيى باشا وشكا اليه تحامل حافظ باشا عليه مع انه عرض عليه واحداً وخمسين الف قرش ذهبي سلفاً عن السنة التالية ، ثم قدم الامير للباشا هدية ثمينة ، وعريضة كتبها اهل صيدا يشنون فيها على الامير ويمتدحون اخلاصه للدولة . ورفع يحيى باشا الامر لمحمد باشا امير البحر مع وفد صيداوي ، فسر الباشا بذلك وأمن الامير والوفد ، وبعد ايام اقلعت السفن العثمانية من بحر صيدا لتنضم الى بقية الاسطول في البحر الابيض المتوسط .

المخابرات بين فخر الدين وتوسكانا

وكان الامير فخرالدين قد اجري سابقاً مخابرات سرية مع دوق توسكانا في عام ١٦٠٥ م ، فاستغرقت زمناً طويلاً ، أوفد على اثرها الفراندوق فرديناند الاول ، سفيراً لمفاوضة فخرالدين هو الامير ليونسيني . وتذكر الوثائق المحفوظة في ايطاليا وقائع الجلسات السرية التي جرت في صيدا في ربيع سنة ١٦٠٨ م بما ملخصه :

الجلسة الاولى :

لما وصل الوفد الى قبرص وتحقق من هزيمة جانبولاد باشا وفراره ، قرر الاتفاق مع فخرالدين فقصد بالعمارة صور ، ثم ارسل قائدها يطلب من الامير فخرالدين رهائن لبيعته اليه بالسفير . وفي اليوم التالي حضر الى العمارة قنصل صيدا الفرنسي وبصحبه تاجر انكليزي يدعى بروكس ، حملهما الامير مذكرة

امان بالعربية ليسلمها الى السفير ، وابلغاه ان فخرالدين قد تصالح حديثاً مع الباب العالي ، وارسل ولده الى الوزير في حلب بهدية قدرها ثلاثمائة الف قرش بين حريز ونقود وثلاثة اسرى فلورنسيين ، وانه لم يبعث اليه برهائن خوفاً من اثاره الشبهات لأن الجواسيس حوله كثر ، والوزير ما زال مقيماً في حلب . .

فلم يكتف القائد بالتذكرة المذكورة بل استكتب ليونسيني كتاباً الى الامير يشير فيه الى خطورة المهمة المنتدب اليها ويلح في ارسال الرهائن . فتلقى القائد جواباً من الامير يدعوه الى الرسو في ميناء صيدا بمركبين او ثلاثة فقط ، ويعده بإرسال الرهائن الى هناك ، ويؤكد له انه شديد الرغبة في التحدث اليه .

ليونسيني في صيدا



قصدت العمارة التوسكانية صيدا ورمت مراسيها على مسافة ميلين من مينائها واذا بقارب يستقبلها وفيه التاجر الانكليزي بروكس مع قيم قصر الامير وخادمين كرهائن .

رزل السفير ليونسيني مع ترجمانه الى صيدا وباتا في بيت القنصل الفرنسي ، وصباح اليوم التالي قصدا بصحبته وصحبة القنصل الانكليزي

وبروكس المذكور قصر الامير في المدينة . قصر آل دباه ويعتقد انه كان لاحد الامراء المعينين وذهب الى القنصل التوسكاني ولما دخلوا عليه استقبلهم دون ان ينهض من مكانه ، وأمر السفير بالجلوس وباطلاعه على مهمته . ولما تسلم الامير رسالة الفراندوق ناوها بدوره الى القنصل الفرنسي ليقرأها . وكان قد اتفق سراً مع

السفير على ان يقتصر الحديث في تلك الجلسة العلنية على استخلاص اسرى وقوعوا حديثاً في قبضة المراكب التوسكانية ليبقى سر السفارة مكتوماً فقرأ القنصل الكتاب ، خلافاً لفجواه ، ونقدم الامير ثلاثة آلاف ريال ثمناً للاسرى فرجاه السفير ان يتوسط لدى الوزير باعادة الاسرى الفلورنسيين ، فوعده بان يكتب اليه بهذا الشأن وامره ان يعود اليه في اليوم التالي لتسلم كتاب التوصية . ثم صرفهم فعادوا الى دار القنصلية الفرنسية .

الجلسة الثانية :

وفي اليوم الثاني ارسل الامير احد حجابيه يستدعيهم اليه فجاءوا الى القصر بصحبة القنصل الفرنسي . ولما دخلوا القاعة وجدوا الامير ينتظرهم وحده . وبعد ان امرهم بالجلوس اخرج من جيبه كتاب الغراندوق ، ودفعه الى قنصل فرنسا فقرأه وكان ترجمان السفير ينقل الى الامير بالتركية العبارة تلو العبارة . حتى اذا انتهى من تلاوته بدا على وجه الامير دلائل الارتياح وامر السفير ان يسرد عليه كل ما امره الغراندوق بتبليغه . فقال السفير : « ان سيدي رأى ان سعادتك اول امير في الشرق يستطيع تحقيق الاستقلال لهذه البقعة من الأراضي وحماية الأراضي المقدسة من العثمانيين ، ولذلك فهو يرجو ان تصرح بما يلزمك من المساعدات لبلوغ هذه الامنية . وقد ارسل اليك الآن الف قسبة للبنادق عربوناً لصداقته المخلصة المتينة ، واسطولاً من المراكب البحرية لتستخدمه عند الحاجة ضد الدولة العثمانية » .

فأجاب الامير شاكرأ لسموه الشرف الذي خوله اياه وابلغه ان جانبولاد باشا كتب اليه مرة عن هذا المشروع ولم يعرف بعدئذ ما تم به . وهو يشك في استسلام المذكور للسلطان ؛ وادف يقول : ان جيشي اقوى من جيشه وان قل عنه عدداً وبلادي امنع كثيراً من بلاده لأنها ذات مركز حربي ممتاز ، ولدي قلعتان لوسلحت كلا منهما بعشر قطع من المدفعية لماقويت كل جيوش آل عثمان عليهما .

الواحدة تبعد عن البحر مسافة يوم ونصف ، والثانية يومين ، بيد انها قريبة من اورشليم . وفي وسعي الاستيلاء بسهولة على الاراضي المقدسة غير اني احتاج للمساعدة للاحتفاظ بها . فاجاب السفير : ان مولاي والبابا وملك اسبانيا مستعدون لتقديم ما تطلبه من المساعدات مهما كان نوعها .

فنهض قنصل فرنسا وجاهر بقوله : « ومولاي ايضاً مستعد لشد ازرك سعادتك عند الحاجة » .

وعندئذ ابرز السفير امام الامير براءة البابا الى شاه العجم ، وسأله ان يسهل امامه طريق الوصول الى تلك الاصقاع لان الغراندوق راغب في اشراك هذا الملك معها وتوحيد قواهما ضد الدولة العثمانية .

فتلقى الامير هذا القول بشيء من الفتور وكأنه لم يرق له ، ثم اعان انه قادر وحده على القيام به على شرط ، ان يقدم له الغراندوق والبابا وملك اسبانيا المساعدات اللازمة .

ولما الح عليه السفير بان يصرح عن المساعدات اللازمة له في الوقت الحاضر استحضر الامير قلماً ودواة واملى عليه ما يلي :

المساعدات التي طلبها فخر الدين

اولاً : ان يوضع تحت تصرفه خبير في صب المدافع مع المواد الضرورية ليصب له عشر قطع من المدفعية أو اكثر وكمية تناسبها من القنابل .

ثانياً : ان تبذل الجهود لانقاذ الاسرى الفلورنسيين الثلاثة لانهم عارفون تمام المعرفة بقلعتيه المذكورتين .

ثالثاً : لما كان العمل الذي ينوي القيام به من الخطورة بمكان ، كأحتلال القدس ودمشق وغيرها من مدن سورية فهو يطلب الى البابا ان يبعث له ببراءة يأمر

الجلسة الاخيرة :

وعادوا الى الامير للمرة الثالثة وسلمه السفير الرسالة التي كتبها باسمه الى الغراندوق فوقعها ثم مهرها بخاتمه . ورغب اليه ان يعيد على مسامحه ما قاله امس عن مهمته لأن الاعادة تسره ، فأعاده السفير ، وعندئذ عاهده الامير على ان يكون صديقاً مخلصاً لمولاه ، رسأله عما اذا كان هنالك قرابة بين الغراندوق وملك اسبانيا ولما اجابه على سؤاله ، أخبره ان ملك اسبانيا عرض عليه ان يبني حصناً في ميناء صور فلم يلب طلبه حتى الآن وهو يرغب في معرفة رأيهم في هذا الأمر ، فأوعز السفير الى الترجمان ان يخبره ان هذا الملك اذا وضع قدمه في بلاد لا يسع صاحبها اخراجه منها بل بالأحرى يطرد الاصيل . فلم ير الترجمان هذا الكلام لائقاً بل قال : « ان فطنتك السامية يساعد الامير تغنيك عن استشارتنا في هذا الموضوع » .

وسأل الامير زواره عن الحرب المستعرة بين البابا ودولة البندقية فأخبروه انها انتهت بصلح مبتور ، ثم سأله عما اذا كان في نية البنادقة استعادة جزيرة قبرص فأجابوه بالنفي ، فأبلغهم انه مصمم النية على مناوأة العثمانيين ما دام فيه عرق ينبض . فقال له السفير : « يشتهي الغراندوق ان يراك ملكاً على سورية محطماً شوكة الامبراطورية العثمانية ، فأظهر الامير امتنانه ، واردف بقوله : اذا انقلب الدهر علي فقهرني العثمانيون ، لجأت الى بلاد الغراندوق لأقضي فيها بقية حياتي . أما الآن فحالم اعلم بخروج الوزير من حلب اركب على الامير يوسف ، باشا طرابلس وأحاربه .

ثم صرفهم ، وما بلغوا دار القنصلية في صيدا حتى لحقهم خادم الامير بثلاث خلع ، الواحدة لقائد الإسطول ، والثانية للسفير ، والثالثة للترجمان ، ولما وصلوا الى المركب أعاد القائد رهائن الامير وحملهم اليه بعض التحف وكلفهم ان يقبلوا يديه ويخبروه انه قبل الاقلاع من صيدا ، سيطلق مدفعاً علامة الاستئذان بالسفر ، ثم ينتظر قليلاً لعل الامير يأمره بخدمة ما .

فيها المسيحيين الخاضعين لرئاسته تحت قصاص الحرم ، بان يتسلحوا ويهبوا لمساعدته عند صدور اول اشارة منه بحيث لا تقتصر المساندة التي يلقاها على الرعايا اللبنانيين بل تشمل كل مسيحي الشرق ليصبح نجاح المشروع مضموناً .

رابعاً : ان يصدر الغراندوق امره الى المراكب التوسكانية المتوجهة الى الشرق ان ترسو في ميناء صيدا دائماً حتى اذا كان بحاجة الى تحميلها رسائل او خزائنه او غير ذلك استخدمها .

خامساً : ان يزوده الغراندوق بتذكرة مرور يسافر بها اذا اضطره الامر الى ايطاليا سواء أكان لمشافهته ام لغرض آخر قد يطرأ عليه ، فيتسنى له السفر ذهاباً واياباً بدون مانع لشخصه اولا حماله او للسفن التي يركبها .

سادساً : ان يهدي اليه ثلاثة او اربعة هواوين ودرعاً من اجل الدروع الخوري بولس قرأ لي في كتابه لامير فخر الدين ودوق توسكانا .

ولما انتهى الامير من بسط هذه المطالب اوعز الى السفير ان يكتب له جواباً للغراندوق ليمهره بامضائه وختمه ، لان ليس حوله من يعرف الفرنسيه او يتق به لهذا الغرض ، واخبره ان نائب ملك اسبانيا في نابولي اهدى اليه قطعتين من المدفعية وكمية من البنادق واشياء اخرى . ورغب الى الترجمان ان يكتب باسمه كتاباً يشكر فيه النائب المذكور . فلبى الترجمان طلبه ومهر الامير الكتاب بامضائه وختمه وكلف السفير ايصاله بطريق مأمونة ، ثم صرفهم بعد ان امرهم ان يرجعوا اليه بالرسالة التي اوصاهم بكتابتها .

وكتب ليونسيني الرسالة بيد انه اطلع عليها القنصل الانكليزي والتاجر بروكس وسمح لكل منهما باستنساخها مما حمل الترجمان على لومه لفضح اسرار هذه المحاولة الخطيرة بين اميرين كبيرين ؛ لان الانكليزيين لم يطلبوا استنساخها الا لغرض في النفس .

وهكذا اقلع المركب التوسكاني من مرفأ صيدا في ربيع ١٦٠٨ م عائداً الى بلاده ، وبعد بضعة اشهر عرف الغراندوق ان الامير نشط حالاً للعمل فجمع ثلاثين الف مقاتل مستخدماً اسطوله التوسكاني في نقلهم وتووينهم ، مما أثار شبهات الباب العالي في سلوكه وجعله يتحفظ لمعاقبته .

فخر الدين والبابا

وبما زاد الامير اقداماً على متابعة العمل للاستقلال ببلاده رسالة كتبها إليه البابا بولس الخامس يقول فيها ما تعريبه :

« الى فخر الدين امير الدروز ونيقوميديية وفلسطين وفينيقية ، سلام ايها الرجل الشريف وليحل عليك نور النعمة الالهية .

عرفنا الاخ المحترم سر كيس ، رئيس اساقفة دمشق الماروني الذي أم رومية لزيارة ضريحي الرسولين القديسين ، عطفك العظيم على اولادنا المسيحيين وخاصة الموارنة ، فبتنا مدينين لك كثيراً ، لأن ما تفعله نحو اولادنا تفعله نحونا . ولما كانت رئيس الاساقفة المذكور عائداً الى اخوته رأينا ان نكتب اليك هذه الرسالة دليلاً على محبتنا لك . وأوعزنا اليه ان يبلغك انتظارنا بكل الجوارح الفرصة التي تتيح لنا ان نثبت لك عظم هذه المحبة وشدة ارتياحنا الى حسناتك نحو اولادنا المسيحيين ، وقد أمرنا رئيس الاساقفة المذكور ان يسلمك بعض التحف آملاً ان تحوز لديك قبولاً لأنها دليل على ميلنا الخاص اليك . ونحثك ثانياً وثالثاً ان تواصل رعايتك لأولادنا وخاصة الموارنة منهم ، وان تشمل بحمايتك حامل هذه الرسالة وهو يفصح لك عن رغبتنا الشديدة في مناصرتك على العثمانيين الظلام اعداء الطرفين (أعطي في رومه بقرب مار بطرس في ١٦ كانون الثاني ١٦٠٩ م ، وهي السنة الرابعة لحبريتنا) .»

فخر الدين ووالي دمشق

عندما توفي الصدر الأعظم مراد باشا صديق فخر الدين في تموز سنة ١٦١١ م

وخلفه في شهر آب من تلك السنة نصوح باشا عدو الأمير ، اخذ هذا يحتاط لنفسه من شره فاتفق مع البطريرك الماروني يوحنا مخلوف على تكليف قاصده المطران جرجس بن مارون اسقف قبرص بمفاوضة الامراء المسيحيين لمساعدته ضد الدولة العثمانية ، وان يبعث اليه البابا باسطول مؤلف من خمسة عشر غليوناً وعشرين غراباً لترسو في صيدا ، وبواسطتها يتمكن الامير من الاستيلاء على فلسطين وخاصة القدس .

وأبلغ المطران جرجس الكيفية الى البابا والى غراندوق توسكانا ، وقال : لقد تم الاتفاق مع اميرنا يوسف خطار الماروني الذي تحت يده ثمانية آلاف من الموارنة وهم ينتظرون بفارغ الصبر الفرصة للتخلص من عبودية العثمانيين ، ولا ينقصنا سوى الاسلحة قبل الشروع في العمل ليتسنى توزيعها على المحتاجين اليها ، ولدى امير صيدا فخر الدين جيش يبلغ سبعين ألفاً وهو متفق مع بقية الامراء ان يسمحوا للجيش المسيحي بالنزول في صور وصيدا وطرابلس .

ومكث المطران جرجس في ايطاليا اكثر من سنة ونيف دون ان ينال المساعدة المطلوبة .

وكان حافظ باشا والي الشام قد أثار على الامير حفيظة نصوح باشا الصدر الاعظم وهيج جشعه في بلاده العامرة التي تتحصل منها الأموال الوفيرة . فعزل الوزير نكاية بالامير حليفه عمرو شيخ المفارجة عن حوران والشيخ حمدان قانصوه عن عجلون ؛ فأعادهما الامير فخر الدين الى منصبيهما بالقوة . ولما بلغ نصوح باشا خبر هذه الجسارة جهز عليه حملة قوية برأ وبجراً . ورسا الاسطول العثماني في عكا ومنها أوفد قائدها عشرة أغربة لمحاصرة صيدا ومنع الامير فخر الدين من الهرب . بيد ان هذه المراكب لم تلبث ان اقلعت عنها وانضمت الى الاسطول لاستخلاص الأغربة العثمانية السبعة التي اسرتها مراكب مسينا الاسبانية الحربية .

فاغتتم الامير الفرصة ، وعمد الى تحصين ثلاثة من قلاعها وجهزها بالاعتدة

والمؤمن ما يكفيها ثلاث سنين ووضع فيها جنوداً أمناء عاصين على الدولة اليائسين من العفو ، ودفع الامير رواتبهم لستين سلفاً . وسلم ولده الامير علي قيادة خمسة آلاف مقاتل من جيشه وسلم شقيقه الامير يونس قيادة بقية الجيش ليناضوا العثمانيين دون ان ينازلوهم في معركة حاسمة .

ولما اقلعت الاغربة العثمانية عن صيدا انتهز الامير فخر الدين الفرصة فنزل من دير القمر الى صيدا واستقل مع حاشيته ثلاثة مراكب وركب هو في الأول وأركب في الثاني زوجته وفي الثالث مستشاره الحاج كيوان صاحب الرأي الاكبر في الرحلة الى توسكانا فانطلقت بهم المراكب من مرفأ صيدا في ١٦ ايلول سنة ١٦١٣ م .

وصول الامير فخر الدين الى ايطاليا :

وبلغ الامير فخر الدين ليفورنو في ايطاليا في السادس من تشرين الثاني ١٦١٣ م فاستقبله حاكمها الذي سأله عن سبب مجيئه ؟ فأجابه ان غايته من القدوم الى توسكانا هو مقابلة الدوق ليطلب منه قوة تساعد على استعادة صور وصيدا وبيروت وان لدى الامير جيشاً في داخل البلاد يضم ٢٠ الف مقاتل .

وفي الثامن من تشرين الثاني سنة ١٦١٣ م وصل المركب الذي يقل زوجة الامير فخر الدين وحاشيتها فانزلن في جناح خاص من قصر الحاكم .

وسأل الامير عند وصوله الى ليفورنو عن القائد جواديني الذي عرفه في صيدا فأوفده اليه ، ثم سبقه الى فلورنسا ليعلم الفراندوق بطريقة استقبال الامير .

وفي ١١ تشرين الثاني ترك الامير فخر الدين ليفورنو يرافقه الحاج كيوان وترجمانه اسحق عزيز وقنصل فرنسا في صيدا السيد كردانا وأربعة من خدمه

كما رافقه الوزير اوزمباردي والاميرال انجرامي ، وأعدوا له في طريقه القصور ، للمبيت فيها أثناء رحلته .

ووصل الامير الى فلورنسا في مساء ١٢ تشرين الثاني ١٦١٣ م ، وكان في انتظاره خارج المدينة الامير انطوان مديشي مع بعض الأعيان ، فأركبوه عربة مقفلة دخلت به قصر الفراندوق من باب الحديقة . واستقبله الفراندوق والدته وزوجته وكبار رجال الدولة بأبهة ولطف بالغين وعينوا لنزوله القصر العتيق - وهو من آيات الفن واقع على الضفة الأخرى من النهر وبينه وبين القصر الجديد بالازافيشيو دهليز قائم على جسر يعد من عجائب ذلك العصر -

وشرح الامير للفراندوق ما جرى له مع والي دمشق بالتفصيل وطلب منه الكتابة الى البابا بالكيفية ، وبانه يأمل ان يزود بالسلح والقوات الحربية البحرية حتى يتمكن من تحقيق أهدافه وأهداف الامراء المسيحيين في حماية الاراضي المقدسة ، كما طلب منه تجهيز مركب الى صيدا وصور لاعلام ذويه بوصوله سالماً وحشهم على الثبات .

بعثة الامير والفراندوق الى صيدا :

ونزولاً عند رغبة الامير فقد جهز الفراندوق مركباً مسلحاً اوفد فيه بعض الخبراء في فنون الحرب والتحصين ليقفوا على مراكز الدفاع في بلاد الامير والموانيء والسواحل ويأخذوا عنها الرسوم ويطلعوا على احوال البلاد واستعداد الرعايا ونيات العدو .

وفي مذكرات الامير التي يوضح فيها بعض الارشادات والنصائح المعطاة الى قائد المركب في ١٩ تشرين الثاني ١٦١٣ م (الحوري بولس قرأ لي - الامير فخر الدين المعني الثاني ودولة توسكانا) ما معناه :

« واذا بلغوا حيفا فليتظاهروا انهم تجار يرغبون في شراء القمح او خلافة ،

وليشعروا الراية الفرنسية ويستعلموا عن بلاد الامير اهي براحة وباقية له ام آلت الى غيره ، والى من ؟ واذا كان هنالك حرية للتجول فيها والسفر الى صيدا وغيرها من الاماكن لمعاطاة التجارة ، فان لم يفوزوا بهذه المعلومات قصدوا صور او القاسمية حيث ينزل الى البر رجل او اكثر من الدين يعينهم سيدي علي (عديل الامير) ولتفقوا معه سلفاً على الاشارات التي يجب ان يعطيها لهم ليتدبروا امرهم . وان لم يتلقوا منه اشارة تابعوا السفر حتى نهر الدامور حيث برج كبير والنزول سهل . والافلينزوا رجالاً في خلدته حيث يجدون برجا متهدماً وليزودوهم بكتابين الواحد الى الامير يونس الذي يجدونه في احد القصور القريبة من بيروت ، والثاني الى والد سيدي علي في حصن صيدا (وهو محمد ظافر الذي بقي حاكماً لصيدا) . واذا علموا بخروج البلاد من يد الامير ، بقي سيدي علي في المركب مخفياً . ولهم ان يجلبوا الى المركب رجلاً يوافيهم بالاخبار والمعلومات اللازمة . واذا شاء الامير يونس ان يوفد رسولا الى اخيه فخر الدين فليقباه . واذا شاء بعض رعايا الامير ان يحملوا اليه شيئاً من البضائع او غيرها فلا مانع من قبولها في المركب شرط ان لا تعيق سيره . واذا تيسر للخبراء النزول ، فلينزلوا ويستعلموا عن ثغري صيدا وصور وبأخذوا رسمهما وليزوروا القلاع ويتحققوا اذا كانت المواد اللازمة لبنائها وترميمها متوفرة كالماء والكلس والخشب والحجارة (الخوري بولس قرأ لي - الامير فخر الدين المعني ودولة توسكانا) .

وعين الفراندوق في عداد رجال البعثة الفارس كارلو ماشنجي ويوحنا سانتي وقبصر انطونياتشي مهندس البلاط الذين زودهم الامير بالكتابات الى وزرائه وحكام البلاد ونظار الموانئ وقواد القلاع والحصون على الساحل وفي الداخل والمدن والاماكن المحصنة .

واقلعت السفينة ترثانا بالبعثة المذكورة في اواخر كانون الاول ١٦١٣ م . متوجهة الى لبنان .

الفصل السادس

ما جرى في بلادنا خلال هذه المدة :

وقبل ان تقلع السفينة وردت الى الفراندوق معلومات تنبئ بشباب قلاع الامير في وجه الحملة العثمانية وعن تعلق الرعية بسيدها الامير ودفاعها عن بلاده ، فطابت نفس الامير وازداد الفراندوق عزمًا على مناصرته . ومن هذه البشائر رسالة صدرت عن طرابلس مؤرخة في ١٢ تشرين الثاني ١٦١٣ م ، جاء فيها ما يلي :

« ترك الامير في قلاعه اكثر من ثلاثة الاف مقاتل وهي منيعة لا تطال ، وقد هاجم الباشا اصغرها واضعقها بزهاء ٦٠/ الف محارب فلم يفر منها بطائل . والحصار ما زال قائماً على قدم وساق ؛ بيد ان المطر والبرد القارس يخففان من شدته كثيراً . وفي الجبال احد عشر الى اثني عشر الف درزي رفضوا الطاعة للباشا وللمسلمين الذين عينهم في صيدا وفي غيرها من المدن وهم يستعيتون في القتال ، وقد جاهدوا انهم يفضلون الموت على الخضوع لغير اميرهم . وهذا ما توصلت الى معرفته من اشخاص جديرين بالثقة » .

وتلقى الفراندوق بعدئذ كتاباً آخر من حلب تاريخه ١١ كانون الاول ١٦١٣ م يؤيد ما جاء في الكتاب السابق ويقول :

« ادلي بالمعلومات التي بلغتني عن معارك صيدا ، فقائد الجيش العثماني العام

وهو حاكم دمشق لما رأى رداءة الطقس وهجوم السبرد القارس اصدر امره الى الجيش برفع الحصار عن القلعة وقد عجز عنها مع انها اصغر القلاع ، التي حصنها الامير (دامت مدة الحصار ستين يوماً بلياليها لا يبطل فيها الضرب بالبنادق والمدافع من الجانبين) .

ولما شاهد المدافعون العدو يهجم بالرحيل امطروه بشتى الشتائم مصحوبة بامارات الهزء والسخرية . فحنق الباشا وامر ان ينشطر الجيش شطرين يزحفان على البلاد لتهربها وتخريبها ، وخاصة جبل الدروز الذين رفضوا طاعة السناجق والباشاوات المعينين حديثاً . وقصد مصطفى باشا - والي ديار بكر - مع اثنين من الباشاوات بقسم كبير من الجيش الى بلاد صفد ، وتوجه حسين باشا بن سيفا الى بيروت .

وكان الدروز يتراجعون امام القوات العثمانية ويستدرجونها الى حيث يطبقون عليها فجأة ؛ حتى وهنت عزائمها فنازلوها ساعة ثم تظاهروا بالهرب ، ومازلوا كذلك حتى اوقعوها في كمين هائل حيث كان بانتظارها احد انسباء الامير يونس فقتلوا منها مقتلة عظيمة حتى ان البعض يقدرون خسارة الجيش العثماني بعشرة الاف رجل فضلاً عن عدد كبير من الاسرى بينهم اربعة باشاوات . ومما استفز الدروز الى هذه الاعمال المجيدة الدفاع عن حريمهم ، وقد اعلنوا انهم يفضلون ذبح نساءهم واطفالهم والموت سوياً في ساحة الوغى على الخضوع لغير اميرهم » .

وبعد بضعة ايام تلقى الغراندوق والامير كتباً تشعر بفشل حملة حافظ باشا وجلاته عن بلاد الامير .

عودة البعثة

وعادت البعثة على ظهر السفينة ترقنا الى ليفورنو في ١٠ نيسان سنة ١٦١٤ م وعليها الشيخ يزبك بن عبد العفيف من اعيان الشوف وثمانية وعشرون من رجال

الامير وخدمه بينهم الشيخ خاطر بن ابي ناد والحازن الذي بقي معه حتى رجوعه الى لبنان في ايلول سنة ١٦١٨ م ، وقدموا الى الامير تقارير في غاية الاهمية عن الحوادث التي جرت في لبنان مدة غياب الامير ، والى القارىء اهم ما جاء فيها :

بعد سفر الامير من صيدا بشهرين وصل باشا دمشق وصحبته اربعة عشر من الباشاوات بينهم حسين - باشا طرابلس - ابن الامير يوسف سيفا وصهر فخر الدين فضلاً عن خمسة وسبعين سنجقاً وخمسة وثمانين الف مقاتل . فتوجهوا لمحاصرة قلعة الشقيف القريبة من صيدا ولبثوا امامها اربعة وثمانين يوماً دون ان ينالوا منها منالاً لبسالة قائدها حسين الطويل ، ومهارة ثمانية عشر جندياً فرنسويماً من خدم الامير في ادارة المدفعية ؛ فقد حطموا مدافع العدو واضطروه الى رفع الحصار بعد ان خسر الفين وخمسمئة من رجاله . وكان الامير علي والدروز قد كبده في مواقع شتى ومعارك مجيدة خسارة نحو ثلاثة آلاف غيرهم ولم يفقد اللبنانيون سوى خمسين من رجالهم .

وحاول الباشا ايضاً محاصرة قلعة بانياس ، ولما تحقق عجزه عن اخذها أرسل من يقول الى حسين اليازجي قائدها : « ان سلمتني مفاتيحها جعلتك أومباشي صفد » فأجابه حسين : « لا اسلمها إلا لصاحبها الامير فخر الدين وان مات فلولده الامير علي » . ولما دخلها الامير علي بألف من رجاله وثلاثة آلاف من العرب بقيادة عمرو شيخ المفارجه ، أرسل الباشا للامير يقول : « ان خضعت للسلطان عفا عنك وجعلك مكان ابيك » . فأجابه الامير علي : « افضل الموت على خيانة ابي . فافعل ما تشاء » .

فحنق الباشا وعمد الى تخريب البلاد . واخذ يقطع الاشجار ويحرق القرى . ولما شاهد السكان منه هذه الأفعال فكروا في مراضاته ، وتم الاتفاق على ان تقصد الست نسب والدة الامير فخر الدين البالغة من العمر زهاء السبعين سنة الى معسكره وتقدم له ثلاثمائة الف قرش ، شرط ان يترك البلاد وشأنها . ورضي

الباشا فسلمته مئة وخمسين ألفاً ودفع اهالي البلاد البقية . وبقي من المبلغ عشرون ألفاً ، فأخذ الباشا والدة معه رهينة الى دمشق حتى يستوفي الباقي ...

ولم يذهب باشا دمشق الى صيدا ولا الى صور بل اكتفى بأن وضع في صيدا صوباشياً مع عشرين نفراً حتى يستوفي بقية المال الموعود به ، وأبقى حاكمها الحاج محمد ظافر نسيب الامير في مكانه (الخوري بولس قرأ لي في كتابه - الامير فخر الدين المعني ودولة توسكانا -) .

العفو عن فخر الدين

ازداد حافظ باشا والي دمشق قسوة في معاملة الاهلين . وفجأة وصلته انباء تفيد ان الصدر الاعظم نصوح باشا قد قتل فارتد الى دمشق ، وما كاد يصلها حتى تلقى أمراً بعزله عن ولايته فغادر دمشق تصحبه صيحات الاهلين المبهجة بخروجه من ديارهم .

ولما وصلت هذه الانباء الى الامير فخر الدين في توسكانا ، كتب الى أصدقائه في العاصمة العثمانية يسألهم السعي لدى الصدر الاعظم الجديد للعفو عنه ، فنزل محبوه عند ارادته وأوضحوا للسلطان ان ابن معن قد ذهب ضحية الحسد والفساد وانه رجل مستقيم ومخلص لدولته وسلطانه . وما زالوا يستدرون رحمته حتى أصدر عفواً عنه وأعادته الى منصبه في بلاده .

وأرسلت براءة العفو الى والدة الامير السيدة نسب ، فبعثت بها الى ولدها في توسكانا فلم تصله لسوء حظه ، لأنه كان قد غادرها في زيارة الى صقلية التابعة للمملكة الاسبانية .

الامير في صقلية

كانت صقلية خاضعة لاسبانيا وفيها ممثل للملك يدعى دوق «دسونا» . وكانت اسبانيا راغبة في السيطرة على الشرق ، ولطالما ساومت الامير فخر الدين لعقد

معاهدة بينهما لاحتلال الاراضي المقدسة . ولكن الامير كان يرفض تلك العروض خوفاً من ان يصبح تحت رحمة دولة قوية .

ونظراً للعداء المستحكم بين الدولة العثمانية واسبانيا قرر دوق دسونا توجيه دعوة رسمية للامير ليحل ضيفاً على الحكومة الاسبانية في صقلية . وكان قصده من ذلك ان يوهم العثمانيين انه يعد حملة لاحتلال لبنان . قبل الامير الدعوة لأنه اعتقد ان مساعي أصحابه في الاستانة قد فشلت ، لذلك ترك توسكانا ووصل الى مسينا في ٦ آب سنة ١٦١٥ م فوجد ان الدوق قد هيا له استقبالاً رائعاً . وبعد ان رحب به بحرارة أنزله في اجمل قصور المدينة وعرض عليه ان يسافر الى اسبانيا لمواجهة ملكها والاتفاق معه على مايرضي الطرفين ، فرفض الامير طلبه شاكراً ومعتذراً لأنه كان ينتظر مساعي أصدقائه في الاستانة .

الامير يزور صيدا

وجاء يوم علم فيه الامير فخر الدين ان ثلاثة مراكب تنهياً للاقلاع الى لبنان ، فطلب آتئذ من دوق دسونا ان يسمح له بالسفر الى وطنه الحبيب ، فنزل الدوق عند ارادته ووضع تحت تصرفه مركباً أقله الى صيدا واشترط عليه ان لا ينزل الى البر لأنه مسؤول عن حياته تجاه مليكه .

وصل مركب الأمير الى صيدا فوجد جمهوراً كبيراً من الناس هرعوا لاستقباله ، وصعد الى المركب ابنه الامير علي واخوه الامير يونس وعدد كبير من أعيان البلد المخلصين فشاهدوا الامير وتحدثوا اليه ، واخبروه بالتفصيل عن كل ما جرى في البلاد أبان غيابه . ولم يذكروا له امر العفو عنه لأنهم كانوا يجهلونه .

وخاف الامير ان يطول وقوفه في صيدا فتعلم به الحكومة العثمانية وترسل سفنها لإلقاء القبض عليه فقفل راجعاً الى صقلية . وأثناء عودته ، مر في جزيرة مالطة فاستقبله فرسانها اجمل استقبال واحتفوا به واكرموه وزودوه بأنواع الأطعمة والحضار . واستغرقت رحلة الامير هذه سبعة اشهر .

الشيخ حسين الطويل حاكم صيدا

وقام الامير علي بجولة في انحاء امارته تفقد فيها شؤون الرعية والحصون ثم عاد الى صيدا منيطاً حكم بلاد الشوف وبلاد بشارة بعمه الامير يونس وأسلم حكم مدينة صيدا وتوابعها الى الشيخ حسين الطويل قائد الدفاع عن قلعة الشقيف وأحد اركان الامير الأوفياء ، وتم هذا في مطلع عام ١٦١٧ م .

وفي آخر شهر محرم من السنة ١٠٢٦ هـ - ١٦١٧ م وصل الى صيدا احمد آغا التوتونجي مندوباً من قبل الصدر الأعظم محمد باشا لتحصيل المال الأميري من امير صيدا وقدره خمسة وعشرون الف قرش ، وكذلك المسال الذي تعهد بتقديعه الامير علي هبة ومقداره مائة الف قرش ، ولكنه مكث في صيدا أربعة شهور دون ان يحصل شيئاً .

عودة الامير فخر الدين

بالرغم من الاكرام الفائق الذي أحيط به الامير فخر الدين طيلة خمس سنوات أقامها في ايطاليا وصقلية وغيرها من قبل الامراء الاوروبيين والبابا فقد لمس ان محبتهم ليست وليدة مناصرة المظلوم على الظالم ، وانما هي وليدة المصلحة الشخصية وما يؤمل الأجانب تحقيقه من أهداف سياسية واقتصادية في المنطقة ؛ ولذا فقد امضى الامير فترة نفية الاخيرة ، وفي قلبه غصة وفي عينه دمة ، منتظراً فرج السماء في تعبيد طريق عودته الى بلاده .

ولما تحقق له رجاءه ونال العفو الذي بذلت امه الست نسب المستحيلات في سبيله ، استقل المراكب مع مرافقيه وتوجه الى صيدا فبلغها في ايلول سنة ١٦١٨ م حيث استقبله نجله الامير علي (الذي كان يحكم صيدا وملحقاتها منذ عام ١٦١٥ م مع الامراء وأعيان البلاد أروع استقبال .

عاد الامير فخر الدين الى وطنه فعمت الفرحة جميع انحاء ، واستبشر الناس بالخير ، وتقاطر اللبنانيون من اقصى الابعاد وادناها لرؤية سيد البلاد

والاحتفاء بمقدمه الميمون . وبقدر ما فرح به اصداؤه بقدر ما هلمت قلوب اعدائه فأخذوا يرسلون اليه الهدايا فقبلها جميعها وخلع على حاملها ، ما عدا هدية يوسف سيفاً فانه رفض قبولها وقال لمن اتى بها : « نحن لا نريد هداياه ، ولكننا بحاجة الى الاخشاب نعمل بها دارنا التي احرقها الامير حسين سيفاً في دير القمر » .

وكان يوسف سيفاً قد نكل باتباع الامير أشد التنكيل أثناء غيابه ، وسمت بمحنته ووشى به للولاة ، ولذلك قرر الامير البطش به بعد ان رأى الفرصة أصبحت مواتية له لتوسيع امارته على حساب الذين اضطهدوا أنصاره أثناء غيابه .

فخر الدين وابن سيفها

وحشد الامير جنوده ، ثم مشى أمامهم الى عكار . وما كادت أنباء هذا الزحف تصل الى ابن سيفها حتى فر واختبأ في احد حصونه ؛ فهاجم عندئذ الامير رجاله وقتل بهم ثم انطلق الى طرابلس وفعل بها فعلته في عكار ، إذ هدم قصور آل سيفها ونقل حجارتها الى دير القمر ورمم بها بيوته ، ثم انتزع منه مقاطعتي جبيل والبترون وضمهما نهائياً الى امارته محققاً اول توسع لها .

الامير ال علي باشا

ووصلت هذه الأنباء الى الباب العالي وما فعله الأمير بعد عودته من ايطاليا في طرابلس وعكار فأوفد امير البحر علي باشا بالعمارة العثمانية الى لبنان وعددها خمسون مركباً ، وذلك رغبة في احلال السلام بين المتنازعين ورفع الظلم عن كاهل المظلوم (هذا ما يقوله الباب العالي) .

ولما بلغ هذا صيدا في تموز سنة ١٦١٩ م ارسل اليه الامير فخر الدين خمسين الف غرش مقدمة وكمية وافرة من المؤن لأسطوله ، غير ان الباشا نزل الى المدينة

واستدعى الامير للشول بين يديه بعد ان أعطاه الأمان . فأمر فخر الدين وكيهه مصطفى آغا ان يكتب للاميرال باسمه رسالة يقول فيها : « ان حضرت اليك ، وأمسكتني وحنثت بعهدك وان لم تسكني جلبت عليك لوم الدولة العلية » .

فاستحسن علي باشا جواب الامير وأحله في قلبه محل الاعتبار ، ثم أمر سفنه بالإقلاع من مرفأ صيدا بعد ان استولى على مركب « فلمني » كان راسياً في مياهها بحجة انه من القرصان وكان في المركب اربعون الف قرش .

بيروت عاصمة فخر الدين

وكان الامير فخر الدين قد اتخذ مدينة بيروت اثر عودته من ايطاليا عاصمة له ، اذ سكنها في آخر شباط سنة ١٦١٩ م وعكف على اعمارها تاركاً مدينة صيدا لابنه الامير علي ، وصور لأخيه الامير يونس . واقطع في سنة ١٦٢٠ م وادي التيم الى حلفائه الشهابيين وسمى الامير احمد الشهابي رئيساً عليهم .

خليل باشا في صيدا

وفي ربيع سنة ١٦٢١ م وصل الى ميناء صيدا عدد من المراكب السلطانية بقيادة خليل باشا الوزير السابق . وبعد ان رست السفن نزل الباشا الى البر وأخذ يتجول في المدينة متفقداً شؤونها ، وما ان عرف الامير علي المعني بتزوله ، حتى هرع لاستقباله مقبلاً يده ثم دعاه الى قصره وقدم إليه الاكرام اللائق مع خمسة آلاف قرش وحصان مطهم فقبل الوزير التقدمة ، ثم أولم على شرفه وليمة كبرى حضرها مع قادة المراكب ثم عاد ومن معه الى مراكبهم بعد ان شكر الامير علي حسن ضيافته وكرمه . وأقلع بأسطوله من مياه صيدا .

القرصان التونسيون في صيدا

وفي ربيع سنة ١٦٢٣ م وصل الى ميناء صيدا ثمانية مراكب تقل قرصنة تونسين ، وكان في الميناء وقتئذ عدد من المراكب التجارية الفرنسية والفلمنكية

فطلب القرصنة من الفرنسيين تأدية عشرة آلاف قرش فامتنع الآخرون عن اعطائهم ما طلبوا وأدخلوا مراكبهم الى قرب قلعة صيدا ؛ وعندئذ عمد القرصنة الى ضربهم بالمدفعية ، فردت عليهم حامية القلعة بالمثل ، واستمر تبادل اطلاق نيران المدفعية طيلة النهار ، وعند الغروب تراجع القرصنة بمراكبهم الى الوراء بانتظار اليوم التالي .

وكان الامير فخر الدين وقتئذ نازلاً في رأس العين بصور ، ولما بلغته هذه الأنباء سار على رأس فرسانه ليلاً متوجهاً الى صيدا فوصلها عند السحر ، وأرسل الى القرصنة قارباً يستوضح منهم مرادهم ، فلما علم هؤلاء بوصول الامير وجيشه أقبلوا بسفنهم وابتعدوا في البحر . ومكث الامير في صيدا ثلاثة ايام خوفاً من عودتهم ، ولكنهم لم يفعلوا ، وعندئذ ترك صيدا في حماية ولده علي وتوجه الى بيروت (تاريخ الامير حيدر الشهابي) .

الامير يوسع امارته

أثناء غياب الامير فخر الدين في أوروبا شكل الامراء الحرفوشيون جبهة لتناويء الامير علي وتستولي على بعض بلاده ، فتمكنوا من ذلك بمساعدة والي الشام مصطفى باشا الذي اقطعهم حكم صفد وعجلون وناבלس .

ولما استتب الامر في الشوف والساحل للامير فخر الدين فكر في انتزاعها منهم بقوة السلاح . وسنحت الفرصة أمام فخر الدين إذ قتل السلطان عثمان الثاني في الاستانة واضطربت شؤون المملكة فتحركت جيوشه للعمل .

واستنجد الاميران يونس حرفوش وعمر سيفا بمصطفى باشا فجاءهما هذا والتقاهما في سهل الجديدة بالقرب من مواقع الشهابيين اصدقاء فخر الدين الذين انتقلوا الى رابية تشرف على نبع عنجر عند مدخل وادي القرن ، وكان ذلك في صيف ١٦٢٣ م .

ووصل الأمير فخر الدين وكانت قوته تتألف من خمسة آلاف مقاتل بما في ذلك جنود حلفائه الشهابيين واهل الشوف والشيعة وغيرهم ، وقيادتهم منوطة به وبابنه الامير علي وبأخيه الامير يونس . أما الجيش العثماني فقد بلغ عدده اثني عشر الف جندي .

وفي المعركة مزق جيش الأمير الجيش العثماني شر ممزق ، وظلل يلاحقهم حتى ابواب دمشق . أما يونس حرفوش وعمر سيفا وكرد حمزه فقد نجوا بأنفسهم تاركين جندهم لرحمة القدر ووقع الوالي مصطفى باشا نفسه في الاسر ، بعد ان طوقه الامير وحطم مقاومته ، وعندئذ أسرع إليه فخر الدين وطيب خاطره وأكرمه وأرسله الى قب الياس والحرس أمامه وخلفه « وأعاد اليه ما نهب من متاعه .

وقدر الباشا نبل الامير وكرم اخلاقه فأباح له ارزاق الحرفوشيين وولاه البقاع واقسم له الايمان المغلظة بأنه سيق الى الحرب بضغط من كرد حمزه ، وطلب من الامير اعدام الاسرى ، ولكن فخر الدين اعتذر عن القيام بمثل هذا العمل الشائن .

وبعد ان فرغ الامير من معركة عنجر انصرف الى مهاجمة بعلبك واللبوة فاحتلها قسراً وثبتهما تحت سلطته ، ومن ثم ارسل مصطفى باشا الى دمشق مكرماً بموكب رسمي بعد ان منحه هذا سنجقيات عجلون وناپلس واللجون وهوران وصفد فاقطعها الامير ولده حسين .

وبناء على اقتراح مصطفى باشا منح الباب العالي سنة ١٦٢٤ م الامير فخر الدين لقب سلطان البر وامير عربستان .

وفي سنة ١٦٢٦ م دخل الامير فخر الدين سلمية في سورية ثم استولى على حصن وحماء . وفي سنة ١٦٣١ م استولى على قلعة مصياف واخذ بلدة تدمر عنوة وبنى فيها

قلعة آل معن وامتد نفوذه الى حلب وانطاكية وبنى القلاع بالقرب منهما .

نهاية فخر الدين

جزع العثمانيون كثيراً من توسع امارة فخر الدين وهالهم ما رأوه من محبة الاهلين له وتفانيهم في خدمته ، الامر الذي يشكل خطراً كبيراً على الدولة العثمانية وكيانها ، فأصدر السلطان امراً الى احمد كوجك باشا بالتوجه الى لبنان على رأس جيش كبير للقبض على الامير المعني والاقتصاص منه وتقويض امارته .

وكان احمد كوجك صغير السن عندما اتصل بالامير فخر الدين وتربى في كنفه . وما كاد يدرك طور الشباب حتى ولاه الامير جباية الاموال الاميرية في وادي التيم ، والظاهر انه طلب من الامير منصباً رفيعاً فلم يلب طلبه فحنق عليه وترك خدمته وسافر الى الاستانة حيث أصبح وزيراً . وعندما جزع الباب العالي من توسع امارة فخر الدين وكثرت الوشائيات في البلاط ضده أيدها احمد كوجك بكل قواه .

ورأى فيه السلطان خير من ينفذ ارادته ، فولاه قيادة الحملة العسكرية البرية التي ارسلها لتتعقب الامير وتلقي القبض عليه ، وأردفها بحملة بحرية تتألف من اربعين بارجة كبيرة يقودها الاميرال جعفر باشا لسد منافذ الهرب امام فخر الدين .

وجمع احمد كوجك في دمشق جيشاً كبيراً بلغ عدده اكثر من ثمانين الف مقاتل زحف بهم الى الجبل . وكان المطران جرجس الماروني صديق فخر الدين قد أرسل الى دولتي البابا وتوسكانا يطلب معونتهما فأعرضتا عنه ، وكانت الست نسب والدة الامير قد توفيت فحزن عليها كثيراً ، وأيقن ان الحظ قد خانته وان عليه ان يضرب بسهمه الاخير لعل القدر يكون الى جانبه ، فأرسل يستنهض هم رجاله فلبى ندائه المخلصون من آل شهاب وحبيش وخازن فوزعهم على قلاعه .

ووصل الاسطول العثماني الى صيدا فحاول الامير فخر الدين رشوة جعفر باشا فدفع له مبلغاً كبيراً من المال؛ وتظاهر هذا بالقبول ولكنه بعد ان تسلم قلعتي صيدا وبירות واحتل صور نقض عهده وتابع الحرب ضد الامير .

وجاء الشتاء فتتنفس فخر الدين الصعداء لأن الجيش العثماني تفرق وانسحب الى دمشق وعاد الاسطول الى قواعده . ولكن ما أن حل ربيع عام ١٦٣٤ م حتى عاد الجيش العثماني ليضغط على اللبنانيين ، والاسطول على المدن الساحلية ، فاستسلمت طرابلس والمرقب ووقع الامير حسين في قبضة قائد الاسطول ، وأسر الشيخ ابو نوفل الخازن وأقام احمد كوجك في قب الياس واعلان انه رضي بالامير منصور بدلاً من ابيه ، ولكنه ما كاد يستسلم حتى اسره وتابع نضاله ضد امير لبنان بمساعدة اليمينيين .

وجرت معركة كبرى قرب حاصبيا قتل فيها الامير علي بن الامير فخر الدين فأيقن هذا ان ساعته قد دنت فهرب الى قلعة نيجا الحصينة ، وكان قد وضع فيها نساءه وأولاده الصغار وزوجات حلفائه الشهابيين . وخان الامير أحد أعوانه فدل احمد باشا على مصدر مياه القلعة ، فلوثها بدماء الذبائح والاقذار ، ففر منها الامير ليلاً . وأوشك اليأس ان يدب الى قلب كوجك باشا لأن الشتاء قد حل ولم يقبض على الأمير ، ولكن احمد المماليك أرشده الى مقر فخر الدين الجديد ، فذهب الى مغارة جزين وحاصره فيها وهدده بنسفها ان لم يستسلم ، فاضطر فخر الدين لتسليم نفسه فألقى القبض عليه وعلى أولاده وأعوانه في ١٠ كانون الاول سنة ١٦٣٤ م ، وقادهم احمد كوجك الى دمشق حيث اودعهم سجن القلعة ومنها ارسلوا الى الاستانة .

اما الامير يونس وولده احمد وملحم فقد وقعوا اسرى بيد كوجك ايضاً ؛ ولكن الامير ملحم تمكن من الفرار فكان جزاء والده وأخيه القتل .

مقتل فخر الدين :

لما وصل فخر الدين الى الاستانة وقابل السلطان مراد الرابع وعرض أمامه حالة بلاده وبين له انه ما بنى القلاع وجمع الجنود الا لمناصرة السلطان وخدمة الدولة العلية ، وبين له بالأرقام انه كان يؤدي للدولة الأموال الأميرية في حينها ، حتى طابت له نفس السلطان واستقبله بمنتهى الحفاوة ووعدته بإعادته الى أمارته بعد قضائه على العصاة الثائرين على السلطنة في الاناضول .

ولكن الثورة التي اشعلها الامير ملحم ابن الامير يونس في لبنان لاسترداد اماره عمه ، ورغبته في الثأر من اليمينيين الذين ساهموا في محاربة القيسيين وصلت اخبارها الى السلطان ، وكان خارج العاصمة ، فاستشاط غضباً وامر بقطع رؤوس زوجات الامير في دمشق وبإعدامه شتقاً هو وأولاده ، ونفذ فيهم الحكم في ١٣ نيسان ١٦٣٥ م وعرضت جثثهم ثلاثة ايام امام الجامع الجديد في الاستانة ، ولم يسلم من الموت الا ابنه الامير حسين نظراً لصغر سنه ، ولأن قائد الاسطول جعفر باشا الذي اسره عطف عليه وتبناه .

وهكذا انتهت حياة هذا البطل اللبناني الكبير الذي لعب دوراً عظيماً في تاريخ لبنان ، وزرع في قلوب اللبنانيين البذرة المثمرة في السعي دائماً وراء الاستقلال ، وكان السبب المباشر في النهضة العمرانية والاقتصادية ليس للبنان فحسب بل للشرق العربي بأكمله ، وهذا ما سنبينه بعد لأي في الفصل الثامن .

الفصل السابع

المعنيون ونهاية حكمهم

١٦٣٥ - ١٦٩٧ م

الامير ملحم :

لو عدنا الى الوراء بضعة أشهر لرأينا ان الأمير ملحم التجأ الى الدروز في حوران حيث وجد الحماية الكافية والعطف الأكيد ، في الوقت الذي عين فيه العثمانيون ، علي علم الدين اليميني المعروف بظلمه وعتوه اميراً على الجبل ، فعاث هذا في البلاد فساداً ونكل بأعوان المعنيين ونهب اموالهم وحرق ارزاقهم وقضى دفعة واحدة على التنوخيين في عبيه ، وكان يتناول طعامهم في وليمة أعدوها له في السراي .

ووصلت هذه الانباء الى الأمير ملحم وهو مختبئ في عرينه فخرج من عزلته والتف حوله القيسيون وحلفاء عمه ، فشخص بهم الى الشوف حيث نشبت بينه وبين علي علم الدين معركة طاحنة قرب مجدل المعوش ، دارت الدائرة في نهايتها على اليمينيين وفر علي علم الدين الى دمشق يستجير بوالها احمد كوجك وبوغر صدره فأخذ هذا يرسل التقرير تلو التقرير الى الاستانة مما سبب قتل الامير فخر الدين الثاني كما مر معنا .

أخذ الامير ملحم الى السكينة بعد مقتل عمه ، وأعاد احمد كوجك علي علم الدين الى الشوف ولكنه لم يستطع اشاعة الأمن في البلاد ، فعادت الحرب الى الاشتعال ثانية بينه وبين الامير ملحم . ورأى السلطان عندئذ ان عودة المعنيين الى الحكم هي خير ضمان لاستتباب الأمن واداء الضرائب في حينها فرضي عن الامير ملحم وولاه حكم الشوف .

واستعان الامير ملحم بأعوان عمه في الحكم ، فاستدعى نادراً الخازن من توسكانا ، وكان قد لجأ اليها بعد نكبة الامير فخر الدين وعينه حاكماً على كسروان ومدبراً لشؤونه ، وأعاد الى حلفائه املاكهم التي اغتصبها منهم اليمينيون ووثق علاقاته بالشهابيين وتابع سياسة عمه فتحالف مع توسكانا .

معركة وادي القرن :

ولما اصبح بشير باشا والياً على الشام سنة ١٦٥٠ م اسرع الامير علي علم الدين لمقابلته وجدد شكواه على الامير ملحم وأعوانه الشهابيين مدعيًا انهم ازاحوه بالقوة عن أمارته وانهم اغتصبوا أملاكه وأمواله ، فصدقه الباشا (لأنه قبض منه مالاً كثيراً) وتوجه معه على رأس جيش كبير الى البقاع .

ولما وصلت هذه الانباء الى الامير ملحم زحف يجنوده الى وادي القرن ، يرافقه الاميران قاسم وحسين الشهابيان . ولما التقى الفريقان اسفرت المعركة عن اندحار بشير باشا فتقهقر عائداً الى دمشق ، ونسب ذلك الى خيانة وجبن الامير علي علم الدين فزجه في سجن القلعة حيث بقي فيه حتى عزل الباشا سنة ١٦٥٤ م .

وجاء الوالي الجديد فارسل اليه الامير ملحم الهدايا النفيسة والأموال الغزيرة فرضي عنه وثبته في أمارته وأقطعته ولاية صفد ايضاً .

هجرة الجالية الفرنسية الى عكا وعودتها .

يروى السيد دارفيو، قنصل فرنسا في صيدا، ان المعاملة السيئة التي كان يلقاها الفرنسيون من قبل اسماعيل آغا حاكم صيدا سنة ١٦٥٨ م أجبرت القنصل على الهجرة مع الجالية الفرنسية من صيدا ليستقر في عكا الأمر الذي جعل اسماعيل آغا يحسب حساباً لما تجره عليه هذه الهجرة من خسارة مادية، ولذلك طلب من الامير ملحم ان يتوجه على رأس قوة من جيشه لإعادة القنصل والجالية بالقوة إذا أبوا ذلك . وكان الفرنسيون قد انزعجوا من مناخ عكا فبادروا الى العودة والتمركز في خانهم التجاري في صيدا (دارفيو - الجزء الأول ص ٢٨١) .

سياسة الامير ملحم ورفاقه :

سار الامير ملحم على المنهج نفسه الذي خطه الامير فخر الدين ، فتقرب من أبناء رعيته لا يفرق بين مذهب ومذهب او منطقة ومنطقة ، فأحببه الأهليون وعاد الاستقرار والأمن يخجان في أرجاء لبنان .

وفي صيف ١٦٥٨ م توجه الامير ملحم الى صفد لجباية الأموال المترتبة عليها فأصيب بمرض غضال في عكا . ونقل الى صيدا حيث وافته المنية في ١٦ ايلول سنة ١٦٥٨ م وحزن الشعب عليه كثيراً لعدله وحلمه وأخلاقه وأقام له ابنائوه مناحة كبيرة استمرت ثلاثة أشهر . وخلفه في الحكم ولداه الاميران احمد وقرقماز اللذان أقاما الشيخ ابا نوفل الخازن كاخية لهما ...

الاميران احمد وقرقماز

تولى الاميران احمد وقرقماز الحكم ، والنقمة على المستعمرين العثمانيين تستعر في صدريهما ، وهدفهما إعادة الامارة الى ما كانت عليه من قوة أيام فخر الدين ، الأمر الذي يكافحه العثمانيون بشتى الأساليب . ولذلك عمد العثمانيون الى تسليم

حكم بعض المناطق الى أشخاص يثقون بهم . فأناطوا حكم الشوف بالشيخ سرحال العماد ، والمتن والغرب بمحمد ومنصور علم الدين وحكم صيدا بعلي باشا الدفتردار ، ولكن اللبنانيين رفضوا الانصياع لحكامهم الجدد فاضطر العثمانيون الى الانصياع لرغبة الجمهور فاعترفوا بأمرة الاميرين المطلقة على البلاد .

قسوة الوالي الدفتردار

يتحدث دارفيو عن والي صيدا الجديد علي باشا الدفتردار الذي فشل في اخراج القيسيين من معقلهم في الجبال ، انه عمد الى الانتقام من الدروز المقيمين بجوارهم في الشوف بعمليات لثيمة ومجازر رهيبة ارتكبها بحقهم إذ يقول : « لقد حمل الدفتردار الحرب الى الدروز الذين ارسلوا له وفدين الأول مؤلف من ٦٠ رجلاً والثاني من ٤١ مع اعلامهم معلنين ولاءهم وطاعتهم للدولة . ولكن هذا انتقاماً منهم ومن أمرائهم القيسيين ، أمر بذبحهم كالنعايج أمام باب السراي وترك جثثهم طيلة يومين في أماكنها وبعد ذلك أمر برميها في البحر بعد ان جز رؤوسها وملحها ثم أمر بإرسالها الى الاستانة . وقلما كان يمر يوم دون ان يرى سكان صيدا بعض الرجال معلقين على أعواد المشائق أو مقطوعي الرؤوس أو موضوعين على الخوازيق ، ان في الشوارع أو على ابواب المدينة .

الوالي محمد باشا اللبناني وحادثة مزبود

واثر استلام احمد كوبروللي الصدارة العظمى سنة ١٦٦٢ م أمر بعزل علي باشا الدفتردار وعين بدلاً منه محمد باشا الارناؤوط الذي وعده بأن يرسل إليه برؤوس الامراء المعنيين .

ودخل الوالي الجديد صيدا دخول الفاتحين فاستقبل بالترحاب والاکرام وقد ظن به الاهلون خيراً . وأخذ يعمل بسرية تامة لتحقيق وعده للصدر الأعظم بالقضاء على المعنيين الذين كانوا بدورهم حذرين جداً يعتصمون بالجبال لا يتركونها خوفاً من الغدر بهم .

وتظاهر الوالي الألباني بالعطف على المعنيين ، فأرسل اليهم كتب الأمان مع التطمينات اللازمة وتجاوباً معه قام الامراء من جهتهم بالدخول في مفاوضات بواسطة رسل يشقون بهم دون ان يعمدوا الى مقابله وجهاً لوجه .

مرّ على المفاوضات ستة اشهر مما دفع الاميرين الى مقابلة الوالي مقابلة كاخية الوالي في قرية مزبود على بعد فراسخ قليلة الى الشمال الشرقي من صيدا .

ويروي دارفيو في مذكراته : « ان الاميرين احمد وقرقماز وصلا الى مزبود في المساء على رأس ٥٠٠ رجل من اتباعهما . وكان الباشا قد انتقى حسن آغا الألباني لتحقيق مخططة في الغدر بهما وزوده بحاشية قوامها ٢٠ ضابطاً وأوعز اليهم ان يجهزوا على الاميرين بمجرد ان يد الآغا يده الى سيفه .

وجرت المقابلة باستقبال حار ، وبعد ان تناول القهوة الزعماء تفرق رجال المعنيين في الاماكن المجاورة للاستراحة .

وبعد ان عقدت الجلسة ودار الحديث حول موقف الاميرين من الدولة العليا وقف حسن آغا متظاهراً بفرض الجلسة ثم امتشق حسامه وأهوى به على الامير قرقماز فقتله وهاجم احد ضباطه الامير احمد ، ولكنه في اللحظة ذاتها كان الشيخ حسن الخازن بن ابي قانصوه وحفيد ابي نوفل قد امتشق حسامه وأهوى به على رأس المهاجم فقتله ، وكان الامير احمد قد أصيب بجرح في عنقه ، فأمسك الشيخ الخازني الامير بيده اليسرى وشق بسيفه طريقاً له ولأميره بين المعتدين حتى وصلا الى خيلهما ، فانطلق به نحو الجبل . وهكذا نجح الخازني في انقاذ الأمير احمد الذي كثيراً ما كان يتحدث عن تلك المعركة ، منوهاً ومعتزلاً بميل الخازني عليه .

أما حسن آغا فقد عاد مزهواً بخمرة نصره الفادر الى صيدا ، محدثاً بما قام به من عمل شائن ، فاستقبله الباشا معانقاً اياه بحرارة وقدم اليه الهدايا الثمينة

وأحيا مع ضباطه في تلك الليلة سهرة صاخبة شاركه فيها ابناء الجالية الفرنسية ، الذين جاءت وفودهم الى السراي تهنيء الوالي بالنصر على أعدائه ، لأن كراهية المعنيين كانت تأكل قلوبهم ، ويعود ذلك الى حقد القنصل الفرنسي على الأميرين المعنيين لأنهما كانا يقفان في وجه منافعه المادية .

وبعد يومين اجتاح الباشا بقواته قرى الجبل فأحرق الكثير منها وألقى القبض على عدد من الأسرى ثم عاد الى صيدا وقد علق على رأس رمح سار أمامه رأس الامير قرقماز مع خسين رأس أخرى وسلم حكم الجبل الى آل علم الدين .

وتوارى الامير احمد عن الانظار حتى سنة ١٦٦٤ م ، فظهر لأول مرة بعد النكبة التي حلت به ، وفرح به قومه القيسيون وتألبوا حوله لمساعدته ، ونهض اليمينيون لشد أزرك زعيمهم محمد علم الدين والتحم الفريقان في عدة معارك اشهرها معركة الغلغول قرب بيروت التي انهزم فيها اليمينيون وولوا الأدبار الى دمشق .

وعاد الامير احمد الى حكم الشوف وقد علمته التجارب ان يظل على صلة حسنة بالعثمانيين فكان يقدم لهم الضرائب في موعدها المقرر ويهدي ولاتهم الهدايا الفاخرة بين حين وآخر في الوقت الذي كان يقوم بإعادة الصلات التجارية والسياسية مع الأجانب الى سالف عصرها . وأرسل يستدعي الامير منصور وعلي الشهابيين من سورية فعين الأول أميراً على حاصبيا والثاني على راشيا .

السفير الفرنسي في صيدا :

بسط الفرنسيون حمايتهم على الموارنة في اواسط القرن السادس عشر وظل ملوكهم ، بموجب المعاهدة المعقودة بينهم وبين سلاطين آل عثمان ، حتى ايام الملك لويس الرابع عشر ينشطون في إظهار حمايتهم لهم .

وفي سنة ١٦٧٤ م امر لويس الرابع عشر سفيره في الاستانة ان يتوجه الى الأراضي المقدسة للتبرك بها ، وان يعرج في طريقه على لبنان لاطهار محبته

ورعايته لشؤون الطائفة المارونية وان يقابل البطريرك الدويهي . وصل السفير
المركيز دي نواتيل الى صيدا في ١ آذار سنة ١٦٧٤ م وحل في دار القنصلية ،
وهناك كتب رسالة الى ابي نوفل الخازن منوهاً بفضله وماتحاً اياه السلطة لحماية
المسيحيين في الجبل ، ومثبتاً اياه كقنصل لفرنسا في بيروت نيابة عن الملك
الشمس لأنه جدير بتحمل المسؤولية .

ثم غادر السفير صيدا عن طريق البحر متوجهاً الى طرابلس ومنها صعد الى
غابة الارز حيث استقبله البطريرك الدويهي مرحباً بقدومه ومقدماً اليه هدية
متواضعة هي قطعة من خشب الارز نقشت عليها عبارة تدل على تعلق الموارنة
بممثل الملك المسيحي الحقيقي ...

وسنة ١٦٨٠ م تزوج الامير موسى الشهابي ابنة الامير احمد المعني قرزقا
الامير حيدر الشهابي .

وفي عام ١٦٩٣ م عزل السلطان ، بتأثير من الباشاوات والرشوات ، الامير احمد
من حاكمية الشوف وعين مكانه الامير موسى علم الدين اليميني الذي ظن ان
الجو قد صفاه ، فأخذ يقسو على القيسيين ففروا الى وادي التيم حيث نظموا
حملة قوية قادها الامير احمد المعني والاميران بشير ونجم الشهابيان وزحفوا على
دير القمر ، ولما شعر الامير موسى علم الدين بقدومهم فر الى صيدا ولجأ الى
واليها ارسلان باشا . ولكن هدايا الامير احمد النفيسة كانت قد سبقت الامير
اليميني الى الوالي الذي طرده ، وثبت ابن معن في امارته .

نهاية المعنيين .

بعد هذه الحادثة استتب الامر للامير احمد ، ولكن حكمه لم يدم طويلاً لأنه
توفي في ١٥ ايلول سنة ١٦٩٧ م دون ان يترك وريثاً ذكراً ، فسعى الامير
حسين بن فخر الدين ، الذي أصبح في الاستيلاء من أعظم رجالها نفوذاً وثقافة ،

لتعيين الامير حيدر بن الامير موسى شهاب اميراً على الجبل ، لأن والدته هي
ابنة الامير احمد المعني وهو بحق وريث المعنيين الشرعي . وهكذا انتقلت
الأمانة الى الشهابيين ، وانتهى عهد المعنيين في لبنان بعد ان حكموه مئة وثمانين
سنة ونيف لعبوا خلالها دوراً كبيراً في تاريخه ، وأدوا لوطنهم ولوحدة ابنائه
أعظم الخدمات وأشرفها .

الفصل الثامن

الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية

خلال عهد الأمراء المعنيين

١٥٠٥ - ١٦٩٧ م

الأمراء المعنيون وصيدا :

يروي البطريق الدويهي في تاريخه الأزمنة : « ان في سنة ١٥٠٩ - ١٦٠٠ ميلادية ، جاء باشا الشام في البحر وطلع الى مدينة صيدا فقابله الامير فخر الدين الثاني مقدماً له الهدايا والذخائر فطيب الباشا خاطره وكتب عليه ايلة صيدا مع أقاليمها وسكن الامير في صيدا » .

وكانت صيدا تشمل أقاليم جبل عامل وبشارة ومنطقي صور وعكا وكلها كانت تحت حكم جده فخر الدين المعني الاول منذ سنة ١٥٠٥ م لم تنزع من المعنيين إلا مؤقتاً سنة ١٥٨٤ م اثر مقتل الامير قرقماز حين جعلت سنجقية فاستردها ابنه فخر الدين الثاني بعد تسع سنوات .

وكان المماليك قد دمروا ميناء صيدا بعد نزوح الصليبيين عنها وضموها الى بيروت وعهدوا بها الى امراء الغرب اللبنانيين ثم الى آل عساف .

ويقول الأب روجيه : « ان صيدا مدينة يعود الفضل في نهضتها الحالية الى

المعنيين . إذ كانت خراباً فرموا قلعتها وأقاموا اسوارها » .

ومن المؤكد ان الامير فخر الدين المعني الكبير كان يقضي الصيف في دير القمر ويقضي بقية السنة في صيدا . وظل على هذا المتوال حتى سافر الى أوروبا ، ولما عاد منها اتخذ بيروت مقراً له وترك صيدا لابنه الامير علي ، ولذلك لقبه كاتشيارى سنة ١٦٠٥ م بصاحب صيدا ، وقال عن البلدة : « انها مدينة حصينة ولها ميناء صالحة للملاحة ولرسو السفن » .

اعمال فخر الدين العمرانية في صيدا :

ولأجل تحقيق المشاريع العمرانية في البلاد استدعى الامير فخر الدين عدداً من ذوي الاختصاص الأجانب من فلورنسيين وفرنسيين وأسكنهم صيدا وبيروت ، وقدم لهم كل المساعدات الممكنة التي تقدم حالياً للخبراء الأجانب . ومن أشهر اولئك الاختصاصيين : الطبيب الفلورنسي ماتيونالدي دي سيني ، والمهندسين كيولي وفاني والرسام الفرنسي سيليني .

ونال صيدا - التي أصبحت مقر الامير الشتوي - قسط كبير من الازدهار والعمران ، اذ يقول كوتوفيكس الذي زارها سنة ١٥٩٨ م ما يلي :

بعد ان كانت هذه المدينة - يعني مدينة صيدا - أشبه بالأطلال لا يسكنها الا شرذمة من المسلمين والدروز ، جعلها فخر الدين كثيراً وجعلها عاصمة له وبنى فيها قصرأ ليكون داراً للحكومة ، ويرتفع بناؤه اكثر من سائر ابنية المدينة بما فيها خان الافرنج إذ يطل على البحر ويشرف على اكثر أرجاء البلدة ويكشف أمامه برية صيدا . ولقد بنى هذا القصر على احسن طراز وامنته ، وزينه بالرسوم والتصاوير العربية وأحاطه بحديقة أزهار جميلة وعلى ابواب حجراته وأغلاها نقش كتابات من الآيات القرآنية بحروف مذهبة قام بنقشها أحد الرسامين الفرنسيين ، وقد استخدمه فخر الدين مدة سنتين زرع خلالها خمسمائة نوع من النباتات فأعطى الألوان المتنوعة الى الجذور والأوراق والأزهار والأثمار .

ولقد تهدم هذا القصر بإهمال الباشاوات العثمانيين له بعدئذ . وبنى الأمير
فخر الدين أيضاً في صيدا الخان الفخم الكبير المسمى بخان الإفرنج .

ويصف الشيفالييه دارفيو هذا الخان بقوله : « هو مبني بالحجارة ، طابقه
الأرضي مقسم الى ردهات كبيرة واسعة مضيئة . وقسم التجار هذه الردهات
الى عدة أقسام منها ما هو معد للبيع والشراء . ومنها ما هو مهيء للسكن ،
وآخر للتخزين .

وفي الخان سلمان حجريان يقودان الى السطوح حيث كان التجار يصعدون
للتنزه واستنشاق الهواء ورؤية البحر دون ان يخرجوا من الخان ، وإلى الشمال
يقع بيت القنصل الفرنسي وهو يشتمل على ست غرف واسعة مربعة الشكل
تغطي سقوفها الأخشاب الضخمة ، وكان الأمير فخر الدين قد بناه ليكون
مسكناً لنسائه ولكنه قدمه بعدئذ للفرنسيين ليكون مركزاً تجارياً لهم .

وقام المهندس البناء فرنسيس فانيي ببناء جسر على نهر الأولي (لا يزال
قائماً حتى الآن وتسير عليه السيارات الى بيروت بعد ان وسعته وزارة الاشغال
سنة ١٩٦٣) بناء على رغبة الأمير وقد وصفه دارفيو بقوله : « وقد بني هذا
الجسر على قنطرة واحدة بعرض ١٢ قدماً ، ويستند على حائطين متينين جداً
أقيما على ضفتي النهر . وجرى الاحتفال بتدشينه بحضور الأمير فخر الدين وقنصل
توسكانا والمهندس فانيي . ولقد وضع الأمير في أساسات الجسر قطعة من النقود
المنقوش عليها رسم قوزما الثاني ، وقال الأمير موجهاً خطابه الى القنصل : انني
لا أجد اثناً من هذه القطعة التي تحمل صورة قوزما لوضعها في الأساس » .

الطرق التجارية :

وخلال الحكيم المملوكي والعثماني كان السكان يعمدون بشتى الوسائل الى
إبعاد الطرق الرسمية عن قراهم خوفاً مما يسببه مرور القوافل التجارية الخاضعة

لحماية الجنود ومراقبتهم في قراهم من مضايقات ومظالم وضرائب يرتكبها الجنود
أثناء ذلك . ولكن فخر الدين وقد حقق الأمن والرخاء لشعبه والعدالة لهم وما
أظهره من أهمية لمرور الطرقات التجارية في مناطقهم وما يجنونه من فوائد ومنافع
مادية ومعنوية ، استطاع ادخال الطمأنينة الى قلوب ابناء رعيته فساهموا خلال
حكم فخر الدين بإبصال الطرق الى مناطقهم .

ولكي يؤمن فخر الدين حماية الطرق التجارية ، فقد رمم الحصون وبنى
مراكز للمراقبة والقلاع ، وكذلك الخانات لراحة التجار خلال قيامهم برحلاتهم
التجارية داخل البلاد . وكان الخط الرئيسي هو الممتد من صيدا الى دمشق ماراً
بعلمان فالجملية فمجدلونا فالمغيرة فمزبود فشحيم فعانوت فعينبال فبيت الدين
فدير القمر فالباروك فعين زحلنا فالمديرج ومنها الى دمشق .

وبالإضافة الى الطرقات الكثيرة التي أقامها في الداخل عمد الى تعبيد الطرق



صيدا ومرفأها في عهد فخر الدين الكبير

الساحلية التي امتدت من صيدا الى عكا ، وأقام الحصون في الممرات الضيقة منها كراس الناقورة ، ومغارة الحمام في صفد ، وعبّد الطريق الساحلي الممتد شمالاً من صيدا ماراً ببירות فطرابلس ، وكانت سهلة الممرات ما عدا نهر الدامور إذ لم يكن عليه جسراً ، حتى تدخل المراكب التوسكانية بصورة سرية الى تلك المنطقة ولتتصل به سريعاً .

ووسع فخر الدين مرفأ صيدا وجعله المرسى الرئيسي لأسطوله الحربي والتجاري وأخذت المراكب ترتاده حاملة اليه مختلف البضائع وناقلة منه كل المواد التي يصدّرها الشرق بواسطة ميناء صيدا الذي استعاد ماضيه المجيد وعادت اليه حياة النشاط القديمة . حتى ان أحد الرحالة الأجانب ذكر انه شاهد في ميناء صيدا وفي آن واحد من عام ١٦٣٣ م ثمانية مراكب ، تعود جميعها لتجار فرنسيين من مرسيليا ..

والتفت فخر الدين الى اصلاح قلعة صيدا البحرية فرمها وبنى فيها مسجداً لا يزال قائماً حتى الآن كما بنى في صيدا المسجد الجامع الذي يطلق عليه اسم جامع السراي ، ولا يزال المصلون يؤمنونه الى يومنا هذا .

أما أشهر القلاع التي بناها فخر الدين في منطقة صيدا فيذكرها ماشنجي بقوله : « قلعة نيجا تبعد عن صيدا خمسة عشر ميلاً . وهي في قلب البلاد واقعة على صخر علوه ثلاثئة ذراع . حفرت في داخله مأوي العساكر والمخازن وغيرها من المنافع ، شاهدت فيها زهاء مئة جندي لديهم من المؤن ما يكفيهم اكثر من ثلاث سنين ، وفيها كثير من أثاث الأمير ، وهي منيعة وافرة الماء ليس فيها من البناء سوى السور . أما المدخل فتأبّت .

وقلعة الشقيف منتصبة على صخر شاهق مبنية بالحجر الأصم على شكل زاوية ارتفاعها اربعئة ذراع ودائرتها اربعئة وخمسون . لها ابراج مربعة تسع خمسة جندي وفيها من الزاد ما يفيض عن ثلاث سنين ، ناهيك عن صهاريج الماء وآبار

الزيت . وجدنا فيها من أثاث الأمير الشيء الكثير والشائع انه اخفى فيها كمية كبيرة من المال . وهي من الخارج في غاية المناعة . وقد حفرت لها خنادق عميقة أمام المواقع السهلة المنال . وفي عرقي انه لا ينقصها سوى المدفعية . (الخوري بولس قرأ لي - الأمير فخر الدين ودولة توسكانا) .

الزراعة والصناعة

على أثر عودة الأمير فخر الدين من منفاه استحضر المهندسين الاوربيين للتنقيب عن المياه ، كما استحضر ايضاً عدداً من المهندسين الزراعيين المختصين بالحدائق والبساتين وأعمال الري ، كما استعان ببعض الفلاحين التوسكانيين لتعليم اللبنانيين الفنون الزراعية المتبعة في ايطاليا ، وأتى هؤلاء ومعهم ابقارهم وأدوات حراثتهم وباشروا العمل فور وصولهم .

ووجه الأمير اهتمامه الى تربية دودة الحرير ، فشجع الناس على غرس أشجار التوت حتى عمت زراعته معظم السواحل اللبنانية وفي طبيعتها سهول صيدا . وأخذت صناعة الحرير تترقى حتى غدا الحرير اللبناني يشكل اعظم مورد للأمير (تقرير سانتي) اذ استهوى اصحاب المعامل في أوروبا فاشتروه بأغلى الأثمان وغدا في كل بيت لبناني نول لحياكة الحرير وتوشيته .

كما راجت صناعة الصابون في طرابلس ونابلس وصيدا . واشتهرت صيدا ايضاً بنوع خاص مع بلدة برجا بالمنسوجات القطنية والحريرية . كما عادت صناعة الرماد (وهو بقايا اعشاب خاصة كان يجمعها الاهلون ويحرقونها ثم يبيعونها الى تجار أوروبا لصناعة الزجاج والصابون) الى سابق عهدها في صيدا وغيرها .

ويذكر التقرير الذي رفعه سانتي الى دوق توسكانا سنة ١٦٢٤ م عن واردات الأمير فخر الدين السنوية التي يستوفي غالبيتها من صيدا ما يلي :
٨٠ الف قرش من الحرير والتوت

٣٠	الف قرش من القطن
٥٠	الف قرش من الخمر والزيت
٣٠	الف قرش من القمح والقطاني
١٥	الف قرش من المواشي
٢٠	الف قرش من الرسوم
٧٠	الف قرش من الضرائب
٢٩٥	الف قرش .

المجموع مئتان وخمسة وتسعون الف قرش . ولا يدخل في هذا الباب الرسوم الإضافية التي يفرضها الأمير في بعض الأحيان ، وما يرد لبيته أو لحاشيته من الهدايا . بل ان هذا ما يستوفيه بنفسه أو يبيعه من رعاياه .

التجارة

اختط الأمير فيخر الدين خطة جديدة لانعاش التجارة في بلاده ، إذ همى التجار من القرصان بجرأ واللصوص برأ ، وسهل لهم النزول في موانئ لبنان وبنى لهم الخانات وعاملهم معاملة حسنة جداً فأثروا بجمعهم الى الموانئ اللبنانية الخاضعة للأمير وخصوصاً الى صيدا وسكنوا فيها ، وبعضهم استدعى افراد أسرته للاقامة الدائمة في ربوعها . وأخذت مراكب البندقية وجنوى وفلورنسا ومرسيليا وهولندا وانكلترا والدول الفلمنكية تؤم صيدا وبيروت ، فتشترى المحاصيل الزراعية والصناعية كالحرير والكتان والزيت والصابون والقطن والرماد والحبوب ، وتدفع الثمن نقوداً ذهبية ومعادن مفيدة واقمشة مختلفة وزجاجاً وفولاداً .

وهذا التساهل التجاري من قبل الأمير والمعاملة الطيبة ، دفعت الدول الغربية الى تعيين قناصل لها لدى الأمير في صيدا ..

وتفصيلاً لبعض العلاقات التجارية مع أوروبا وخاصة دولة توسكانا وعلاقتها بالماسة

بمدينة صيدا رأينا ونحن ندون تاريخها ان لا بد من ذكرها في هذا الباب فنقول:

تجارة صيدا مع توسكانا

في ربيع سنة ١٦٢٩ م وصل الى ميناء صيدا تاجر توسكاني يدعى باشيكا لويو وقد زودته الغراندوقة بكتاب توصية الى الأمير ليسهل عليه شراء القمح في بلاده ، فاستقبله الأمير بعطف وساعده في مهمته ، ثم سلمه رسالة لينقلها الى الغراندوقة وقد تضمنت اهم فقراتها ما يلي :

« تلقيت كتابك العزيز المؤرخ في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٦٢٩ م فكان سروري عظيماً لأنه وارد من يدك الكريمة وطمأنني عن صحتك ... ولو جاء محصولي هذه السنة كالسنتين السابقة لمأت المركبين دون ان اتقاضى غرساً واحداً . بيد اني سمحت لصاحبها بشراء القمح من كل البلدان الخاضعة لي وحسمت له غرساً عن كل غرارة (الغرارة اثنا عشر كيلاً ، والكيل ٣٦ رطلاً) وأعفيت من رسوم القنصلية . ولسموك ملء التصرف في مالي وأولادي وهم على اتم الاستعداد لخدمتك وتنفيذ كل أوامرك .

لقد سلمت رسولك قنطارين من الحرير الجيد في ثمان بالات (الباله وقتئذ تساوي مئة ليبرة فرنسية) ليقدمه لسموك . رجائي ان تقبله وتتمتع به حباً بي . لم أبعث بأكثر من هذه الهدية قيمة لأن الوقت غير ملائم . املي ان لا أبرح أبداً من ذهنك ، وأرجو أن تعيني هنا قنصلاً يشرف على تصدير محصولات بلادي الى توسكانا واستيراد البضائع من بلادك فيتاح لي ان اقف على أخبارك كلما وردت مراكب من عندك . »

خادم سموك المخلص

الامير فخر الدين

امير صيدا وكامل جبل لبنان

(الخوري بولس قرالي - الامير فخر الدين ودواه توسكانا) .

توالي وصول البعثات التجارية

وفي ١٣ تشرين الاول سنة ١٦٢٩ م التمس التاجر باشيكا لويو من الغراندوقة ان توصي الامير فخر الدين بإبنيه العائد الى لبنان للتجارة فلبت طلبه كما سلمت ايضاً توصية أخرى لتاجر انكليزي متوجه الى لبنان بثلاثة مراكب تعود الى قنصل هولندا وقد جهزها في ليفرنو ليشحنها من بلاد الامير قمحاً وفولاً . وأرسلت اليه هدايا وطرائف من مصنوعات توسكاني له ولزوجته خاصكية .

وعهدت الى البارون دالجر بتسليمه ايضاً علبة عقاقير جميلة مع كتاب تشكر فيه الامير لمهامته رعايا فرناندو الثاني ابنها ؛ فرد عليها الامير في ١٠ آذار سنة ١٦٣٠ م مؤكداً لها : « ان ذكرى قزما الثاني زوجها تحيا في قلبه حياته كلها مقرونة بالرغبة الصادقة في خدمتها وخدمة ولدها » . وكلف الامير البارون السعي ، لتعيين شخص في صيدا يشرف على التجارة بين البلدين ويسهل عليه مبادلتها الرسائل وتلبية رغباتها ، وأوصاها ان توغز الى ربانة المراكب التوسكانية المتوجهة الى بلاده ان ترفع الراية الفرنسية على قلوها لأسباب أوضحها للبارون .

وهذه المعاملة الممتازة شجعت البلاط التوسكاني على شحن خمسة مراكب من مصنوعات بلاده الى لبنان ، وتعيين قنصل دائم يقيم في صيدا ويشرف على مصالح الدولة التوسكانية — التجارية والسياسية —

واستعمل البلاط التوسكاني عملة جديدة — ربيع دوقة — رسم عليها رسم الغراندوقة بناء على نصيحة تلقاها من احد التجار في صيدا لنقاها ؛ وكانت كل ٣ قطع منها تعادل ثمانية ريات اسبانية ، وشحن منها الى صيدا ٣٠٣٣٠ قطعة في اربعة صناديق ، ومن الريالات الاسبانية من فئة ثمانية واربعة فرنكات ، ثلاثة عشر صندوقاً تحتوي على ٣٢٤٣٢ قطعة ، وبلغت قيمة النقود المشحونة الى لبنان عن طريق صيدا ٣٤٩٤٥ سكوتاً وأضيف الى هذه الإرسالية كميات من الأجواخ

اللامعة المصقولة والمزهرة وأخرى من تقليد مصنوعات البندقية وبعض أثواب من الخمل الملون والشيت التوسكاني وارفق المراكب بغليونين مسلحين للدفاع عنه .

وانتدب البلاط تاجراً يدعى يوحنا ميتشيري ، ليتولى تصريف هذه البضائع والنقود وشحن المراكب في عودتها بالمحاصيل اللبنانية . وعين في صيدا قنصلاً توسكانياً يدعى القائد فرنسيس دي فرانسانو ، وكان قديماً في أسر الأمير ومن حاشيته ويعرف لغة البلاد وعاداتها . وقدم البارون دالجر بعض الهدايا الى الأمير وولده وحاشيته وعين معاوناً له السيد فرنسيس ليونشيني .

وزودت الغراندوقة القنصل بكتاب توصية الى الامير فخر الدين مؤرخ في ٢٤ ايلول سنة ١٦٣٠ م ، وبآخر الى ولده الامير علي حاكم صيدا .

الفصل التاسع

نشاط صيدا الاقتصادي

- تنمة -

البعثة في صيدا

وصلت البعثة التوسكانية الى صيدا في ١٦ كانون الاول سنة ١٦٣٠ م. وفي ٢٥ منه كتب القنصل في صيدا رسالة الى الغراندوق تعريبها كما يلي :

« بلغنا صيدا في السادس عشر من هذا الشهر متمتعين بصحة تامة ، ولما أخبر البارون الامير علياً بوصولي وبمهمتي انفذ ابراهيم نجمياس امينه ووكيل والده ليقرئني السلام ويهنئني بسلامة الوصول . وفي صباح اليوم التالي عاد المذكور فأخرجني من المركب ورافقني حتى قصر الامير حيث أعد لسكني جناح خاص . وبعد الغداء دعاني ابراهيم لتقديم واجباتي للامير ، وهو إذ شاهدني نهض من مكانه وأقبل علي يعانقني بمظاهر الوداد . وسألني عن سموك وعن الغراندوق . ولما طمأنته عنكما أظهر الارتياح كله الى هذه البشري وأمرني بالجلوس وتحدث إلي بامور شتى . ثم أفهمني انه سيرسل إلي بعد حين بخلعة كان يود لو وضعها هو بنفسه على منكبي لولا خوفه من شكوك الحاضرين .

ولما شكرت له هذه المنحة التي لا استحقها اجابني : « انها لا تذكر بجانب ما لسموك من الأفضال على والده . وان بلاده بأسرها مستعدة لخدمتك » .

- ٢٤٤ -

ولما عدت الى غرفتي ، أدركني ابراهيم نجمياس حاملاً الخلعة وهم ان يلبسنيها فمانعته . ولكنه أصر بقوله : « هذه أوامر سيدي » . فارتديتها بحضور البارون وميتشيري وفي نفس الوقت أوفد الأمير فخر الدين احد كبار المسيحيين وهو أبو نادر الخازن - حاكم بيروت وكاتم اسرار الامير الأكبر - فاعتذر بلسانه : « انه لم يأت بنفسه لاستقبالي مع ما يمكنه من الاعتبار إذ ان مهاماً حربية تضطره الى ملازمة عسكره في بعلبك » .

الهدايا المتبادلة مع توسكانا :

وفي ٢٤ آذار ١٦٣١ م بوشر بشحن مراكب الغراندوق : ثلاثة منها وسقت قمحاً ؛ والرابع أرزاً ؛ والخامس نصفه قمحاً ونصفه أرزاً وقد ملئت جميعها في مرفأ صيدا .

وارسل الامير علي رسالة في ٢٧ آذار الى الغراندوق وأخرى الى الغراندوق شاكرأ لهما هديتهما كما انه يهدي الغراندوق جواداً مطهماً بعدة شرقية راجياً قبوله والتمتع به حباً به (وكانت عدة الحصان فخمة ثمينة مرصعة بالفيروز وغيره من الاحجار الكريمة . اما الحداث من ركابات ولجام وغيرها فمصوغة بالفضة المطلية ذهباً . وكانت يد الدبوس من العاج المطعم بالذهب ومقبضه من البلور الثمين) .

وقد وقع الامير الرسالة كما يلي :

الامير علي بن الامير فخر الدين

امير صيدا والجليل

وارسل القنصل التوسكاني رسالة مطولة بتاريخ ٢٦ آذار الى امين سر الغراندوق يبشره فيها ان المراكب اصبحت جاهزة للسفر بعد ان مكثت في صيدا ثلاثة اشهر ونصف الشهر . واخبره انه بعد وصوله تلقى ثلاث مرات دعوات من الامير علي لمقابلته . ويذكر القنصل سوء سلوك ميتشيري وبورشكوتي وسعة صدر الامير نحوها ارضاء للغراندوق .

- ٢٤٥ -

وفوه القنصل في رسالته ايضاً ان قنصل فرنسا في صيدا ادعى بحقه في رسوم المراكب التوسكانية ولكن ابراهيم نحيماس بناء على امر من الامير علي اجابه : « ما دام الغراندوق قد عين له في هذه المدينة قنصلاً خاصاً فله وحده الحق في هذه الرسوم ». الامر الذي حمل القنصل الفرنسي لرفع شكواه الى وزير مملكته .

ودعش البلاط التوسكاني لهدايا الامير الفاخرة فبادلته بنفائس البلاد ، إذ أرسلت الغراندوق للأمر ثلاثة قوارب من فضة بشكل القدور مع أغطيتها ومصفاة ومغرفة وعطارة من ذات المعدن وحنجوري ترياق وذهب سائل وارفقتها بثوبين قزميين صنعا من الحرير اللبناني الذي اهداه الامير فخر الدين لها .

وأرسلت الى ولده الامير علي مدفتين من فضة والى ابراهيم نحيماس شمعدانين واثني عشرة ملعقة من المعدن ذاته . وأرسلت ايضاً صندوقاً من الاواني الكنسية لمعبد القنصلية في صيدا ، وكان يخدم فيه الآباء الفرنسيين . وأهدى الغراندوق الى فخر الدين قارباً كبيراً للطعام وكأسين وقدرًا وابريقاً لغسل اليدين كلها من الفضة المطلية ذهباً . وارفقتها بعلبة تحتوي حربات صغيرة للفصد وبثلاث علب من النظارات فضلاً عن منظار كبير لرؤية الابعاد .

وأهدى الى ولده الامير علي قفة للخبز من الفضة وملححة واربع كاسات وثلاثة زوارق للطعام وقدرًا وابريقين للشرب فضلاً عن ابريق للخل والزيت وملححة وملعقتين وشوكة وسكين ومسواك لتنظيف الاسنان . وكلها مصنوعة من الفضة المطلية ذهباً . وأضاف اليها قارباً كبيراً للثلج واثاء للتبريد وخيمة من الحرير وشطرنجاً من الآبنوس وطاولة لعب ازهارها وحجارتها من الكهرمان ونظارة على طريقة جليليو وكية من الالعب البيتية .

كما اهدت الارشيدوق الى الامير فخر الدين كرة كبيرة من الرخام المطعم مركزاً على قاعدة من الآبنوس ومائدة عليها رسوم مدن وقصور وحصون وما شابه ذلك وصندوقاً صغيراً من الرخام يحتوي على عقاقير ثمينة مختلفة الأصناف

خارجة من مصنع الغراندوق ، ومكتباً من الرخام بادراج ظاهرة وخفية ملأى بطرائف توسكانية من زهور حريرية بالوانها الطبيعية وكفوف وعطور تحرق في الغرفة واكياس نقود من ذهب وحرير وعلب لحفظ المجوهرات .

وكتبت الغراندوق الى فخر الدين تشكر له هديته الكبيرة من الحرير وتعترف بعجزها عن مجاراته في ميدان الكرم نظراً للوباء الذي يفتك منذ سنة بالبلاد التوسكانية .

وكانت ثقة الامير فخر الدين بالغراندوق جدة فرناندو الثاني عظيمة جداً وله عليها دالة الولد على والدته ولذلك رجاها ان تهتم باشغاله . وامر مندوبيه ان يتقيدوا باذنها واماورها . وخوفاً من ان يأتي هذا التخصيص ماساً بشعور الغراندوق حفيدها والارشيدوق كبتها فقد وجه في ٨ تشرين الثاني ١٦٣١ م كتاباً الى الثلاثة معاً يخبرهم فيه انه سلم قنصلهم في صيدا اثنين وعشرين قنطاراً من الحرير الابيض البيروتي ليتولى شحنها الى ليفورنو .

وكتب حافظ الاراضي المقدسة الفرنسيين للغراندوق كتاب شكر على تبرعها بالأواني الكنسية لمعبد القنصلية في صيدا ، ويخبرها ان العثمانيين طردوه من القدس وادعى ان المرسلين اليسوعيين ما دخلوها إلا لينزعوا الولاية على هذه الاماكن من رهبانينه ويختصوها بها .

وفي ٣٠ تشرين الثاني ١٦٣١ م كتب القنصل دي فراتسانو الى الغراندوق رسالة ذكر فيها : « ان حافظ الاراضي المقدسة في القدس النازل علي ضيفاً في صيدا ، كان اول من ارتدى الثياب الكنسية التي تبرعت بها لمعبد القنصلية في صيدا وقد اصدر اوامره الى اديار القدس وبيت لحم والناصرية واماكن غيرها ان يقدموا الصلوات على نية سموك .

شكوى القنصل الفرنسي :

لم يسر القنصل الفرنسي في صيدا — تاركيز — من تعيين قنصل يرجع اليه

الرعايا التوسكانيون بعد ان كان هو مرجعهم الرسمي . فكتب في ٢٧ كانون
الاول ١٦٣١ م الى الكردينال ريشيليو وزير الملك لويس الثالث عشر الفرنسي
ما تعريبه :

« ومع اني حينما اقلعت من مرسيديا قاصداً الشرق لم اتلق من جلالته امراً
بتعاطي السياسة في هذه الانحاء رأيت من واجبي اطلاع سيادتكم على بعض
حوادث وقفت عليها اعتقاداً مني انك تترشح لمعرفةا ، وخوفاً من التقصير في
واجبي اذا كتبت عن سيادتكم ما يجري بين الامير فخر الدين وبعض الامراء
المسيحيين من الامور التي تخالف افكار جلالته ، فأبدي لسيادتكم : اني لما
وجدت هذا الامير يميل الى الغراندوق ويبادل به بارتياح هدايا ثمينة ويتقبل منه
الذخائر الحربية خطر لي ان استفيد مما لي عليه من الدالة ، فأخذت ابين له اهمية
صداقة جلالته وما يملكه من القوات الحربية وتدرجت الى القول : اذا كانت
بحاجة الى مساعدة ، فجلالة مليكننا يرتاح كثيراً الى فرصة يثبت له فيها رغبته
في خدمته ، بيد ان الامير كان يحبيني : « انه على استعداد لخدمة جلالته » .
ولا يزيد على ذلك ، الامر الذي ادهشني لأنه كان قد لطفني مراراً وفي اوقات
حرجة مرت به السعي لنيل مساعدة جلالته . واكد لي بعضهم ان الغراندوق
لا يتعاطى هذه الامور وحده بل ان ملك اسبانيا والامبراطور النمساوي وقدااسة
البابا يؤيدونه في هذه السياسة . ولعل الامير بعد ان سمع بالاضطرابات التي
تتخبط بها فرنسا ورأى اتحاد هؤلاء ، مال الى العمل معهم متخذاً اقرب السبل
للوصول الى هدفه .

وقد عين الغراندوق في هذه المدينة (صيدا) بالاتفاق مع الامير قنصلا
للفلورنسيين فأخذ يتقاضى رسوم المراكب القادمة من ليفورنو للمتاجرة في هذه
الانحاء الامر الذي جاء مخالفاً لبنود المعاهدة بين جلالة مليكننا والسلطان ، ويعود
بالخسارة على موارد القنصلية ويحرمها حقوقها . واني اترك لفطنة سيادتكم ملافاة
هذا الضرر وعمل ماتراه موافقاً » .



أبواب درزيات من ضواحي صيدا أيام الفيني

تقارير قنصل توسكانا عن النشاط الاقتصادي والعمراني .

والتقرير الذي رفعه القنصل التوسكاني في صيدا الى الغراندوق والمؤرخ في ١٣ شباط سنة ١٦٣٢ م يتحدث عن سلوك المندوبين التجاريين التوسكانيين السيء في صيدا ، بالرغم من عطف الامير على مصالح الغراندوق ومصالح رعاياه كما يتحدث عن أسعار القمح فيقول : « اسعار القمح واقفة على ٢٥ غرشاً الغرارة في عكا ، وبين ثمانية عشر وعشرين قرشاً في صيدا ، بيد انك لا تجد مشترياً بهذه الأسعار لأن المساحة المزروعة قمحاً هذه السنة هي ضعف ما كانت عليه في السنة المنصرمة والزرع بحالة جيدة والجو ملائم له مما يبشر بإذن الله بمحصول وافر » .

وفي ٣ نيسان ١٦٣٢ م كتب القنصل التوسكاني الى ديورجو يخبره عن زراعة القمح واسعاره ويزيد : « الامير فخر الدين يقيم الآن في صيدا الوفاة كنته جهان بنت الأمير علي شهاب صاحب وادي التيم التي زفت الى الامير علي معن سنة ١٦١٦ م . وقد بكتها المدينة كلها نظراً لما تحلت به من المزايا ويندبها الامير علناً لشدة حزنه عليها كما خلد ذكرها باقامة سيل عن روحها بناء في مدينة بيروت .

ويقول ايضاً : « لقد فرغت الاسواق هنا من الجوخ والخمل وجميع الاقمشة الحريرية والطلبات من دمشق عليها ، ترد الينا يومياً ولا سبيل الى تلبيتها . وقد يباع الذراع من الاقمشة القرمزية بخمسة عشر قرشاً . ويشير القنصل في هذه الرسالة ان تضرب الغراندوقة كمية من نفود ثلث القرش كالتى ارسلتها اخيراً مع مندوبها ميتشيري ، وان تعهد اليه بتصريفها في اسكلة صيدا . وهو يعاهدها على تصريف مئة الف قطعة منها سنوياً لدى التجار الفرنسيين القاصدين الى هذه الاسكلة لأنهم يفضلون شراءها في صيدا على استجلابها من لورينا الى ليفورنو ، فتصيب منها ارباحاً لا تقل عن ٢٥ ٪ تخصصه بحصة منها . وكتب لها ايضاً لائحة بالمنتوجات اللبنانية والتوسكانية التي تروج في البلدين وسألها ان تشحن الى

صيدا كمية من البضائع وهو يعاهدها ان يشحن المراكب التي تحملها اليه بما يعادها من المنتوجات اللبنانية والسورية .

ويذكر القنصل بين البضائع التي يحسن تصديرها من صيدا الى ايطاليا: الكتان والقطن المغزول وغير المغزول والزبيب والعفص (تلجبر والالوان) والحرير الابيض والاصفر والخشن (أي مسلوقة الحرير) والصوف القبرصي والزاج الدمشقي واللفق الحريري ونصف الحريري ، والارز والقمح والكتان الازرق والابيض والخشن والصابون والرماد والصمغ العربي .

وبين البضائع التي يحسن تصديرها الى صيدا خيوط القصب الذهبية والفضية والاجواخ والخمل على اختلاف انواعها الخارجية من مصانع البندقية ، وبراقو ، وامبولي والحرائر وورق الكتابة على انواعه وقياساته بين خشن وناعم والأقداح البللورية والزجاجية من ذوات القواعد وعيون النوافذ الزجاجية والبللورية على مختلف انواعها وألوانها من صفراء وحمراء وزرقاء ، والمرايا والاباريق والشماعدين والصحنون القيشاني والفخار والكاسات والقوالب والبرادات والمقالي والقذور وحب المرجان المصقول للمسابيح ، وانواع العطارات من قرنفل وجنزيل وجوز الطيب وفلفل وأزرار النحاس المذهبة وشرائط الحرير المذهبة والفضية وقضبان الفولاذ والمسامير على مختلف قياساتها وحلقات الشبي والمقصات وامواس الحلاقة والسكاكين ومطافئ الشمع والاجراس الصغيرة والقبعات الحمراء والاسبنداج .

الحركة الفكرية

لم يكن الامير فخر الدين المعني الثاني مثقفاً كجده الامير فخر الدين الاول ولكنه كان يحسن القراءة والكتابة أضف الى ذلك ذكاء وقادراً وميلاً فطرياً في اعماقه نحو العلم والعلماء ، ولذا شجع بتسامحه الديني جمع الطوائف على الانكباب على تلقي العلوم ، كما حمل الارساليات الاجنبية على المجيء الى لبنان لفتح المدارس في ربوعه وتعليم ابنائه ، وكانت طليعة الارساليات الدينية الآباء الكبوشيون

ثم الفرنسيون سكان فاليسويون . وقد تركزت جميعها لأول وهلة في صيدا ثم انطلقت منها الى بقية المدن المجاورة .

وعندما انشأ البابا غريغوريوس الثالث عشر مدرسته في روما لتثقيف رجال الدين الموارنة اعتم على الامير هذه الفرصة وأوفد اليها عشرات الطلاب لتلقي العلم فيها . ونبع منهم عدد كبير خدموا العلم والادب والدين خدمات جليلة بما جمعه من مخطوطات شرقية وبما ألفوه من كتب او نقلوه الى اللغة العربية ، ومن اشهرهم :

١ - الأب جبرائيل الصهيوني الذي كان يتقن عشر لغات فانتدبه لوليس الثالث عشر ملك فرنسا ليكون استاذاً للغات الشرقية في جامعة السوربون .

٢ - ابراهيم الحاقلاوي وقد اشترك مع الصهيوني بتصحيح ترجمة الكتاب المقدس .

٣ - البطريرك الماروني المؤرخ اسطفان الدويهي .

٤ - يوسف السمعياني العالم الكبير الذي ترك عند وفاته مئة مجلد في مختلف العلوم الشرقية .

ومما يجدر ذكره ان في عهد الأمير فخر الدين ، أي في سنة ١٦١٠ م دخلت أول مطبعة الى الشرق واستقرت في دير قزحيا . فكانت نقطة انطلاق حضاري من العصر المظلم السابق .

الجيش الوطني

كان الجيش مؤلفاً من اللبنانيين وخاصة من الموارنة والدروز . وذكر الدويهي والخالدي ان في صفوف هذا الجيش فرقتين من شيعي الجنوب والبقاع ، وفي سنة ١٦٢٧ م أضيفت الى الجيش فرقة أخرى من الروم ، وكانت هذه الفرق تحارب تحت ألوية امراءها ومقدميها ومشايخها ويخضع قوادها لأوامر القيادة

العامّة التي كان يتولاها الامير أو ابنه الأمير علي وأحياناً اخوه الامير يونس . وفي آخر عهده عين الأمير فخر الدين ابا نادر الخازن قائداً عاماً لجيشه .

وكان الامير ضناً بحياة مواطنيه وعلمهم في الزراعة والصناعة ، يستأجر جنوداً من السكان العاصين على الدولة فيبقيهم تحت السلاح درءاً للطوارئ وحفظاً للامن والحدود والقلاع . وكان الأمير فضلاً عن هؤلاء يستخدم من يقصده من المرتزقة .

وفي حملاته الكبيرة كان الامير يستنجد بحلفائه ، كآل شهاب وآل حرفوش وقبائل البدو في عجلون وحوران ، كما كان يعتمد على شيعي بلاد بشاره وجبيل الذين حاربوا الى جانبه في معركة نهر الكلب سنة ١٥٩٨ م وقتلوا معه ايضاً سنة ١٦٢٣ م على عين عنجر بني مذهبهم من آل حرفوش ، مما يدلنا على ان الروح الوطنية التي خلفها الامير في صدور اللبنانيين تغلبت على روح التعصب المذهبي . وكان جميع حلفاء الامير مدينين له بمراكزهم ، وبعضهم بحياته ، وكثيراً ما ضحى في سبيلهم براحتهم وماله وجازف أحياناً بملكه وحياته ...

أما عدد جيش الامير فكان يختلف حسب ازدياد ولاياته . إذ انه حين اقلع الى ايطاليا كان جيشه يعد ٢٠ ألفاً وبلغ في أواخر ايامه مئة ألف جندي .

ووصف سانتي جيش الامير في تقريره سنة ١٦١٤ بقوله : « ان قوة جيش الامير تعود ليس الى وفرة الجنود ودربتهم بل الى بسالة الامير وما اكتسبه في حروبه العديدة من الخبرة فضلاً عن بأس شعبه وجبن مجاوريه . فالمشاة يلبسون خفيفاً ويحملون البنادق والسيوف العريضة النصال يمشون خلف العلم بلا ترتيب ويحاربون بلا نظام ، أما الفارس فيلبس ثقيلاً ويلتحف بحبة واسعة ويحمل البندقية ذات القداحة لأن ليس لديه غيرها أو بارودة هندية طول قصبته سته اقدام خفيفة ومتينة وفي رأسها سن من حديد ، يعلق السيف في جنبه والدبوس في السرج ويمسك ترساً يقيه الضربات ، والفرسان يمتطون الخيول العربية الغالية

الثلث ، الصبورة على التعب ، السريعة الجري ، ومع ان طعامها الحشيش وحفنة
من الشعير فهي تعمل النهار كله بلا كلل ولا ملل . يسرون جماعات بلا بوق ،
ويحاربون افراداً بين كر وفر وكل الامر متوقف على سرعة الجواد وخفة حركاته .

واذا عسكروا لا يحفرون الخنادق ولا ينشرون خيمة أو شيئاً آخر يقيهم
لفحات الشمس المحرقة او لسعات البرد وتهطل الامطار . حتى انهم لا يستخدمون
القش اتقاء للرطوبة . عندهم من الحيوانات لحمل الاثقال وجر المدافع عدد وافر .
يحمل كل جندي على كتفه زاد ثلاثة أو أربعة ايام ، وعليه ان يقتني من ماله
ما يلزمه من السلاح .



مظهر من مظاهر الوحدة الوطنية في عهد فخر الدين الكبير
منارة كنيسة اليسوعيين ومثدنة مسجد باب السراي تلتقيان

الحقبة الرابعة

صيدا من سنة ١٦٦٠م . الى سنة ١٩١٤م

من عهد الشهابيين الى بداية الحرب العالمية الاولى

كذلك مفتي صيدا الشيخ قاسم بن الشيخ زين الدين بن الشيخ محمد الحايي ومعه قاضي صيدا ونقيب اشرافها لتحرير وجرد مخطفات الأمير ؛ ولما احصوها بلغت ٥٥ الفاً .

الامراء الشهابيون

وكان اعيان لبنان قد اجتمعوا ليختاروا اميراً عليهم فأجمعوا على انتخاب الامير بشير بن الامير حسن امير راشيا لأنه ابن شقيقة الامير احمد المعني ، ثم توجهوا الى راشيا ودعوا الامير بشير ليتولى الأمانة فصار معهم ، وعين مكانه على راشيا ابن اخته الامير منصور . وعرضوا بعدئذ الامر على مصطفى باشا والي صيدا وتعهدوا له بتسديد الاموال المستحقة على الامير احمد المعني راجسين رفع اقتراحهم إلى الباب العالي لنيل موافقته .

وقدم الامير بشير الى فضلي آغا وإلى اعيان صيدا المكافآت ، كما ارسل بواسطتهم الى والي صيدا افخر الهدايا وانفسها فقبلها ، واطلق يد الامير بشير في كل ما كان تحت يد آل معن من الولايات ثم رفع الامر الى الاستانة . ولكن الباب العالي كان قد اصدر امره بتعيين ارسلان باشا المطرجي والياً على صيدا سنة ١١١٠هـ = ١٦٩٨م ، ونقل مصطفى باشا الى مصر كما ارسل كتاباً يعين فيه الامير حيدر بن موسى الشهابي حاكماً على الجبل لأنه ابن بنت الأمير احمد المعني وهو وريثه الحقيقي ، ونظراً لصغر سنه فقد تعين الامير بشير الشهابي المذكور وصياً عليه ريثما يبلغ سن الرشد فيتسلم الولايات والاقطاع والعقارات . ثم هذا الاجراء بتأثير الامير حسين بن الامير فخر الدين المقيم في الاستانة .

وكانت صلات الامير بشير حسنة مع ارسلان باشا ولذلك اطلق يده في الامارة ، لا سيما وان الامير حيدر كان عمره وقتئذ ١٢ سنة فقط .

موقعة المزيرعة .

وفي السنة نفسها اعلن ابن علي الصغير صاحب ديار بشار العvisان على

الفصل الأول

صيدا والشهابيون

صيدا مركز ولاية جديدة :

صدرت الأوامر السلطانية بإحداث ولاية جديدة في السلطنة العثمانية سنة ١٠٧٢ هـ - ١٦٦٠ م اطلق عليها اسم ولاية صيدا ، وكان أول من تعين والياً عليها هو محمد باشا الأرناؤوط .

وهدف الدولة العثمانية من خلق هذه الولاية الجديدة هو مراقبة أعمال الأمراء اللبنانيين عن كثب وسحق كل فكرة أو مسعى تحرري يقوم به الشعب اللبناني وزعماءه ...

ولم يمضِ العام الأول على تسلم الأرناؤوط أمور الولاية حتى عزل وتعين مكانه علي باشا الدفتردار الذي ظل على ادارتها حتى عام ١٠٧٣ هـ - ١٦٦٤ م فتولاها ثانية محمد باشا الأرناؤوط الجد الأعلى لأسرة ارناؤوط المنتشرة في مدن صيدا ودمشق وحمص .

وفي عام ١٠٨٦ هـ - ١٦٧٥ م تولى ايالة صيدا اسماعيل باشا ثم خليل بن كيوان في عام ١٠٩٠ هـ - ١٦٧٩ م الذي ارتكب في صيدا من المظالم والموبقات ... الشيء الكثير ولذا عزل عنها سنة ١٠٩٢ - ١٦٨١ م فتولاها احمد باشا التفتجي الذي عزل عنها سنة ١٠٩٥ هـ - ١٦٨٣ م فتولاها بعد ذلك مصطفى باشا الذي في إقامه

ارسلان باشا والي صيدا ، فاستنجد هذا بالامير بشير ومنحه حكم ولاية صفد ومقاطعات جبل عامل الثلاث ، وهي ديار بشارة ، واقليمي الشومر والتفاح ، والشقيف . فأسرع الامير بشير الى قتال العصاة فالتقى بهم في قرية المزيرعة وهزمهم شرهزيمة والقى القبض على مشرف بن علي الصغير واخيه الحاج محمد ومديرهما الشيخ حسن المرجى وارسل الجميع الى ارسلان باشا في صيدا الذي امر بقتل حسين المرجى ووضع مشرف ومحمد في السجن .

وفي سنة ١١١٢ هـ - ١٧٠٠ م ، تعين على صيدا قبلان باشا المطرجي شقيق ارسلان باشا بعد ان كان والياً على طرابلس .

وفاة الامير بشير الاول

وتوجه الامير بشير في اواخر صيف سنة ١١١٧ هـ - ١٧٠٥ م الى بلاد بشارة وصفد لجمع الأموال السلطانية فجعل طريقه على حاصبيا فأضافه الامير نجم . وقيل ان الامير حيدر دس له السم في بعض الحلوى حتى يتسلم امارته لأنه ادرك سن الرشد . وقام الأمير بشير من حاصبيا مسموماً فأدرك صفد وتوفي فيها فحملة اتباعه الى صيدا حيث دفن بمجالى الاكرام في مقبرة آل معن .

صيدا والامير حيدر الشهابي

وعلى أثر وفاة الامير بشير اجتمع وجوه الشوف وتوجهوا الى حاصبيا فزفوا الامارة الى الامير حيدر بن الامير موسى الشهابي وكان عمره وقتئذ ٢١ سنة فصار معهم الى دير القمر حيث استلم مقاليد الحكم .

وصدر امر الباب العالي بعزل ارسلان باشا والي صيدا (الذي عين عليها مجدداً) سنة ١٧٠٣ وتعيين بشير باشا عليها ، وما ان وصل هذا الى صفد حتى احذر امراً بنزع مقاطعات صفد وجبل عامل من امارة الشوف والحاقها ببايائه .

وكان مشرف بن علي الصغير قد اطلق سراحه على يد ارسلان باشا فلما تعين الوالي الجديد جاء هذا الى صيدا وارتمى على اقدام بشير باشا راجياً اعادته الى حكم بلاد بشارة فقبل الباشا طلبه بعد ان قبض منه مالا كثيراً .

وما أن تولى مشرف حكم بلاده حتى اظهر العداء للأمير حيدر واخذ يهاجم أطراف بلاد الامير فكتب الامير حيدر رسالة الى بشير باشا والي صيدا يلتمس منه ولاية بلاد بشارة مقدماً إليه الهدايا الكثيرة الفخمة ، فأجابته الباشا الى طلبه ، وخلع عليه تلك المقاطعة ، وللحال نهض الامير حيدر من دير القمر على رأس قواته للاستيلاء عليها ، فالتقى بجموع ابن الصغير خارج بلدة النبطية فهزمهم . والتجأ بعضهم الى البلدة وتحصنوا فيها ، ولكن الامير تابعهم بفرسانه حتى دخل البلدة وأجلى بني الصغير عن بلاد بشارة ، وضمها الى امارته ، وعين عليها من قبله الشيخ محمود ابو هرموش وامره بحماية الأموال المترتبة عليها وكان ذلك سنة ١١٢٠ هـ - ١٧٠٨ م .

الامير حيدر وهرموش باشا

وبلغ الامير حيدر سنة ١١٢١ هـ - ١٧٠٩ م ان ابا هرموش اجرى المظالم في بلاد بشارة وتقاضى من الشعب أموالاً تزيد عن المقرر عليهم محتفظاً بها لنفسه ، فطلبه الامير لمحاسبته ، ولكن هذا فر الى صيدا ودخل على واليها بشير باشا راجياً حمايته من الامير حيدر . وكان الباشا يحب الشيخ محمود لأنه كان يتعهده دائماً بالهدايا الثمينة المتواصلة فرحب به ووعدته بحمايته .

وبعد ان مكث ابو هرموش مدة في صيدا التمس من الباشا منحه ولاية جبل الشوف مرغباً اياه بالمال الكثير ، فأجابه الى طلبه وارسل الى الباب العالي يلتمس له الباشوية فقبل الطلب ، وجاء الامر السلطاني بمنح الشيخ محمود لقب الباشا . وعلى الاثر عينه بشير باشا اميراً على مقاطعات الشوف وزوده بالجيش لتسلم امارته .

خرج ابو هرموش من صيدا متوجهاً الى دير القمر ؛ وكان بعض وجهاء الشوف قد تخلوا عن الامير حيدر فترك هذا الدير مع بعض اصحابه الى غزير بعد ان ارسل اسرته الى احدى قرى الفتوح حيث اخفاهم فيها ...

القضاء على اليمينيين في عين دارة

دخل محمود ابو هرموش دير القمر فعين لمساعدته آل علم الدين من الحزب اليميني . وطفى هؤلاء في احكامهم مما جعل القيسيين يفاوضون الامير حيدر ، (وكان وقتئذ مع انصاره في جهات الهرمل) ويضعون انفسهم تحت امرته لرفع الظلم عنهم . فلبى دعوتهم وبادر الى تنظيم قواته واعدادها للزحف ، وبعد ان اتم استعداداه توجه على رأسها الى جهات المتن ...

وصل الامير حيدر سنة ١١٢٢ هـ - ١٧١٠ م الى المتن وحل عند انصاره من آل ابي اللمع ، فتوافد اليه المقدمون والمشايع من سائر الانحاء يعلنون ولاءهم . وبلغت هذه الانباء مسامع محمود هرموش فجزع منها وطلب نجدة اليمينيين فحضر اليه منهم ٧ امراء ومعهم ٩٠٠ رجل كانوا في جهات الشام ، وانضمت اليهم جموع اليمينيين من الغرب والجرد والمتمن فأصبح عددهم وفيراً . وكان هرموش باشا قد كتب الى بشير باشا والي صيدا يستنجد به وبنصوح باشا والي دمشق الذي حضر بجيشه وخيم في صحراء قب الياس ، كما زحف بشير باشا بقواته من صيدا نحو بيت مري .

اما محمود ابو هرموش فقد زحف بمن معه الى قرية عين دارة وخيم في سفوحها ، وكانت خطته ترمي الى تطويق القيسيين من الغرب والشرق والجنوب والعمل سوية مع حلفائه وفي آن واحد على افنائهم .

عرف الامير حيدر بذكائه بخطة عدوه وما يبيتة للقيسيين من شر وغدر فأرسل من اخبر القيسيين الملتفين حول هرموش بذلك فانقضوا عنه والتحقوا

بقوات الامير حيدر الذي بعد ان تجمعت بين يديه وسائل النصر قرر مهاجمة ابي هرموش تحت جناح الظلام قبل ان يتسنى له تجميع قواته الضاربة ...

المعركة الحاسمة

وفي ليلة الجمعة ١٨ محرم سنة ١١٢٢ هـ . والموافقة ٢٠ آذار ١٧١٠ م قسم الامير حيدر جيشه الى ثلاثة اقسام :

القسم الأول بقيادته ومعه الشيخ محمد تلحوق ورجاله ؛ اتجهوا بطريق وادي الجوز ، والقسم الثاني بقيادة آل ابي اللمع ، ساروا في طريق قليج لينفذوا الى رأس عين دارة ، والقسم الثالث وفيه اهل الشوف ساروا في طريق ينفذ الى غربي القرية المذكورة .

دهمت جيوش الامير حيدر قرية عين دارة واعداءه فيها في غلس الليل ، وكان اول الواصلين اليها المقدمان عبد الله وحسين من بني ابي اللمع ، ثم قدم باقي الجيش فدخلوا البلدة عند الصباح . وظل القتال يعمل حتى منتصف النهار واستبسل القيسيون فدارت الدائرة على اليمينيين ولم ينج منهم الا القليل . وقتل في المعركة ثلاثة من امراء آل علم الدين وأسر الأربعة الباقون ومحمود ابوهرموش معهم ، وتشتت شمل الباقين .

وبعد هذا النصر الرائع توجه الامير حيدر من عين دارة الى قرية الباروك ومعه امراء اليمينيين ومحمود باشا مشدودي الوثاق ، وهناك ضرب اعناق الامراء يوسف وعلي ومنصور واحمد آل علم الدين فانقطعت سلالتهم .

ثم احضر بعدئذ محمود باشا ابا هرموش فقطع لسانه وباهميته ، وحفظ له حياته اكراماً للقب الباشوية الذي يحمله .

وما ان بلغت انباء المعركة مسامع والي صيدا والشام وما حل باليمينية وبمحمود باشا حتى نهضا عائدين بجيشيهما كل الى ولايته ، مقتنعين رغماً عنهما

بالأمر الواقع . (لبنان في عهد الأمراء الشهابيين للامير حيدر الشهابي ، تحقيق
اسد رستم وفؤاد افرام البستاني) .

وفي سنة ١١٢٤ هـ = ١٧١٢ م ، تعين على صيدا عثمان باشا ابو طوق ؛ وكان
قد تأخر على الامير حيدر مبلغ ٢٠ الف قرش فجمع هذا ارباب امارته وطلب
منهم المال لتسديده الى الوالي ، فرجوه ان يلتبس من الباشا امهاتهم لقاء رهن
بعض الامراء لديه ، فقبل الوالي طلبهم ، وعندئذ ارسل الرهائن وهم الامير
احمد بن الامير حيدر والامير حسن ابن الامير حسين اللمعي . كما رهن الشيخ
علي جنبلاط المقدم شرف الدين وبقي الرهائن لدى الوالي ما يقارب السنتين .
ولما عزل من صيدا منقولاً الى البصرة اخذهم معه فبقوا هناك حتى عاد الى
الشام فأرسل اليه الامير حيدر المال واستخلصهم .

وفي سنة ١١٢٥ هـ = ١٧١٣ م تعين على صيدا قبلان باشا ثم عزل ، فتعين
بشير باشا ولكنه نقل الى ولاية طرابلس سنة ١٧١٦ ، فتعين عليها عثمان باشا
ابو طوق ثانية سنة ١١٣٠ هـ = ١٧١٧ م .

لفصل الثاني

ولاية صيدا من آل العظم

الامير ملحم :

وفي عام ١٧٢٩ م قرر الامير حيدر التنازل عن الحكم لولده الامير ملحم
فتسلمها في حياته ورعاها بحسن تصرف ومقدرة الامر الذي ارتاحت له نفس
الامير حيدر .

وفي سنة ١٧٣٠ م تعين اسعد باشا العظم والياً على صيدا ، وكان يكره الامير
ملحم كثيراً ، حتى قيل انه كان حينئذ يستلم رسالة منه يضع يده على التوقيع
لثلا يقع نظره عليه ، وبالرغم من هذه الكراهية فان هذا الوالي لم يستطع ان
يلحق بالامير أية مضرة .

وفي اواخر عام ١٧٣٠ توفي الامير حيدر والد الامير ملحم ودفن في دير القمر
وحزنت البلاد عليه حزناً شديداً ولبست النساء السواد حداداً ، لأنه رفع من
شأن القيسية وقضى على اليمنية ، وكان جواداً عادلاً حكيماً . واتصل الامير
ملحم بوالي صيدا اسعد باشا العظم مقدماً اليه الهدايا فثبته اميراً منفرداً
على لبنان .

بلغ الامير ملحم سنة ١٧٣١ ، ان بني علي الصغير اصحاب بلاد بشارة ،

أظهروا الشماعة والسروور بموت والده فكتب الى أسعد باشا العظم والي صيدا يلتمس منه ولاية بلاد بشارة فأجاب طلبه ، فضم الامير تلك المقاطعة الى امارته بعد معركة هزمهم فيها وعين عليها حليفه سليمان الصعبي .

آل العظم - ولاية صيدا

وانتقل اسعد باشا العظم من ولاية صيدا الى ولاية الشام سنة ١٧٣٤ م ، وتولى مكانه على صيدا شقيقه سعد الدين باشا الذي كان والياً على طرابلس .

وفي سنة ١٧٣٩ م قام والي صيدا سعد الدين باشا العظم بمهاجمة بلاد الشقيف ، فقتل الشيخ احمد فارس واولاده ، وهرب اخوه الشيخ حيدر ملتجئاً الى الامير ملحم ، فقدم هذا له الحماية والرعاية ...

وفي عام ١٧٤٣ م خرج اصحاب جبل عامل عن طاعة سعد الدين باشا العظم والي صيدا وامتنعوا عن دفع الاموال المترتبة على بلادهم ، فكتب هذا رسالة الى الامير يستنهضه لقتالهم وتحصيل المال منهم . فلبى الامير ندائه وتوجه على رأس قواته من دير القمر حتى وصل الى جسر نهر صيدا الأولي . ولما وصل هذا الخبر الى زعماء الشيعة بادروا الى التماس العفو من والي صيدا مقدمين اليه الهدايا ومتعبدين بدفع الأموال المفروضة عليهم فقبل هذا رجاءهم وارسل يطلب من الامير ملحم العودة الى بلاده والكف عن قتالهم ، ولكن الامير تجاهل الامر ومضى في سبيله اليهم ، فخرجوا اليه بجموع غفيرة ، ولكنه تمكن منهم وألحق بهم الهزيمة ونهب ما في قراهم من اموال ومتاع وقفل عائداً الى دير القمر حيث كتب رسالة بالواقع الى والي صيدا فأقره على ما اجراه ...

وفي هذه السنة نقل سعد الدين باشا العظم الى ولاية دمشق وتعين على صيدا سليمان باشا العظم . وكان على الامير حيدر بعض الأموال المتأخرة فكتب الوالي الجديد الى الباب العالي بذلك ، فأناه الرد بان يحصل المال بالطريقة التي يراها

مناسبة ، كما ارسل الباب العالي امراً الى والي دمشق وطرابلس بمساعدة سليمان باشا .

وخرج والي صيدا بقواته الى جسر الأولي حيث التقى بالمواليين العثمانيين . واتجهوا جميعاً الى اقليم التفاح ومرج بسرى ، كما توجه الامير ملحم بقواته الى قرية مزبود . وعندئذ تدخل بالصلح احد الباشاوات فدفع الامير ملحم ما عليه من اموال للوالي وعاد الباشاوات الى ولاياتهم .

وفي سنة ١٧٤٤ م توفي سليمان باشا العظم في طبريا ، وتعين على صيدا ثانية سعد الدين باشا العظم ، وفي هذه الفترة أراد الشيعة مهاجمة جبل الدروز فمنعهم والي صيدا من ذلك .

وفي سنة ١٧٤٧ م نزل الامير ملحم الى صيدا لزيارة واليها سعد الدين باشا فتلقاه هذا بالبشاشة والاكرام وتحالف معه ضد اخيه اسعد باشا والي دمشق ، وقد غضب الاخير من الامير ملحم وأضمر له الشر . وفي سنة ١٧٤٨ م تسلم عثمان باشا المحصل ولاية صيدا فمنح الامير ملحم حكم مدينة بيروت سنة ١٧٤٩ م بعد ان عزل منها ياسين بك ، وجعلها عاصمة ثانية له بعد دير القمر ، وظلت بيروت تحت امارته وامارة من بعده حتى عهد الجزار ...

مصطفى باشا العظم

وفي السنة نفسها تعين على صيدا مصطفى باشا العظم الملقب بالقواص ، لأنه كان ماهراً جداً في اطلاق الرصاص حتى قيل انه كان يرمي القذيفة من دار الامير ملحم في دير القمر الى قاطع بعقلين فيصيب الهدف المعين - وهو الجدد الأعلى لأسرة القواص المنتشرة حالياً في صيدا ودمشق وحمص - وكان صديقاً للامير ملحم الذي دعاه لزيارة دير القمر والباروك فلبى دعوته ، وقوبل هناك بمجالي الحفاوة والاكرام .

الشيخ شاهين تلحوق

وبعد فترة حدثت اشتباكات بين كاخية والي الشام وجماعة الشيخ شاهين تلحوق في قرية تعنايل ، فالتجأ الشيخ الى الامير ملحم مستنجداً ، فلبى نداءه وهاجم كاخية الباشا فقتل من جنوده عدداً كبيراً وانهزم الباقون الى الشام ، فعظم الامر على واليها وقرر الزحف على لبنان . ولما وصلت هذه الانباء الى مصطفى باشا القواص والي صيدا وصديق الامير ملحم سار الى البقاع واصلح ما بين الباشا والامير ، على ان يرسل الاخير للباشا ١٥٠ كيساً ولقاء ذلك ارسل الامير ملحم أخاه الامير علي الى صيدا كرهينة ريثما يقدم المال المطلوب منه . وقد وضع الامير علي في خان الافرنج زيادة في الحرس على سلامته ، وبعدئذ جمع الامير ملحم المال وسدده الى الوالي وانقذ اخاه علياً من الرهن ...

وفي شتاء تلك السنة هطلت ثلوج هائلة وصلت الى ساحل البحر حتى أن الثلج الذي انتشر على المراكب الراسية في ميناء صيدا بلغ ارتفاعه ثلاثة اشبار (تاريخ لبنان للامير حيدر الشهابي ، تحقيق اسد رستم وفؤاد افرام البستاني) .

وفي سنة ١٧٥٣ م ، مرض الامير ملحم مرضاً شديداً اقعده عن القيام بواجبات الامارة فسلم الامارة مكرهاً الى اخويه احمد ومنصور لأن اولاده كانوا صغار السن وكان يود لو منحها لابن اخيه الامير قاسم (والد الامير بشير الكبير) الذي اقامه وصياً عليهم وانتقل هو الى بيروت واقام الامير قاسم في الحدة متخذاً منها مقراً لإقطاعيته .

وتوفي الامير ملحم في بيروت سنة ١٧٥٨ م ودفن فيها .

الزلازل في لبنان سنة ١٧٥٩

يدون المطران باسيليوس جلفاف مطران الروم الكاثوليك في صيدا في رسالة وجهها الى وكيل الرهبانية المخلصية في روما الخوري اثناسيوس دباس ، حادثة الزلازل الذي ضرب مدينة صيدا وجوارها عام ١٧٥٩ فيقول :

« في صباح ١٩ تشرين الاول سنة ١٧٥٩ م وقبل بزوغ الشمس بحوالي الساعتين ونصف ، حدثت زلزلة عظيمة استمرت دقيقتين فتهدمت بيوت كثيرة وقتل من جرائها خلق كثير ثم اخذت تتبعها زلازل صغيرة فتقطعت قلوب الناس من الخوف وهربوا من المدن والقرى ونصبوا اكواخاً لهم في العراء .

وفي ١٤ تشرين الثاني سنة ١٧٥٩ م بعد غروب الشمس بثلاث ساعات حدثت زلزلة اخرى كبيرة دامت اربع دقائق فأثمت هدم العمارات ، وكنت تسمع الصراخ والعيول . وقد هدمت هذه الزلزلة وصدعت غالبية الكنائس والجوامع والسراريات والبيوت ، ولم يبق منها الا القليل . وقد قتل في هذا الزلزال في بلدة صيدا خمسة اشخاص وجرح كثيرون ، وكانت اشد الضربات تلك التي نزلت بمدينة صفد اذ مات فيها الفا شخص ونيفاً » .

أمانة الشوف :

وفي عام ١٧٥٩ م تعين على صيدا نعيم باشا ، فورد اليه الامر السلطاني بتسليم امانة الشوف وتوابعها الى الامير قاسم بن الامير عمر الشهابي بناء على نصيحة مصطفى باشا القواص ، الذي اصبح وقتئذ دفترداراً في الاستانة ، وبادر الوالي الجديد الى تنفيذ الامر الشاهاني فعزل الاميرين احمد ومنصور ولكن الاميرين عرضا على الوالي مبلغ ٥٠ الف قرش فقبل هذا منها المال وابلغ الامير قاسم قراراً بخضوعه . وفي ذات الوقت ارسل خلعة الامارة الى الاميرين المذكورين . وعندئذ لم يكن أمام الامير قاسم الا الجلاء عن مدينة بيروت بعد ان سبق له احتلالها ...

وتجاه هذا الفشل الذي مني به الامير قاسم عمد الى التقرب من الاميرين عن طريق مصاهرة الامير منصور فتزوج من ابنته مستوطناً بلدة بشامون . ثم انتقل بعدئذ الى بلدة غزير حيث اعتنق المذهب الماروني وقد انجب ولدين هما بشير وحسن .

توفي الامير قاسم في غزير في ١٨ نيسان سنة ١٧٦٧ م ودفن فيها .

في سنة ١٧٦٣ تعين على صيدا محمد باشا العظم ولكنه عزل منها في سنة ١٧٦٤ م حيث تعين بدلاً منه محمد باشا بن عثمان باشا ابو طوق .

وفي سنة ١٧٧٠ م توفي الامير احمد الشهابي في دير القمر وكان قد تنازل لأخيه منصور عن الأمانة سنة ١٧٦٣ م فاستقل بها ، هذا ولكنه في هذا العام - اي في سنة ١٧٧٠ م تنازل عنها بدوره الى الامير يوسف الابن البكر للامير ملحم الشهابي وانسحب الى بيروت حيث توفي فيها سنة ١٧٧٤ م .

الامير يوسف

في هذه السنة تولى على صيدا درويش باشا بن عثمان باشا الكرجي وبعد وصوله الى المدينة بفترة وجيزة عصي عليه مشايخ المتأولة وارسلوا يتهددونه حتى يخرج من صيدا فأرسل الى الامير يوسف يعلمه ويستنجد به فأرسل اليه هذا جيشاً للمحافظة على المدينة . ولقاء ذلك اعفى الوالي الامير من المال المفروض على بيروت والجبل لتلك السنة . ولكن الوالي وقد شاهد ان الشيخ ضاهر العمر ومشايخ المتأولة ما برحوا يتشددون في العصيان ، خاف على نفسه فأخلى صيدا واتجه الى دمشق عن طريق الشوف فقابلته الامير يوسف وطلب منه العودة الى صيدا عارضاً عليه ان يكون في خدمته . ولكن الوالي رفض العرض نظراً لجبنه ، وتابع سيره الى دمشق حيث قابل والده موضحاً له الامور ، فكتب هذا رسالة الى الامير يوسف يرجوه فيها التوجه لمقاتلة المتأولة .

وبادر الامير يوسف مع خاله الامير اسماعيل حاكم وادي التيم الى جمع الجيوش فتجمع لديهم حوالي الـ ٢٠ الف رجل ، قادم الامير نحو صيدا يرافقه الشيخ علي جنبلاط .

الفصل الثالث

ضاهر العمر واحمد الجزار

المعارك حول صيدا

ما ان وصل الامير يوسف الى جسر صيدا حتى ارسل الدروز بقيادة الشيخ علي جنبلاط للمحافظة على المدينة ، وتوجه هو ببقية الجيش الى قرية جباع فأحرقها وقطع اشجارها ثم انحدر الى قرية كفر رمان فأحرقها ايضاً وتابع زحفه الى النبطية . وكان المتأولة قد تجمعوا هناك بقيادة الامير ضاهر العمر فقابلوه هم وجرت بين الفريقين معركة شديدة انتهت بهزيمة الامير يوسف بعد ان قتل من جيشه عدد كبير . وما وصلت انباء الهزيمة الى الشيخ علي جنبلاط في صيدا حتى أخلى المدينة وغادرها مع قواته الى الشوف . وعندئذ ارسل الشيخ ضاهر العمر من قبله رجلاً مغربياً اسمه احمد آغا الدنكزلي الى مدينة صيدا ليتساعها ويحكمها باسمه .

لما بلغت مسامع الباب العالي هذه الانباء كتب الى عثمان باشا المصري الذي تولى ولاية الشام اثر وفاة عثمان باشا الكرجي يطلب منه المبادرة الى قتال ضاهر العمر والمتأولة بصحبة الامير يوسف واعفاء الاخير من مال ميرة بيروت والجبل لتلك السنة .

وكتب الباشا الى الامير يوسف يعلمه بقدمه على رأس جيش يضم الوالي

خليل باشا واحمد بك الجزار ومعهم الف فارس فالتقاهم الامير يوسف في عين السوق بالاكرام ، وبعد ان جمع جيشه توجهوا جميعاً لحصار مدينة صيدا ، وكان عددهم يناهز العشرين ألفاً . فأقاموا على حصار مدينة صيدا سبعة ايام وأوشك احمد آغا الدنكزلي متسلم المدينة ان يطلب الأمان ويسلم لهم المدينة لولا أنه وصل الى ميناء عكا وقتئذ خمسة غلايين روسية كبيرة مع عدة قطع حربية صغيرة لنجدة الشيخ ضاهر ، فوجهها هذا فوراً لنجدة المدافعين عن صيدا . وكانت القوات العثمانية والبنانية ما برحت قائمة على حصار المدينة . فلما وصلت المراكب الى ميناء صيدا قصفت المحاصرين بقنابل المدافع الأمر الذي اجبرهم على التراجع الى محلة الحارة شرقي صيدا .



سيداتان شيعيتان صيداويتان في مطلع القرن التاسع عشر

معركة الغازية

وأرسل الشيخ ضاهر العمر رسالة الى الامير يوسف يطلب فيها منه ان

يثراجع الى جسر صيدا مع جيشه حتى يصير اتفاق بينهما ولكن الامير رفض هذا العرض .

وعندئذ زحف الشيخ ضاهر بجيشه وبقوات المتأولة وعدد من فرسان الغز الذين يقودهم علي بك الطنطاوي المصري ، وهو من اشهر ابطال مصر ، وكان مجموع جيشه يناهز العشرة آلاف مقاتل .

ولما وصلوا الى براك التل في اول سهل قرية الغازية الواقعة الى الجنوب من مدينة صيدا التقوا باعدائهم ، وبدأت المعركة بين الطرفين صباح يوم الاربعاء في ٢٤ ايار ١٧٧١ م وانتهت بفرار الجيش العثماني والامير يوسف ، بعد ان تركوا في ساحة المعركة ١٥٠٠ قتيل .

ضاهر العمر والي صيدا

وتوجه الشيخ ضاهر العمر الى صيدا فاستقبله متسلماً من قبله الدنكزلي بالاكرام والترحاب ، وهناك ارسل كتاباً الى والي الشام عثمان باشا يرجوه فيه منحه ولاية صيدا ويعرض عليه خضوعه لاوامر الدولة العلية ، فكتب عثمان باشا رسالة الى الامير يوسف جاء فيها ما يلي : « اما وقد انتهت الامور الى استكشاف ما في الصدور والهم الله كلاً من ذوي العقول رشده وطلب نجاحه وسعده ، فمن اجل من طلب النجاح وغرد طائر سعده قدوة المشايخ الكرام صاحب المقام المعتبر اخونا الشيخ ضاهر العمر الذي حرر الى نادينا وسأل الدعاء وتمسك بجبل العهد والوفاء واعلن الطاعة لمولانا السلطان ظل الله في ارضه على شروط وعهود معلومة ، واستعطف ان ينعم عليه بايالة صيدا على وجه الملكية ويرسل البقايا الباقية عليه في ايالة صيدا خمسمائة الف قرش من المال السلطاني ، ويؤدي خدمة وحراسة ولوازم المحمل الشريف كجاري المعتاد فقد وافقناه على ذلك ... الخ (تاريخ صيدا للشيخ احمد عارف الزين) .

وتسلم الامير يوسف هذا الكتاب خلال سنة ١١٨٧ هـ = ١٧٧٣ م فأجاب

يجواب حسن بالرغم من كراهيته لذلك لانه كان يعز عليه جداً ان يكون الشيخ ضاهر العمر والياً على صيدا ويكون هو حاكماً تحت امرته .

محمد بك ابو الذهب وصيدا

في سنة ١١٨٨ هـ = ١٧٧٤ م ، وكانت صيدا لا تزال تحت حكم ضاهر العمر ، جاء محمد بك ابو الذهب المصري على رأس جيش لمحاربة الشيخ ضاهر بموافقة الدولة العلية التي كانت تكن الضغينة له ، ولما وصل الجيش المصري الى عكا فر منها الشيخ ضاهر فاحتلها ابو الذهب ولم ينم داخلها . ثم ارسل قسماً من جيشه الى صور وصيدا فاحتلها واقام هو قرب قرية السميرية ، ولكنه بعد مضي تسعة ايام اصيب بداء وبيل قضى عليه . وعندئذ تراجعت الجيوش المصرية الى ديارها وظهر الشيخ ضاهر العمر فجأة من مخبأه فعاد لاستلام عكا وبقيّة بلاده .

وكان الامير يوسف قد جزع حين وصول ابي الذهب الى عكا فارسل له رسالة مع احد اتباعه يعلن الطاعة له ويرفق الرسالة باربعة جياد من اصائل الخيل فلما وصل الرسول الى مدينة صيدا بلغه خبر وفاة ابي الذهب فعاد الى الامير يبشره بالامر ويعيد اليه الهدية ، مما كان له اجمل الوقع في نفسه ...

وفي عام ١١٨٩ هـ = ١٧٧٥ م توجه حسن باشا القبوذان اميرال البحر الابيض العثماني لمحاربة ضاهر العمر فتمكن من احتلال عكا بعد اغتيال الشيخ ضاهر العمر بدسيسة من تابعه احمد آغا الدنكزلي فعينه الاميرال نائباً عليها ، ثم استولى على صور وصيدا وعين على الاخيرة والياً جديداً من اصحابه هو محمد باشا ملك .

ورغب الامير يوسف في صداقة حسن باشا فطلب هذا منه دفع المال المتوجب عليه تأديته للدولة عن ثلاث سنوات سابقة . وتفصيل ذلك ان عثمان باشا المصري لما عين الشيخ ضاهر والياً على صيدا طلب من الامير يوسف ان يدفع

الضريبة للشيخ ضاهر ولكن الامير لم يدفع للشيخ شيئاً ، ولهذا طالبه حسن باشا بالتسديد . اما الامير يوسف فكتب الى حسن باشا يعلمه بما قدم للدولة العلية من خدمات ويتعهد له بدفع مبلغ ١٠٠ الف قرش في اقرب وقت فقبل حسن باشا رجاءه ثم توطدت بينها اوامر الصداقة ... وفي هذه الاثناء جاء الامر السلطاني بتعيين احمد باشا الجزار والياً على صيدا وعزل محمود باشا ملك منها ...

احمد باشا الجزار

سبق للامير يوسف الشهابي ان عين احمد الجزار متسلماً من قبله على مدينة بيروت سنة ١٧٧٤ م ، ولكن هذا عمد الى تحصين المدينة للاستقلال بها واظهر عداؤه للامير فقام هذا بمساعدة الشيخ ضاهر العمر فأخرجه منها سنة ١٧٧٤ م . وبعدئذ عرض الجزار خدماته على الشيخ ضاهر فقبلها ، ولكن الجزار سرعان ما خان معلمه الجديد فاستولى على قافلة من المؤن تعود الى الشيخ ضاهر وفر الى دمشق عارضاً خدماته على العثمانيين ، فعينوه والياً على صيدا ، بمعنى انه اصبح مراقباً عاماً على الجبل وعلى اميره يوسف معلمه السابق .

في اواخر عام ١٧٧٦ م تسلم ولاية صيدا بأمر من السلطان عبد الحميد الأول . وجزع الامير يوسف من تعيينه فأخذ يسترضيه بالهدايا واظهر الجزار له المودة بادىء الأمر ، ولكن الامير يوسف بقي على حذره منه وكتب الى حسن باشا يرجوه العمل على ازالة الجزار من حكم صيدا فوعده الباشا خيراً لا سيما وقد سبق له ان قبض من الامير الاموال الطائلة واطلق يده في جبل الشوف وبيروت وجبيل والبقاع . وكتب للامير عهداً ان ليس لوالى صيدا أية علاقة به سوى قبض الاموال السلطانية ، ووعده انه حين عودته الى الاستانة سيرتب الأمور .

وما ان سافر الاميرال حسن باشا الى قبرص حتى اظهر الجزار ما في قلبه من كراهية للامير يوسف إذ نهض بجيشه من صيدا الى بيروت فاستولى عليها ، ورفع عنها يد الامير وضبط اموال الامراء الشهابيين وعقاراتهم وأملاكهم

وأرسل يطالب الامير يوسف بأموال الدولة عن الثلاث سنوات الماضية . فكتب هذا الى حسن باشا يطلعه على الامر ويستنجد به فلبى الباشا نداه واتي الى بيروت فأخرج الجزار منها بعد ان وبخه على عمله .

عاد الجزار الى صيدا بحراً وبقيّة جيشه برأ . في الوقت الذي كتب الاميرال حسن باشا رسالة الى الامير يوسف يطمئنه فيها ، ومعيداً إليه مدينة بيروت وواعداً بأنه فور وصوله الى الاستانة سيعزل الجزار عن ولاية صيدا .

وازداد النفور بين الامير والجزار سنة ١٧٧٧ م فاستولى هذا على مدينة بيروت نهائياً . وارسل الامير يتعهد له بتسديد الأموال المطلوبة منه . وأخذ الجزار الشيخ واكد وابن عمه الشيخ محمود نكد رهينتين ووضعها عنده في سجن قلعة صيدا مدة حتى احتال في فرارهما رجل مسيحي شجاع هو حنا بيدر من الجبل اللبناني ، وكان يتردد عليها في سجنهما في صيدا . هذا الرجل لما رأى ذات ليلة غفلة من الحراس كسر قيودهما وانزلهما بجبل من نافذة للسجن تطل على البحر ونجا بهما الى دير القمر سنة ١٧٧٨ م حيث عمت الافراح منطقة الشوف بأسرها وذهب الشيخان النكديان منقذهما قرية الوردانية مكافأة له على انقاذه لهما .

وكان الجزار قد نقل مركز الولاية الى عكا لشدة تحصينها مبقياً على ايلته اسم ولاية صيدا .

وفي سنة ١٧٧٨ م ثار البعض من آل نكد على الامير يوسف لامتناعه عن انقاذ أقاربهم وثار لثورتهم آل علوان فنهض الامير يوسف من دير القمر لتأديبهم ، فالتجأ آل علوان الى الجزار وهو يومئذ في عكا وتعهدوا له بان يملكوه الشوف اذا امدهم بقطعة من جيشه فساروا من عكا الى صيدا ومنها توجهوا الى نهر الحجام ، فالتقاهم هناك الشيخ كليب نكد صديق الامير يوسف وقاتلهم قتالا شديداً حتى ألحق الهزيمة بهم فتراجعوا الى صيدا حيث مكثوا فيها ثلاثة ايام لإتمام استعدادهم ،

وبعدئذ توجهوا الى البرجية وهي قرية في اقليم الخروب فالتقاهم الشيخ بشير نكد بن الشيخ كليب ولكنه انهزم بعدما قتل عدداً من اتباعه وعاد مشايخ آل علوان مع جيش الجزار الى صيدا مبتهجين بانتصارهم .

وشعر الامير يوسف بخطورة مركزه لا سيما وان الشيخ علي جنبلاط ساعده الاين قد توفي . فجمع الاعيان في الباروك واعلن امامهم انه قرر التنازل عن الامارة لأخويه الاميرين سيد احمد وافندي وكتب بذلك الى الجزار فوافقه على ذلك ملمحاً في رسالته الى سوء تدبير الامير اثناء حكمه ...

ولم يمض على ولاية الاميرين بضعة اشهر حتى ثار عليها الامير يوسف مستنجداً بالمراعبة اصحاب عكار وبآل رعد اصحاب الضنية ، فأجندوه . وكتب الاميران الى الجزار فأمدهما بالعساكر وارسل رسولا الى الامير يوسف وكان في بعقلين يفاوضه في ان يدفع له الاموال وهو سيعيده الى امارته ، فتعهد هذا بدفع مبلغ ١٠٠ الف قرش فقبل الجزار التعهد ، وارسل يستدعي جيشه للعودة الى صيدا كما كتب للامير يوسف بالولاية ووجه اليه الخلعة الى بعقلين ، فلبسها هذا ثم توجه الى دير القمر في الوقت الذي فر فيه أخواه الى المتن واستلم دفعة الحكم ، وبعد مدة عفا عن أخويه فاستحضرهما واكرمهما وجعلهما مدبري أمره .

الامير اسماعيل الشهابي

وكان يتردد على حاصبيا بقصد التجارة رجل يهودي اسمه اصلان وكان يحكم حاصبيا وقتئذ الامير اسماعيل الشهابي خال الامير يوسف فعمد بعض غلمان الامير اسماعيل الى قتل اليهودي طمعاً في ماله سنة ١٧٨٣ م وكان لهذا أقارب يترددون على الجزار فأخبروه بالحادثة وتوسلوا لديه ان يستخلص مال قريبهم ويعاقب الجناة فأرسل الجزار الى الامير اسماعيل يطلب منه تسليم القاتل والمال . فتغاضى الامير عن تلبية الطلب فأصدر الجزار امراً الى الامير يوسف بالاستيلاء على مرجعيون واستخلاصها من اسماعيل ؛ فلبى الامير الطلب وارسل الشيخ

بشير نكد مع بعض رجاله فاستولى عليها وعلى أموال اسماعيل فيها فبلغ وارده ٥٠ ألف قرش ، وعندئذ توجه اسماعيل الى دير القمر حيث اجتمع الى الامير يوسف متوسلاً ان يعيد له امواله وبلدة مرجعيون ، ولكن الامير رفض استعطافه .

وتكرر اسماعيل وعاد الى حاصبيا ومن هناك كتب الى الجزار يلتمس منه تعيينه على بلاد الشوف متعهداً بدفع مبلغ ٣٠٠ ألف قرش ، فأجابه الجزار بالقبول - وهو المشهور بحب المال - ووعد ان يولييه حكم تلك الديار بمشاركة بعض الامراء الشهابيين بعد قدومه الى صيدا .

وسار الامير اسماعيل لمقابلة الجزار ، وكان وقتئذ في صيدا ، بعد ما كتب الى الامير سيد احمد شقيق الامير يوسف (وكان في الشويفات) يستنهض همته لموافاته اليها ، فركب هذا البحر من بيروت متوجهاً الى صيدا .

لما وصلت هذه الأنباء مسامع الامير يوسف ارسل قوة الى قرية جباع لضرب الحامية المعينة عليها من قبل الجزار فقتل منها اكثر من ٢٠٠ رجل وهب لنجدته الشيعة الذين كانوا يكرهون الجزار لتعصبه ومضايقته لهم .

فما كان من الجزار إلا ان خلع الولاية على اسماعيل وسيد احمد وامدهما بالجيش فخرج الاميران من صيدا مع جنود الجزار الى قرية علمان حيث وافاهما الشيخ قاسم جنبلاط ومعه الامير بشير بن قاسم الشهابي فقوي بهما حزبهما ، ولما عرف الامير يوسف بما حدث فر من دير القمر الى بسكنتا ، بعد ان ارسل اسرته الى المتن ، وتابع الاميرات سيروهما الى دير القمر فدخلاها وتقلدا زمام الحكم فيها .

أما الامير يوسف فالتجأ الى بلدة صافيتا ومكث لدى صاحبها صقر بن محفوز وهناك تلقى رسالة تشعر ان الجزار سيمنحه العفو اذا عاد الى بلاده

فتوجه الامير يوسف الى لبنان ولما وصل الى ضواحي بيروت غادرها الامير سيد احمد متوجهاً الى بسكنتا .

ووصل الامير يوسف الى عكا فاستقبله الجزار استقبالا حسناً فتعهد له الامير بدفع مبلغ ألف الف قرش سنوياً ، على ان يجمعها له بمدة ثلاثة أشهر ، فقبل الجزار تعهده واستبقى لديه الشيخ سعد الخوري مدبر الامير رهينة على المبلغ ، وأعادته مكرماً الى دير القمر .

ولما تمكن الامير يوسف من الاستيلاء على حاصبيا وراشيا عين عليهما امراء من اتباعه وألقى القبض على خاله الامير اسماعيل فوضعه في السجن (وقد بقي فيه حتى وفاته) .

الجزار والامير يوسف

وفي سنة ١٧٨٨ م تبقى للجزار بذمة الامير يوسف مبلغ ١٥٠ ألف قرش فطالبه بها ، ولكن الامير اخذ يماطل في دفعها فوجه اليه الجزار عسكرياً يقوده مملوكه سليم باشا . وكان هذا قد ارتاب في مودة سيده نحوه وعزم على الثورة عليه فاستمال الجيش ثم نهض به من حاصبيا الى صيدا وفيها سليمان باشا مملوك الجزار فاستماله اليه ايضاً واستنهضه لقتال الجزار ففعل ، ومال اليهما اهالي البلاد وعلى رأسهم الامير يوسف الذي استبشر خيراً ، مؤملاً بزوال عهد الجزار . وتوجه سليم باشا وسليمان باشا بعسكرهما من صيدا الى صور ومنها الى عكا حيث خيما في صحرائها وهدفهما القضاء على الجزار .

وانتظر الجزار حتى جن الليل فداهمهما بمن معه بغتة ففر المحاصرون وهم لا يلوون على شيء .

وغضب الجزار غضباً شديداً من الامير يوسف لمؤازرته اعداءه فكتب الى

الامير على امير حاصبيا يأمره بالاستيلاء على البقاع ، وهناك التحمت قوته
بقوى الامير يوسف فانهمز جيش الجزائر والامير علي ، ولكن الجزائر أمدهم
بقوة ثانية اصطدمت بالامير يوسف قرب قب الياس واسفرت تلك المعركة عن
فرار الامير الى دير القمر بعد ان قتل من جماعته عدد كبير .



القلاع البحرية والجزر الذي يعلو بصيدا

علا من الامير علي

وفي سنة ١٧٨٧ م ارسله الامير يوسف بمهمة الى حاصبيا ، وهناك تزوج من الست شمس ، وهي ارملة غنية ساعدته بأموالها على شراء بيت الدين ورزق منها بأبنائه قاسم وامين و خليل ، وبعد وفاتها تزوج من ابنة احمد الشر كسي فولدت له سعدى وسعود .

وما أن تسلم الأمير بشير الحكم حتى بادر لمقابلة الجزار في عكا فاستقبله هذا استقبالاً حسناً ووعده بالمؤازرة والمساعدة مشروطاً عليه القضاء نهائياً على الامير يوسف فوعده بتنفيذ امنيته . وهكذا اصبح الامير بشير سيد البلاد وله من العمر ٢٢ سنة .

مقتل الامير يوسف

ولكن الامير يوسف وقد حن الى الإمارة مجدداً استطاع ان يستعيد إمارته من الجزار بما دفعه له من الأموال في اوائل كانون الثاني سنة ١٧٩٠ م .

اما الامير بشير فأمرع الى عكا مع صديقه الشيخ قاسم جنبلاط حيث قابل الجزار ، ودفع له عن كل شهر ٢٥٠ كيساً فقبل الباشا طلبه وانعم عليه بخلعة الإمارة وأعادته الى دير القمر ، وأرسل يستدعي الامير يوسف ومدبره غندور ابن سعد الخوري ولما وصلا وضعهما في السجن ثم امر بقتلهما وكان متسلماً صيدا من قبل الجزار وقتئذ عثمان آغا الشاويش ...

الامير بشير في صيدا

ما ان وصلت انباء مقتل الامير يوسف ومدبره الى الجبل حتى ثار الاهلون وهاجموا جنود المغاربة الذين كانوا يعملون تحت امرة الامير بشير ، فلم ير هذا بداً من النزول مع جنده الى صيدا ومن هناك ارسل يستنجد بالجيش اللبناني الموجود في حرج بيروت ثم انطلق من صيدا نحو الشويفات حيث اشتبك مع اهل الغرب والثوار وانتصر عليهم بمؤازرة آل جنبلاط .

الفصل الرابع

الأمير بشير الشهابي الكبير

سُمّ الامير يوسف الحكم وما يحره عليه من مصائب ومحن فجمع أعيان الجبل في تموز سنة ١٧٨٩ م وطلب منهم ان يختاروا خلفاً له شرط ان يكون من الامراء الشهابيين فوقع اختيارهم على الامير بشير ابن قاسم الشهابي .



الامير الشهابي بشير الثاني الكبير

ولد الامير بشير في مطلع عام ١٧٦٧ م ومات والده وله من العمر اربعة أشهر ، ثم تزوجت امه من الامير سيد احمد الشهابي فعاش في كنف مربيته « مرحباً » في صليبا ، ثم انتقل الى برج البراجنة وكان عمره ١٣ سنة فأقام فيها ردهاً من الزمن ، ثم رحل الى دير القمر حيث عمل في خدمة الامير يوسف كمدير لأملاكه .

وعاد الأمير بشير إلى صيدا عن طريق البحر حيث وافاه أخوه الأمير حسن . وفي ١٥ آب سنة ١٧٩١ م حدثت معركة بين أهل بعبدا واللبانيين انتصر فيها الأولون ففر من نجا من قوات الجزار إلى صيدا عن طريق البحر لأن الطرق البرية كان يحتلها المنتصرون الذين نادوا بالأميرين حيدر وكعدان أميرين على الجبل وساروا معها إلى دير القمر حيث تساموا زمنا الحكم فيها .

أما الأمير بشير فقد توجه في ٢٥ تشرين الأول ١٧٩١ م مع جيشه من صيدا إلى قرية علان ثم إلى حاصبيا منقذاً فرقة من اللبنانيين كانت مشتبكة مع فئة من العصاة ثم عاد إلى جسر صيدا بناء على دعوة تلقاها من الجزار .

في أول كانون الأول ١٧٩١ م انطلق الأمير بشير من جسر صيدا إلى إقليم الخروب فآخضعه ، ثم عاد مع جيش الدولة إلى صيدا وبرفقتة الشيخ قاسم جنبلاط ومنها توجه إلى مقابلة الجزار في عكا .

وحاول الجزار أكثر من مرة دخول الجبل بقواته ولكن اللبنانيين ألحقوا به الهزيمة في شحيم وفي الجاهلية . وعمد الجزار بعدئذ إلى تغطية فشله بمفاوضة الأميرين حيدر وكعدان لمنحهما حكم الجبل لقاء ٥٠ ألف قرش شهرياً يؤديانها له ، بالرغم من شدة كراهيته لهما لما ألحقا به ويحيشه من الهزائم فتعهد الأميرات بذلك .

وامر الجزار الأمير بشير بالإقامة في صيدا فقبل مكرهاً وارسل يستدعي عائلته ، وكذلك فعل أخوه الأمير حسن الذي استوطن مدينة بيروت مع عائلته التي أحضرها من غزير .

في أيلول سنة ١٧٩٢ م توجه الأمير بشير من صيدا لاستقبال الجزار حين عودته من الحج ، فأنعم عليه بالأمانة وارسل معه جيشاً إلى صيدا وهناك وافاه أخوه الأمير حسن والشيخ حسن جنبلاط والملا اسماعيل وساروا جميعاً إلى

المختارة حيث حققوا أول انتصاراتهم ، ومنها توجهوا إلى دير القمر التي كانت الوصي قد أخلاها ملتجئاً إلى بلدة جبيل .

وفي سنة ١٧٩٥ م عزل الجزار الأمير بشير وارسل يستدعيه لمقابلته في عكا فوضعه في السجن مدة من الزمن ثم أطلق سراحه في ٢ حزيران فتوجه مع أخيه الأمير حسن والشيخ بشير جنبلاط إلى دير القمر .

وفي ٢٢ أيلول سنة ١٧٩٥ م غادرت أسيرة الأمير بشير صيدا عائدة إلى بيت الدين ملتحقة بسيدها .

بونابرت والجزار والأمير بشير

في ٤ آذار سنة ١٧٩٨ م وصل الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال نابليون بونابرت إلى عكا وضرب عليها الحصار . فأرسل الجزار يطلب مساعدة الأمير بشير ، فاعتذر هذا عن تلبية الطلب متظاهراً بأنهما في اتحاد الفتن التي يثيرها عليه قاربه في الجبل .

ولما وصلت جيوش العثمانيين القادمة من دمشق لمؤازرة الجزار إلى الجبل في طريقها إلى صيدا قدم لها الأمير بشير الذخائر والمؤن .

وكان الأمير قد تلقى رسالة من بونابرت يطلب مؤازرته ، فلم يجبه عليها ، وأرسل الجنرال الفرنسي إلى الأمير رسالة ثانية يعاتبه فيها على إهماله الرد ، ف وقعت هذه الرسالة بيد متسلم صيدا (ويقال أن الأمير بشير تعمد إيقاعها في يد الجزار تحسباً من المستقبل) الذي بعثها إلى الجزار ، فسر هذا من إهمال الأمير لطلب الفرنسيين ؛ ولكنه قرر الانتقام منه لعدم إعافه بالرجال حينما يتيسر له ذلك .

وما إن جلت القوات الفرنسية عن عكا أثر إصابته بداء الطاعون حتى أمر الجزار بخلع الأمير بشير ، وارسل الجيش لمطاردته ففر الأمير ملتجئاً إلى مصر

ليقابل فيها الصدر الاعظم ، بواسطة الاميرال الانكليزي سميث فأكرمه المذكور وأعاده الى أمارته عن طريق طرابلس فوصلها في ١٦ ايار سنة ١٨٠٠ م ومنها صعد الى الجبل فتسلم ادارة بلاده .

ولكن الجزار الذي قبل امر الصدر الاعظم مكرهاً عاد فأنعم على الامير عباس بالامارة وارسل معه في ٢١ آب سنة ١٨٠١ م جيشاً الى صيدا يقوده سليمان باشا جرقه ، ومنها انطلقوا الى البقاع ثم الى المعنية حيث كان الامير بشير والشيخ بشير جنبلاط وجرجس باز مع قواتهم بانتظارهم ، ولما دارت رحى المعركة انهزم جيش الدولة عائداً الى صيدا ومنها الى عكا ، بينما عاد الامير بشير وصحبه منتصرين الى حماتا ومنها الى دير القمر .

وفي نيسان سنة ١٨٠٤ م توفي في عكا احمد باشا الجزار والي آيالة صيدا فابتهج الامير بشير والاهلون كثيراً من ارتفاع هذا الكابوس الجاثم على قلوبهم ...

والي صيدا ابراهيم باشا

وعينت الدولة على صيدا والياً جديداً هو الحاج ابراهيم باشا والي حلب سابقاً . فأرسل الامير بشير لاستقباله في دمشق مدبره جرجس باز فاستقبله هذا بالاكرام .

وكان الجيش الانكشاري في عكا قد عصي على الدولة العثمانية فصدرت الاوامر الى ابراهيم باشا بالتوجه لسحقهم ، وكذلك الى الامير بشير بمساعدة ابراهيم باشا ، ولكن العصاة بادروا الى الامير بشير يستعطفونه في العفو عنهم ، فأرسل هذا يتوسط لهم لدى ابراهيم باشا فوعده هذا بتلبية طلبه حين اجتماعه اليه في صيدا .

وتلقى الامير رسالة من السلطان سليم الثالث يعلمه فيها برضائه عن اعماله ويطلب منه ان يسير وفق رغبات والي صيدا الجديد ابراهيم باشا ، كما تلقى من



الاميرات الدرزيات

الصدر الاعظم رسالة يطلب فيها منه مؤازرة الوالي في القضاء على اسماعيل باشا المعتصم في عكا .

وتوجه ابراهيم باشا بجيشه من صيدا في ٢٠ آب سنة ١٨٠٤ م وبرفقته الشيخ جرجس باز مندوب الامير بشير الذي كان وقتئذ في قرية جون ، وظل معه حتى قرية البصة بالقرب من عكا ثم ودعه وعاد الى دير القمر . أما ابراهيم باشا فاستولى على عكا بعدما القى القبض على اسماعيل باشا وعلى عمر آغا الطويل وداد باشا متسلما صيدا سابقا .

وتعين على صيدا سليمان باشا تابع ابراهيم باشا (الذي تعين على دمشق) وفي سنة ١٨٠٧ م تقابل جرجس باز مدبر الامير بشير مع حاييم اليهودي مدبر سليمان باشا على جسر صيدا وتوجها معا الى عكا حيث رحب سليمان باشا بجرجس باز واكرمه غاية الاكرام وأرفقه بخلعة عظيمة الى الامير بشير .

وسنة ١٨١٠ م اصدر سليمان باشا والي صيدا أمراً بأن يكون الامير بشير حاكماً على الجبل طيلة حياته وارسل له الخلعة بذلك .

وبعد مدة ورد الامر من الباب العالي بتعيين سليمان باشا والياً على دمشق بالاضافة الى ولاية صيدا ولكنه خوفاً من ان يفشل بالاستيلاء عليها لرفض يوسف باشا والي دمشق الاذعان لأوامر الدولة استشار الامير بشير فوعده بمؤازرته بجيشه لاحتلال دمشق وتوجها سوياً اليها . وبعد معركة مع جيش يوسف باشا انتصر سليمان باشا والامير فدخل دمشق وتسلم سليمان باشا زمام الأحكام فأنعم على الامير قاسم بن الامير بشير ببلاد جبيل ، كما انعم على الامير خليل ببلاد البقاع وعاد الامير بشير الى بلاده مسربلاً بالعز والفخار .

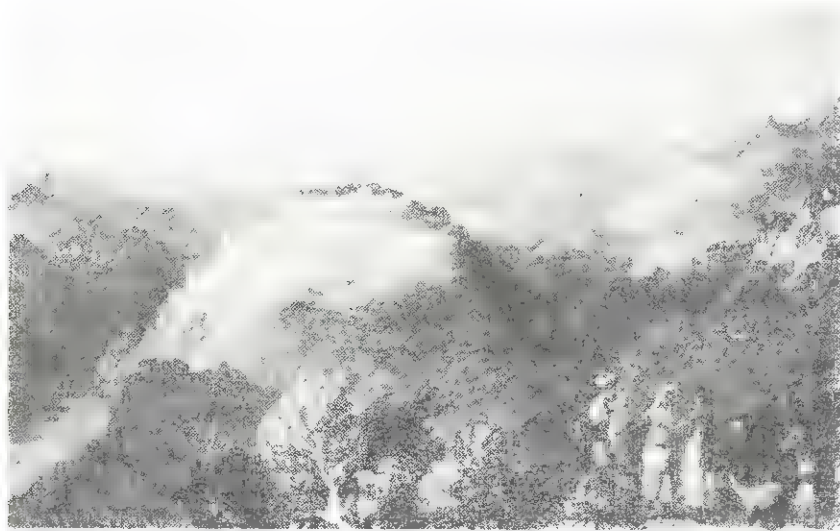
وعين سليمان باشا من قبله متسلماً على دمشق درويش آغا بن جعفر آغا . ولكن لما وصلته في عام ١٨١٢ م أنباء تقول ان درويش آغا يأخذ الأموال من

الاهلين ويحتفظ بها لنفسه ارسل من ألقى القبض عليه وصادر املاكه وأمواله حتى استوفى منه مبلغ ٦٠٠ الف قرش وعندئذ اطلق سراحه وأمره بالسكن في صيدا مع عائلته اثر وساطة الامير بشير .

وفي هذا العام وصل الجراد الطيار وغرز في اراضي صيدا فصدرت الأوامر ببادته عن طريق حفر الأقنية واحراقه فيها فتمكن الاهلون من انقاذ مواشيهم من هذه الآفة الفتاكة بهذا التدبير الذي اقترحه الأمير بشير .

الليدي استير ستانهوب

وفي هذه السنة ١٨١٢ م وصلت الى صيدا عن طريق مصر الليدي استير ستانهوب الانكليزية وحلت في احد قصورها ، ثم اخذت تتجول في ضواحي المدينة وتجتمع الى كبار شخصياتها وتقيم على شرفهم الحفلات والمآدب وهدفها من ذلك ادخال النفوذ الانكليزي الى هذه المنطقة .



قصر الليدي ستانهوب في جون (القرية من صيدا)

ولما ظهر الطاعون في شهر أيار سنة ١٨١٣ م في صيدا واخذ يقتك بالاهلين جزعت الليدي استانهوب وانطلقت الى اراضي قرية عبرا الواقعة على مسافة ثلاثة كيلو مترات شرقي صيدا فبنت فيها منزلاً سكنته مع حاشيتها (وقد زالت آثار هذا المنزل منذ بضع سنوات فقط) . ثم انتقلت الى جون في منطقة الشوف سعياً وراء تحقيق اهدافها .

الامير بشير في صيدا

(وفي سنة ١٨١٤ م توفي علي باشا الخزندار كتحدا سليمان باشا والي صيدا . فأرسل الامير بشير يستأذن الوالي بالحضور لتعزيتته فأذن له وأصدر اوامره باستقبال الامير استقبالا يليق بمقامه .

وفي ٣ جمادي الاولى وصل الامير الى جسر صيدا ، وكان الاهلون وأعيان المدينة وعلى رأسهم القاضي والمفتي قد خرجوا لاستقباله هناك فرحبوا به ترحيباً جميلاً وألقيت امامه القصاصد والخطب ثم دخلوا امامه لمدينة بالعروض والاهازيج ، واقامت على شرفه المآدب والحفلات ، ومكث الامير تلك الليلة في ضيافة متسلم المدينة . وعند الصباح خرج الجميع معه الى عين القنطرة حيث تناولوا طعام الفطور ثم ودعوه بمجالي الاكرام وعادوا الى مدينتهم ، كما توجه الامير الى عكا فاستقبله سليمان باشا معانقاً ومصافحاً .

وفي سنة ١٨١٩ م توفي سليمان باشا والي صيدا وتعين مكانه عبد الله باشا بن علي باشا الخزندار .

وفي عام ١٨٢٠ م ارسل عبد الله باشا يطلب من الامير بشير دفع المال المتوجب عليه فوراً ، فارسل الامير يستمهله بعض الوقت ، ولكن هذا رفض ، وأمر متسلمي بيروت وصيدا باللقاء القبض على كل الدروز الموجودين في بلديهما ففعلا . وكان ذلك في ٢٥ كانون الاول ١٨٢٠ م .

واحتجاجاً على هذا التدبير قرر الامير بشير التنازل عن امارته فغادر بيت الدين الى حماتا وبصحبه الشيخ بشير جنبلاط ومن هناك انتقل الى حوران .

وكان الامير حسن بن الامير علي الشهابي والامير سليمان سيد احمد الشهابي بمؤازرة المشايخ اليزبككية قد توجهوا الى صيدا فوصلوها في اوائل آذار ١٨٢١ ، فمنحهما عبد الله باشا خلعة الامارة وارفعها بقوة من الجيش الى دير القمر لتسلم امارتهما .

ولكن الامر لم يطل معهما اذ سرعان ما اعلنا خضوعهما للامير بشير الذي وصل مع عدد من اتباعه الى جهات جزيين فلم ير عبد الله باشا بداً من اعادة خلعة الامارة اليه .

وفي عام ١٨٢٢ م تنازل الامير بشير عن الامارة لنسيبه الامير عباس الشهابي ، وتوجه الى مصر في ١٦ آب يصحبه ولداه خليل وامين و ٩٤ نفرًا من اتباعه تلبية لدعوة من محمد علي باشا ولتثبيت عبد الله باشا على اية صيدا ، فقبل رجاءه . وصدر العفو عن عبد الله باشا وأعيد الى ولايته .

ولما عاد الامير الى بلاده عن طريق عكا استقبله الباشا شاكراً . ومعتزلاً بحميلة بعد ان خلع عليه خلعة الامارة .

الامير بشير وآل جنبلاط

في اواسط كانون الاول سنة ١٨٢٤ م لما ثار الشيخ بشير جنبلاط في المختارة على الامير بشير ، كان متسلم صيدا وقتئذ من قبل عبد الله باشا ، الحاج علي آغا ، فتسلم هذا امراً من الوالي بمساعدة الامير على خصمه ، وللحال سار على رأس قوة من الجيش الى الاسمقلانية حيث التقى بقوات الامير التي يقودها الامير خليل واشتركا سوية في المعركة التي انتهت بانتصارهم . وقتل عدد من العصاة ، وفر الشيخ بشير مع عدد من اتباعه الى حوران . اما للقتلى الذين تجاوز عددهم

١٥٠ قتيلًا ، فقد قطعت رؤوس ٥٧ منهم أرسلت الى الوالي عبد الله باشا المقيم آنئذ في صيدا ، الذي ما ان بلغته انباء هذا الانتصار حتى امر باطلاق المدافع واقامة الزينات في المدينة ، وكان ذلك في ٢٩ كانون الثاني ١٨٢٤ م (تاريخ لبنان - عصر الامراء - لشبلي . وتاريخ الامير حيدر) .

ولما وصل المنهزمون الى حوران ارسل مصطفى باشا والي دمشق من ألقى القبض عليهم ثم ارسلهم الى عكا صحبة سلحداره عبد الله باشا .

وكان عبد الله باشا قد غادر صيدا متوجهاً الى عكا ، فلما وصلها امر بنقل الشيخ بشير جنبلاط واطلق سراح الشيخ نجم جنبلاط بناء على وساطة الامير بشير .

ثورة نابلس

لما اشتعلت الثورة في نابلس ضد عبد الله باشا وفشل هذا بالقضاء عليها ارسل يستنجد بالامير بشير فجاءه على رأس قوة من جيشه الى جسر صيدا يوم الجمعة في ١٥ كانون الثاني سنة ١٨٣١ م وكان يوماً ممطراً عاصفاً ؛ فأقام في ضواحي صيدا ثلاثة ايام ، ثم انطلق منها يوم الاثنين الى عكا حيث قابله الوالي عبد الله باشا بالترحاب والاكرام ومنها توجه مع جيشه يرافقه ولده الامير خليل الى قلعة صانور (نابلس) ، حيث حقق الاميران الانتصار ، فاستسلم المحاصرون وهدمت القلعة .

القاضي يونس البزري

وفي اوائل عام ١٨٣١ م حدثت فتنة دينية في صيدا بين الامير بشير ملحمة والشيخ يونس البزري قاضي المدينة ، لأن الامير المذكور كان يتدخل في الشؤون الفقهية على غير معرفة منه بامورها . واثار القاضي بعض الأهالي واتى معهم بالسلاح الى السراي ليطردوا الامير منها ؛ وهناك تناقشا ثم تشابكا ، وخرج

القاضي مع جماعته الى ابواب المدينة لطرد جماعة الامير منها فاصطدموا بهم وارقد كل الى موضعه .

وارسل الامير بشير ملحمة يعلم الامير بشير بالحادثة ، فكتب هذا الى نقيب الاشراف يطلب منه الحكم على اصحاب الفتنة . وبعد ان استشار هذا الوالي امره ان يفوض الامير بإلقاء القبض على القاضي والمفتي ومن ساعدهما على الفتنة ، ففعل الامير وارسل الجميع الى عكا حيث عقد ديوان للشورى وحكم بالسجن على خمسة عشر رجلاً منهم ، كما امر بأن تقطع رؤوس كل من رفع السلاح على الامير وتعلق على باب مدينة صيدا فتم ذلك ؛ وكان المنادي يقول : هذا جزاء من يرفع يده على الحاكم (تاريخ الامير حيدر وتاريخ صيدا للشيخ احمد عارف الزين) .

ابراهيم باشا المصري

في حزيران سنة ١٨٣١ م وصلت القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا نجل محمد علي باشا والي مصر الى عكا فضربت عليها الحصار ، ثم توجهت قطعات منها الى صيدا فاحتلتها . وعين ابراهيم باشا متسلماً عليها من قبله رضوان بك طوقان - من نابلس - ثم تابعت القوات المصرية زحفها فاحتلت بيروت ولكنها لم تتمكن من فتح طرابلس الا بعد ان توجه الامير خليل الشهابي على رأس قواته لمؤازرته فتسنى لهم ذلك في آذار سنة ١٨٣٢ م .

وأثناء هذا وردت رسالة من محمد علي باشا الى ولده ابراهيم يطلب فيها منه ان يسلم زمام الحكم في كافة ارجاء أيلة صيدا الى حليفه الامير بشير الشهابي وان يخضع له كل المتسلمين واصحاب المقاطعات ؛ وبالمقابل فقد وضع الامير الشهابي قواته الضاربة كلها تحت امرة ابراهيم باشا خلال معاركه مع السلطنة العثمانية ...

الامير عبد الله الشهابي حاكم صيدا

بعد الانتصار الذي حققه ابراهيم باشا على الدولة العثمانية وتوقيع معاهدة كوتاهية التي ضمنت لمحمد علي باشا واسرته حكم سورية ولبنان وكليكية ومصر في ٥ آيار سنة ١٨٣٣ م، عمد العثمانيون بواسطة اتباعهم الى اثاره النعرات الدينية والفتن في البلاد، وقام المتأولة بثورة الى الجنوب من صيدا فأمرع الامير خليل الشهابي الى اخادها في اواخر عام ١٨٣٤ م.

ولتحاشي الثورات ومراقبة البلاد مراقبة دقيقة وفعالة، عين الامير بشير - وقد اصبح حاكماً عاماً على كل البلاد اللبنانية - نجله الامير خليل حاكماً على طرابلس. وعين ابن اخيه الامير عبد الله الشهابي حاكماً على صيدا، والامير جهجاه وابنه الامير امين على بيروت.

وجعل الامير بشير مدينة صيدا نقطة الاعاشة للجيش المصرية ومركزاً لتموينها، فعاد اليها آنثذ شيء من نشاطها الاقتصادي.

نكبة صيدا بالزلزال

وفي عام ١٨٣٧ م نكبت صيدا نكبة قاسية بالزلزال الذي ضربها فهدم قسماً كبيراً من احيائها وقتل عدداً من الاهلين. فبادر سليمان باشا والقائد الفرنسي ومساعد ابراهيم باشا الى مد يد المعونة للمدينة، إذ امر بتجديد الأبنية المتهدمة ومنح المصابين والمنكوبين الهبات، كما امر بإحاطة المدينة بسور من جهة اليابسة، وهكذا تمكن من اقالة المدينة من عثارها واعادة الحياة اليها.

صيدا ونهاية الحكم الشهابي

اشتعلت الثورات في لبنان في ربيع سنة ١٨٤٠ م ضد المصريين بتحريض من العثمانيين اثر صدور القرارات القاضية بجمع الاسلحة وقانون السخرة وزيادة



شاطيء صيدا الشهابي والقلمة البحرية في عام ١٨٣٤

الضرائب . وقام الثائرون بقطع طرق المواصلات بين بيروت وصيدا المركز الرئيسي البحري لتموين القوات المصرية ، وتمكنوا من اغلاق ميناء صيدا في وجه المراكب المصرية ثم تركزوا على الشواطىء رافعين علم الثورة الاحمر .

وبالرغم من اذاعة الامير بشير منشوراً على الاهلين بتاريخ ٦ حزيران سنة ١٨٤٠ م يعلن فيه الغاء قانون الضرائب فإن الثائرين من مسيحيين ودروز ظلوا يقطعون طريق المواصلات الساحلي عن صيدا ؛ عندئذ أوعز الامير بشير الى ابناء اخيه ؛ مسعود حاكم صيدا ومجيد حاكم بيروت ومحمود حاكم زحلة بمحاربة الثائرين والقضاء عليهم فتمكن مسعود من خضد شوكتهم عند جسر نهر الأولي وأعاد المواصلات مع الداخل وفر العصاة ملتجئين الى شواطىء بيروت .

وفي ٢٣ تموز سنة ١٨٤٠ م دخلت ميناء صيدا قطعة حربية من الاسطول البريطاني وهددت بضرب المدينة إذا لم تخلها القوات المصرية وكان عددها وقتئذ ٣ آلاف جندي فخرج المصريون الى الضواحي ولم تجسر القوات البريطانية على النزول الى اليابسة .

وفي ١٠ ايلول سنة ١٨٤٠ م جاءت قوات تركية وانجليزية الى قرية الجية شمالي صيدا فاحتلتها ، وهناك وافاها الثائرون اللبنانيون فتلقوا منها الأسلحة التي بلغ عددها ٣٠ ألف بندقية . ثم زحفت القوات الحليفة شمالاً وجنوباً فاحتلت بيروت والبترون . وباحتلالها مدينة صيدا ومرفأها ، قطعت خطوط تموين الجيوش المصرية التي جلت عنها الى داخل البلاد . وهنا أحس الأمير بشير بالخطر يحدق به من كل جانب فقرر الاستسلام للانكليز .

وفي ١١ تشرين الاول ١٨٤٠ م خرج الامير بشير من بيت الدين متوجهاً الى صيدا ليضع نفسه تحت حماية القائد البريطاني وبرفقته خلصاء اسرته وحاشيته وهو يحمل في جعبه عشرة آلاف كيس من الذهب ، كما غادر المشايخ من انصاره في نفس الوقت القصر الاميري متوجهين الى دير القمر وعلى رأسهم الشيخ بشارة

الخوري والشيخ منصور الدحداح مستشار الامير وحبيب المعوشي .

ولما علم القنصل الفرنسي بقرار الامير اوفد اليه معاونه جوانان ليقنعه بالعودة الى قصره وانتظار نتيجة المفاوضات الدائرة بين الدول الكبرى عسى ان يكون حظه في النهاية كحظ محمد علي ، فالتقى به بين الدامور ودير القمر ، وحاول معاون القنصل جاهداً إثناء الامير عن قراره بالاستسلام ، ولكن الامير الشهابي الكبير أصر على الابتعاد عن المعركة قائلاً :

« ان الدول الاجنبية لم تهتم به يوم كان في عزه فلا امل بأن تهتم به الآن وقد اصبح وحيداً تتألب عليه القوى ، ولحقت الهزيمة برجاله وتخلي عنه اصدقاؤه كما تنكر له قواده » .

ولما وصل موكب الامير الى صيدا في ١٣ تشرين الاول ١٨٤٠ م خرجت القوات الانكليزية والعثمانية لاستقباله وحيته قطعاتها كما عزفت امامه الموسيقى . ثم واكبه اعيان المدينة حتى المرفأ حيث صعد الى ظهر البارجة الانجليزية التي نقلته الى بيروت . وهناك استقبله الاميرال الانكليزي ستوفورد بمائة طلقة مدفوع من البوارج الراسية في الميناء ، وبعد ان حيا الامير طلب منه ان يعلن انضمامه الى صفوفهم ضد المصريين ، ولكن الامير رفض بإباء هذا العرض فابلغه الاميرال انه اصبح إذن اسير صاحب الجلالة وعليه ان ينتقي منفاه ؛ فطلب الامير ان ينقل الى قبرص ، ولكن الاميرال قال انه لا يضمن له السلامة في اراضي الامبراطورية العثمانية ، فاجابه الامير انه يختار الاقامة في فرنسا او في ايطاليا ، فرفض الاميرال ايضاً هذا الطلب وخيره ان ينتقي منفاه في انكلترا او في جزيرة مالطة آنئذ باستطاعته ان يختار بملء حريته مكانه في احد بلدان التحالف الرباعي ففضل الامير السكن في جزيرة مالطة ...

وفي ١٤ تشرين الاول سنة ١٨٤٠ م القى الامير بشير الشهابي الكبير آخر نظرة على الجبل اللبناني من البارجة التي مضت به تشق عباب اليم متوجهة الى

ومن مطالعة هذه الاسطر يتضح للقارىء مدى ما كان يعتمل في نفوس
الأجانب من رغبات دنيئة تعتمد على اذكاء نار التفرقة المذهبية بين ابناء الوطن
الواحد فتسلح الجميع لتظل ابواب حمامات الدم مفتوحة امام المتزمتين بدلاً من
السعي لاختاد الفتنة والقضاء على دعايتها ومسببها .

مالطة يرافقه عليها ٦ اميرات بينهن زوجته وابنته وحفيداته ، وحوالي مائة
شخص من حاشيته وفي طليعتهم مستشاره بطرس كرامه الذين اخلصوا له حتى
النهاية وربطوا مصائرهم بمصيره .

(الشدياق وشبلي ، واميل خوري وعادل اسماعيل في كتاب السياسة
الدولية في الشرق العربي ، الجزء الاول) .

التدخل الاجنبي واثره في لبنان

كان العثمانيون يهدفون الى القضاء على استقلال الجبل اللبناني عن طريق اثاره
النعرات المذهبية بين مختلف طوائفه ، يؤازرهم في ذلك الدول الاوروبية التي
كانت تدعي كل واحدة منها فرض حمايتها على طائفة معينة . ومن الطرق
المؤدية الى تحقيق ذلك كبح جماح الامراء وذلك بتقويض قوتهم العسكرية والغاء
الجيش اللبناني حتى يتسنى لهم آتئذ التدخل بشؤونهم عسكرياً وليس في الجبل
من يقاومهم ؛ وجمع السلاح من فئات معينة ، وزودت الفئات الاخرى به مما
سبب توتراً دائماً استدعى وجود القوات العثمانية بحجة المحافظة على النظام
والامن في الجبل اللبناني .

وتأكيداً لهذه الامور نذكر ان القائد البريطاني ريتشارد وود الذي حمل لواء
محاربة المصريين في لبنان ، لما رأى اعمال العثمانيين كتب رسالة الى سليم باشا
والي صيدا مؤرخة في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٤١ م يقول فيها : « ان اعمال العثمانيين
الجائرة ضد المسيحيين هي غير لائقة ، إذ امرتهم بتسليم اسلحتهم ففعلوا ، في
وقت وزعم فيه الاسلحة على اعدائهم ، ولذلك ارجو ان تمنح المسيحيين بعض
الاسلحة للدفاع عن انفسهم وممتلكاتهم (اميل خوري وعادل اسماعيل -
السياسة الدولية في الشرق العربي) .

خورشيد باشا	١٨٦١ م = ١٢٧٧ هـ
احمد باشا القيصري	١٨٦٢ م = ١٢٧٨ هـ
قبولي باشا	١٨٦٢ م = ١٢٧٩ هـ
محمد خورشيدباشا (ثانية)	١٨٦٤ م = ١٢٨١ هـ

حوادث مؤلمة

حوادث عام ١٨٦٠ - التي سنذكرها فيما بعد - سهلت التدخل الاجنبي الذي كان ينتظر حدوثها بفارغ الصبر ، وسرعان ما تظاهر وزير الداخلية العثماني فؤاد باشا ، المطلق الصلاحية من قبل السلطان ، بالرغبة في الاقتصاص من المعتدين اذ سمح للدولة الفرنسية بانزال قواتها للمحافظة على المسيحيين ظاهرياً ، وفي شهر ايلول دخلت هذه القوات صيدا وصور وبعبداء وزحلة ودير القمر .

وتمكن فؤاد باشا اثر الخلاف الذي ذر قرنه بين ممثلي الدول الاجنبية من فرض القرارات التي وضعت حدوداً للبنان الصغير ، فسلخت منه مناطق عكار والبقاع والتميم ومنطقة صيدا حتى شمال المدينة ، وجعلها متصرفية كانت مساحتها ٥٧٤٠ كيلو متراً مربعاً وعدد سكانها ٣٠٠٠٠٠ نسمة غالبيتهم من المسيحيين ، ولم يكن لهذه المتصرفية من موانئ الا البترون وجونية وجبيل ، وألحقت هذه المتصرفية بولاية الشام .

صيدا قائممقامية

في سنة ١٨٨٨ م ، وعلى أثر جعل مدينة بيروت ولاية عثمانية ، ألحق بها أقضية صيدا وصور ومرجعيون .

وتذكر السالنامة العثمانية سنة ١٨٩٦ م ان قضاء صيدا كان يضم وقتئذ ٢٣٦٠٠ نسمة مقسمين على الطوائف التالية :

٩٤٠٠ نسمة من السنين و ٢٦٠٠ من الشيعة و ٥٣٠٠ من الموارنة و ٣٥٠٠

الفصل الخامس

ولاية صيدا وحكامها

ولاية صيدا

تذكر السالنامة التركية التي طبعت في بيروت سنة ١٣١٩ هـ = ١٩٠١ م اسماء ولاية صيدا الذين تعاقبوا عليها قبل الغائها وضمها الى ايلة بيروت وهم :

الصدر الاسبق عزت باشا	١٨٤٠ م = ١٢٥٦ هـ
سليم باشا	١٨٤١ م = ١٢٥٦ هـ
الفريق عزت باشا (موقتاً)	١٨٤٢ م = ١٢٥٧ هـ
مصطفى باشا	١٨٤٢ م = ١٢٥٧ هـ
شيخ الوزراء اسعد مخلص باشا	١٨٤٣ م = ١٢٥٩ هـ
كامل باشا	١٨٤٥ م = ١٢٦٢ هـ
مصطفى باشا اسقودره لي	١٨٤٦ م = ١٢٦٣ هـ
صالح وامق باشا	١٨٤٧ م = ١٢٦٤ هـ
مشير الضبطية الاسبق محمد باشا	١٨٥٠ م = ١٢٦٧ هـ
الصدر الاسبق محمود نديم باشا	١٨٥٥ م = ١٢٧٢ هـ
صالح وامق باشا (ثانية)	١٨٥٦ م = ١٢٧٣ هـ
محمد باشا من فرقاء البحرية	١٨٥٧ م = ١٢٧٤ هـ

نسمة من الروم الكاثوليك و ٢٨٠٠ من الروم الأرثوذكس .
وكانت مدينة صيدا بالذات تضم القسم الأكبر من السنين .

وتولى ادارة صيدا منذ ١٨٦٧ م

١٨٦٧ م	جعفر طيار افندي
١٨٦٨ م	محمد بك
١٨٦٨ م	علي بك
١٨٦٩ م	صالح بك
١٨٧٠ م	شاكر بك
١٨٧٤ م	رفقي بك
١٨٧٤ م	رفعت بك
١٨٧٤ م	شاكر بك

والأخير هو الذي فتح بوابة الشاكرية في صيدا ، واليه تنسب ، وكان يصطاف في بلدة جباع فبنى فيها مقصورة لطيفة . ولا يزال ذلك المكان يحمل اسمه حتى وقتنا الحاضر ... ثم تعاقب على صيدا القوام مقام التالية اسماؤهم :

١٨٧٦ م عبد الله ادلي افندي الذي كان غريب الأطوار ، شديد الانتصار للفقير على الغني ، سواء كان محقاً ام مبطلاً ، ومن اللطائف التي تروى عنه ان فلاحاً ادعى على ملاك من تجار صيدا بأنه اغتصبه قطعة ارض ؛ فابرز الملاك سندات التملك فلم يعبأ بها القائمقام فأراه بعض المحامين المادة التي تقضي بتسليم صاحب السند الارض ، فما كان منه الا ان شطب المادة من نسخة القانون وأمر بتسليم الارض للفلاح .

١٨٧٨ م احسان بك الذي عرف عنه محبته العلم وتنشيطه للمدارس والمعارف .
١٨٧٩ م احمد شكري افندي
١٨٨٣ م محمود بك

١٨٨٤ م صادق بك

١٨٨٥ م حسن فهمي بك

١٨٨٦ م عبد الغني افندي

١٨٨٦ م مصطفى حكمت بك القنواقي

١٨٨٨ م احسان بك (ثانية)

١٨٩٢ م محمود بك

١٨٩٣ م احمد شكري افندي (ثانية)

١٨٩٦ م رضا بك الصلح

١٨٩٨ م عبد اللطيف افندي

١٩٠١ م محمود ماهر بك

١٩٠٣ م كامل بك

١٩٠٥ م عبد الحليم افندي

١٩٠٦ م محمود جمال بك

١٩٠٨ م سعيد بك

٩١٠ - ١٩١٣ م محمود جمال بك (ثانية)

١٩١٥ م شبلي بك حماده (وكان قائمقاماً خلال الحرب العالمية الاولى) .

١٩١٧ م احمد بك (حتى خروج الاتراك من صيدا) .

الفصل السادس

الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

في صيدا

يقول السائح الفرنسي كيران الذي زار لبنان في اواسط القرن التاسع عشر: « ان نقل الجزار مركز الولاية من صيدا وجعله في عكا ، ساهم في تأخر حالة صيدا الاقتصادية لأنه طرد الفرنسيين منها سنة ١٧٩١ م وبدأت بواخرهم تتوجه الى بيروت التي اخذت تشق طريقها لتكون سيدة موانئ البلاد السورية » .

ويؤكد هذا ما ذكره السائح الفرنسي السيد فولنابي الذي عرج على صيدا اثناء سياحته في سورية في اواخر القرن الثامن عشر اذ قال : « ان الفرنسيين كانوا يوردون الى صيدا من البضائع سنوياً ما يوازي قيمتها مليوني فرنك ، ويستوردون منها القمح والشعير والذرة والقطن والسمسم والتبغ » .

ولو أمعنا النظر في الأمر لاتضح لنا ان الخسارة التي لحقت بصيدا وبتجارها كانت جسيمة من جراء انتقال غالبية الجالية الفرنسية منها وابتعاد مراكزهم عن الرسو في مينائها مما تسبب في فشل الحركة الاقتصادية في المدينة وايقاف اليد العاملة عن العمل .

يستثنى من هذه الفترة ، الوقت الذي امضاه الامير بشير الشهابي الكبير على سدة الحكم بعد وفاة الجزار ، لأن الحركة الاقتصادية في صيدا نشطت قليلاً بعودة التجار الأجانب لارتدادها مع سفنهم ، ولنقل الحرير والزيتون منها اثر مساهمة الامير في التوسط لإعادة انشاء القنصليات في المدينة لتحمي مصالحهم وتسهر على رعاياها .

الحالة الاجتماعية

لم تتغير حالة صيدا الاجتماعية عن مثيلتها ايام المعنيين ، فالشعب ينقسم الى ثلاث فئات : الاشراف وهم الطبقة الملتصقة بالحكام ، تسايهم وتدفع لهم الأموال



لقاء تصرفها باقطاعات كبيرة من الارض يستثمرونها بواسطة الفلاحين الذين كانوا يعيشون على هامش الحياة يأكلون خبز الشعير والذرة ولا يتذوقون اللحم الا مرتين في العام الواحد خلال عيدي الأضحى ورمضان ، ولباسهم القميص والسروال ، وغطاء رؤوسهم اللبادة الخشنة وهم يسرون حفاة الاقدام .

والطبقة الثانية هي الطبقة الوسطى وتضم التجار وارباب الصناعة والعلماء . وكان لباسهم القميص والسروال الطويل

والغبناز وبعضهم يلبس الجبة ويضع على رأسه عمة يلفها حول اللبادة أو حول

قطعة من الكتان حيكّت بشكل مستدير على قدر الرأس ، ويرتدون الحذاء المشاية —

أما الطبقة الثالثة في المدينة فهي طبقة العمال وكانوا يرتدون القميص والسروال أيام العمل ويغطون رؤوسهم بقطعة من القماش يعقدون اطرافها في مؤخرة الرأس ، ويتدلى طرفها بشكل يغطي الرقبة ويعملون وهم حفاة الاقدام . أما في أيام الجمعة والأعياد فكانوا يرتدون القميص والسروال وبعضهم الغنبار ويتنعلون في أقدامهم — بابو جاً — يحتفظون به في منازلهم لهذه المناسبات .

وكان لباس الأشراف عبارة عن قميص فوقها دراعة مزركشة ، وسروال كبير مزركش الجوانب ، حريري في الصيف وجوخي في الشتاء كما يرتدي بعضهم الجبة الحريرية صيفاً والجوخية شتاءً ، ويضعون على وسطهم زناراً عريضاً من الحرير او من الصوف المنسوج يوكزون فيه خنجراً أو « قربيئة طبنجة » .

أما لباس المرأة فكان عبارة عن سروال طويل يصل الى قدمها وفوقه رداء يغطي الأقدام ، وتضع على رأسها عصابة من الحرير او القطن حسب مكانتها وتتدلى منه مشابك الذهب او الفضة ، ولا تخرج من البيت الا في حالات الضرورة واذا خرجت فانها تغطي رأسها بثوب طويل يلف جسمها بشكل لا يسمح للناس بالتعرف عليها ، كما تغطي وجهها بمنديل سميك تكاد معه لا ترى طريقها إلا بصعوبة .

أما المرأة الموسورة فلباسها السروال الطويل الحريري والرداء الطويل الحريري او الجوخية والدراعة المزركشة والمنديل المزركش تعصب به رأسها ، وفي الحفلات النسائية تضع على رأسها قاروقاً (طنطوراً) يتدلى من قمته منديلاً حريرياً مزركشاً نسائياً ينساب على كتفها وحتى اقدمها ، وتحيط عنقها بطوق من الحلي الذهبية والمجوهرات ، كما تضع في اذنيها الأقراط الكبيرة التي ترفعها بخيط حريري (نظراً لثقل الأقراط) تعقده في قمة رأسها وتلبس في قدمها خفاً من الجلد زاهي اللون او احمر قانياً .

الحياة الثقافية

وتبعاً للحالة الاقتصادية فان الحالة الثقافية في صيدا ايضاً كانت بين مد وجزر وقد ساهمت صيدا في مدينبوع الثقافة (التي كانت مقتصرة على النواحي



السيدة والمار

الدينية واللاهوتية) بمعنى كان له تأثيره الفعال في نشر العلم في هذه المدينة وضواحيها . ولا بد لنا من ترجمة حياة نابغتين في الدين والمجتمع اشتهر امرهما في هذه الحقبة ، اولهما : الشيخ محمد بن عثمان الصيداوي ، وثانيهما المطران الصيفي : ثم نلحق بهما ترجمة لأديبين كبيرين هما مارون نقاش والشيخ يوسف الأسير .

الصيداوي

هو محمد بن عثمان الصيداوي

الفقيه الشافعي المذهب نزيل دمشق ، يقول عنه المحيي : « وكان من العلماء العاملين كامل الحاصل كثير التقوى والصلاح والورع ، وكان علماء دمشق يعظمونه ، وللتناس فيه اعتقاد عظيم » .

خرج من صيدا سعيّاً وراء العلم الى القاهرة فأخذ من علمائها ، واقام مدة في جامع الازهر وبرع في كل الفنون وذاع صيته وعلمه ، وكان مع تغربه ذا وجهة وإيثار على طلبة الأزهر . ثم قدم الى دمشق سنة ١٠٣٠ هـ واقام بمحلة القنوات وقرأ وأفاد . وكان لا يفتقر عن المطالعة والبحث ، وحضر دروس الشمس للميداني والنجم المغربي وولده الشيخ سعودى تحت قبّة النصر ، ولزم العمادي

المفتي في دروسه ايضاً . وكان اصحاب المجالس يرجعون الى ما يقوله ، ويطلب البحث ، وكان صوته جهورياً يسمع من بعيد ، كثير التقشف في امر العبادة ، درس في بقعة بالمسجد الأموي فرغ له عنها ابو العباس المقرئ ليلة ارتحاله الى القاهرة وأعطي بعض جهات في بعض الأوقاف ، وكان كل ذلك لا يقوم به لما عليه من السخاء وبسطة الكف . وكانت ولادته بمدينة صيدا سنة ٩٩٥ هـ - ١٥٨٦ م ووفاته في دمشق سنة ١٠٦٥ هـ = ١٦٥٤ م ودفن بمقبرة باب الصغير في قبر كان اشتراه لنفسه قبل موته بعشر سنين (دائرة المعارف للبستاني) .

المطران افييموس الصيفي : ١٦٤٣م = ١٧٢٣م :

ولد في دمشق وتربى في جو عائلي مشبع بالتقوى ، اعجب به البطريرك مكاريوس الحلي فرسمه شماساً سنة ١٦٦٢ م ثم كاهناً .

وفي عام ١٦٨٢ م اجمع اعيان صيدا على المطالبة به اسقفاً لهم بدلاً عن اسقفهم المتوفي ، اذ نفي اليهم صيته الطيب وعلمه بواسطة تجارهم الدائم التردد على دمشق . فسامه البطريرك كيرلس الحلي اسقفاً على صيدا باسم افييموس . وفي سنة ١٦٨٣ م جمع عدداً من طلاب الكهنوت في الدار الأسقفية في صيدا واشرف بنفسه على تعليمهم وارشادهم فكونوا النواة الاولى للرهبانية المخلصية .

وفي عام ١٧١١ م انتقل بهم الى مزرعة قرب جون حيث كان قد انجز بناء دير لهم مؤلف من ٢٠ غرفة سكن وكنيسة صغيرة ومطبخ وخلاء ومائدة ، مما اعتبر اكبر دير في بلادنا في ذلك العصر .

اشتهر المطران الصيفي بسعة علمه وتنوع معارفه ، مما جعل الناس يطلقون عليه لقب « قفة العلم » .

وفي سنة ١٧١٠ م اصدر كتابه المشهور : « الدلالة اللامعة » وهو كتاب يتضمن اتفاق الكنيستين الشرقية والغربية واتحادهما برأي واحد وايمان واحد . وهو اول من نشط حركة الاتحاد مع الكرسي البابوي واصبح عدداً كاثوليك

في ابرشية صيدا ١٥ الفاً ، وسجن في قلعة صيدا لأجل ذلك مدة ٩٨ يوماً في عام ١٧٢٣ م .

وأبان جولة رعائية كان يقوم بها في دمشق ادركته الوفاة يوم الاربعاء في ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٧٢٣ م ودفن فيها في مدافن البطارقة .

ويعتبر المطران الصيفي رائداً كبيراً من رواد العلم والمعرفة في عصره ، بالإضافة الى كونه من دعائم الكاثوليكية في الشرق ، المبشرين بالاتحاد مع الكرسي البابوي والعاملين في سبيل الوحدة المسيحية تحت رئاسة الحبر الروماني .

وكان لنجاحه في تأسيس وانشاء دير المخلص الاثر الفعال في بعث النهضة الادبية والفكرية والدينية في هذه المنطقة ، اذ خرج الدير عدداً من الآباء كانوا مشكاة للعلوم في ذلك العصر المظلم من تاريخ بلادنا .

عبد الغني النابلسي وصيدا :

في غرة محرم سنة ١١٠٥ هـ = ١٦٦٣ م زار صيدا العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي المتصوف المشهور فقال فيها :

نزلنا من حما صيدا بماء طيب نبعه
فكانت اعين السبعة علينا الأعين السبعة

وذكر انه نزل في الجامع المعروف بجامع الكتخدا بضيافة الشيخ محمد المعروف بابن قطيش ، كما استضافه ايضاً الشيخ الحاج حسين . ويذكر النابلسي ايضاً ان مفتي الشافعية وقتئذ كان الشيخ رضوان بن الحاج يوسف الصباغ المصري الدمياطي ، والقاضي فيها كان العالم الفقيه محمد الروحي ، كما يذكر انه اجتمع في منزل المفتي الى الوزير احمد باشا حاكم ثغر مدينة صيدا .

وقال الشيخ النابلسي هذه القصيدة في صيدا ومباهجها واهليها :

صاد قلبي هوى الأعبة صيدا
بلدة طاب روتق البحر فيها
اعجبتني لطافة الماء منها
ساحل مطلق الجوانب غض
فيه صعب لنا هناك كرام
يحفظون الوداد بالصدق حتى
صانهم ربههم وخص حمائم
امد الدهر ما النساءم هبت
عندما جئت قاصداً أرض صيدا
فأزالت عنا من الهم قيدا
والهواء الذي انبرى ترديدا
يقذف الدر من حصاه نضيدا
كل شهم منهم يلوح فريدا
من اقام لا يعرف التنكيذا
بالمعالي فلا يزال مشيدا
وسمعنا طير الربى غريدا

صيدا باعثة الفن المسرحي

مارون نقاش

وكما ساهمت صيدا في النواحي الدينية والادبية في هذا العصر فقد انجبت ايضاً نابغة الفن التمثيلي ورائدها الاول في ديار العرب مارون نقاش ، الذي نستقي لمحة عن حياته من كتاب مصادر الدراسة الأدبية ص ٧٤٨ ج ٢ للدكتور يوسف اسعد داغر :

« مارون نقاش هو ابو المسرح العربي والرائد الاول لفن التمثيل احد الفنون البارزة التي ميزت النهضة الادبية في العصر الحديث .

والتمثيل اصلاً يرمي الى تهذيب النفس بتؤدة عن طريق العبرة والموعظة في جو عبق بالرصانة والمرح ان كانت الملهة تراجيديا او كوميديا .

دخل الادب المسرحي الآداب العربية على يد مارون النقاش الذي مثل في شهر شباط سنة ١٨٤٨ م او ما قبله بقليل ، اول مسرحية عمومية هي رواية البخيل التي عرّبها عن مولير : فالتقاش هو الرائد الاول للتمثيل .

اقتبس مارون نقاش هذا الفن خلال رحلة قام بها الى ايطاليا . فاخذ أصوله وتضلع من فنونه ، ولدى عودته الى بيروت حاول ان يدخل هذا الفن الى البلاد

بعد ان عدل في شرائطه ما يوافق طبائع الشرقيين فمثل تباعاً بين شباط ١٨٤٨ م وأواخر سنة ١٨٥٠ م ثلاث روايات ، اولها البخيل ، وثالثتها الحسود السليط ، مترجمتين عن الفرنسية ، والثانية « ابوالحسن المغفل » او هارون الرشيد « مقتبسة حوادثها من قصص الف ليلة وليلة .

ولد مارون نقاش في صيدا وتربى فيها ، ثم انتقل الى بيروت حيث اتقن اللغة العربية . وتوفي في طرطوس سنة ١٨٥٥ م بعد ان شق الطريق امام الأدب المسرحي العربي لمن جاء بعده .

الشيخ يوسف الاسير

١٢٣٠ هـ = ١٨١٥ م - ١٣٠٧ هـ = ١٨٩٠ م



الشيخ يوسف الاسير

ولد في صيدا سنة ١٨١٥ م ونشأ فيها ، وتلقى في كتاتيبها مبادئ العلوم والقرآن ، ثم رحل الى دمشق سنة ١٨٤٧ م والتحق بالمدرسة المرادية سنة واحدة . ثم توجه الى مصر وجاور في الازهر سبع سنوات سعيًا وراء العلوم العقلية والنقلية . وبعد ان اصيب بمرض في الكبد عاد الى صيدا ومنها قصد طرابلس فاقام فيها ثلاث سنوات تعرف خلالها الى علماءها ، ثم انتقل الى بيروت

فاختارها وطناً لإقامته اذ تولى رئاسة كتابة محكمتها الشرعية ، ثم عهد اليه بالافتاء في عكا . وبعدئذ اسند اليه فؤاد باشا وظيفة المدعي العام في جبل لبنان فقام بها سبع سنوات . ثم انتقل الى الاستانة حيث اصبحت رئيساً للمصححين في وزارة المعارف بالإضافة الى وظيفته الجديدة كأستاذ للغة العربية في دار المعلمين الكبرى .

وعاد الى بيروت هرباً من برد الاستانة حيث تفرغ للتأليف في الفرائض والابحاث الفقهية ، وحرر في جريدة لسان الحال ، وتولى رئاسة تحرير ثمرات الفنون ، كما اسهم مع الدكتور كرنيليوس فان ديك في تهذيب ترجمة الكتاب المقدس وادركته المنية في بيروت سنة ١٨٩٠ م .

ويعتبر الشيخ يوسف الاسير احد رواد النهضة الادبية الحديثة ، ومن رجال الرعيل الاول فيها ، وهو كاتب فصيح اللسان واسع الرواية ، اديب مدقق وشاعر ناثر ، وفقهه فرضي ضليع ، ومرب خرج اجيالاً من الادباء في المعاهد التي تولى التدريس فيها : كالمدرسة الاميركية في عبيه والكلية العربية الانجيلية ومدرسة الحكمة في بيروت .

وكان ذكي الفؤاد دقيق الانتقاد ، ثقة في العلوم العربية والفقهية ، وله مراسلات شعرية ونثرية مع أدباء عصره كالشيخ ابراهيم الاحدب واحمد فارس الشدياق والشيخ ناصيف اليازجي .

من مؤلفاته :

- ١ - ارشاد الوري لنار القرى (نقد لكتاب ناصيف اليازجي نار القرى)
- ٢ - ديوان الشيخ يوسف الاسير
- ٣ - رائص الفرائض
- ٤ - رد الشهم للسهم

- ٥ - شرح رائص الفرائض
 - ٦ - شرح كتاب أطواق الذهب « للزخشري »
 - ٧ - المجلة (ضمنها القوانين الشرعية والاحكام العدلية)
 - ٨ - سيف النصر (رواية)
- (يوسف اسعد داغر « مصادر الدراسة الأدبية ج ٢ ») .

مطامع الدول الأجنبية

عود على بدء

ظلت بلادنا منذ اواسط القرن الثامن عشر ، وحتى الآن ، لا سيما في عهد ظاهر العمر واحمد الجزار وخلال حملتي بونابرت ومحمد علي ، مطمح انظار ساسة الدول الكبرى نظراً لموقعها الجغرافي والاقتصادي والحربي . كانت هذه الدول تراقب بعين ساهرة الأحداث الهامة التي تثقل على مسارحها ، خاصة ما جرى فيها في أواخر القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر . وكانت انجلترا اكثر الدول العظمى اهتماماً بهذه الشؤون الخطيرة ، إذ لم يكن ليخفى عليها ان قيام دولة قوية في الشرق لادنى تطل بحدودها على ضفاف الفرات والبحر الابيض المتوسط يشكل تهديداً للهند — درة تاج المستعمرات البريطانية — ولذا رأيناها تهب في وجه نابليون ومحمد علي ، وتثير في وجههم العراقيل لاحباط تمرركزهم في هذه البقعة من الأرض .

وأبت السياسة بعد ذلك على بلادنا ان ترتاح مما ألم بها من هول المصائب والنكبات ، فأطلت برأسها وحركت أناملها وأذنانها ، وقد رأت ما سيطر على الاهلين من الخلافات وخدت تثير الحفائظ والاحقاد والضغائن وتذكي نيران الحزازات بين الطوائف ، فأخذ بعضها ينافس البعض الآخر وقد أطبق الجهل

على بصيرتهم فغشى عقولهم ، ولم يفهموا ان الدول الأوروبية تسخر منهم وتسخر طبائعهم الوحشية وميولهم الدنيئة وغرائزهم البربرية تحقيقاً لأطماعها ، وتوسلاً لتحقيق غايتها ، فكانت مذابح سنة ١٨٦٠ م وقد جرت فيها تلك السيول من الدماء البريئة التي اهرقها المتمرثون .

وكان لصيدا نصيب كبير في ايقاف الكارثة عند اسوارها ، كما كان لضواحيها نصيب من تلك المجزرة وفي درئها على حد سواء .

صيدا زمن كارثة ١٨٦٠

على أثر المجازر الطائفية البغيضة التي قامت في الجبل وفي الشوف سنة ١٨٦٠ م هرع عدد كبير من الفلاحين المسيحيين الى صيدا وتمكن بعض من دخل المدينة والتجأ الى خان الافرنج من النجاة بينما غالبية من وصل الى الضواحي وتأخر عن دخول المدينة تعرض للقتل . ذكر كيران ، السائح الفرنسي ان عدداً كبيراً من المسيحيين ذبح في بساتين صيدا من قبل الاتراك وبعض الدروز الثائرين . أما من دخل المدينة فقد بسط عليهم حمايتهم السيد ديركالو القنصل الفرنسي في المدينة وأنقذهم من موت محتم وساعده في ذلك عدد من زعماء المدينة المسلمين الذين تولوا أمر حماية مواطنيهم المسيحيين من سكان المدينة .

أما في ضواحي صيدا ، وبنوع خاص في جبل عامل ، فقد قام زعماءهم بمد يد المعونة للمسيحيين الملتجئين اليهم فبسطوا عليهم حمايتهم ، وتعرضوا للهجمات من بعض عمال الدولة العثمانية ونهب ممتلكاتهم ، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر ، الشيخ محمد سليمان الزين والشيخ عبد الله نعمه وغيرها اللذين كانت لهما الفضل في الحفاظ على العديد من المسيحيين الملتجئين اليهما وفي طليعتهم المطران بطرس الماروني الذي كان يقيم في احد الاديرة في جوار جزين .

وبلغ عدد ضحايا المسيحيين في جوار صيدا وفي جهات جزين ١٨٠٠ نسمة (ميشال شبلي في كتاب من تاريخ لبنان باللغة الفرنسية) .

وفي ايلول ١٨٦٠ م نزلت قوات فرنسية في لبنان فاحتلت صيدا ودير القمر وزحلة وقب الياس وبعيدا وصور ، بينما نزل فؤاد باشا وزير الداخلية العثمانية موفد السلطان العثماني في بلدة المختارة للتحقيق في اسباب المجازر ، متظاهراً برغبة الدولة في معاقبة المذنبين .

وفي اوائل عام ١٨٦١ م نزل فؤاد باشا الى صيدا فاستقبله متسلمها وقتئذ اسماعيل بك الصغير فاجريا القصاص بحق من زعموا انهم ساهموا في اعمال الفتنة بين الاهلين فراح ضحية ذلك عدد من الابرياء .

متصرفية صيدا

وفي عام ١٨٦١ م تولى متسلمية صيدا خورشيد باشا فعمدت الدولة العثمانية بعد تهدة الخواطر وسن نظام جبل لبنان الاساسي الى انتهاج خطة جديدة في بلادنا ترمي الى ضبط الادارة فيها وربطها مباشرة بالاستانة وازالة كل اثر للاستقلال الاداري في لبنان فاصدر الباب العالي عدة قرارات وشرائع قسمت بموجبها البلاد الى ولايتين كبيرتين حلب والشام وكل منهما الى متصرفيات وقائمانيات فكانت صيدا متصرفية تتبع ولاية الشام في ادارتها .

وتولى متصرفية صيدا أولاً ادهم باشا ، ثم ابراهيم باشا زيادة الذي عرف عنه انهماكه في الميسر وشرب الخمر ، ومما يروى عنه انه في حفلة ختان أولاده نصب في دار الحكومة موائد القمار والمسكر مما دعا الدولة الى عزله من منصبه في عام ١٨٦٥ م وتقرر بعدئذ جعل صيدا قائمانيه تتبع ولاية بيروت .

الحاج علي الديماسي

وكان رئيس بلدية صيدا وقتئذ الحاج علي الديماسي الذي اشتهر بنبله وأخلاقه الحميدة ، وعطفه على الفقراء ، اذ كان يزور بنفسه الباعة فيحدد لهم اسعار المواد الغذائية كالسمن واللحم والخضار والفاكهة ، فاذا رفض الباعة الانصياع لأوامره

يرسل فيحضر السمن واللحم من جهات صفد ثم يبيعها من الاهلين بالاسعار المقررة على حساب البلدية فيضطر عندئذ الباعة الى تخفيض اسعارهم خوفاً من الخسارة . ولم يكن وقتئذ في المدينة من الشرطة للمحافظة على الأمن اكثر من خمسة رجال ، ومع ذلك فقد ساد الأمن والنظام . غير ان الحكم الاتراك وبعض المتنفيذ كانوا يقومون باعمال تعسفية لا يحسر احد من الاهلين على مجاہتها (الشيخ احمد عارف الزين تاريخ صيدا) .

قائمانيه صيدا

ودار دولاب الدهر على صيدا فأذلها ، وبعد ان كانت لفترة قريبة مركز ولاية كبيرة أصبحت متصرفية ثم قائمانيه في عام ١٨٦٥ م = ١٣٨٣ هـ .

وأول من تولى الحكم فيها هو نجيب افندي الذي كان محاسباً عندما كانت صيدا متصرفية ، فلما حدثت التشكيلات الجديدة عين قائمناً ، وتلاه في سنة ١٨٦٧ جعفر طيار افندي ثم القائمانيون الذين ذكرت اسماءهم في ص ٢٩٩ و ٣٠٠ .

الحركة الادبية

بالرغم مما اجتاحت مدينة صيدا من نكبات ومحن فقد ظلت امينة على الرسالة الثقافية التي اقتديستها منذ القدم وظل ابناؤها أوفياء للعلم والأدب فتلقفوا الثقافة عن طريق الكتاتيب التي كان ينشئها بعض علماء الدين ، أو عن طريق الالتحاق بالمساجد والأديرة حيث كانوا يستمعون الى الفقهاء ويقتبسون من المعتكفين على خدمة الله الفقه واللاهوت والقراءة والكتابة والأخلاق .

وما لبث الأمر ببعض الوطنيين المتعلمين بعد ان لمسوا قيام بعض الإرساليات الاجنبية بتأسيس مدارس لهم في المدينة حتى عمدوا بدورهم الى انشاء مدارس خاصة ليتعلم ابناؤهم فيها بعض مواد العلوم الحديثة كالحساب واللغة والجغرافيا والتاريخ وعلم الفلك ، الى جانب العلوم الدينية .

الدستور العثماني

في ٢٤ تموز سنة ١٩٠٨ م أذيع نبأ إعلان الدستور العثماني وافتتاح مجلس المبعوثان في الاستانة فقبول هذا الخبر بحماس وسرور كبيرين من اهالي صيدا ،



غازل صوف صيداوي في مطلع القرن العشرين

فنظمت المظاهرات وسارت مواكبها تحتقرق الشوارع والساحات تهتف بحياة السلطان . وعانق الشيخ المسلم الكاهن المسيحي ، وعمت الفرحة والبهجة المدينة بجميع طبقاتها ، وأقيمت المهرجانات في المدينة طيلة أيام ثلاثة لاعتقاد الناس ان عهد المساواة والحرية قد أشرق نوره وان عهد الاستبداد قد ولّى الى غير رجعة . ولكن سرعان ما خاب أملهم ، لأن جمعية الاتحاد والترقي عمدت فور استلامها الحكم الى السير في مخطط إذلال العرب وتذويبهم في بوتقة الامة التركية ، الأمر الذي رفضه العرب وعارضه زعمائهم ، ان في فترة استبداد السلاطين وولاتهم ، أو في عهد جماعة الاتحاد والترقي .

وهكذا شقت النهضة الادبية طريقها في مدينة صيدا بشكل واضح مستبقة غيرها من المدن اللبنانية والسورية بعشرات السنين ، ومقيلة عثرات العلم مما لحق به من وهن خلال العصر المظلم من تاريخ الامبراطورية العثمانية في بلادنا . وكان من حصاد هذه النهضة نبوغ عدد من اقطاب الفكر والسياسة العرب افادوا الامة العربية بما قدموه لها من خدمات في شتى المجالات العلمية والادبية والسياسية . ودليلنا ان أول من نال شهادة طبية رسمية من الجامعة الاميركية في بيروت - الكلية السورية سابقاً - في عام ١٨٧٨ م وباللغة العربية هو الطالب الصيداوي الدكتور المرحوم يوسف ابيلا . وان أول مجلة ثقافية تاريخية أدبية دينية صدرت في لبنان واستمرت فيه حتى وقتنا الحاضر هي مجلة « العرفان » الصيداوية التي أصدرها سنة ١٩٠٩ العلامة المرحوم الشيخ احمد عارف الزين .

الشيخ ابراهيم الخوراني

في ٢٢ ايار سنة ١٩٠٣ م زار صيدا العلامة الشيخ ابراهيم الخوراني لإلقاء الخطبة النهائية على خريجات مدرسة البنات الأميركية فألقى قصيدة رائعة جاء فيها :

قدم الزمان وصبوتي تتجدد فكأنني في كل عصر أولد
شيخاً أرى بين الشيوخ وامرداً في المرد مما شاب منه الامرد
وصفوا لنا الدنيا على غير الهدى والحق ما دنيالك الا مشهد
فيها تباينت الرؤى وتعددت وتوحدت حسناً فلا تعدد
وأحب ما فيها إلي شذا الصبا من ارض صيدا والحدائق تشهد
أرض ككفردوس النعيم نساؤها حور الجنان لها المحاسن تسجد
ورجالها اعلام نور في الدجى والنور في غسق الدياجي يحمد
ما أنسى لا أنسى الذي شاهدته من انسكم فنظيره لا يوجد
في مهجتي زرعت يمين ودادكم شكراً وما زرعت يمين تحصد

الحَقِيقَةُ الْخَامِسَةُ

١٩١٤ - ١٩٦٦ م.

صَيِّدًا فِي عَصْرِهَا الْحَدِيثِ

تركيا تدخل الحرب العالمية الاولى

في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٩١٤ م أوقفت تركيا العمل بالقرار الذي منح الجبل اللبناني امتيازات خاصة سنة ١٨٦١ م فضمته الى الامبراطورية العثمانية وألحقته بولاية دمشق ، كما أعلنت الحرب على روسيا وفرنسا وانكلترا الى جانب حلفائها المانيا والنمسا وبلغاريا .

وعينت تركيا احمد جمال باشا وزير البحرية قائداً عاماً للجيش العثماني الثامن فاتخذ مدينة دمشق مقراً له .

وما ان وصل جمال باشا في ٥ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ م الى دمشق ، حتى أمر بالتضييق على اللبنانيين وسوقهم الى الجندية ، وأوعز بقطع الأشجار لتكون وقوداً لتدفئة الجند وتسيير القاطرات الحديدية ، واستولى على المحاصيل الزراعية ودقق في المساعدات المالية التي ترد الى الاهلين من ابناءهم واخوانهم المهاجرين ، وحاسب اللبنانيين على انفسهم وشكل مجلساً عرقياً عسكرياً في عاليه لمحاكمة كل من تسول له نفسه انتقاد السلطة أو التذمر مما لحق به من ضيم . وهكذا عمت المجاعة لبنان ، واكل الناس الكلاب والهررة ، وذكرت المصادر الوثيقة انه في سنة واحدة توفي في الجبل اللبناني ٨٠ الف نسمة ، كما احصى وفد الصليب الاحمر الدولي اثر وصوله الى لبنان في اواخر عام ١٩١٨ م عدد المتوفين في لبنان

جوعاً خلال سنوات الحرب العالمية الاولى فبلغ ٢٠٠ الف نسمة ...

صيدا خلال الحرب العالمية الاولى

عامل الاتراك العرب اثناء الحرب العالمية الاولى معاملة سيئة جداً، فمن سيق منهم الى الجندية دفعوا به الى الصفوف الاولى من المعارك ليقتل في سبيل تركيا . أما المدنيون فساروا معهم سيرة من يود امانتهم عن طريق الجوع والعري والمرض .

هذه المصائب التي ألحقها الاتراك بالشعب العربي في كل مكان كانت من أهم الأسباب التي وحدت قلوبهم واهدافهم على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ، وجعلتهم يفكرون جدياً بالتخلص من مستعمرهم . ولذلك بدأ المفكرون يؤسسون الجمعيات السرية ويدرسون الوسائل والسبل التي تؤدي بهم للانفصال عن جسم الامبراطورية العثمانية ، وتأسيس دولة عربية مستقلة تجمع شتاتهم ، وتوحد صفوفهم .

وبالمقابل ، عمد الاتراك الى الانتقام من الزعماء العرب ، فألقوا القبض على عدد كبير منهم وساقوا المئات الى المنفى في هضاب الاناضول ، وعلقوا على أعواد المشائق افضل رجالات العرب علماً واخلاقاً ووطنية بعد ان اتهموهم بالخيانة والمروق من الوطنية ومماثلة الأعداء .

وكان نصيب صيدا من ذلك ان علق احد ابناءها الابطال على المشنقة مع اخوانه الشهداء في ساحة البرج في بيروت بتاريخ ٦ ايار سنة ١٩١٦ وهو المرحوم توفيق البساط . كما نفى الى الاناضول عدد من رجالاتها في طليعتهم رضا الصلح وولده رياض . وفقدت المواد الغذائية من الاسواق فعم المدينة الجوع وانتشر داء التيفوس ، وكانت اصوات الاستغاثة ترتفع طالبة العون والنجدة وهي تقول : « جوعان ... جوعان ... يا اهل المروعة ... »

وتساقط في طرقات صيدا عشرات من الناس فماتوا جوعاً اثر فقدان السكر والقمح والشعير والذرة من الأسواق ، وتعذر وجود الحررة والكلاب والحمير في المدينة بعد ان عمد بعض السكان الى التغذي بلحومها ، وبقي هذا الكابوس يحثم فوق صدر صيدا حتى اندحر الجيش العثماني امام القوات البريطانية الزاحفة على الساحل من الجنوب .

الحكومة العربية الموقته في صيدا

ولما وصلت طلائع الجيش الانكليزي الى ضواحي صيدا في ٣٠ ايلول سنة ١٩١٨ قام أحد ابناءها المرحوم رياض الصلح - مع عدد من الشباب الصيداوي - بدخول دار الحكومة فرفعوا على ساريتها العلم العربي ، وأعلنوا نهاية الحكم العثماني في الجنوب وتمسكهم بحكم الشريف حسين امير مكة ، ونودي بالسيد رياض الصلح رئيساً للحكومة العربية الموقته في الجنوب .

وعمت البهجة المدينة واستبشر الناس خيراً فخرجوا الى الشوارع يهنئون بعضهم بعضاً بالحدث الجديد وجلاء غيوم العثمانيين عن ديارهم ، وسارت المظاهرات الى دار الحكومة تعلن ولاءها للعهد الجديد وتصميمها على الدفاع عنه بكل ما تملك .

وفي ٢ تشرين الاول سنة ١٩١٨ م دخل القائد الانكليزي المدينة وتوجه فور وصوله الى السراي حيث استقبله رئيس الحكومة الموقته ومساعدوه وقدموا له ومرافقيه من الضباط الشاي والحلويات . وبعد ان مكث برهة يتحدث الى رجالات المدينة ودعهم شاكرآ .

الجيش الفرنسي في المدينة

في ٧ تشرين الاول نزلت وحدات من الجيش الفرنسي بقيادة نائب الاميرال فيرناني في بيروت وصيدا واحتلت بعض الأماكن وطلبت من الحكومة العربية

نزع العلم العربي عن دار الحكومة لتضع مكانه العلم الفرنسي تحقيقاً لمعاهدة سايكس بيكو المتضمنة وضع لبنان وسوريا تحت الرعاية الفرنسية . ولما رفضت الحكومة العربية الانصياع للأمر تدخل القائد الانكليزي وأكره اركان الحكومة على مغادرة صيدا والتوجه إلى دمشق للالتحاق بالأمير فيصل وهكذا زال الحكم العربي عن صيدا بعد ان دام فيها ثمانية ايام فقط ...

النقد السوري واللبناني

كان الناس خلال الحكم العثماني يتعاملون بالعملة العثمانية كالقرش او الجوروك والبشلك والريال المجيدي ونصف الريال وربع المجيدي والليرة العثمانية الذهبية الحميدية والرشادية ، ثم تعاملوا بالجنيه المصري اثر دخول قوات الحلفاء الى لبنان وسورية . ولكن بنك سوريا ولبنان الكبير الذي اخذ كل صلاحيات البنك العثماني سابقاً ، نال امتياز اصدار النقد الورقي باسم البلدين عام ١٩١٩ م في عهد الفرنسيين .

وفي آذار سنة ١٩٢٠ م بدأ التعامل بالورق النقدي السوري واللبناني في كل من سورية ولبنان ومنع التداول بالجنيه المصري .

الملك فيصل

في ٧ آذار سنة ١٩٢٠ ، اجتمع المؤتمر الوطني في دمشق وهو يمثل مختلف المناطق السورية واللبنانية والفلسطينية ومثل صيدا فيه رضا بك الصلح - فانتخب الأمير فيصل ملكاً عليها . وفي ذات الوقت قامت بعض القوات العربية بزرع القلق أمام القوات الفرنسية المحتلة في مناطق مرجعيون وصور وصيدا وراشيا ، فبادرت السلطة الفرنسية إلى القاء القبض على عدد من الزعماء الوطنيين المخلصين لفيصل وبينهم سبعة من أعضاء مجلس ادارة حكومة لبنان الكبير .

وفي ١٩ تموز سنة ١٩٢٠ م وجه الجنرال غورو القائد الأعلى للقوات الفرنسية

انذاراً إلى الملك فيصل أتبعه بانذار ثانٍ في ٢٢ تموز بضرورة قبول الانتداب الفرنسي على سورية . ولما رفضت الحكومة العربية في دمشق الانذارين زحفت الجيوش الفرنسية وأثر معركة ميسلون التي استشهد فيها وزير الحربية السوري يوسف العظمة دخلت القوات الفرنسية دمشق في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠ بعد أن غادرها الملك فيصل إلى فلسطين وهكذا دخلت سورية بعد لبنان تحت الانتداب الفرنسي .

دولة لبنان الكبير

في ٣ آب سنة ١٩٢٠ م أعلن الجنرال غورو ضم البقاع إلى سنجق جبل لبنان وفي ١ أيلول سنة ١٩٢٠ م أعلن قيام دولة لبنان الكبير بمحدوده الحالية أمام جمهرة من الأهلين ورجال الدين .

وتولى حكم دولة لبنان الكبير من الفرنسيين :

- ١ - القومندان تراپو من ١ ايلول سنة ١٩٢٠ - ٢ ايار سنة ١٩٢٣ م .
- ٢ - السيد اوبوار من ١٢ ايار سنة ١٩٢٣ - ٢٧ حزيران سنة ١٩٢٤ م .
- ٣ - الجنرال فندنبيرغ من ٢٧ حزيران سنة ١٩٢٤ - ١٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ م .

- ٤ - السيد كايلا من ١٣ كانون الثاني سنة ١٩٢٥ م - ٢٥ ايار سنة ١٩٢٦ م ، الذي اعلن قيام الجمهورية اللبنانية في ٢٣ ايار سنة ١٩٢٦ وانتخب لرئاستها الاستاذ شارل دباس في ٢٦ ايار سنة ١٩٢٦ وحددت مدته رئاسته بثلاث سنوات ...

تقسيمات دولة لبنان الكبير الادارية

في ٨ آذار سنة ١٩٢٢ تشكل اول مجلس نيابي في لبنان وقد تألف من (٣٠) نائباً كما أعلن تقسيم لبنان إلى أربع سنجقيات بالإضافة الى سنجقتين

ممتازتين هما بيروت وطرابلس وهي :

١ - سنجقية لبنان الشمالي ومركزها زغرتا - ٢ - سنجقية جبل لبنان ومركزها بعبدا - ٣ - سنجقية البقاع ومركزها زحلة - ٤ - سنجقية لبنان الجنوبي ومركزها صيدا . وتعين على كل منها حاكم وطني يشرف عليه مستشار فرنسي .

الجنرال ويفاند

أثر زيارة قام بها الى صور وصل الى صيدا قبل ظهر ٢٣ آب سنة ١٩٢٣ الجنرال ويفاند القائد الأعلى لجيش الشرق والمفوض السامي الفرنسي في سورية ولبنان يرافقه السيد ابوار حاكم جبل لبنان ، وقد استقبله جمهور من الأهلين وطلبة المدارس . وفور وصوله الى قصر البلدية إستقبل وفود الأهلين والوجهاء ورجال الدين . والتقى أمامه الحاج سعيد البزري رئيس البلدية خطبة ترحيب باسم المدينة اجابه عليها الجنرال شاكراً ومنوهاً بتقديره للمدينة الأثرية العريقة ولرجالها المفكرين ...

وفي المساء اقيمت على شرفه في دار الحكومة حفلة شاي تكلم اثناءها النائب يوسف الزين مرحباً ومعلنأ عن بهجة أبناء الجنوب برؤية فخامته ، راجياً منه العمل على فتح المدارس في هذه المنطقة التي تضم (٣٥٠) قرية ليس فيها سوى (٣٠) مدرسة فقط ، بالرغم من ان السكان لم يتأخروا يوماً عن دفع الضرائب المترتبة عليهم للدولة .

وقد وعد الجنرال بدراسة هذه المطالب والأهتمام بتحقيق ما أمكن منها فور عودته إلى بيروت .

وفي ساعة متأخرة من الليل غادر الجنرال صيدا عائداً إلى بيروت .

الجنرال فاند نبورغ في صيدا

في ١٢ تموز سنة ١٩٢٤ مر في صيدا خلال زيارة عامة للجنوب الجنرال فاند نبورغ حاكم لبنان الكبير يرافقه القومندان كوستيلير وعدد من اركان حربه . وبعد استراحة قصيرة في دار المتصرفية غادرها مع مرافقيه الى حاصبيا فمرجعون حيث أمضى ليلة هناك . وبعدئذ توجه الى النبطية ومنها عاد إلى صيدا حيث استقبله على باب السراي الأمير توفيق أرسلان متصرف الجنوب والقومندان مارتان المستشار الفرنسي ورجال الدين وجمهور من الأعيان والموظفين . وبعد أن حيته ثلة من رجال الدرك والشرطة دخل ردهة المتصرفية حيث قدم له المتصرف وجهاء البلدة وبعدئذ تكلم مرحباً به سيادة المطران خرياطي باسم جميع أهالي صيدا عارضاً مطالب المدينة وتبعه على الأثر الشيخ منير عسيان قاضي الشرع متكلماً في نفس الموضوع . وقد أجاب الجنرال على الخطيبين واعدأ بتحقيق المطالب في اقرب فرصة ممكنة . وبعد أن أمضى بعض الوقت في الأستراحة غادر صيدا متوجهاً إلى جزين .

تقسيم لبنان الى (١١) محافظة

في ٩ نيسان ١٩٢٥ اصدر حاكم دولة لبنان الكبير السيد كايل قراراً رقمه (٣٠٦٦) يقضي بتنظيم دولة لبنان تنظيمأ إدارياً جديداً وتقسيم اراضي الدولة إلى إحدى عشرة محافظة بدلاً من الالوية الأربعة والمدينتين المستقلتين إدارياً - بيروت وطرابلس - وقد اقترن القرار بموافقة المفوض السامي الفرنسي الجنرال ساراي .

أما المحافظات اللبنانية فقد أصبحت على الشكل التالي :

(١) محافظة طرابلس (٢) محافظة البترون (٣) محافظة كسروان (٤) محافظة المتن (٥) محافظة بيروت (٦) محافظة الشوف (٧) محافظة بعلبك (٨) محافظة زحلة (٩) محافظة صيدا (١٠) محافظة صور (١١) محافظة مرجعيون .

محافظة صيدا

والحق بمحافظة صيدا المديرية التالية : ١ - النبطية - ٢ - عدلون - ٣ - جزين - كما اشتملت هذه المحافظة على المناطق والبلدان التالية : الشارع - الدكرمان - مكسر العبد - الوسطاني - الزيتون - السرايا - الكشك - الكنان - السبيل - المساحية - مجدليون - عبرا - بقسطا - الهلالية - بستان الشيخ - الحما - البرامية - عين الدلب - الميه وميه - مجيدل - جنسنايا - كفرتعلا - وادي بعنقودين - شواليق - كرخا - كفريا - درب السيم - كفرخحي - زغدرايا - مغدوشة - بيصور - المحاريبة - غازية - حيتولي - عدوسية - نجابية - مزرعة عرب الجل - مزرعة عرب سكر - القرية - المعمرية - المطرية - جباع - كفرشلال - طنبوريت - عنقور - عقتانيت - الحجة - الحارة - كفر دجال - خربة كتاب - خربة بصل - براك التل - عرنايا - مقسم الجوهري - جل عجرم - مقسم البرزي - ومقسم الزين ...

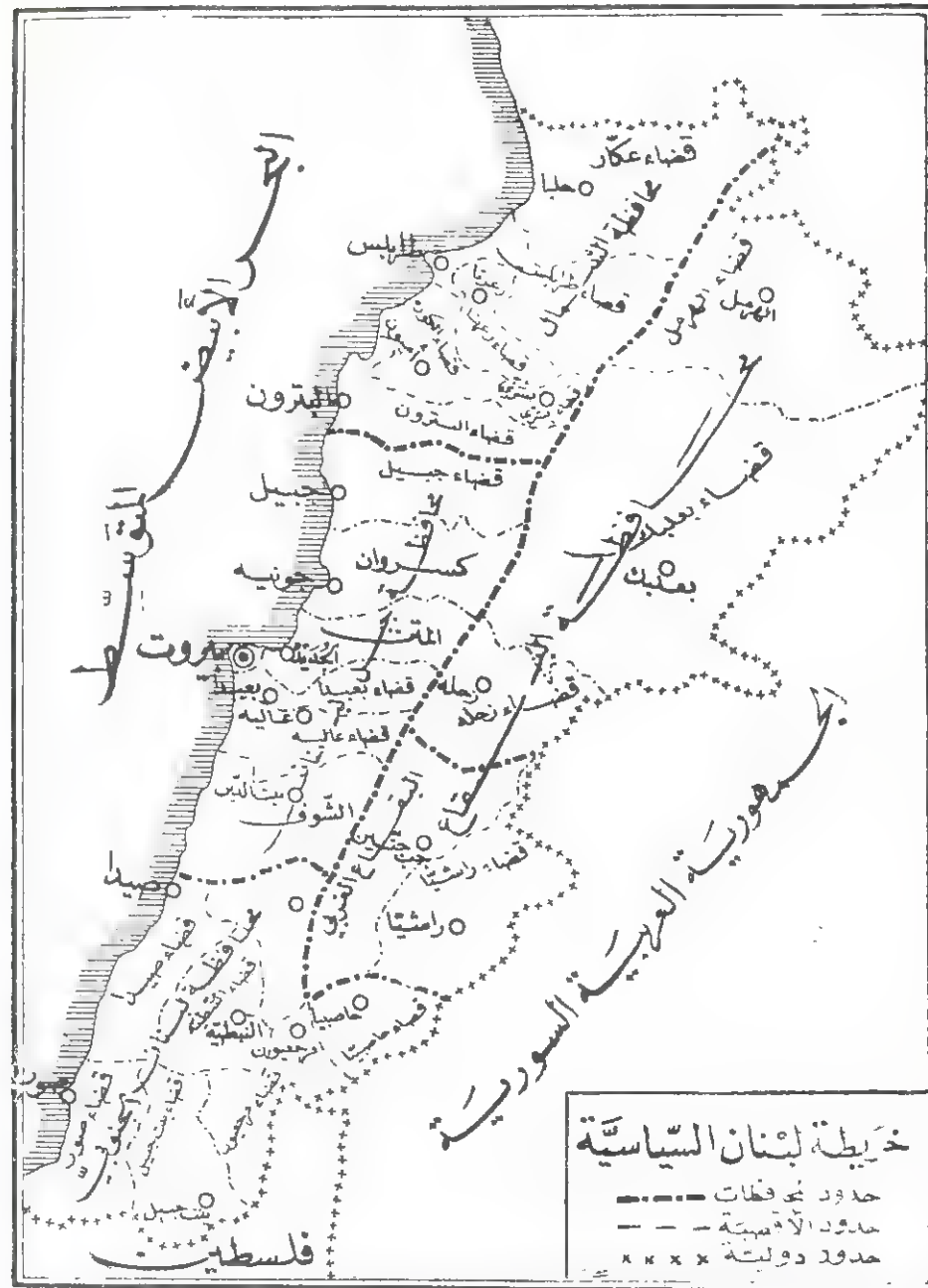
وبقي هذا القرار ساري المفعول حتى ٣ شباط عام ١٩٣٠ فقسمت اراضي الجمهورية اللبنانية إلى خمس محافظات هي :

(١) محافظة مدينة بيروت الممتازة (٢) محافظة لبنان الشمالي وقاعدتها طرابلس (٣) محافظة لبنان الجنوبي وقاعدتها صيدا (٤) محافظة البقاع وقاعدتها زحلة (٥) محافظة جبل لبنان وقاعدتها بعبدا .

وبموجب التقسيم الجديد أصبحت محافظة صيدا تشمل الأفضية التالية :

١ - قضاء صيدا ومركزه صيدا - ٢ - قضاء جزين ومركزه جزين - ٣ - قضاء النبطية ومركزه النبطية - ٤ - قضاء مرجعيون ومركزه جديدة مرجعيون - ٥ - قضاء صور ومركزه صور - ٦ - قضاء بنت جبيل ومركزه بنت جبيل - ٧ - قضاء حاصبيا ومركزه حاصبيا .

ولا يزال هذا التقسيم ساري المفعول في لبنان حتى يومنا هذا ...



صيدا والصهيونية

على أثر ما قام به الصهاينة في فلسطين من اغتيال شخصيات عربية بارزة ومطالبتهم الانكليز بتحقيق وعد بلفور بإيجاد وطن قومي لهم في الأراضي المقدسة. جرت مظاهرة ضخمة في صيدا يوم الأربعاء الواقع في ٢٦ آب سنة ١٩٢٩ ضمت ما لا يقل عن سبعة آلاف متظاهر، وسار في طليعة المتظاهرين القاضي والمفتي والسادة العلماء. انطلقت المظاهرة من المسجد الكبير حتى إذا ما وصلت إلى باحة كنيسة الموارنة انضم إليها الآباء الموارنة مع العديد من أبناء طائفتهم وسار الجميع إلى مقابل كنيسة الروم الكاثوليك حيث انضم اليهم الكهنة الكاثوليك والكاهن الارثوذكسي مع بقية أبناء الطوائف المسيحية وهم يحملون الاعلام الخاصة بكنائسهم. وارتفع فوق رؤوس المتظاهرين أربع يافطات كبيرة كتب عليها: ١ - يعيش الاتفاق المسيحي الاسلامي - ٢ - تحيا فلسطين عربية - ٣ - لتسقط الصهيونية - ٤ - يسقط بلفور ووعدده.

وكان المتظاهرون ينشدون الأناشيد الوطنية ويرددون بين آونة وأخرى الهتافات المدوية بوحدة الصف المسيحي والاسلامي. ومما يجدر ذكره أن عدداً من أبناء الطائفة اليهودية في صيدا اشتركوا مع مواطنيهم في المظاهرة هاتفين بسقوط الصهيونية وبعبودية فلسطين.

وتوجهت المظاهرة بعدئذ إلى دار الحكومة، ولكن رجال الأمن حالوا بينها وبين الدخول إلى باحة السراي وسمحوا للمشايخ والكهنة والوجهاء بدخولها فقط، حيث استقبلهم محافظ المدينة كميل الشدياق ووعدهم بنقل رغباتهم إلى الحكومة المحلية ثم خرج المحافظ مع العلماء ورجال الدين المسيحي والوجهاء

إلى الشرفة فاطلوا على المتظاهرين ليستمعوا إلى الخطاب التي القيت من قبل الأب شتوي والأب يوسف عطية وغيرهما وكلهم ينوه بغضبة صيدا على وعد بلفور وعلى الصهاينة المعتدين.. وبعدئذ ابرق المتظاهرون إلى قناصل الدول الأجنبية الموجودين في لبنان وإلى سكرتير عصبة الأمم وإلى وزارة الخارجية البريطانية بالإضافة إلى الحكومة اللبنانية والمفوض السامي الفرنسي في بيروت البرقية التالية:

« جميع سكان صيدا من يهود ومسيحيين ومسلمين المتألمين من المآسي الدائمة المرتكبة في فلسطين يرجون بواسطتكم نقل امنياتهم إلى دولكم وإلى الشعوب التي تمثلونها، واحتجاجهم الصارخ على المجازر التي تحصل على الأرض الفلسطينية المقدسة، وسقوط عدد من الشهداء العرب نتيجة لوعده بلفور الغاشم... نناشدكم ضرب الصهيونية لتتقذوا الشعب العربي هناك من الفناء ».

ووقع البرقية كهنة الطوائف المسيحية كافة، والقاضي والمفتي ونقيب الأشراف والمشايخ، والحاخام اليهودي.

ثم تفرق المتظاهرون دون أن يعكروا صفو الأمن حادث ما.

ثورة فلسطين وأثرها في صيدا

عمد البريطانيون تحقيقاً لإقامة وطن صهيوني في فلسطين، إلى تسهيل هجرة اليهود ومؤازرتهم في شراء الأراضي العربية وسمحوا لمنظمتهم بتزويد الصهاينة المقيمين في فلسطين بالسلاح.

وبعد أن كان عدد الوافدين اليهود إلى فلسطين لا يتجاوز (٢٩٤٤) فرداً سنة ١٩٣٠ إذا به يرتفع تدريجياً حتى يصل إلى (٦١٨٥٤) شخصاً سنة ١٩٣٥، الأمر الذي نبه العرب إلى ما يحقد بهم من أخطار. وهكذا ظهرت بوادر ثورتهم ضد الانكليز والصهاينة وإذا بالشيخ عز الدين القسام يعلن الثورة ثم

يتبعه بعد فترة وجيزة الشيخ فرحان السعدي ، فتعم الثورة جبال فلسطين ووهادها ويتساقط الشهداء بالآلاف على الأرض المقدسة .

وفي ١٩ نيسان تشكلت في فلسطين لجنة قومية ضمت ممثلين عن كل الأحزاب الفلسطينية العربية فدعت إلى اعلان الاضراب العام والتوقف عن دفع الضرائب للحكومة اعتباراً من ١٥ ايار سنة ١٩٣٦ حتى يستجيب البريطانيون إلى مطالبهم التي تتلخص بما يلي :

- ١ - منع الهجرة اليهودية إطلاقاً .
- ٢ - منع انتقال أراضي العرب إلى اليهود .
- ٣ - إنشاء حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي .

واستمر الاضراب العام ستة أشهر ، حتى جاءت لجنة ملكية تظاهرت بانها ستحقق في المطالب العربية وتسعى لتنفيذها كما تدخل بعض الملوك العرب من اصدقاء البريطانيين فتوقفت أعمال الثورة بعد ان قدمت على مذابح الفداء الوطنية الفي شهيد ونيف (قسطنطين خمار - موجز القضية الفلسطينية) .

وكانت صيدا خلال الثورة الفلسطينية قد اجتاحتها موجة عارمة من الحقد على الصهاينة ، والعطف البالغ على الابطال الفلسطينيين فتنادى الشباب الوطني إلى تشكيل لجنة تمديد المساعدة للمجاهدين ، فتألفت من السادة : الشيخ احمد عارف الزين وتوفيق الجوهري وعارف لطفي ومعروف سعد وعحي الدين البزري وعبدالله خروبي وسليم الزين وعبدالله البزري وبدوي النابلسي وحسني الصباغ وانور البزري .

عمدت هذه اللجنة إلى تشكيل لجان فرعية لجمع التبرعات ، ومراقبة الطرقات لمنع تسرب الخضار والبيض واللحوم والفاكهة إلى الصهاينة ، وتمكنت بهذه الطريقة من الاسهام في المعركة إذ أتلقت حمولة عشرات من السيارات التي باعها بعض التجار - جريحي الوجدان - إلى يهود فلسطين .

وفي أواخر آب سنة ١٩٣٦ قامت مظاهرة كبرى في صيدا تأييداً للمجاهدين في فلسطين ، انطلقت من بوابة الشاكرية - وكانت غايتها ابلاغ السلطة تضامن أهالي صيدا مع اخوانهم الفلسطينيين في مطالبهم العادلة - وما أن وصلت طلائع المتظاهرين الى مقابل الثكنة حتى تصدت لها قوى الأمن والدرك التي يقودها القائد الياس المدور محاولة تفريق المظاهرة بالقوة . ورفض الأهلون التراجع فأطلق عليهم رجال الأمن النار بكثرة مذهلة فاستشهد في المعركة محمد مرعي النعماني وعبد الحليم الحلاق وأصيب بجراح خطيرة عدد كبير من الشباب في طليعتهم السادة : معروف سعد ومحمد سليم الصباغ وعفيف بديع واديب جرادي وغيرهم ... وعندئذ تفرق المتظاهرون وقد حملوا معهم الشهداء والجرحى ...

وعمدت السلطة الفرنسية تحت جنح الليل إلى القضاء القبض على الزعماء الوطنيين : توفيق الجوهري واحمد عارف الزين ومعروف سعد وعارف لطفي وزجتهم في السجن مع المجرمين .

ولما بلغت أنباء الاعتقالات مسامع الأهلين أضربت صيدا إضراباً عاماً شمل جميع مرافقها الحياتية وانذرت أنها لن تعود عن اضرابها حتى تطلق السلطة سراح ابنائها البررة وتعاقب المسؤولين عن تلك المجزرة الدامية .

واستمر اضراب صيدا ثمانية ايام متواصلة ، الامر الذي اكراه معه الفرنسيون على إطلاق سراح المتعلقين . وهكذا عادت الحياة إلى المدينة الشكلى .

الفصل الثاني

الحرب العالمية الثانية واستقلال لبنان

اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية في ايلول سنة ١٩٣٩ أثر استيلاء ألمانيا الهتلرية على النمسا وتشيكوسلوفاكيا ومهاجمتها بولونيا بحجة الاستيلاء على ممر دانترينغ، فأعلنت انكلترا وفرنسا الحرب على ألمانيا ثم ما لبثت هذه الحرب ان عمت المعمورة فدخلها إلى جانب ألمانيا إيطاليا ثم اليابان وإلى جانب انكلترا الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة والصين وغيرها .

وتعرضت فرنسا لهجوم ألماني ساحق حطم قواتها في اسابيع ثلاثة في مطلع صيف ١٩٤٠ مما اجبرها على الاستسلام فدخلت الجيوش الألمانية العاصمة الفرنسية باريس في حزيران سنة ١٩٤٠ ، ووقع المارشال بيتان الرئيس الفرنسي هدنة مع ألمانيا ثم مع إيطاليا وانتقل مع حكومته إلى مدينة فيشي (في وسط فرنسا) . ولكن فريقاً من الضباط الاحرار ورجال السياسة الفرنسيين وعلى رأسهم الجنرال ديغول رفضوا مهادنة الألمان وشكلوا حكومة « فرنسا الحرة » في لندن وأهابوا بالفرنسيين إلى متابعة النضال ومحاربة المحتلين ، إلى جانب انكلترا وحلفائها .

مضاعفات الاحداث في لبنان

عمدت حكومة فيشي إلى استبدال المفوض السامي الفرنسي في سوريا ولبنان السيد جبريال بيو المعروف بكراهيته للألمان وعينت عوضاً عنه الجنرال دانتر ١ - الموالي لها في كانون الأول سنة ١٩٤٠ - وأخذ الجنرال دانتر فور تسلمه زمام الامور في تطبيق شروط الهدنة الفرنسية الألمانية الإيطالية على هذين البلدين ، وسمح للجنة الألمانية الإيطالية بمراقبة القوات الفرنسية المربطة فيها ؛ كما سمح لها باستخدام المطارات السورية واللبنانية لتحقيق المراقبة .

استقالة الاستاذ اميل اده

وفي ٤ نيسان سنة ١٩٤١ وجه الاستاذ اميل اده رئيس الجمهورية اللبنانية إلى الجنرال دانتر المفوض السامي الفرنسي كتاباً يتضمن استقالته من رئاسة الجمهورية فقبلها وكلف الاستاذ الفريد نقاش بتأليف وزارة لبنانية جديدة فشكلها بتاريخ ٥ نيسان من السادة : احمد الداعوق وجوزيف نجار وفيليب بولس والدكتور فؤاد عسيوان (صيدا) .

القتال في لبنان

ما ان وصلت اللجنة الألمانية الإيطالية الى لبنان وبدأت أعمالها حتى أهتم البريطانيون وحلفاؤهم بالامر ، خصوصاً وان موقفهم أصبح دقيقاً أثر نشوب الثورة ضد الانكليز في العراق بزعماء الزعيم العراقي رشيد عالي الكيلاني ولذلك قرروا انتزاع سورية ولبنان من حكومة فيشي حفاظاً منهم على خطوطهم ومواقعهم العسكرية في مصر وفلسطين والعراق ...

وصباح الخميس الواقع في ٥ حزيران سنة ١٩٤١ تعرضت مدينة بيروت لغارة جوية شنتها أربع طائرات بريطانية على منشآت شركة شل فأصابت المستودعات وأشعلت فيها النيران ...

وفي ٧ حزيران حلقت في سماء صيدا وبقية المدن اللبنانية طائرات بريطانية ألقت في أجوائها مناشير تحمل بعضها توقيع الجنرال البريطاني ويلسن قائد القوات المتحالفة والأخرى تحمل توقيع الجنرال كاترو قائد القوات الفرنسية الحرة وهي تتضمن الطلب من القوات اللبنانية والسورية الانضمام الى قوات الحلفاء ، وتتعهد بمنح الاستقلال التام لسورية ولبنان وتعلن بأنها ما جاءت الا لتحقيق هذا الهدف الذي طالما سعى اليه أبناء البلدين ...

وفي تمام الساعة الثالثة والدقيقة ٤٥ من يوم الاحد الواقع في ٨ حزيران هاجمت القوات البريطانية الحدود اللبنانية والسورية من الجنوب والتحمت مع القوات الفيشية المدفعة وعلى الأثر اصدر المفوض السامي الجنرال دانترامراً بإغلاق جميع المدارس اعتباراً من صباح الاثنين في حزيران سنة ١٩٤١ .

وجرى الزحف البريطاني من ثلاثة اماكن وكان ضغط الجناحين أشد من ضغط خط الوسط ...

زحف الجناح الأول من الناقورة في لبنان الجنوبي واضعاً نصب عينيه الاستيلاء على الساحل اللبناني ودخول مدينة بيروت يؤيده في زحفه اسطول بريطاني قوي كان يتجول امام مدينتي صيدا وصور .

اما القلب فقد انطلق من شرق الاردن للاستيلاء على مرجعيون ، كما شق الجناح الثاني طريقه نحو جبل الدروز وحوارن مستهدفاً الاستيلاء على دمشق ...

بداية المعارك

تولى القائد القومندان ايزبولي قيادة القوات الفرنسية المدافعة عن الجنوب واتخذ مركز قيادته في بلدة الخيام ، اما الضابط الذي كان يساعده في القيادة فهو النقيب اللبناني الأمير جميل شهاب ، وانصب هدف القيادة الفيشية على الدفاع عن القاسمية .

وتمين الكابتين بوزوني لقيادة قلعة الخيام . أما القناصة اللبنانية فكانت يقودها القومندان دي لا برنيير ويساعده النقيب جوزف سمعان .

ويوم الثلاثاء الواقع فيه ١١ حزيران نزلت قوات بريطانية من البحر على جسر ابي الأسود خلف القاسمية وهدفها قطع الاتصال بين القوات الفرنسية المرابطة عند جسر القاسمية والقوات الموجودة بالقرب من صيدا . الامر الذي اكراه القوات الفرنسية على نصف جسر القاسمية والتوجه شمالاً الى النبطية خوفاً من اطباق فكي الكماشة عليها في هذه المنطقة الساحلية .

وبهذا العمل الحربي فتح الباب امام القوات البريطانية للدخول الى مدينة صيدا .

صيدا خلال المعارك

ولم تكن صيدا بالمدينة المحصنة تحصيناً عسكرياً كافياً لانها مدينة ساحلية ولان القوات الفرنسية الفيشية لا تملك اسطولاً قوياً يستطيع الصمود في وجه الاسطول البريطاني القوي في هذه المنطقة . ولذلك عمدت القيادة الفيشية الى ايجاد بعض التحصينات الضرورية التي اقامتها في قلعة صيدا البرية وفي المرتفعات المشرفة على المدينة ووضعت فيها مدفعية خفيفة مع قوات رمزية .

وعمدت البحرية البريطانية الى القاء القنابل من مدرعاتها التي كانت تجوب السواحل امام صيدا على جيوب المدفعية الموزعة على المرتفعات المشرفة على المدينة فاسكتتها .

ولما وثقت من انعدام المقاومة دخلت القوات البريطانية والاسترالية والفرنسية الحرة مدينة صيدا يوم الاحد في ١٦ حزيران سنة ١٩٤١ وكان في طليعتها وعلى مسافة لا تقل عن مئتي متر فدائيان من الجيش الاسترالي يحملان بايديهما القنابل اليدوية لاخلاء الطريق امام القوات المحتلة ..

وكان بعض السكان في بدء المعارك قد نزحوا عن المدينة الى القرى الجبلية التي لا توجد فيها قوات حربية معسكرة . كما عمد التجار الى اغلاق متاجرهم والاعتصام ببيوتهم وصعد بعض الاهلين الى سطوح وشرفات المنازل لمشاهدة الجيش المحتل الجديد .

واقامت القوات البريطانية مخيماً لها في جهات عين الحلوة وحدثت هناك مستشفى ومستودعاً كبيراً لتموين القوات الزاحفة .

وعينت القيادة العليا الكولونيل ارنو من الفرنسيين الاحرار قائداً لموقع صيدا ولبنان الجنوبي ، الذي اتخذ مركزاً لقيادته في بلدة البرامية .

واجتمع القائدان الانكليزي والفرنسي الى محافظ المدينة وقتئذ الاستاذ اديب النحاس وطلباً منه ابلاغ الاهلين ضرورة التقيد بالانظمة والقوانين واعلنا انها يتقيدان بدورهما بتنفيذ مضمون المنشورات التي القتها الطائرات في ٨ حزيران ورغباً اليه بمتابعة ادارته للمحافظة ، على ان يقدم اليه كل التسهيلات اللازمة ...

وتابعت القوات المتحالفة سيرها نحو السعديات حيث اصطدمت بمقاومة ضارية من القوات الفرنسية المدافعة عن جسر الدامور .

وظلت صيدا ومحافظتها منقطعة عن البلاد اللبنانية حتى اعلنت الهدنة بين الجيشين المتحاربين في ١٣ تموز سنة ١٩٤١ وقد تضمنت نصوص الهدنة انسحاب الجيوش الفرنسية الفيشية من سوريا ولبنان وتسليم الثكنات العسكرية الى الجيوش المتحالفة في مدى شهر من الزمن ، فعاد الاتصال بين المدن اللبنانية الى سابق عهده .

وجرى التوقيع على شروط الهدنة بين الفريقين المتحاربين في الساعة العاشرة والدقيقة الاربعين من صباح يوم الاحد الواقع في ١٣ تموز سنة ١٩٤١

في مدينة عكا . وقد وقعها عن الجانب البريطاني الجنرال ويلسن والجنرال كاترو قائد قوات فرنسا الحرة كما وقعها عن الجانب الفيشي الجنرال دي فردياك مع اركان حربه .

الحدث الجديد في لبنان

وصباح يوم الاثنين في ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٩٤١ تبادل الجنرال كاترو والرئيس الفرد نقاش رسالتين اعلن الاول فيها تكليف الرئيس نقاش باعمال رئيس الجمهورية اللبنانية نظراً لاجماع الاراء على هذا التكليف ولما يتمتع به من مزايا مرموقة ، كما تضمنت رسالة الرئيس نقاش قبوله لهذا المنصب .

استقلال لبنان

بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٩٤١ م اعلن الجنرال كاترو المندوب العام لفرنسا الحرة في بيان اذاعه على الشعب اللبناني استقلال الجمهورية اللبنانية والغاء الانتداب الفرنسي عنه ولكن الوضع الدستوري لم يتحقق إلا تحت ضغط الشعب اللبناني اذ اختير السيد بيتر طراد رئيساً للدولة اللبنانية في ٢٢ تموز سنة ١٩٤٣ م وانيط به اجراء الانتخابات النيابية التي تمت في ٢٩ آب سنة ١٩٤٣ م وفازت فيها العناصر الوطنية فوزاً باهراً .

وما ان اجتمع المجلس النيابي في ٢١ ايلول سنة ١٩٤٣ حتى انتخب لرئاسة الجمهورية الشيخ بشارة الخوري بأكثرية ساحقة .

حكومة الاستقلال

وكلف الشيخ بشارة السيد رياض الصلح - ابن صيدا - بتشكيل الوزارة اللبنانية ففعل - وعندما القى رئيس الوزارة الجديدة بيان وزارته الذي سماه « وثيقة الاستقلال » تعرض لما تزعم الوزارة تحقيقه في سبيل التمتع بالاستقلال

الحقيقي. وأهم ما ورد في البيان: (١) تعديل الدستور اللبناني. (٢) حصر التشريع بالمجلس النيابي اللبناني وحده. (٣) تنظيم الحكم الوطني في لبنان وجعل اللغة العربية اللغة الرسمية الوحيدة للدولة.

وفي جلسة المجلس النيابي اللبناني المنعقدة في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ أقر الاعضاء بالاجماع تعديل الدستور بالرغم من معارضة السيد هلولو المندوب الفرنسي الذي طلب من السيد رياض الصلح قبل الجلسة التريث في التعديل حتى يسأل حكومته رأيها في الموضوع.

وعلى أثر اقرار التعديل من المجلس النيابي أخذ هلولو يتصرف وكأن البلاد ما برحت ترزح تحت النير الفرنسي اذ اعتقل رجاله فجر ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وعدداً من الوزراء ونائب طرابلس السيد عبد الحميد كرامي وأرسلهم إلى قلعة راشيا ثم أصدر مرسوماً بحل المجلس النيابي وتعليق الدستور وعيّن اميل اده رئيساً للدولة. وحاول السيد اده تأليف حكومة فلم يجد من يقبل التعاون معه لأن الحكومة الشرعية بنظر اللبنانيين لا تزال قائمة ولأن بعض اعضاء الحكومة الصلحية الذين لم تستطع القوات الفرنسية اعتقالهم قاموا بمتابعة اعمال الحكومة الشرعية في بلدة « بشامون » برئاسة الاستاذ حبيب ابي شهلا.

واضربت المدن اللبنانية احتجاجاً على اعتقال رجال الحكومة كما أضرب عدد كبير من الموظفين عن ممارسة اعمالهم الرسمية وتحول الاضراب إلى مظاهرات صاخبة اصطدمت بالجنود الفرنسيين فسقط عدد من القتلى والجرحى. واهتمت الدول العربية للامر وقام رؤساء حكوماتها بمساعٍ رسمية لحل الازمة. وأخيراً وصل الجنرال كاترو إلى بيروت لتتلاقى الاصطدام مع الاهل الذين فرأى أن تعود الحكومة الشرعية إلى مركزها بعد ان تبين له تصميم الشعب اللبناني على انتزاع حقوقه ووقوف العرب عامة إلى جانب اشقائهم اللبنانيين. لذلك بادر إلى اطلاق

سراح المعتقلين وعادت الحكومة اللبنانية الشرعية إلى ممارسة صلاحياتها في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٤٣ (ذلك النهار الذي أصبح يوم الاستقلال الرسمي للبنان وفيه تعطل الأمة والدوائر الرسمية اعمالها) وأصبح مجلس النواب مصدر التشريع الوحيد في البلاد ، وفازت قضية لبنان وتراجع الفرنسيون .

صيدا في معركة الاستقلال

امرعوا الارض لهيباً ودخاناً واصبغوا بالاحمر القاني الزمانا
وابعثوها ثورة عارمة تترك الدنيا تلظى بركاناً
(الدكتور علي الشلق)

ما ان اعتقل الفرنسيون رئيس الجمهورية اللبنانية الشيخ بشاره الخوري ورئيس مجلس الوزراء الاستاذ رياض الصلح (ابن صيدا) والوزراء كميل شمعون وسليم تقلا وعادل عسيوان (ابن صيدا) والاستاذ عبد الحميد كرامي في سجن قلعة راشيا في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ ، حتى اضرب لبنان اضراباً عاماً شاملاً وانطلقت تظاهرات الاهلين تعلن سخطها على المستعمرين . وكانت صيدا في طليعة المدن التي تظاهرت بشبابها وشاباتنا تطالب بالافراج عن المعتقلين ليعودوا الى مناصبهم الشرعية .

وفي اليوم الخامس عشر من تشرين الاول سنة ١٩٤٣ انطلقت اكبر تظاهرة عرفتها صيدا من بوابة الشاكرية ، وقد اشترك فيها الالوف من الاهالي والطلاب والطالبات يقصدون مركز القيادة البريطانية في منزل المرحوم مصطفى النقيب الكائن في محلة القملة . ولما وصلت طلائع المتظاهرين الى مقابل سراي الحكومة (مركز المندوب الفرنسي ، التقت بفرق القنصاة التي كانت متمركزة حول السراي ببنادقها ورشاشاتها ، وأمامها تقف ثلاث مصفحات حربية . وكان عدد من وجهاء المدينة يخرجون من دار الحكومة اثر مقابلتهم المندوب الفرنسي الذي ابلاغهم ان الجيش الفرنسي سيقمع بالقوة كل مظاهرة ترمي امام السراي . ولكن الاهالي وقد استبدت بهم الحماسة الوطنية لم يأبهوا لوعيد المندوب

الفرنسي بل تابعوا السير بمظاهراتهم متخطين الانذار ومطالبين باطلاق سراح زعمائهم ولكن الضابط الفرنسي بادبرهم باطلاق النار من مسدسه ، وكانت طلقاته اشارة لجنوده بفتح النار على المتظاهرين العزل من السلاح . وانهم الرصاص بغزارة على الاهلين وسقط من جراء ذلك ثلاثة واربعون متظاهراً ومتظاهرة بين قتيل وجريح ، فراجع المتظاهرون الى الوراء قليلاً وحاول البعض التقدم من القتلى والجرحى لنقلهم الى المستشفيات ولكن الجيش كان يعود الى اطلاق الرصاص عليهم وانقضى على الحادث ساعة ونصف الساعة . نزفت خلالها دماء الجرحى فاستشهد ستة ؛ منهم الشهيد سعيد البزري ، وثروت صباغ ، وشفيقة محجوب . اما الجرحى الذين كان الموت على قاب قوسين أو ادنى منهم وتمكن الطب من انقاذهم ؛ فهم الطلاب بشير الشريف ، وفاروق اليم ، وعفيف الجردلي والطالبات حكمت صباغ وايفا زنتوت وآمنة دالي بلطة ووفيقه هبش ونهلة سنجر .

وانتهت المعركة بتفرق الاهلين اثر سقوط هذا العدد الضخم من الجرحى والقتلى .

وفي اليوم التالي شيعت صيدا الثكلي شهداءها باحتفال مهيب صامت .

اما الاضراب فظل عاماً شاملاً كافة ارجاء المدينة حتى افرج المستعمرون في ليل ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٣ عن زعماء البلاد فحل الاضراب وسمت تظاهرات الابتهاج المدينة الباسلة .

فلسطين الذبيحة

بعد ان تأمر الصهاينة مع الدول الاستعمارية على تقسيم فلسطين الى منطقتين عربية واسرائيلية واخذوا موافقة اكثرية اعضاء هيئة الامم المتحدة الذين ضربوا بحقوق السكان العرب عرض الحائط قررت بريطانيا انتهاء الاستداب على فلسطين بتاريخ ١٥ ايار سنة ١٩٤٨ وعندئذ اتخذت الدول العربية قراراً بدخول جيوشها

الاراضي الفلسطينية اثر تعدد اعتداءات العصابات الصهيونية على السكان العرب العزل من السلاح . فدخلت الجيوش المصرية من جهات العريش ووصلت طلائعها الى مسيرة ثلاثين ميلاً جنوبي تل ابيب واخترق الجيش اللبناني الحدود الشمالية وكذلك القوات السورية من الشمال والشرق في وجه مقاومة صهيونية ضارسة مقدمة العديد من الشهداء لاعادة الحق الى اصحابه ، كما اخترق الجيشان الاردني والعراقي الحدود من الجهة الشرقية والجنوبية ووصلت طلائعها الى مسافة عشرة اميال شمالي تل ابيب . ولكن الدول الاستعمارية وقد شعرت بالخطر يحدق بالصهاينة ، دعت مجلس الامن الى عقد جلسة طارئة قرر فيها توجيه انذار الى الدول العربية بايقاف القتال واعلان هدنة بين الطرفين المتحاربين ، اثر اعتراف الدول الاستعمارية الكبرى بقيام دولة اسرائيل في ارض فلسطين العربية .

ونتيجة للهدنة المفروضة وبتأمر من بعض كبار المسؤولين العرب اضطرت الجيوش العربية الى الانكفاء عن مواقعها وتسليمها لقمة سائغة للصهاينة ونزوح ما لا يقل عن مليون فلسطيني عربي عن ارض اباؤهم واجدادهم في مأساة لم يشهد التاريخ شبيهاً لها في عصوره المختلفة .

وقد اقامت الدول العربية نحيات في اراضيها للاجئين تنطق بالجرمة الزكراء التي احدثتها في هذا الشعب المناضل الدول الاستعمارية .

صيدا في معركة فلسطين

لم تتوان صيدا عن الاسهام في معركة فلسطين سنة ١٩٤٨ فتقدم العديد من شبابها للتطوع في معركة التحرير يقودهم الاستاذ معروف سعد - نائب صيدا حالياً - واشتركوا في جيش الانقاذ فابلوا البلاء الحسن في المعارك الدائرة في جهات المالكية ... وقدموا على مذبح الشهادة في روابي فلسطين الشهيد محمد ديب عكره اضافة الى عدد لا يستهان به من الجرحى ..

ولما صدرت اوامر القيادة العربية بحل جيش الانقاذ عاد المجاهدون

الصيداويون الى بلدهم على امل ان تتولى الجيوش العربية عملية القضاء على الصهاينة ؛ ولكن ..

شركة التابلين - الآرامكو -

نالت شركة التابلين الاميركية اجازة من الحكومة اللبنانية بمد انابيب للبتترول قطرها ٣٠/ بوصة عبر اراضيها في عام ١٩٥٠ وذلك لضخ البترول من مستودعاتها في حقل « ابقيق » السعودي الى مرفأ الزهراني قرب صيدا على شاطئ البحر الابيض المتوسط . وقد انجز العمل في عام ١٩٥١ في عهد رئاسة الشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية وكان محافظ صيدا آنئذ الامير عبد العزيز شهاب .

وفي عام ١٩٥٢ بلغ مقدار ما نقل من البترول الخام عبر الاراضي اللبنانية (١٤٥٨٩ و ٢٢١ و ١٤) طناً .

ويعمل في شركة التابلاين حالياً (١٦٠) موظفاً وعاملاً لبنانياً ، اما كمية البترول الخام التي تنقل بواسطة المراكب من ميناء الزهراني فتتراوح بين ١٥ و ٢٠ مليون طن من البترول سنوياً .

مصفاة البترول - مدريكو -

ونالت شركة مدريكو الاميركية امتيازاً بإنشاء مصفاة للبترول في الزهراني عام ١٩٥٢ وباشرت اعمال بناء المصفاة فوراً فانجزتها في عام ١٩٥٤ حيث بدأت اعمال التصفية ...

وتقدر كمية البترول التي تصفى في المصفاة ب ١٥ - ١٦ الف برميل سنوياً وكلها تستهلك محلياً .

وتم افتتاح منشآت المصفاة بحضور الاستاذ ميشال الجاهل محافظ صيدا ممثلاً رئيس الجمهورية اللبنانية الاستاذ كميل شمعون .

ويعمل في المصفاة (٢٦٠) موظفاً وعاملاً لبنانياً ، علاوة على بعض الخبراء الاجانب .

زلازل صيدا

في الساعة ٨،٣٠ من مساء ١٦ آذار سنة ١٩٥٦ هز صيدا وجوارها ومنطقة الشوف ، زلزال رهيب صدع اكثر منازلها القديمة . وهرع الناس مع اطفالهم إلى الشوارع العريضة والساحات الواسعة وهم يرتدون ثياب نومهم وقد تصاعدت اصوات البكاء من الاطفال الذين حملهم أهلهم إلى الخارج تحسباً من عودة الزلزال وتساقط منازلهم القديمة البناء على رؤوسهم .

وقد امضى غالبية الأهلى الليل في العراء . ولكن صيدا وان كانت اكثرية منازلها القديمة قد تصدعت واصيب الاهلون بنكبة وبخسارة مادية كبرى فانها والله الحمد لم تنكب بخسارة في النفوس .

أما ضواحي صيدا فقد كانت الكارثة فيها أشد وأدهى إذ تهاوت المنازل على الاهلى فقصت على الكثيرين .

وقد جاوز عدد ضحايا الزلزال في جهات صيدا وقضائي جزين والشوف المئة ضحية .

وإذا كان الزلزال قد اصاب المنطقة بالضرر فانه افادها بنتائجه إذ تأسست مصلحة التعمير التي بنت في القرى المنكوبة وفي صيدا دوراً جديدة وزعت على المستحقين من المنكوبين .

المساكن الشعبية

على أثر الزلزال الذي نكب اكثرية بيوت صيدا القديمة واصابها بالتصدع وقيام مصلحة التعمير ببناء المساكن الشعبية في منطقة عين الحلوة فقد

تم توزيع الدور الحديثة على المستحقين خلال عدة مراحل . وبلغ مجموع ما وزع من المساكن على ذوي الحاجة حتى عام ١٩٦٦ - الف مسكن .

ويقدر الخبراء في مصلحة التعمير ما تحتاجه عائلات صيدا المنكوبة بمنازلها إلى (١١٣٥) مسكناً شعبياً جديداً بالإضافة إلى المساكن الموزعة حتى الان لتعم الفائدة جميع المتضررين المستحقين .

حوادث عام ١٩٥٨ المؤسفة

تجمعت في سماء لبنان غيوم سوداء غدتها الأيدي المتربصة بلبنان شراً وانقسم الناس في عهد الرئيس كميل شمعون إلى فئتين أولاهما تؤيد تجديد ولايته ، وثانيتهما تعارضها فاشتدت الخصومات وتطورت بعدئذ فانقلبت إلى ثورة . وإذا بالتاريخ تقام في المدن اللبنانية ولعل الرصاص أثر حادثة اغتيال الصحفي الشهيد الاستاذ نسيب المتني في ايار سنة ١٩٥٨ واهرقت الدماء الزكية الطاهرة في الشوارع على مذبح الانانية والنفعية .

ولكن لطف الله صان لبنان وانقذه من محنته هذه ، وانتهت الازمة في ٢٣ ايلول سنة ١٩٥٨ أثر انتخاب الرئيس فؤاد شهاب لرئاسة الجمهورية وخيم الصفاء والوئام فوق ارجاء الوطن اللبناني وعادت الوحدة الوطنية إلى صفوف المواطنين .

صيدا وموقفها المشرف خلال الحوادث

وإذا كانت الدماء الذكية اللبنانية قد اهرقت ظمناً في بعض المناطق فان مدينة صيدا احتفظت بطابعها الانساني المشرف ، وبالرغم من ان الثورة اجتاحتها ولبس ابناؤها على اختلاف ميولهم ومذاهبهم رداء الحرب ، إلا ان الحكمة كانت رائداً للجميع والمحبة المتوارثة المتأصلة في أفئدة الصيداويين نحو بعضهم البعض لم تقف حائلاً بين المتصارعين فحسب ، بل جعلتهم يتنكرون للأساليب الملتوية الوحشية



قلعة صيدا البحرية تنيرها الانوار الملونة

ونفذت الفكرة بعد انجاز بناء مسرح عائم على ساحل صيدا في الموقع الجنوبي الغربي الذي يفصل قلعة صيدا البحرية عن البر .

وفي ليالي الجمعة والسبت والاحد الموافق ٧ و ٨ و ٩ حزيران سنة ١٩٦٣ وامام حشد كبير من السفراء والوزراء والنواب والسائحين ووفود الدول العربية والاجنبية الذين جلسوا على مدرج كبير اقيم على الساحل مقابل المسرح العائم الذي سلطت عليه الأنوار المختلفة الالوان ، احتفلت صيدا ومحافظة الجنوب بمهرجان الربيع احتفالاً رائعاً اشتركت فيه الفرق الشعبية من مختلف مناطق الجنوب - شقرا ومغدوشة وصيدا وغيرها - برقصات لبنانية عربية - نالت استحسان المشاهدين وتقديرهم واعجابهم ..

المتبعة في أماكن أخرى ولذا رأينا صيدا تقف صفاً واحداً بقيادة نائبها الاستاذ معروف سعد في وجه كل المحاولات الرخيصة المبذولة لاحداث الفرقة بين ابنائها.

واستطاعت صيدا بوعي الواعين من اشبالها ان تخرج من حوادث عام ١٩٥٨ ناصعة الجبين موحدة الأهداف - لم تهرق على تربتها المقدسة الدماء النقية - محتفظة بطابعها المميز في ان ابنائها ما برحوا يؤلفون الأسرة الواحدة الموحدة.

المكتشفات الحديثة

في ربيع عام ١٩٦٣ اكتشف في صيدا داخل مغارة في منطقة طبلون تسعة نواويس انثروبويد ذات هياكل مجسدة من العصر الفينيقي اليوناني تعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد . وقد وجد تحت احد هذه النواويس في قبر محفور في الصخر، هيكل عظمي لامرأة من القرن الخامس قبل الميلاد ، يغلب ان تكون اميرة ، عليها جميع حلاها - تاج بديع من الذهب فوق رأسها وعقد من الذهب واساور وحلق وخواتم من الذهب والحجارة الكريمة تفوق جميعها في دقة صنعها صناعة امهر الصاغة ثم خلاخل في كاحليها ، ومراة على شكل حديث من المعدن المصقول ، وحنجور من المعدن مليء بالكحل الحي ، صالح لأن تستعمله سيدة انيقة في يومنا هذا ، وأخيراً تمثال من الفخار على صورتها وعلى شكل حلاها يظن انه صنع على عجل يوم وفاتها . (١)

اعياد الربيع

ورغبة في احياء ما طوته الايام بين جنباتها من ماض حافل بالاثار الجميلة وحاضر مشرق بالحضارة والفنون وتشجيعاً للحركة السياحية في المدينة ، قرر محافظ صيدا الاستاذ غالب الترك اقامة مهرجان شعبي في ربيع ١٩٦٣

(١) من محاضرة للاستاذ غالب الترك محافظ صيدا السابق القاها في نادي خريجي الجامعة الاميركية في بيروت بتاريخ ١٥ كانون الاول سنة ١٩٦٤ .

الدكتور ليولد سیدار سنغور الى لبنان ، مشاهدة معالم صيدا ومناطق الجنوب الاثرية .

وكانت مدينة صيدا - عاصمة الجنوب - على موعد مع الرئيس السنغالي - الاديب الكبير والشاعر الانسان - يوم الجمعة الواقع في ٢٠ ايار سنة ١٩٦٦ . فارتفعت اقواس النصر في شوارعها الفسيحة ترفرف فوقها مئات من الاعلام



الرئيس السنغالي أمام قلعة صيدا والى يمينه الوزير حنين والامير موريث شهاب ونائب صيدا معروف سعد ومحافظ الجنوب هنري لحود .

اللبنانية والسنغالية متصافحة ، وانتشر الالوف من المواطنين والطالبات والطلاب ، على جانبي شارع رياض الصلح وقد ظللت رؤوسهم يافطات بيضاء كتبت عليها عبارات الترحيب بالضيف الكبير . وقامت في ساحة النجمة وامام القصر البلدي حلقات من الشباب تقدم اجمل الالعاب بالسيف والترس تروي بطولات السلف للخلف .

وفي الساعة التاسعة والنصف صباحاً وصل موكب الرئيس يرافقه ممثل



راقصو الفولكلور اللبناني من شابات وشباب صيداء على المسرح العائم

القصر البلدي :

وتم انجاز بناء القصر البلدي الذي بوشر ببنائه في عام ١٩٦٣ وانجز في نهاية عام ١٩٦٥ وقد اشرف على بنائه المهندس عصام الزين .

ويضم هذا القصر بناء مؤلفاً من اربعة طوابق مساحة بنائه (٤٥٠٠) متراً مربعاً وفيه بالاضافة الى غرف الدوائر الادارية البلدية ، مكتبة عامة للمدينة ومستوصف وقاعة للمحاضرات والاجتماعات تتسع لـ (٨٠٠) شخص ويعتبر هذا القصر من اجمل الدور الرسمية في لبنان .

الرئيس السنغالي في صيدا :

تضمن المنهاج الذي وضعته الحكومة اللبنانية لزيارة رئيس جمهورية السنغال

الرئيس اللبناني ، وزير التصميم العام - الاديب المفكر الاستاذ ادوار حنين -
فتعالى التصفيق والتهافت بحياة الضيف العظيم وصحبه الكرام . وتوقف الرئيس
السنغالي برهة يحيي الجماهير المحتشدة ثم تابع سيره الى مدينة صور لمشاهدة آثارها
الخالدات وليعود بعدها الى عاصمة الجنوب .

وعند مدخل صيدا الجنوبي وقف نائب المدينة الاستاذ معروف سعد مع
اعضاء المجلس البلدي وجمهور غفير من المثقفين يرحبون بالرئيس ويرافقونه الى
القصر البلدي لتناول طعام الغداء .

وهناك التقى بعدد كبير من الرجال الرسميين فتحلقوا حول المائدة السخية
واستمع الضيف ومرافقوه الى الكلمة البليغة التي القاها باسم الجنوب محافظ
المدينة الاستاذ هنري لحود الذي قدم لفخامته هدية ثمينة هي عبارة عن طقم
كامل لادوات الطعام ، مطعم القبضات بالعاج ومن صناعة بلدة جزين .

والقى فخامة الرئيس الضيف كلمة باسمه وباسم مرافقيه شكر فيها مدينة
صيدا ومحافظها على الهدية الثمينة وعلى الحفاوة البالغة به متغنياً بما شاهده في
جنتاتها من حضارة وعمران اصيلين . وبعد الغداء توجه الضيف الكبير الى قلعة
صيدا البحرية فطاف في ارجائها وابدى اعجابه بآثارها الواضحة المعالم وبجمال
موقعها .

وفي الساعة الثالثة والنصف غادر فخامته مع حاشيته ومرافقيه مدينة صيدا
مودعاً بمظاهر الاكرام والاحترام .

الفصل الثالث

وضع صيدا الاقتصادي

الزراعة والصناعة :

تزرع صيدا حوالي (٢٠) الف دونم من اراضيها بالحمضيات - الليمون
والبرتقال والافندي والجريب فروت والمندرين - عدا اشجار الموز والاسكندنيا ،
كما تنتج اراضيها قليلاً من الحبوب والزيتون . ويعمل عدد من الاهلين يقدر
عدهم بـ (١٨٠) صياداً^(١) بصيد السمك فيستخرجون من بحر صيدا حوالي
الف طن سنوياً يباع القسم الاكبر منه في اسواقها الداخلية وما تبقى ينقل الى
بيروت وكان بالامكان الاستفادة اكثر من هذه الصناعة لولا آفة استعمال
الديناميت الذي يقضي على بذور السمك وزيادة الانتاج ..

ويزرع في سهول صيدا كافة انواع الخضراوات كالبنندورة والبطاطا والبصل
والثوم والفاصوليا والخس والباذنجان والبازلا والفول والملفوف والبقسونس
والنعناع والكرفس ، وزراعتها تكاد لا تكفي استهلاكها المحلي فتستعين بما
تستورده التجار من هذه الانواع من المناطق المختلفة ..

(١) مسجلاً في النقاية بالاضافة الى (٧٠) صياداً فلسطينياً

زراعة الاسكيدنيا في صيدا :

ولا بد لنا ونحن نتحدث عن زراعة صيدا من ان نشير الى زراعة ثمر لذيذ اشتهرت به هذه المدينة واصبح اسمه مقترنا باسمها الا وهو ثمر الاسكيدنيا ..

اما كيف جاء الى هذه البلاد فيروي المرحوم الشيخ احمد عارف الزين في كتابه تاريخ صيدا : ما يلي :

انه في اواسط عام ١٨٥٩ قدم الى صيدا من ازمير بعض الملاحين على مراكب شحنت باصناف البضائع وبعد ان افرغوا وسقها توجه ربان السفينة لزيارة احد الملاكين المعروفين وهو المرحوم خليل كستو وحمل اليه بعض بزور الاكيدنيا فقبلها الموما اليه بطيبة خاطر وسأل الربان عن طريقة زرعها فأفاده . وبعد ايام ارسل بعضها لوكيله ليزرعها في احد بساتينه على سبيل التجربة وقدم ما تبقى لاصحابه . ولقد نبتت البذور واصبحت اشجاراً ومما يذكر ان اقدم شجرة منه كانت في بستان طنطور العائد لآل القطب وقد عاشت هذه الشجرة حتى امد قريب تحمل افخر ثمار الاكيدنيا مما جعل الملاكين يطلقون عليها « ام الشجر » .

وبفضل تشجيع المرحوم الشيخ محمد صالح لطفي عمت زراعة هذه الاثمار بساتين صيدا لدرجة اصبحت معها صيدا تتفاخر بجودة انتاجها لهذا الثمر الذي يعطيها مدخولاً كبيراً يتزايد عاماً اثر عام ... (تاريخ صيدا للشيخ احمد عارف الزين) .

اما الصناعة فقد انشئ في صيدا مصنعان حديثان لتوضيب الحمضيات وصندوقتها يمكن اعتبارهما من احدث المصانع واضخمها للتوضيب في لبنان . فالمصنع الاول قام بانشاءه السادة مصطفى البساط واولاده - شركة صفا لتوضيب الحمضيات - وقد بدأ العمل فيه عام ١٩٦٠ . ويقوم هذا المصنع في توضيب الحمضيات خلال اربعة اشهر من السنة فقط بمعدل (٢٠٠٠) صندوق

يومياً ويعمل في المصنع خلال تلك الفترة بين (١٥٠ و ١٦٠) عاملاً وينخفض هذا العدد الى (٥٠) عاملاً طيلة ايام السنة .

اما المصنع الثاني الذي يعتبر من احدث المصانع في الشرق العربي فقد أنشأه الحاج علي الزعتري واخوانه عام ١٩٦٢ واشرف على بنائه المقاول المعروف السيد ابراهيم وديع حداد . وبدأ انتاجه في مطلع ١٩٦٣ وهو يضم الى جانب معمل توضيب الحمضيات مصنعاً حديثاً للنجارة ومرأباً لتصليح سيارات الشركة وبراداً كبيراً خاصاً بالمصنع يستوعب في آن واحد (١٥٠) الف صندوق الخ ..

يقوم هذا المصنع بتوضيب كافة أنواع الحمضيات خلال اشهر الشتاء بمعدل يومي يتراوح بين (٥٠٠٠) و (٦٠٠٠) صندوقاً كما يقوم بتوضيب الخضروات والفواكه التالية :

الاكيدنيا	(٢٧,٠٠٠) صندوقاً صغيراً
التفاح	(٩٥,٠٠٠) صندوق
الرمات	(٨,٠٠٠) صندوق
العنب	(٦,٠٠٠) صندوق
الاجاص	(٢,٠٠٠) صندوق
البندورة	(٥,٠٠٠) صندوق
البطاطا	(٢٣,٠٠٠) صندوق
البصل	(١٦,٠٠٠) صندوق
الثوم	(١٦,٠٠٠) صندوق

ويعمل في هذا المصنع عدد من العمال الدائمين يتجاوز عددهم الـ (٣٠٠) عامل بينما يعمل فيه خلال ثمانية اشهر (٨٠٠) عامل وعاملة ونيف .

وفي صيدا معملان لصناعة الصابون على الطراز الحديث يعود الأول للسيد مجيد وجورج خوري والثاني للسيد محمد عربي كالكو وولده وجيه . وفيها أيضاً

معصرة للزيتون انشأها على الطراز الحديث السيدان ابراهيم عبود وولده البير ويقدر انتاج المعصرة سنوياً من الزيت الصافي (بـ ١٠٠) طن ومن جفت الزيتون (١٥٠) طناً أما عدد العمال فيها فلا يتجاوز الستة عمال خلال موسم قطاف الزيتون .

وهناك صناعة السفن التي ازدهرت في العصور القديمة ولكنها تأخرت كثيراً في الربع الثاني من القرن العشرين ومع ذلك فان بعض الورش تنشط الآن لصناعة عدد من الزوارق الصغيرة لاستعمال صيادي الاسماك . كما تقوم الآن ورشة خاصة لصناعة ثلاثة زوارق جميلة على الطراز الفينيقي حتى يستعملها السياح الاجانب في تنقلاتهم بين جزيرة صيدا ومينائها ...

وتنتشر على ساحل صيدا الجنوبي الفواخير التي تقوم بصناعة الادوات الفخارية والجرار .

واشتهرت بلدة كفريا شمال صيدا - بصناعة السلال القصبية الانيقة للزهور وهي التي يستعملها بائعوا الازهار في مختلف البلاد اللبنانية وتفنن في صناعتها نساء تلك البلدة الصغيرة .

فروع المصارف في صيدا

- ١ - مصرف لبنان المركزي المدير السيد جان نمور
- ٢ - الشركة الجديدة لبنك سوريا ولبنان المدير السيد ايلى محفوظ
- ٣ - بنك عوده المدير السيد جورج عوده
- ٤ - المؤسسة المركزية للبنوك - التونسي المدير السيد شفيق خلاط سابقاً
- ٥ - بنك انترا المدير السيد زهير ابو ظهر
- ٦ - البنك الاهلي الاردني المدير السيد انطوان شتوي
- ٧ - بنك مصر ولبنان المدير السيد وفيق النعماني

٨ - بنكودي روما

٩ - البنك اللبناني للتجارة

١٠ - بنك فران

١١ - بنك الشركة الجزائرية

١٢ - بنك الانماء

١٣ - بنك بيروت الرياض

١٤ - البنك الافريقي (طرابلس سابقاً)

١٥ - بنك الاتحاد الوطني

١٦ - البنك الدولي العربي

١٧ - مصرف معوشي

المدير السيد اسكندر دي ليفير

المدير السيد نزيه اسطفان

المديران السيدان جورج وجان

فران

المدير السيد الامير سمير شهاب

المدير السيد بهيج حمصي

المدير السيد امين منصور

المدير السيد نزيه بعاصيري

المدير السيد رياض سلامه

المدير السيد سليمان مالك

مديره السيدان: ميشال وجان

معوشي

الفصل الرابع

الحركة الفكرية في صيدا :

إذا ما تحدث المرء عن الحركة الفكرية والادبية والعلمية في البلاد فانه ليخطر في البال ما قدمته صيدا للعالم العربي في شتى المجالات الثقافية والسياسية من رجالات قادوا الحركات النضالية والاستقلالية في مختلف الاقطار العربية : ونحن ، والحديث عنهم يستوعب مجلداً كاملاً نرى انفسنا مجبرين على ذكر اسماء بعض من نهل العلم فيها كالسادة : فارس بك الخوري - السياسي السوري الكبير - اميل البستاني - النائب والوزير اللبناني النابغة - تعلم في مدرسة الفنون الانجيلية - صيدا - رضا بك الصلح اللبناني الكبير - تعلم في مدارس صيدا .

الدكتور يوسف ابيلا الصيداوي قنصل اسبانيا - نشأ وتعلم في صيدا - ودرس الطب في الجامعة الاميركية في بيروت ، وكان أول من نال شهادته من تلك الجامعة من اللبنانيين سنة ١٨٧٤ وتلاه الدكتور سليم افتييموس إذ نال شهادته سنة ١٨٨٩ وهو أول من نالها من الجامعة الاميركية باللغة الانكليزية .

وديع سليم ايوب الصيدي - اول صيداوي نال شهادة رسمية في الصيدلة من جامعة بيروت الاميركية سنة ١٩٠٢ .

رياض الصلح - صيدا - السياسي اللبناني الكبير وركن الاستقلال - نشأ وتعلم في مدارس صيدا .

والجدير بالذكر ان أول مدرسة قانونية انشئت في لبنان لتعليم البنات كانت مدرسة البنات الانجيلية الوطنية في صيدا إذ تأسست سنة ١٨٦٢ أيام كانت المرأة نزيلة البيت لا تخرج منه إلا للزواج إذا تم .
وفي الحديث عن الحركة الفكرية في صيدا نرى لزماً علينا ان نورد في نهاية هذا الفصل موجزاً لحياة نفر من رجالات صيدا الاعلام الذين يفاخر بهم الابناء ويعتز بتراثهم الاحياء ...

الصحافة والطباعة :

ولقد اقدم المرحوم الشيخ احمد عارف الزين في عام ١٩٠٩ على اصدار أول مجلة ادبية اجتماعية شهرية في صيدا اذ اصدر العدد الأول منها في محرم سنة ١٣٢٧ الموافق ٥ شباط ١٩٠٩ م واسماها « مجلة العرفان » وقد طبع اعداد السنة الأولى والثانية في بيروت ولكنه مالبث ان اشترى مطبعة خاصة به نقلها إلى صيدا ودعاها بمطبعة العرفان وباشر العمل عليها في ١١ كانون الأول سنة ١٩١٠ .

ولا تزال هذه المجلة الشهرية تصدر تباعاً وحتى يومنا هذا تحت اشراف نجل المرحوم الشيخ احمد عارف الزين الاستاذ نزار الزين .

وهناك جريدة : « العصر » الادبية الاسبوعية التي نقلها صاحبها الاستاذ يوسف فضل سلامة في عام ١٩٤٣ الى صيدا . ولا تزال هذه الصحيفة تصدر بصورة متواصلة بالرغم من الصعوبات المادية التي يتكبدها صاحبها المفضل ...

شخصيات صيداوية لعبت دوراً بارزاً في المجتمع

رضا بك الصلح - ١٨٥٦ - ١٩٢٧

ولد في صيدا سنة ١٨٥٦ وتعلم فيها علومه الاولى ثم انتقل الى الاسكندرية حيث تخرج من المدرسة السلطانية التي تخرج المدراء والقائمين ، فتنقل في الوظائف

الادارية في عدد من المدن اللبنانية والفلسطينية وشغل وظيفة قائمقام للنبطية ثم لصور وأخيراً في صيدا من ٢٣ تموز سنة ١٨٩٥ - ٢٨ شباط سنة ١٨٩٨ . فشجع المعارف فيها وسعى سعيًا حثيثاً لتجديد ابنية المدارس الخيرية الاسلامية فتوفق ، وهم بادخال اصلاحات الى المدينة ولكنه حورب من قبل السلطات العثمانية مما اجبره على الاستقالة .

وخلال الحرب العالمية الأولى ظهرت ميوله العربية فالقت السلطة العثمانية عليه القبض ونفته مع أسرته إلى الاناضول حيث بقي هناك الى نهاية الحرب العالمية الاولى فعاد الى بلده .

ولما عقد المؤتمر السوري الاول في دمشق سنة ١٩٢٠ م كان المترجم له ممثلاً لمدينة صيدا هو نفسه . وما ان نودي بالملك فيصل ملكاً على سورية في آذار سنة ١٩٢٩ حتى تعين رضا بك وزيراً للداخلية في وزارة رضا بك الركابي المؤلفة في ٩ آذار وظل فيها حتى استقالت الوزارة في ٢ ايار من السنة نفسها فتعين رئيساً لمجلس الشورى في ٣ ايار سنة ١٩٢٠ في حكومة هاشم بك الاتاسي ومكث في وظيفته حتى سقطت دمشق في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠ في ايدي الفرنسيين فعاد إلى بلده حيث انقطع عن العمل السياسي .

وفي عام ١٩٢٧ انتقل الى رحمته تعالى في بيروت ودفن فيها . ويعتبر رضا الصلح من ائمه الشخصيات واكفئها ، ومن اكثرهم غيرة على المشاريع الخيرية والعمرانية .

الدكتور اسكندر البارودي ١٨٥٦ - ١٩٢١ :

ولد في صيدا سنة ١٨٥٦ وتربى فيها وتعلم في مدرسة دير الشير في بكنين ثم في المدرسة الانكليزية في سوق الغرب ثم في الكلية السورية في بيروت . نال شهادة البكالوريوس سنة ١٨٧٥ والشهادة الطبية سنة ١٨٨٢ .

وهو عالم ، طبيب ، اديب وصحافي قدير ، ومرب عمل في حقل التربية والتعليم ، ومشرّع عمل في سلك القضاء .

تميزت حياته بما بذل من مجهود علمي رمى من ورائه الى اغناء الثقافة العربية العلمية بما وضعه من الكتب والمؤلفات في الطب والصحة جعلته من الرواد في هذا الحقل . وهو صحافي عمل في حقل الصحافة العلمية فتولى منذ ١٨٩٥ وطبلة عشرين سنة تحرير مجلة الطبيب التي انشأها عام ١٨٧٨ الدكتور جورج بوست . كما كتب الكثير من الابحاث في مجلتي المقتطف والهلل المصريتين .

وعمل البارودي في حقل التربية والتعليم بضعة سنين اذ علّم في مدرسة صيدا الاميركية للبنين مدة ثلاثة اعوام وفي الجامعة الاميركية سنة واحدة وفي معهد زهرة الاحسان للروم الارثوذكس في بيروت .

اما في الحقل الاجتماعي والانساني فله خدمات جلى اذ انشأ لمواثاة المرضى مستوصفين احدهما في برج البراجنة والاخر في الغبيري . كما خدم في سلك القضاء عضواً في محكمة استئناف جبل لبنان مدة (٢٠) سنة وتوفي في سوق الغرب سنة ١٩٢١ ودفن فيها .

من مؤلفاته :

- ١ - اضرار المسكرات - طبع بيروت
 - ٢ - حياة كرفيلوس فان ديك - طبع بعبداء
 - ٣ - خير الاغراض في تدبير الامراض - طبع بيروت
 - ٤ - السوار المحلي في تدبير الاعلى - طبع بيروت
 - ٥ - النصائح الموافقة في سن المراهقة - طبع بيروت
 - ٦ - مذهب هالي - طبع بيروت
 - ٧ - المبادئ الصحية للاحداث - طبع بيروت
- (يوسف اسعد داغر = مصادر الدراسة الادبية الجزء الثاني)

الشهيد توفيق البساط ١٨٩١ - ١٩١٦ :



الشهيد توفيق البساط

هو ابن المرحوم بدوي البساط ولد في مدينة صيدا عام ١٣٠٩ هـ = ١٨٩١ م وفيها نشأ وتعلم علومه الاولى في المدرسة الخيرية الاسلامية التابعة لجمعية المقاصد الاسلامية. وبعد تخرجه سافر الى دمشق وهناك دخل المدرسة السلطانية للضباط وتخرج منها برتبة ضابط في اوائل الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ .

وفي عام ١٩١٦ اتهمته السلطات العثمانية بخيانة الدولة اثر مجاهرته مراراً بعدائه لها وانتمائه الى جمعية « العربية

الفتاة »، وهي الجمعية السرية التي شكلها في باريس سنة ١٩١١ نفر من الشبان السوريين واللبنانيين والعراقيين والتي جعلت هدفها «بذل كل جهد لا يصلح الامة العربية الى مصاف الامم الراقية الحرة المستقلة» .

وحوكم مع رفاقه الاحرار امام المجلس العسكري العرفي الذي شكله في عاليه احمد جمال باشا السفاح . وصدر الحكم باعدامه وقد تم تنفيذ الحكم عليه في بيروت فعلق على المشنقة مع نفر من خيرة رجالات العرب في ساحة البرج - ساحة الشهداء بيروت في ٦ ايار سنة ١٩١٦ ومات دون ان يتزوج وهو في ريعان الشباب واشتهر الشهيد الشاب بالعلم الغزير ودمائة الخلق والذكاء الوقاد والوطنية الصادقة ..

مصباح رمضان

١٢٦٧ هـ - ١٣٥١ هـ ١٨٥٠ م - ١٩٣٢ م

ولد في بيروت وتعلم في المدارس الابتدائية ثم اتصل بالطبقة الاولى من اهل العلم والنهضة الادبية كالشيخ ناصيف اليازجي وابنه الشيخ ابراهيم والشيخ يوسف الاسير و ابراهيم الاحدب وسعيد الشرتوني وفضل القصار . ثم دخل الوظيفة كاتباً في المجرى في مدينة صيدا حيث كانت له موطناً دائماً ، ثم عمل كمفتش للبلديات . واستقر نهائياً في مدينة صيدا كمديراً للمجرى فيها حيث ظهر نبوغه وادبه وشعره .

وهو شاعر فطري المعنى ، لطيف المعشر ، خفيف الروح ، كان في الادب والنقد في الرعيل الأول منه مع انه لم يتهياً له الأعداد اللغوي الكفؤ وهو صاحب المقطوعات البديعة والنكات المستملحة والتواريخ البديهة وهو ند للسراج الوراق في تشبيهاته وبديعياته . اشتهر بالدعابة والهجاء فكان بها لا يبارى لنكاته المبتكرة واجوبته المسكتة وبديعياته الحاضرة .

ومع ذلك فانه لم يترك كبير اثر . وكثير من منظومه منشور في مجموعة مجلة العرفان إذ ربطته بصاحبها المرحوم الشيخ احمد عارف الزين صلات الجوار مدة طويلة مع علاقة متينة من الود الخالص .

وقد طبع له عام ١٨٧٣ كراس صغير حوى بعض موشحاته من نظمه . وتوفي سنة ١٩٣٢ .

الشاعر حبيب نمور ١٨٦٧ - ١٩٤١ :

هو حبيب بن مارون نمور ولد في صيدا سنة ١٨٦٧ ونشأ وتعلم في مدارسها - المدرسة المارونية الوطنية فالمدرسة الاميركية الانجيلية فمدرسة الابهاء اليسوعيين - ثم انتقل إلى مدرسة عينطورة في عام ١٨٨٦ وتخرج منها سنة ١٨٨٨

مبرزاً في اللغتين العربية والفرنسية ومهماً الماماً حسناً باللغتين التركية والإنكليزية.

عمل في مهنة التعليم في مدارس صيدا أولاً ثم في مدرسة عينطورة لغاية عام ١٨٩٣ ثم انخرط في سلك وظائف الدولة فمّن مأمور للحجر الصحي في اللاذقية إلى مدير لدوائر الريجي في كل من : طولكرم ، طرابلس ، مرجعيون ، صور ، ثم بعلبك وصيدا حيث تقاعد عن العمل في عام ١٩٣٤ .

تزوج في عام ١٨٩٦ من نسييته نزهة (جولي) كريمة جبور نمور ورزق منها بنات وبذكر واحد هو المحامي الاستاذ مارون نمور .

موظف نزيه مثالي ، عف اللسان جهم التواضع ، صادق الكثيرين من السياسيين والادباء والشعراء في عصره مثل : فارس وفايز الخوري وكامل الاسعد وليبيب الرياشي وعيسى اسكندر المعلوف واحمد شوقي وحافظ ابراهيم و خليل مطران .

شاعر مجيد ، قوي الديباجة ، جميل الالفاظ ، قرض الشعر وهو حدث متغزلاً ، ثم انصرف إلى المديح والوصف والثناء وتسطير القصائد فاجاد وابدع وسار على منوال اليازجي الاب في تأريخ الحوادث في شعره فتفوق على معاصريه من الشعراء في هذا الحقل ...

أول قصيدة نظمها وعمره (١٥) سنة في عام ١٨٨٢ متغزلاً مطلعها :

ما بال ثغرك لا ينفك مبتسماً والبرق يلمع احياناً وينقطع
ولحظ عينيك يرمي اسهماً ابدأ فهل اتيج لها في القلب متسع

ومن اروع منظوماته قصيدته المشهورة « التاريخية » التي نظمها في عام ١٣٢٤هـ - ١٩٠٧م في مدح السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وضمنها الفأ وخمسمة وثمانية وستين تاريخاً تعود كلها لسنة ١٣٢٤هـ مطلعها :

لواء شكري بسد العدل ناشره والمدح سؤلي بدر القول ناثره
سليل عثمان حق العدل بحر عطا بعصرنا حلي اطواق مآثره
وللشاعر ديوان شعر مخطوط يقع في (٥٠٠) صفحة ونيف محفوظ لدى نجله

المحامي المعروف الاستاذ مارون نمور ... نرجو ان يصار الى طبعه قريباً حتى يتعرف الى عبقرية الشاعر ، الادباء من ابناء وطنه .
توفي في صيدا سنة ١٩٤١ ودفن في مدفن اسرته ..

محمد علي حشيشو

١٢٩٩ هـ - ١٣٣٤ هـ ١٨٨٢ م - ١٩١٦ م

ولد في صيدا سنة ١٨٨٢ ونشأ فيها وتعلم في مدارسها ونبغ في اللغة العربية وآدابها ونظم الشعر صغيراً فكان اديباً بليغاً وشاعراً مجيداً عين استاذاً للغة العربية في المكتب الرشيد في صيدا .

وابان الحرب العالمية الاولى حوكم في المجلس العرفي في عاليه لوطنيته وقد ظهرت براءته من التهم المصقة به ومع ذلك فقد نفى الى بعلبك ثم الى بلدة القصير بالقرب من مدينة حمص حيث توفي سنة ١٩١٦ وهو في ريعان الشباب .

له مقالات عديدة وقصائد مختلفة نشرت في مجلة العرفان ، ومن آثاره الادبية :

١ - اثار ذوات السوار -

٢ - شعراء سورية في العصر الحاضر .

رياض بك الصلح :

هو ابن رضا الصلح السيامي العربي وحفيد احمد باشا الصلح ولد في صيدا عام ١٨٩٣ وفيها نشأ وتعلم وظهر ذكاًؤه ونبوغه منذ مطلع فتوته واعتنق مبدءاً كراهية المستعمرين الاجانب فكان جزاؤه النفي مع والده الى الاناضول من قبل الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الاولى ؛ وافرغ عنه مع اسرته عام ١٩١٧ فعاد الى بلده . وما ان ظهرت طلائع الجيش العربي على الحدود السورية الجنوبية



رسم المرحوم رئيس الوزارة اللبنانية
رياض الصلح

حتى اعلن مع نفر من شباب صيدا قيام الحكومة العربية فيها ورفع بنفسه العلم العربي على سارية دار الحكومة . وما ان دخل الجيش البريطاني الى المدينة حتى استقبل القائد بصفته ممثلاً للشريف فيصل في المدينة ، الامر الذي لم يرق للقائد الفرنسي الذي دخل صيدا بعدئذ فانذره بمغادرة المدينة والا ضرب السراي بالقنابل فغادر صيدا الى دمشق واجتمع الى والده والى رجال الحكومة العربية فيها وظل هناك يعمل على تشجيع الثورات في لبنان حتى دخل الفرنسيون دمشق اثر معركة ميسلون ففر منها .

حكم عليه الفرنسيون بالاعدام ومصادرة املاكه واملاك والده ولكنه نال العفو فعاد الى صيدا ومنها انتقل الى بيروت واعتكف عن العمل السياسي رافضاً المناصب المغربية الكثيرة التي عرضها عليه الفرنسيون لانه اختط لنفسه طريقاً لم يحد عنه طيلة حياته وهو انه لا يعمل في حكومة تخضع للحكم الاجنبي ...

وسنحت له الفرصة خلال الحرب العالمية الثانية حينما اجتمع الى المرحومين الشيخ بشاره الخوري وعبد الحميد كرامي واتفقوا على خوض الانتخابات النيابية التي انتهت بنجاح انصارهم في شتى الانحاء اللبنانية .

وما ان انتخب الشيخ بشاره الخوري لرئاسة الجمهورية في ٢١ ايلول سنة ١٩٤٣ حتى كلف السيد الصلح بتشكيل الوزارة فالفها من العناصر الوطنية .

عرضت الوزارة على المجلس النيابي مشروع تعديل الدستور اللبناني فاقر بالاجماع ، الامر الذي دفع بالفرنسيين الى اعتقاله مع رئيس الجمهورية وعدد من الوزراء في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ فاجتاحت البلاد موجة عارمة من السخط على المستعمرين واقفلت المحلات والمتاجر طيلة احد عشر يوماً حتى اضطر الجنرال كاترو المندوب الفرنسي العام لاطلاق سراح المعتقلين واعادتهم الى مناصبهم في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ .

وظل على رأس الوزارة حتى استقلت البلاد نهائياً واشتركت في هيئة الامم وفي جامعة الدول العربية ..

ترأس السيد الصلح الوزارة اللبنانية خلال عهد الاستقلال ست مرات في التواريخ التالية :

الوزارة الاولى من ٢٥ ايلول ١٩٤٣ الى ٢ تموز سنة ١٩٤٤ .
الوزارة الثانية من ٢ تموز سنة ١٩٤٤ الى ٩ كانون الثاني سنة ١٩٤٥ .

الوزارة الثالثة من ١٤ كانون الاول سنة ٩٤٦ الى ٧ حزيران ١٩٤٧ .

الوزارة الرابعة من ٧ حزيران سنة ١٩٤٧ - ٢٦ تموز سنة ١٩٤٨ .

الوزارة الخامسة من ٢٦ تموز سنة ١٩٤٨ - ١ تشرين الاول سنة ١٩٤٨ .

الوزارة السادسة من ١ تشرين الاول سنة ١٩٤٩ - حتى ١٤ شباط سنة ١٩٥١ .

ومنذ ان اجريت الانتخابات اللبنانية عام ١٩٤٣ حتى تاريخ وفاته سنة ١٩٥١ ظل محتفظاً بكرسي النيابة عن مدينة صيدا .

واثناء تلبيته دعوة تلقاها من الملك عبدالله بن الحسين ملك الاردن اغتالته يد اثيمة بتاريخ ١٦ تموز ١٩٥١ في عمان وكان في طريقه الى المطار ليعود الى بلده لبنان فحرمت البلاد من عبقريته ودافق وطنيته ومن اخلاص رجل ينذر ان يجود الزمان بمثله على بلده .

الشيخ احمد عارف الزين

١٣٠١ هـ - ١٣٨٠ هـ ١٨٨١ م - ١٩٦٠ م

رائد وطني وعامل انساني ومصلح اجتماعي ومن الوجوه البارزة في حقل العلم والصحافة والاصلاح الاجتماعي . وهو احد دعائم النهضة العلمية والادبية والسياسية الحديثة في لبنان الجنوبي طيلة نصف قرن . .

ولقد كانت من الذين بذروا اليقظة الوطنية والوعي العربي منذ العهد العثماني .

عرف بالخلق الرضي واللسان العف والجرأة في الحق . وهو صحفي عمل في خدمة الصحافة اكثر من خمسين سنة محرراً ومنشئاً . وفي عام ١٩٠٩ اصدر مجلة العرفان وقد وقفها على خدمة الثقافة العربية والاسلامية فكانت بحق دائرة معارف في علوم الدين والدنيا وموسوعة مشحونة ادباً وعلماً وتاريخاً

ترجم فيها للعديد من حملة لواء العلم والادباء والشعراء ولا سيما لادباء الشيعة في جبل عامل .

اصدر سنة ١٩١٢ في صيدا جريدة يومية باسم « جبل عامل » جعلها منبراً للدعوة الوطنية . وكان شديد العناية بالقضايا الدينية ولا سيما ما يخص مذهب الشيعة ويعتبر بحق داعية للمذهب الجعفري ، ينشر تعاليمه ويدافع عنه وينذو عن علمائه .

وكانت مجلة العرفان متنفساً لكبار الكتاب وحملة الاقلام في السنوات الخمسين الاخيرة تحمل مقالات فارس الخوري وشكيب ارسلان وأمين الريحاني والخوري عيسى أسعد وعارف النكدي ومحسن الامين وعبد الحسين شرف الدين وأحمد رضا وسليمان الظاهر ومحمد مغنية ويوسف أسعد داغر وقصائد لأحمد شوقي وحافظ ابراهيم وإلياس ماضي وبشارة الخوري والياس فرحات وجورج صيدح .

ولد في شحور - جبل عامل - ١٨٨١ - وسكن صيدا وعاش طيلة حياته فيها . وانتقل إلى رحمة ربه في مشهد من عمالة خرسان (ايران) ودفن في صحن الامام علي الرضى ١٩٦٠ . من مؤلفاته: تاريخ صيدا - طبع سنة ١٩١٤ ومجلة العرفان التي تولى تحريرها ٤٧ سنة ونيف .

الفصل الخامس

المدارس

المدارس الخاصة

في الوقت الذي نتحدث فيه عن رجالات الفكر والسياسة الذين رفعوا اسم صيدا عالياً في المجتمع العربي نرى لزماً على مدون وقائع التاريخ ان ينوه بما قدمته المؤسسات الثقافية والرسمية والخاصة من خدمات فكرية واجتماعية، وان يذكر نبذة موجزة عن كل منها انصافاً للتاريخ والحقيقة المجردة .

١ - مدرسة الارض المقدسة للراهبات للفرنسيسكانيات تأسست عام ١٨٥٣ وتخصصت برعاية اليتيمات اللواتي بلغ عددهن عام ١٨٦٠ مئة يتيمة .

اما عدد اليتيمات حالياً فهو (٤٢ يتيمة) و (٩٠) تلميذة يتعلمن بالمجان في ٧ صفوف ويتقدمن في نهاية دراستهن الى الشهادة الابتدائية ويشرف على المدرسة ٣ معلمات و ٤ اخوات ورئيسة راهبة .

٢ - مدرسة صيدا الانجيلية للبنات (سابقاً مدرسة البنات الاميركية) أسسها الدكتوران ادي وفورد سنة ١٨٦٢ وتسلمت رئاستها الآنسة ميسن وكان عدد تلميذاتها سنة تأسيسها ٨ تلميذات .

اما عدد صفوفها حالياً فهو (١٤) صفاً في (٢٠) شعبة وتتقدم طالباتها لنيل شهادات الابتدائية والكفاءة والبالويا القسم الاول الفرع الادبي . رئيستها

الحالية السيدة وداد خوري ججي ومديرها الاستاذ قيصر ججي ويبلغ عدد اساتذتها ومعلماتها (٢٥) استاذاً ومعلمة يضاف اليهم (٥) اساتذة متعاقدون للتدريس بالساعات الاضافية . ويبلغ عدد تلميذاتها وتلاميذها (٥٧٥) تلميذة وتلميذاً وهي من المدارس المرموقة التي قدمت ولا تزال تقدم لصيدا وللجنوب اجل الخدمات التربوية والاخلاقية .

٣ - مدرسة نمونة رشدي تأسست عام ١٨٧٣ وتابعت تأدية رسالتها التعليمية حتى الحرب العالمية الاولى اذ اغلقت ابوابها حينذاك . وفي عهد الاستقلال تحولت الى الحكومة اللبنانية واصبح اسمها حالياً مدرسة صيدا التكميلية للصبيان .

٤ - مدارس جمعية المقاصد الاسلامية تأسست عام ١٨٧٧ اثر اجتماع عقده نخبة كريمة من رجالات مدينة صيدا برئاسة محمد فريد خورشيد القائمقام وحضرة محمد كامل المغربي - الذي انتخب لنيابة الرئاسة - ومحمد محي الدين حشيشو وعبدالله لطفي وناصيف الاسعد ومحمود منح الصلح وعمر نحوي ومحمد منيب الصلح وعبد السلام زنتوت ومحمد النعماني ومحي الدين الجوهري وحسن الجوهري وعبد اللطيف لطفي وحسين الجوهري وعلي البزري .

وتضم مدارسها حالياً (١٨٤٤) طالباً وطالبة مقسمين على المدارس التالية :
(٥٤١) تلميذة في ثانوية البنات والدوحة يعلم فيها (٢٠) استاذاً ومعلمة .
(٤١٣) طالباً في ثانوية الذكور التي يديرها الاستاذ محمد العدناني ويساعده (٢٧) استاذاً .

(٢٧٠) طالباً في مدرسة فيصل الاول و (٦٢٠) طالبة في مدرستي عائشة أم المؤمنين وفاطمة الزهراء .

٥ - المدرسة الوطنية اسسها عام ١٨٧٨ الخوري الياس عطيه وكيل النائب العام الاسقفي لطائفة الموارنة وقد توقفت فترة من الزمن ثم اعاد اليها الحياة

الاب يوحنا الحلو سنة ١٩٦٢ تحت اسم مدرسة مار الياس ،

وتضم المدرسة حالياً ٧ صفوف في (١٠) شعب ويبلغ عدد تلامذتها (٣١١) طالباً . يديرها الاب يوحنا الحلو ويساعده (٩) اساتذة ويتقدم طلابها للشهادة الابتدائية وقد احدثت في هذا العام صفّاً جديداً هو الصف الأول التكميلي .

٦ - مدرسة الفنون الانجيلية الوطنية للبنين (مدرسة الفنون الاميركية سابقاً) اسسها في صيدا عام ١٨٨٠ المرسلان الاميركيان ولیم كنغ ادي وجورج فورد ودرّس فيها المعلمان يواكيم الراسي وفارس عازوري وفي عام ١٨٨١ اسسا فيها الفرع الداخلي الذي ضم (٢٠) طالباً وأول صف احرز شهادة المدرسة في حفلة قانونية عام ١٨٨٩ كان مؤلفاً من خمسة طلاب هم : انيس متري الحلو وحبيب فارس صبحية ويوسف حنا موسى ونسيم متري الحلو وفارس نقولا حنا . وتعاقب على رئاسة المدرسة : ولیم ادي ، جورج فورد ، الدكتور صموئيل جسب ، ستوارت جسب ، نسيم الحلو ، الدكتور فرنك ل . هوايت .

وفي عام ١٩٤٧ انتقلت المدرسة إلى ابنتها الجديدة في عين الحلو وقد احدثت فيها ابنية جديدة منذ عام ١٩٥١ .

ويرأس المدرسة منذ عام ١٩٥٨ السيد دجلاس هيل ويساعده الاستاذ ابراهيم مرقس بالاضافة إلى (٤٨) استاذاً يشرفون على تعليم (٦٨٧) طالباً منهم (٢٣٢) طالباً داخلياً .

وتقدم المدرسة طلابها لنيل الشهادة الابتدائية وشهادات ، الكفاءة ، البكالوريا اللبنانية القسم الأول بفرعيه الادبي والعلمي والبكالوريا اللبنانية القسم الثاني - رياضيات - باللغة الانكليزية . وفي المدرسة أيضاً فرع للنجارة وآخر للتجارة .

وتعتبر هذه المدرسة من النجح المدارس وقد قدمت للوطن العربي عدداً كبيراً

من رجال السياسة والاقتصاد والفكر .

٧ - المدرسة الاسقفية للروم الكاثوليك . تأسست عام ١٨٨٥ بادرة الخوري يوسف الزهار .

وتضم المدرسة في الوقت الحاضر (٣١٥) طالباً وطالبة يتعلمون في (١٢) صف وشعبة يديرها الاستاذ اميل شختوره ويساعده (١٤) استاذاً ومعلمة ويتقدم طلابها للشهادتين الابتدائية والكفاءة اللبنانية .

٨ - مدرسة القديس لويس اسسها في صيدا عام ١٩٠٤ الاخوة المريميون وتولى ادارتها الاخ جوزف دي ليونسا ... وقد انتقلت إلى ابنتها الجديدة عام ١٩٦٠ في الرملة .

يديرها حالياً الأخ جورج ليون برونيه يساعده (٤٢) استاذاً يعلمون (٨١٠) طلاب في (٢٠) صفّاً .

ويتقدم طلابها لنيل شهادتي الابتدائية والكفاءة وتسير هذه المدرسة في الطريق نحو البكالوريا ...

٩ - مدرسة التفوق العالية :

أسستها الانسة اسما مرشد البستاني سنة ١٩٤٩ وضمت في سنتها الأولى (٧٠) طالباً وطالبة في (١٠) صفوف أما عدد طلابها وطالباتها حالياً فيقدر بـ (٢٠٠) موزعين على (١٣) صفّاً يشرف على تعليمهم (١٧) استاذاً ومعلمة . والمدرسة تسير وفق المنهاج الرسمي لوزارة التربية الوطنية اللبنانية ويتقدم طلابها إلى شهادات الابتدائية والكفاءة والبكالوريا اللبنانية الفرع الادبي ويساعد الرئيسة الانسة بستاني في الادارة الاستاذ يوسف الحاج .

١٠ - المدرسة النموذجية الابتدائية . اسستها في صيدا الانسة الكسندرا انطاكي عام ١٩٥١ وضمت وقتئذ (٣٠) طالبة .

ويبلغ عدد طالباتها الآن (٥٠٠) طالبة وعدد المعلمات فيها (٢٥) معلمة وصفوفها (١١) صفاً في (١٦) شعبة . وتقدم هذه المدرسة طالباتها لنيل شهادتي الابتدائية والكفاءة . وما برحت الانسة انطاكي تدير هذه المدرسة حتى يومنا هذا .

١١ - مدرسة رعاية اليتيم . تأسست عام ١٩٥٢ بسعي من الرجل المحسان الحاج احمد رياض الجوهرى لايواء الايتام من مختلف الطوائف وثقيفهم وبعد ان تم بناء الدار لهم فتحت المدرسة ابوابها في عام ١٩٥٩ .

يبلغ عدد الايتام فيها من ذكور واثاث (٣٠٠) يتيماً ويتيمة يتعلمون في (٧) صفوف من (١٠) شعب . وتقوم على ادارة المدرسة الانسة فائنة الجردي يساعدها (١٢) معلمة ويتقدم المتخرجون منها لنيل الشهادة الابتدائية .

١٢ - مدرسة راهبات (ماريوسف) ، تأسست هذه المدرسة عام ١٩٥٤ ورئيستها الحالية الأم صوفيا ويبلغ عدد طلابها في الوقت الحاضر (٦٢٥) منهم (٥٧٥) طالبة و (٥٠) طالباً صغيراً في الحضانة أما عدد صفوفها فيبلغ (٢١) شعبة وتتقدم طالباتها لنيل شهادتي الابتدائية والكفاءة اللبنايتين . وهي مدرسة اجنبية ليس فيها من يتعلم بالمجان .

١٣ - دار اليتيم العربي ، تضم الدار في رحابها حالياً (٢٠٠) يتيماً ويتيمة بعد ان كان عددهم يوم تأسيس الدار سنة ١٩٥٤ (١٥٠) يتيماً ... وهم يتقدمون لنيل الشهادة الابتدائية اللبنانية ويشرف على تعليمهم وتهذيبهم (١٦) معلماً ومعلمة وتدير الدار السيدة سهام مجذوب الزعتري .

وفي المدرسة فرع للخياطة والتطريز ينتمي اليه (٣٠) طالباً وطالبة .

١٤ - اتحاد المدارس العربية ، يضم هذا الاتحاد مجموعة من المدارس هي :
(١) المدرسة الاهلية العربية وتديرها السيدة نادرة بيضون - (٢) المدرسة

العربية وتديرها السيدة نهلة ادريس - (٣) مدرسة صيدا العربية . ويشرف على اتحاد المدارس المذكورة الاستاذ سعد الدين الحبال ويبلغ عدد الطلاب والطالبات في هذه المدارس (١١٣٥) طالباً وطالبة يقوم بتدريسهم (٤٧) استاذاً ومعلمة في (٣٦) شعبة .

وباشر الاتحاد عمله التربوي بين عام ١٩٦٠ و ١٩٦٢ ويتقدم طلاب هذه المدارس لشهادات : الابتدائية والكفاءة والكالوريا اللبنانية ، والموحدة السورية بالاضافة إلى شهادة مهنية في التجارة والضرب على الآلة الكاتبة ...

١٥ - مدرسة الاتحاد الوطني : اسس هذه المدرسة عام ١٩٦٣ الاستاذ صلاح طه البابا وجعلها داخلية وخارجية يدرس فيها حالياً (٤٤٠) طالباً وطالبة منهم (٢٣٠) من الذكور و (٢١٠) من الاناث .

عدد صفوف المدرسة حالياً (٢٠) صفاً وشعبة ويشرف على تهذيب الطلاب والطالبات (٣٣) معلماً ومعلمة اضافة إلى مديرة المدرسة الحالية السيدة مريم عرب البابا وتسير المدرسة وفق منهاج وزارة التربية الوطنية اللبنانية فتقدم طلابها الى شهادتي الابتدائية والكفاءة وتسعى ادارة المدرسة لتقدم طلابها إلى شهادة البكالوريا اللبنانية بفرعها خلال العام القادم ...

المدارس الثانوية الرسمية في صيدا

١ - ثانوية صيدا الرسمية للبنين :

تأسست في ٥ كانون الأول سنة ١٩٥٦ وأول مدير لها هو الدكتور محمد المصري . وقد ضمت وقتئذ ٣٧ طالباً في ٣ صفوف أما اليوم فتضم ٤٠١ طالباً وطالبة ويدرس فيها ٣٢ استاذاً وعدد شعبها ١٥ شعبة ويديرها حالياً بمقدرة ونشاط الاستاذ مصطفى احمد الزعتري .

وهي تقدم طلابها للبكالوريا اللبنانية بقسميها العلمي والادبي والبكالوريا الثانية بقسميها الفلسفة والرياضيات باللغة الفرنسية كما تقدم طلابها للكفاءة اللبنانية باللغتين الفرنسية والانكليزية .

وتسير هذه المدرسة بحق في طليعة المدارس الثانوية في صيدا .

٢ - ثانوية صيدا الرسمية للبنات :

تأسست سنة ١٩٥٩ واول مديرة لها هي الانسه رياض المغربي وكان عدد تلميذاتها ١٨ تلميذة يدرسن في صف واحد .

وفي عام ١٩٦٥/٩٦٤ بلغ عدد تلميذاتها ٩٠ تلميذة يدرسن في ٤ صفوف ويتقدمن لامتحان البكالوريا اللبنانية القسم الاول باللغة الفرنسية وتديرها حالياً بحنكة ومقدرة السيدة حكمت صباغ الخطيب .

٣ - دار المعلمين والمعلمات :

تأسست في ٢ تشرين الاول سنة ١٩٦١ وفتحت ابوابها في اوائل كانون الاول ١٩٦١ وكان عدد طلابها ٩٥ طالباً وطالبة يدرسون في صف واحد ذي ٤ شعب وادارها بالاضافة الى وظيفته كمدير لثانوية صيدا الرسمية للبنين الاستاذ مصطفى احمد الزعتري اما في عام ١٩٦٤/٩٦٥ فقد بلغ عدد شعبها ١٢ شعبة ويدرس فيها (١٤) استاذ اصيل و (٤٠) استاذ متعاقد وتضم (٢٢٣) طالباً و (٧٢) طالبة ويديرها بكفاءة وحزم الاستاذ نزيه الخطيب .

٤ - المدرسة المهنية الرسمية :

تأسست عام ١٩٦١ وهي تقوم بدور فعال في تغطية الحقل العلمي المهني في المدينة يديرها حالياً الاستاذ جورج حكيم وتضم حوالي (٣٠) طالباً .. والى القارىء جدولا باسماء المدارس الرسمية الابتدائية والتكميلية في صيدا

- ١ - مدرسة صيدا التكميلية للبنات
- ٢ - مدرسة التقدم للبنات
- ٣ - مدرسة صيدا الجديدة للبنات
- ٤ - مدرسة الاصلاح للبنات
- ٥ - مدرسة الشمعون للبنات
- ٦ - مدرسة صيدا الحديثة للبنات
- ٧ - مدرسة النهضة للبنات
- ٨ - مدرسة صيدا الرسمية للبنات
- ٩ - مدرسة الاصلاح للبنين
- ١٠ - مدرسة صيدا الجديدة للبنين
- ١١ - مدرسة صيدا الحديثة للبنين
- ١٢ - مدرسة النهضة للبنين
- ١٣ - مدرسه الرياض للبنين
- ١٤ - مدرسة القناية للبنين
- ١٥ - مدرسة العهد الجديد المختلطة
- ١٦ - مدرسة عين الحلوة الابتدائية المختلطة

مجموع طلاب صيدا :	ذكور	اناث
المدارس الرسمية الابتدائية	٢٠٠٧	١٦٩٧
المدارس الرسمية الثانوية	٦٨٣	٢٠٣
المدرسة المهنية الرسمية	٣٠	٠٠٠٠
المدارس الخاصة (ابتدائية وثانوية)	٤٢٠١	٤٢١٣
المجموع	٦٩٢١	٦١١٣

الفصل السادس

معالم النهضة الحديثة

المستشفيات :

في صيدا مستشفى حكومي كبير واحد . و ٩ مستشفيات خاصة تعود للأطباء السادة :

لبيب وفؤاد ابو ظهر ، الياس ايليا ، اسكندر الحاج ، سعد الله الخليل ، جوزيف الخوري ، راشد الخوري ، نبيه ورمزي الشاب ، روبير عبود ، فؤاد عسيران . و ٤ مستوصفات مجانية هي : المستوصف المركزي للبلدية ، مستوصف جمعية المؤاساة والخدمات الاجتماعية ، مستوصف نقابات العمال ، مستوصف الصليب الاحمر اللبناني .

الاطباء :

ويعمل في صيدا الاطباء السادة :

فؤاد ابو ظهر ، لبيب ابو ظهر ، جورج اسطفان ، فرانسوا افيموس ، لطفي انطاكي ، الياس ايليا ، نلي ولهارس ايوب ، عبد الرحمن البابا ، ناصيف باسيلا ، نزيه البزري ، البير بيروتي ، اسكندر الحاج ، حنا الحداد ، كلير نخله حنا ، رفيق حنينة ، سعد الله الخليل ، انطوان الخوري ، جوزيف خوري ،

راشد الخوري ، سعد الخوري ، سليم الخوري ، عبد الرحمن الزين ، سليمان سليمان ، رمزي الشاب ، نبيه الشاب ، خليل الشامي ، رياض شهاب ، عفيف طنوس ، ادوار عبود ، باسيل عبود ، روبير عبود ، نويسل عبود ، عماد عسيران ، فؤاد عسيران ، نزيه كالكو ، عبد السلام المجذوب ، جورج نخله ، الياس نجم ، هيلدا نور ، عدنان نوام . .

الصيدالة :

وفيها ايضاً (٧) صيدليات تعود للسادة :
سليم ايوب ، عاطف البساط ، نقولا حريصي داغر ، فضل الشماع ، محي الدين مرجان ، فرديناند نعيان ، فضلو واكيم .

اطباء الاسنان :

أما اطباء الاسنان فهم السادة :
نقولا البرشا - محمد خليفة - الياس الخوري - نسيب سمعان - جوزيف عيسي - جوزيف المعوشي .

المهندسون ، هم السادة :

شامل ابو علوان ، انطوان ابيلا ، حسين علي احمد ، فؤاد اسماعيل ، جان اسود ، محمد انصاري ، خضر محرم بديع ، امين البزري ، فؤاد البزري ، بهاء الدين البساط ، منيف التقي ، امين سليم حمود ، محمود دندشلي ، فرانسوا رزق الله ، فريد رزق الله ، عدنان الزين ، وجيه الزين ، الياس سر كيس ، فريد سلطان ، سمير سمارة ، محمد السيد ، مصطفى السيد ، عرفان الشماع ، جورج شمعون ، جوزيف صادر ، عبد السلام الصلح ، حكمت العابد ، نبيل عسيران ، الياس عويس ، اندره عيد ، بشارة عيسى ، روبير غانم ، محمد القاضي ، رائف قعوار ، احمد الكلش ، محمد الكلش ، سمير مجذوب ، كمال النقوزي ، عفيف النقيب ، ميشال يعقوب .

المحامون :

الاستاذ اديب البزري ، الاستاذ عبدالله البيضاوي ، الاستاذ غازي البساط ،
الاستاذ جورج خوري ، الاستاذ نصري الخوري ، الاستاذ صلاح الخياط ،
الاستاذ معين الزين ، الاستاذ جورج سرحال ، الدكتور عبد السلام شعيب ،
الاستاذ محمد شهاب ، الاستاذ مصطفى صالح ، الاستاذ علي صباح ، الاستاذ محمد
صوفان ، الاستاذ محمد عاصي ، الاستاذ نظمي عزقول ، الاستاذ سميح عسيران ،
الاستاذ عاكف عسيران ، الاستاذ حبيب فرهود ، الاستاذ علي فواز ، الاستاذ
محمد ابو الفضل القواص ، الاستاذ محمود مرجان ، الاستاذ ابراهيم مغنية ، الاستاذ
حبيب نور ، الاستاذ مارون نور ، الاستاذ جوزيف هاشم .

الاساتذة حملة الشهادات العالية الذين يدرسون في مختلف المدارس الثانوية الرسمية والخاصة

١ - المدبرون والمديران :

الآنسة اسما مرشد البستاني ، السيدة وداد خوري ججي ، السيدة حكمت
صباغ الخطيب ، الاخ جورج ليون برونه ، الاستاذ جورج حكيم ، الاستاذ
نزيه الخطيب ، الاستاذ مصطفى الزعتري ، الاستاذ محمد العدناني ، الاستاذ
دجلاس هيل .

٢ - الاستاذات : السيدة رفاه شهاب لطفي - السيدة مهى لطفي .

الانسان : نجوى الامين ، نور الامين ، دلال بعاصيري ، لوزيت حبيب ، عايدة
خاطر ، نبيلة دمشقية ، سميرة سيوفي ، رداح شهاب ، سميرة عازار ، فريدة
عفيف ، نوال عواد ، نجلا نجار ، صونيا نور .

٣ - الاساتذة السادة : يوسف ابراهيم ، سمعان ابو شامات ، زيدان ابو صالح ، مفيد ابو ظهر ، مصطفى ابو ظهر ، ايليا ايليا ، جميل ايليا ، شعبان بركات ،

جورج جرجس ، حسين الحاج ، عبد الفتاح الحسن ، عادل خير الله ، سليم الحاج
داغر ، سلوم الدحداح ، غانم رزق ، نزار الرواس ، جورج زهار ، الدكتور
نزار الزين ، رائف الزين ، عفيف الشريف ، عبد المولى الصلح ، جاني عازار ،
علي عاصي ، سليم عبود ، شحاده عبود ، جوزيف عتابا ، عادل عكر ، خيرى
عوض ، الدكتور سعد الدين عوكل ، رشاد عون ، عبد العزيز فاعور ، ممدوح
الكردى ، جان كرم ، حسن كشتبان ، وجيه كوثراني ، ملحم متى ، حليم
مجدلاني ، الدكتور محمد المصري ، ابراهيم مرقس ، نقولا المصور ، بهيج الناشف ،
نبيه نور ، غالب هاشم ، جميل واكيم ، احمد وهبي .

الجمعيات الثقافية

١ - المجلس الثقافي للبنان الجنوبي :

تأسس المجلس سنة ١٩٦٥ ومنحته بلدية صيدا غرفة في القصر البلدي لعقد
اجتماعاته الدورية .

وغاية المجلس الثقافي تنشيط الحركة الثقافية في محافظة الجنوب والتنقيب
عن المخطوطات وانشاء مكتبات شعبية عامة لفائدة المجتمع والقاء محاضرات
ادبية واجتماعية ترفع من شأن المواطن فكرياً ، وتشجيع الفنون الجميلة عن
طريقة اقامة المعارض الفنية المختلفة .

وهيئة المجلس الادارية تتألف من السادة :

الدكتور عبد الرؤوف فضل الله - الامين العام
السيدة حكمت صباغ الخطيب ، والسادة : سليمان ابو زيد ، حسن الامين ،
فؤاد البوبو ، جورج جرداق ، يوسف حوراني ، زيد الزين ، احمد سويد ، عبد
اللطيف شرارة ، صدر الدين شرف الدين ، كامل العبد الله ، حسين مروه ،
جوزيف مغيزل وحسين مكي .

تأسست في صيدا في ٩ ايلول سنة ١٩٥٥ ومن اهدافها ، نشر المعرفة ورفع المستوى الثقافي بين كافة ابناء المجتمع الصيداوي عن طريق ايجاد مكتبة عامة مجانية للمطالعة والقاء المحاضرات والمناظرات الثقافية وعقد الندوات الادبية والعلمية ، ومساعدة الطلبة المحتاجين على متابعة دراستهم (وفي مدارس صيدا الآن عدد لا بأس به من الطلبة يستفيد معظمهم مما تقدم لهم الجمعية من مساعدات وكتب مدرسية) ومن اهدافها كذلك مكافحة الامية عن طريق التعليم المجاني ، ومكافحة الجهل بالارشاد والتوجيه وتتألف هيئة الادارة لهذا العام من السيد سليم الزعتري رئيساً ، الآنسة نجية المجذوب ، الآنسة ندى السيد ، والسادة مصطفى لطفي ، رياض مكاي ، احمد السيد ، وغالب مكاي .

وينتسب الى الجمعية (٩٠) عضواً وهم يعملون بعيداً عن المؤثرات الطائفية والحزبية في خدمة المجتمع الصيداوي .

الاندية الرياضية :

صيда عريقة في محبة ابناءها للحياة الكشفية والرياضية وتهافتهم على انتجاع افيائها .. ومدارسها الاهلية والرسمة كانت ولا تزال ينبوع الثري الذي يروي هذا الحقل وينمي موارده ..

في المدينة عدد من الفرق الكشفية الصغيرة ولكن اهمها هو فوج الجراح الكشفى الذي تأسس في صيدا حوالي عام ١٩٥٠ ويضم مئة كشاف ونيّف ويعتبر من الافواج المرموقة في لبنان يقوده المفوض عبد المنعم البزري ، ويليه فوج الكشاف المسلم الذي يقوده المفوض حسين الخليل .

اما الاندية الرياضية فبعضها يعمل بنشاط كلي والبعض الآخر سادر في سبات عميق . ونحن اذ نتحدث عن الرياضة في المدينة نرى من واجبتنا ان نذكر ولو بإيجاز بعض الاندية التي رافقت تطور المدينة الرياضي في فترة الاستقلال وما

بعده والتي لا تزال تعمل بالرغم من امكاناتها المادية الضعيفة .

١ - نادي الرابطة الثقافي الرياضي - تأسس عام ١٩٣٦ ومن مؤسسيه السادة : معروف سعد ، انور البزري ، صلاح طه البابا وشريف الانصاري .

يقصر نشاط النادي في الوقت الحاضر على الناحية الثقافية والمطالعة ، وامينه العام الحالي المهندس بهاء الدين البساط .

٢ - نادي الفداء الرياضي : اسسه عام ١٩٤٧ السيد توفيق البساط - (للمصارعة والالعاب القوى) .

٣ - النادي المعني - تأسس سنة ١٩٤٩ - (لمتلف النشاطات الرياضية) تتألف هيئته الادارية الحالية من الرئيس السيد احمد المجذوب والاعضاء السادة : جوزيف حرفوش ، نزار الرواس ، يوسف قنوتي ، مارون حرفوش ، نصر الدين القواص ، يوسف البني ، احمد المصري .

٤ - النادي الاهلي : تأسس سنة ١٩٤٩ ويرأسه السيد عز الدين جرادي (خاص بكرة القدم) .

٥ - نادي خريجي المقاصد الاسلامية : تأسس سنة ١٩٤٥ يرأسه حالياً السيد رياض كناني (ثقافي ورياضي) .

٦ - نادي رابطة خريجي المدارس الرسمية : تأسس سنة ١٩٥٣ تتألف هيئته الادارية للعام الحالي من السيد توفيق عسيوان رئيساً والسادة : ميسر مرسي ، هلال زنتوت ، نبية جوهر ، شفيق سعد المصري ، اميل دبقي ، عفيف حشيشو .

٧ - نادي الساحل الرياضي : تأسس سنة ١٩٥٤ ومن مؤسسيه السادة : اسماعيل النقيب ، محمود زيدان ، حسيب عبد الجواد ، يوسف عجرم ، سليم الزين ، نبية باشو .

وتتألف هيئته الادارية الحالية من السيد ممدوح الكردي رئيساً - والسادة محمد شامدين ، نور الدين سموره ، فؤاد بيضون ، عبد الرحمن بيضون ، ومحمد كيلاني - اعضاء (كافة النشاطات الرياضية) .

٨ - نادي الفروسية : تأسس سنة ١٩٦٤ : يرأسه حالياً الاستاذ سامي شعيب . ومن اعضائه الاداريين السادة : غازي البساط ، محمد البربير ، شوقي صفى الدين ، خضر بديع ، عصام البساط ، عاطف عبسي ، وعمر جنبلاط ، (نشاطه خاص بركوب الخيل والعباب الفروسية) .

٩ - نادي صيدون الرياضي : تأسس سنة ١٩٦٥ وهيئته الادارية للعام الحالي تتألف من السادة : الرئيس احمد الحبلي والاعضاء خليل البيطار ، امين الدبراني ، نزار الرواس ، مصطفى شمس الدين ، محمد حسني ، محمود الدياسي . (مختلف النشاطات الرياضية) .

الجمعيات الخيرية والاجتماعية :

١ - جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية :

تأسست هذه الجمعية في عام ١٨٧٧ برئاسة قائمقام صيدا محمد فريد خورشيد - شرفياً - والشيخ محمد كامل المغربي - عملياً .

وكان من ابرز اهداف الجمعية مد يد المعونة الى المحتاجين والمعوذين من ابناء الطائفة الاسلامية ونشر العلم والمعرفة في مدينة صيدا عن طريق انشاء المدارس حتى يتلقى ابناءهم فيها العلوم الراقية بالمجان او بنصف المجان ، وبرسم عادي بسيط لمن تمكنه حالته المادية من الدفع .

ولقد حققت الجمعية كثيراً من اهدافها واليها يعود الكثير من الفضل في رقي المجتمع الصيداوي لانها انشأت ثانوية كبرى للذكور واخرى للاناث بالاضافة الى

ثلاث مدارس ابتدائية للذكور والاناث تخرج منها ألوف الطلاب في فترة تقارب القرن في عددهم كثير ممن كانوا قادة في الوعي والوطنية والاخلاق في عالمنا العربي .

اما هيئتها الادارية الحالية فتتألف على الشكل التالي :
السيد الحاج علي البزري رئيساً والسادة : الاستاذ مصطفى احمد الزعتري ، المحامي محمد شهاب ، زهير ابو ظهر ، الدكتور عبد السلام المجذوب ، المهندس احمد كلش ، ومحمد علي الشماع .

٢ - جمعية مار منصور دي بول :

ولها فرعان :

أ - جمعية القديس نقولا وس التي تأسست في أيار سنة ١٩٣٣ . وهيئتها الادارية الحالية هي كما يلي :

الرئيس السيد جورج دبانه . والاعضاء السادة : فردينان نعان ، جان زهار ، نقولا افييموس ، الاب سليم غزال .

ب - جمعية القديس لويس تأسست في سنة ١٩٤٣ وهيئتها الادارية الحالية تتألف من :

الرئيس السيد روجيه واكيم . والاعضاء السادة : بسام خوري ، انطوان نصر ، اليككو ناصيف ، سهيل سماره ، وفيليب سماره .

وتوزع الجمعية الاعانات المادية على الفقراء والمحتاجين من مختلف طوائف المدينة شأنها في ذلك شأن فروع الجمعية المنتشرة في جميع انحاء العالم ..

٣ - جمعية الصليب الاحمر اللبناني - فرع صيدا :

اسست جمعية الصليب الاحمر اللبناني فرعاً لها في صيدا سنة ١٩٤٨ وكانت رئيسه الاولى السيدة اوجيني دبانه .

ويضم الفرع في عضويته سيدات كريمات من فضليات المجتمع الصيداوي يتجاوز عددهن الخمسين عضوة ، ورئيسة فرع صيدا حالياً السيدة سامية عارف جنبلاط .

٤ - جمعية الشعلة :

هي جمعية نسائية تأسست في صيدا عام ١٩٥٠ غايتها توجيه اعضائها في حقل المثل الأعلى الروحي والادبي ونشر نور المعرفة في كل الاوساط خاصة في الارياض المهمة ، وتوزيع الملابس على المحتاجين مرتين في السنة كما توزع الجوائز المالية على الطلاب والطالبات في آخر كل سنة دراسية وتضم الجمعية (٦٤) عضوة .
اما هيئة الجمعية الادارية لعام ١٩٦٦ فتتألف على الشكل التالي :

الاب سليم غزال (مرشد فرع صيدا) السيدة ماري دبائيه المسئولة عن الفرع ، السيدة وطفارزق الله ، امينة السر ، السيدة روزنور امينة الصندوق .

٥ - جمعية المؤاساة والخدمات الاجتماعية :

تأسست هذه الجمعية عام ١٩٥١ وغايتها خدمة المجتمع الصيداوي واسعاف المحتاجين ومعالجتهم وتعليم الاميات مجاناً ..

أما الاعضاء المؤسسون فهم السادة : مصطفى المرمي ، خيرى زيباوي ، محمد علي الجردي ، نزار حريصي ، حسن الصباغ ، رامت المارديني ، باسيلة الجمال . وتتألف هيئتها الادارية حالياً من السيدات والسادة : نازك مولوي الزعتري ، سعدية نقوزي جردي ، مصطفى المرمي ، خيرى زيباوي ، محمد علي الجردي ، نزار حريصي ، عبد الوهاب البزري .

وانشأت الجمعية مستوصفاً خاصاً للعلاج والتطبيب المجاني كما أسست مدرسة للخياطة وتدبير المنزل وتعليم الاميات وتضم المدرسة بين جدرانها (١١٠) قتيات ويشترك بمؤازرة الجمعية في مشروعها الانساني التعليمي دائرة الشؤون الاجتماعية في صيدا برئاسة الاستاذ توفيق عسيان ..

جمعية رعاية اليتيم :

تأسست سنة ١٩٥٢ برئاسة الحاج احمد رياض الجوهري وهدفها ايواء اليتام ورعايتهم وثقيفهم على اختلاف مذاهبهم . وتقدم هذه الجمعية للمجتمع الصيداوي اجل الخدمات الانسانية .

اما هيئتها الادارية للعام الحالي فتتألف من السادة :

الحاج احمد رياض الجوهري (الرئيس) يوسف الددا (نائباً للرئيس) السيد محمد سعيد المكاوي (اميناً للسر) عبدالله الجبيلي (محاسباً) الحاج حسن المكاوي (اميناً للصندوق) .

٦ - جمعية اليتيم العربي

تأسست سنة ١٩٥٤ برئاسة الدكتور فؤاد عسيان وغايتها انشاء دار لتعليم اليتام وايوائهم حتى يصبحوا شباناً صالحين يعملون لخدمة الوطن وخيره بدلاً من أن يكونوا مشردين وعالة على المجتمع في جنوب لبنان .

٧ - نادي الروتاري

تأسس فرع صيدا سنة ١٩٥٤ . وهدف النادي الاسهام في العمل الاجتماعي والثقافي وتنمية الصداقات بين اعضائه في مختلف انحاء العالم لرفع مستوى المهن التي يمثلها دائماً عضو في النادي ، وخدمة المجتمع الاقليمي بكافة الوسائل الصحية والثقافية والاجتماعية ..

وهيئة النادي الادارية الحالية تتألف من السادة :

الحاج عفيف الصلح رئيساً ، الاستاذ نظمي عزقول نائباً للرئيس ، الصيدلي نزار حريصي اميناً للسر ، رفيق نور اميناً للصندوق .
الاعضاء السادة : شفيق خلاط ، الدكتور جوزيف عيسى .
ومن رؤساء النادي السابقين السادة :

الحامي نظمي عزقول ، جورج دبانه ، الحامي شفيق لطفي ، الدكتور نزيه البزري ، الصيدلي سليم ايوب ، الحامي جورج نمور ، شفيق خلاط ، الدكتور سعد الله الخليل ..

٨ - الحركة الاجتماعية في صيدا

تأسست هذه الحركة في مدينة صيدا عام ١٩٦٤ وهي فرع من الحركة الاجتماعية في لبنان التي تأسست في بيروت سنة ١٩٥٨ وغايتها ان تملأ فراغ الشبيبة بتوجيههم نحو خدمة الناس والعمل على تنسيق الخدمات الطبية بين كل المستوصفات والجمعيات الخيرية والاندية الاجتماعية والاسهام في توعية المواطنين للاضطلاع بمسؤولياتهم والتجاوب مع الاجهزة الرسمية وتأدية بعض الخدمات الاجتماعية .

ويشرف على الحركة في صيدا :

سماحة الشيخ السيد موسى الصدر ، الاب سليم غزال الخلصي ، الانسة مليحة عسيران ، والاستاذ عبد المولى الصلح .

٩ - جمعية البر والتقوى

تأسست هذه الجمعية في صيدا عام ١٩٥١ ومن اهدافها : مساعدة المحتاجين وانشاء مدرسة مجانية ومكتبة للمطالعة المجانية . ويقتصر عملها على تقديم المساعدات المادية الموسمية للمحتاجين . ويرأس هذه الجمعية السيد عثمان محمد الجبلي ..

١٠ - جمعية لجنة جامع البحر الخيرية

تأسست سنة ١٩٦٤ . وغايتها : مساعدة الفقراء والمحتاجين واسعافهم عند الحاجة والترفيه عن البؤساء والاسر المستورة وهي تقوم بواجبها عن طريق

تقديم الاعانات الدورية والموسمية للمحتاجين والمرضى وتسهم في تأدية بعض الخدمات الاجتماعية العامة . ويرأس هذه الجمعية الشيخ عمر عبدالله الحلاق ..

غرفة التجارة والصناعة :

أسس الغرفة التجارية في صيدا المرحوم السيد يوسف ابو ظهر في ١٢ ايار سنة ١٩٣٣ واشترك معه السادة :

عزيز الحوري ، محمد محمود البعاصيري ، عمر جبيلي ، الحاج عبد المنعم عسيران ، الحاج محمود السنيورة ، الحاج حسن ابو زيد ، الحاج محمد مرجان ، منير البساط ، صفي الدين قدوره ، محمد حشيشو ، ونجيب الشماع .

وانتسب الى الغرفة وقتئذ (٣٤) تاجراً وصناعياً .. وتزايد عدد التجار والصناعيين المنتسبين اليها فبلغ في هذا العام (١٩٣) تاجراً وصناعياً .

وتتألف هيئتها الادارية حالياً من السادة :

السيد وجيه ابوظهر رئيساً ، السيد شريف الانصاري نائباً للرئيس ، الحاج علي الزعتري ، عازر النحاس ، محمد علي الشماع ، جورج عوده ، الحاج مصطفى البساط ، محمد بطاح ، سامي عسيران ، احمد مختار البابا ، محمد منير الكرجية ، اعضاء .

النقابات الحرفية :

في صيدا ست نقابات حرفية رسمية تضم (٤١٥) نقابياً حرفياً يتوزعون على الشكل التالي :

١ - نقابة اصحاب محلات الاحذية وتضم (٧٥) نقابياً . هيئتها الادارية تتألف من السادة :

مصطفى وهبي ، سعد الدين عجرم ، محمد نقوزي .

٢ - نقابة القصابين وتضم (٥٠) نقابياً رئيسها السيد عمر الحلبي وامين سرها

السيد سليم ابو ظهر .

٣ - نقابة الحلاقين وتضم (٦٠) حلاقاً رئيسها السيد عبد الحفيظ شمس الدين وامين سرها السيد حسين ابو زينب .

٤ - نقابة اصحاب الصناعات الخشبية ينتمي اليها (٦٠) نقابياً رئيسها السيد محمد البيطار وامين سرها السيد كرم سمهون .

٥ - لجنة محلات الحدادة والميكانيك وتضم (٤٠) نقابياً . هيئتها الادارية تتألف من السادة :

بكري سانتينا ، احمد سليم الارناؤوط ، عبد الرحمن ياسين آغا ، سليم عاصي .

٦ - لجنة بائعي الخضار وتضم (١٣٠) نقابياً رئيسها السيد محمد البخور وامين سرها السيد محمود البساط .

النقابات العمالية :

في صيدا (١٣) نقابة عمالية تضم (١٧٨٠) عاملاً موزعين على الشكل التالي :

١ - نقابة سائقي السيارات وينتمي اليها (٣٠٠) سائق يرأس النقابة السيد فؤاد كساب ويتولى امانة سرها السيد محمد عفيف شمس الدين .

٢ - نقابة عمال النجارة : ينتمي اليها (٢٥٠) عاملاً رئيس النقابة الحالي السيد محمد خضر الصباغ وامين سرها السيد محمد سنجر .

٣ - نقابة عمال الافران : تضم (٧٠) عاملاً . رئيس النقابة السيد احمد سمح الصفدي ، وامين سرها السيد عبد السلام حنقير .

٤ - نقابة عمال ومستخدمي المقاهي والمطاعم والفنادق ومحلات الحلويات ينتمي الى هذه النقابة (١٢٠) عاملاً يرأسها السيد مصطفى جمال ويتولى امانة سرها السيد احمد عبد الحليم البابا .

٥ - نقابة عمال القصابين وتضم (٥٠) عاملاً يرأسها السيد علي الناقوت ويتولى امانة سرها السيد عفيف الدياسي .

٦ - نقابة عمال وعاملات الخياطة : ينتمي اليها (٥٠) عاملاً وعاملة . رئيسها السيد محمد الصباغ .

٧ - نقابة عمال ومستخدمي التجارة وتضم (١٥٠) عاملاً ومستخدماً . رئيسها السيد مصطفى محمود دندشلي وامين سرها السيد محمد الرواس .

٨ - نقابة عمال الميكانيك وتضم (٧٠) عاملاً في الوقت الحاضر وليس لها مجلس ادارة اذ رخص لها مؤخراً في ٢٢ آذار سنة ١٩٦٦ .

٩ - نقابة عمال البساتنة « وهي النقابة الزراعية الوحيدة في لبنان » : تضم حالياً (١١٠) عمال يرأسها السيد احمد الحريري ويتولى امانة سرها السيد عثمان عنتر .

١٠ - نقابة عمال شركة التابلان وتضم (٢٤٠) عاملاً ومستخدماً . يرأسها المحامي ايوب الشامي ويتولى امانة سرها السيد عفيف يونان .

١١ - نقابة عمال شركة المصفاة (مديكو) وتضم «١٦٠» عاملاً ومستخدماً يرأسها السيد محمد سعيد المكاي ويتولى امانة سرها السيد درويش النقوزي .

١٢ - لجنة نقابة عمال المطابع وتضم (٣٠) عاملاً يرأس النقابة السيد ابراهيم القبرصلي ويقوم بامانة سرها السيد محمد البغدادى .

١٣ - نقابة صيادي الأسماك وينتمي اليها (١٨٠) بحاراً وصياداً . يرأسها السيد محمد شريف المصري ويتولى امانة سر النقابة السيد سليم جمعة .

الحكام بعد اعلان دولة لبنان الكبير

- ١ - القومندان ترايو ١ ايلول ١٩٢٠ - ٢ ايار سنة ١٩٢٣ .
- ٢ - السيد اوبوار ١٢ ايار سنة ١٩٢٣ - ٢٧ حزيران ١٩٢٤ .
- ٣ - الجنرال فندنبيرغ ٢٧ حزيران سنة ١٩٢٤ - ١٣ كانون الثاني ١٩٢٥ .
- ٤ - السيد كايل ١٣ كانون الثاني ١٩٢٥ - ٢٥ ايار ١٩٢٦ .

رؤساء الجمهورية اللبنانية

١٩٢٦ - ١٩٦٦

- ١ - الاستاذ شارل دباس ٢٦ ايار ١٩٢٦ - ١ كانون الثاني ١٩٣٤ .
- ٢ - حبيب باشا السعد ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٤ - ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦ .
- ٣ - الاستاذ اميل اده ٢٠ كانون الثاني ١٩٣٦ - ٤ نيسان ١٩٤١ .
- ٤ - الاستاذ الفرد نقاش ٢٤ تشرين الاول ١٩٤١ - ١٨ آذار ١٩٤٣ .
- ٥ - ايوب ثابت (رئيس دولة) ١٨ آذار ١٩٤٣ - ٢١ تموز سنة ١٩٤٣ .
- ٦ - بيتر و طراد (رئيس دولة) ٢٢ تموز سنة ١٩٤٣ - ٢١ ايلول ١٩٤٣ .
- ٧ - الشيخ بشاره الحوري ٢١ ايلول ١٩٤٣ - ١٩ ايلول ١٩٥٢ .
- ٨ - الاستاذ كميل شمعون ٢٢ ايلول ١٩٥٢ - ٢٣ ايلول ١٩٥٨ .
- ٩ - الامير اللواء فؤاد شهاب ٢٣ ايلول ١٩٥٨ - ٢٣ ايلول ١٩٦٤ .
- ١٠ - الاستاذ شارل الحلو ٢٣ ايلول ١٩٦٤ - حالياً .

المفوضون السامون الفرنسيون

في سوريا ولبنان

١٩١٨ - ١٩٤٥

- ١ - السيد جورج بيكو ٩ تشرين الاول ١٩١٨ - ٨ تشرين الاول ١٩١٩ .
- ٢ - الجنرال غورو ٨ تشرين الاول ١٩١٩ - ٨ ايار ١٩٢٣ .

الفصل الثامن

حكام لبنان

١٩١٥ - ١٩٢٦

العهد العثماني :

- ١ - المتصرف علي منيف بك ١٩١٥ - ١٩١٧
- ٢ - المتصرف اسماعيل حقي بك ١٩١٧ - ١٩١٨
- ٣ - المتصرف ممتاز بك تموز ١٩١٨ - ايلول ١٩١٨

الحكم العربي

- ١ - الاميران مالك شهاب وعادل ارسلان ١ - ٧ تشرين الاول ١٩١٨ .
- ٢ - حبيب باشا السعد من ٧ - ١٩ تشرين الاول سنة ١٩١٨ .

الحكم الفرنسي

- ١ - الكابتين بوشر ٢٠ تشرين الاول ١٩١٨ - اواخر عام ١٩١٨ .
- ٢ - القومندان سيشه ١٩١٩ .
- ٣ - القومندان لافرو ١٩١٩ - آخر آب ١٩٢٠ .

- ٣ - الجنرال ويغاند ٩ ايار ١٩٢٣ - ٣١ كانون الاول ١٩٢٤ .
 ٤ - الجنرال ساراي ٢ كانون الثاني ١٩٢٥ - ١ كانون الاول ١٩٢٥ .
 ٥ - السيد دي جوفنيل ٢ كانون الاول ١٩٢٥ - ١١ تشرين الاول ١٩٢٦ .
 ٦ - هنري بونسو ١٢ تشرين الاول ١٩٢٦ - ١١ تشرين الاول ١٩٣٣ .
 ٧ - الكونت دي مارتيل ١٢ تشرين الاول ١٩٣٣ - ١١ كانون الثاني ١٩٣٨ .
 ٨ - السيد جبريال بيو ١٢ كانون الثاني ١٩٣٨ - ١ كانون الاول سنة ١٩٤٠ .
 ٩ - الجنرال دانتر ٣٠ كانون الاول ١٩٤٠ - ١٣ تموز سنة ١٩٤١ .
 ١٠ - الجنرال كاترو (المندوب العام) ١٤ تموز سنة ١٩٤١ - ٨ حزيران سنة ١٩٤٣ .

- ١١ - السيد هلكو (المندوب العام) ٩ حزيران ١٩٤٣ - ٩ آذار سنة ١٩٤٤ .
 ١٢ - الجنرال بيتيه (المندوب العام) ١٠ آذار ١٩٤٤ - ٣١ كانون الاول ١٩٤٦ .

اسماء من تولى رئاسة المجلس النيابي اللبناني

ورئاسة الوزارة والوزراء من ابناء صيدا

- السيد عادل عسيران : تولى رئاسة المجلس النيابي عدة مرات .
 والوزارة عدة مرات .
 السيد رياض الصلح رئاسة الوزارة « ٦ » مرات .
 الدكتور فؤاد عسيران الوزارة « ١ » مرة واحدة .
 الدكتور نزيه البزري الوزارة « ٢ » مرتين .

محافظو صيدا

١٩١٩ - ١٩٦٦

- ١ - قائمقام - فؤاد عازوري ١٩١٨ - ١٩١٩ .
 ٢ - السيد رشيد جنبلاط ، متصرف الجنوب . ١٩١٩ - ١٩٢١ .

- ٣ - الامير توفيق ارسلان ، متصرف الجنوب ١٩٢١ - ١٩٢٤ .
 ٤ - السيد نقولا غصن ، متصرف « ستة أشهر » ١٩٢٤ - ١٩٢٥ .
 ٥ - الشيخ كسروان الحازن ، محافظ الجنوب ١٩٢٥ - ١٩٢٧ .
 ٦ - السيد عبد الله الخوري سعادته ، محافظ الجنوب ١٩٢٧ - ١٩٢٨ .
 ٧ - السيد محمود تقي الدين ، محافظ الجنوب ١٩٢٨ - ١٩٢٩ .
 ٨ - السيد كميل الشدياق ، محافظ الجنوب ١٩٢٩ - ١٩٣٠ .
 ٩ - الشيخ يوسف زخريا ، محافظ الجنوب ١٩٣٠ - ١٩٣١ .
 ١٠ - السيد كميل الشدياق (ثانية) محافظ الجنوب ١٩٣١ - ١٩٣٤ .
 ١١ - السيد اسعد عقل ، محافظ الجنوب ١٩٣٤ - ١٩٤٠ .
 ١٢ - السيد اديب النحاس ، محافظ الجنوب ١٩٤١ - ١٩٤٣ .
 ١٣ - السيد فؤاد صوايا ، محافظ الجنوب ١٩٤٣ - ١٩٤٧ .
 ١٤ - السيد اميل خوري (قائمقام قضاء صيدا) (١) ١٩٤٣ - ١٩٥٨ .
 ١٥ - الامير عبد العزيز شهاب ، محافظ الجنوب ١٩٤٧ - ١٩٥٢ .
 ١٦ - السيد ميشال الجاهل ، محافظ الجنوب ١٩٥٢ - ١٩٥٨ .
 ١٧ - السيد غالب الترك ، محافظ الجنوب ١٩٥٨ - ١٩٦٥ .
 ١٨ - السيد هنري لحود ، محافظ الجنوب ايلول ١٩٦٥ - حالياً

نواب صيدا

١٩٢٠ - ١٩٦٦

- ١ - السيد يوسف الجوهري ١٩٢٠ - ١٩٢٢ عضو في اللجنة الادارية للبنان الكبير .
 ٢ - السيد نجيب عسيران ١٩٢٢ - ١٩٢٥ المجلس النيابي الاول
 ٣ - السيد نجيب عسيران ١٩٢٥ - ١٩٢٨ المجلس النيابي الثاني

(١) اضطلع بمهام المحافظ بالوكالة مرات متعددة خلال الفترة المذكورة .

١٩٥٤ - ١٩٣٧	السيد صلاح البزري
١٩٥٩ - ١٩٥٤	الدكتور نزيه البزري
١٩٦٣ - حالياً	الاستاذ معروف سعد

ويتألف المجلس البلدي الحالي الذي تم انتخابه في ١٤ آب ١٩٦٣ من السادة:
مصطفى القطب ، احمد الحريري ، سليم جمعة ، بدوي النابلسي ، الدكتور
جوزيف عبسي ، جبريال رزق الله ، عبد المنعم شعيب ، عبد السلام الاسير ،
محمد المجذوب ، الدكتور رفيق حنينه ، المهندس امين حمود ، صلاح طه البابا ،
عبد اللطيف البوبو .

المستشارون الفرنسيون في صيدا

خلال فترة الانتداب

١٩١٨ - ١٩٤٥

١٩١٨	١ - الكابتين فيجر
١٩١٩	٢ - القومندان شاربا نثير
١٩٢١	٣ - السيد لوسونير
١٩٢١	٤ - السيد بانسون
١٩٢٤	٥ - القومندان مارتان
١٩٢٧	٦ - السيد مار
١٩٣٠	٧ - السيد برنو
١٩٣٢	٨ - القومندان جاكوم
١٩٣٤	٩ - القومندان بتشكوف
١٩٣٧	١٠ - الكابتين بارت
١٩٣٩	١١ - السيد ديمارسي
١٩٤٥ - ١٩٤١	١٢ - السيد ديمون

١٩٢٩ - ١٩٣٢	المجلس النيابي الثالث	٤ - السيد نجيب عسيران
١٩٣٧ - ١٩٣٤	المجلس النيابي الرابع	٥ - السيد نجيب عسيران
١٩٤٠ - ١٩٣٧	المجلس النيابي الخامس	٦ - السيد نجيب عسيران
١٩٤٧ - ١٩٤٣	المجلس النيابي السادس	٧ - السيد رياض الصلح
١٩٥١ - ١٩٤٧	المجلس النيابي السابع	٨ - السيد رياض الصلح
١٩٥١ - ١٩٥١	المجلس النيابي الثامن	٩ - السيد رياض الصلح
١٩٥٣ - ١٩٥١	المجلس النيابي الثامن ^(١)	١٠ - السيد صلاح البزري
١٩٥٧ - ١٩٥٤	المجلس النيابي التاسع	١١ - الدكتور نزيه البزري
١٩٦٠ - ١٩٥٧	المجلس النيابي العاشر	١٢ - السيد معروف سعد
١٩٥٧ - ١٩٥٠	المجلس النيابي الحادي عشر	١٣ - السيد معروف سعد
١٩٦٤ - (حالياً)	المجلس النيابي الثاني عشر	١٤ - السيد معروف سعد

رؤساء بلدية صيدا

١٩٠٠ - ١٩٦٦

١٩١٠ - ١٩٠٠	السيد ابراهيم الجوهري
١٩١٤ - ١٩١٠	السيد الحاج مصباح البزري
١٩١٦ - ١٩١٤	السيد محمود كالو
١٩٢٠ - ١٩١٦	السيد احمد توفيق اسماعيل النقيب
١٩٢٢ - ١٩٢٠	السيد الحاج مصباح البزري (ثانية)
١٩٢٣ - ١٩٢٢	السيد يوسف الجوهري
١٩٣٢ - ١٩٢٣	السيد الحاج سعيد البزري
١٩٣٧ - ١٩٣٣	السيد بهيج الجوهري

(١) اثر اغتيال السيد رياض الصلح في عمان تقرر اجراء الانتخاب للمركز الشاغر
ففاز بالنيابة السيد صلاح البزري .

المفتون في صيدا

- ١ - الشيخ مصطفى المغربي ١٨٦٠
- ٢ - الحاج عثمان الزين ١٨٨٦
- ٣ - الشيخ مصطفى المجذوب الملا ١٩٠٢
- ٤ - الشيخ بهاء الدين الزين ١٩١٤
- ٥ - السيد كمال المغربي ١٩١٨
- ٦ - الحاج حسن الددا ١٩١٩
- ٧ - الحاج سعد الدين الصلح ١٩٢٠
- ٨ - الشيخ بهاء الدين الزين (ثانية) ١٩٤٠ - ١٩٦٤
- ٩ - الشيخ انيس حمود ١٩٦٥ - (حالياً)

اساقفة صيدا لطائفة الروم الكاثوليك

١٦٠٤ - ١٩٦٦

- ١ - المطران اغناطيوس عطيه ١٦٠٤ - ١٦١٩ إذ انتخب بطريركا على الطائفة الكاثوليكية .
- ٢ - المطران مرقس ١٦١٩ - ١٦٣٤
- ٣ - المطران سابا ١٦٣٥ - ١٦٤٨
- ٤ - المطران ارميا ١٦٤٨ - ١٦٨٢
- ٥ - المطران افثيموس الصيفي^(١) ١٦٨٢ - ١٧٢٣
- ٦ - المطران اغناطيوس البيروتي ١٧٢٤ - ١٧٥٥
- ٧ - المطران باسيليوس جلفاف ١٧٥٥ - ١٧٦٣
- ٨ - المطران اثناسيوس جوهر ١٧٦٣ - ١٧٨٨

١ - تجد نبذة عن سيرته ص ٣٠٦ من كتابنا .

- ٩ - المطران اغابيوس مطر ١٧٩٥ - ١٧٩٦
- ١٠ - المطران اثناسيوس مطر ١٨٠٠ - ١٨١٣
- ١١ - المطران باسيليوس خليل ١٨٢١ - ١٨٣٦
- ١٢ - المطران ثاودسيوس قيو مجي ١٨٣٦ - ١٨٨٦
- ١٣ - المطران باسيليوس حجار ١٨٨٧ - ١٩١٦
- ١٤ - المطران اثناسيوس خرياطي ١٩٢٠ - ١٩٣١
- ١٥ - المطران نيقولاوس نبعة ١٩٣١ - ١٩٤٦
- ١٦ - المطران باسيليوس خوري ١٩٤٧ - حالياً^(١)

اساقفة صيدا لطائفة الروم الارثوذكس

١٨٥٠ - ١٩٦٦

- ١ - المطران جراسيموس فرح ١٨٥٠ - ١٨٦٤
- ٢ - المطران جراسيموس طراد ١٨٦٥ - ١٨٦٧
- ٣ - المطران ميصائيل اشبريان ١٨٦٧ - ١٩٠٦
- ٤ - المطران ايليا ديب ١٩٠٩ - ١٩١٤
- ٥ - المطران ثيودوسيوس ابو رجيلي ١٩٢٣ - ١٩٤٨
- (البطريرك الارثوذكسي حالياً) .
- ٦ - المطران بولس الخوري ١٩٤٨ - (حالياً)

اساقفة صيدا لطائفة الموارنة

١٩١٩ - ١٩٦٦

- ١ - المطران اوغسطين البستاني ١٩١٩ - ١٩٥٤
- ٢ - المطران انطونيوس خريش ١٩٥٤ - (حالياً)

١ - كل الاساقفة من افثيموس الصيفي حتى يومنا هذا هم من رهبان دير الخلد .

الفصل التاسع

المناطق الأثرية في صيدا

آثار صيدا كثيرة جداً منها ما يعود تاريخه الى العصور الفينيقية المختلفة واخرى إلى العقود الميحية والعربية والصليبية والمعنية والكلام عنها بالتفصيل يحتاج وحده إلى مجلد خاص . ومع هذا فقد رأينا من واجبنا ونحن ندون تاريخ صيدا ان نفرّد هذا الفصل للحديث بإيجاز عن أشهرها فنقول :

١ - مقام ابا روح (ابو الروح)

يقال انه يعود للصحابي شبيب بن ذي الكلاع وليس ثمة ما يؤكد صحة هذا القول ونسبته الى ذلك الصحابي الجليل ، ويرجح بعض المدققين نسبته الى احد تلامذة ذلك الصحابي او الى الشيخ عبد الله الخراساني الذي عرف عنه معرفته للطب والفلك وقد اقام في صيدا ودفن في الموضع الذي كان يقيم فيه واقام له جمهرة تلامذته قبراً ومزاراً (لانه كان يشفي مرضاهم صحياً وروحياً) اطلقوا عليه مزار ابي الروح .

والضريح يقع في غرفة مربعة الشكل تعلوها قبة مبنية بالحجارة القديمة ، يعود تاريخ بنائه الى القرن السابع عشر وهو يقع في الجهة الجنوبية من صيدا على

نشر رملي من الارض قرب الشاطيء ويفصل بينه وبين صيدا نهر البرغوث . وتعتني بالمقام اسرة يحيى البطان .

٢ - مقام الست نفيسة

يعود هذا المقام الى سيدة مغربية مثرية ، وقد اشترت تلك البقعة وما جاورها وأوصت قبل وفاتها ان تدفن في ضريح اقامته لنفسها في هذا الموقع . وهذا المقام يقع في حي الدكرمان في شارع متفرع من بوليفار رياض الصلح ويزوره النساء العواقر فيضئن الشموع فيه ويقدمن النذور حتى تتوسل صاحبة المقام امام الباري ليرزقهن اولاداً . ويعود المقام إلى اسرة آل حمود الصيداوية .

٣ - مقام النبي يحيى

وهو مقام مقدس من المسلمين والمسيحيين اذ يعتقدون انه يعود للنبي يحيى « القديس يوحنا المعمدان » - وقد دفن جثمانه فيه - وهذا قول فيه كثير من الشك لان يوحنا المعمدان قتل ودفن في الجليل في فلسطين . وكل ما يمكن تأكيده من القول ، انه اقيم في هذا الموقع كنيسة ضمت بعض رفات هذا القديس ثم تحولت الكنيسة في ايام المماليك الى مسجد تهدم بفعل الزلازل ثم بني بشكل مزار على اسم النبي يحيى .

ويقع هذا المقام شرقي صيدا على تلة مرتفعة في محلة « حارة صيدا » يشرف على المدينة . وتاريخ بنائه الحالي يعود الى الربع الاول من هذا القرن ... وترعى المقام اسرة محمد صالح الصيداوية .

٤ - مقام مار الياس

يروى ان هذا المقام اقيم في مكان هيكل وثني لعبادة الشمس ولما جاء مار الياس قضى على كهنة الهيكل ثم ابطل عبادة الشمس واعاد الناس الى عبادة الله ،

وهناك مفاوضات تجري حالياً مع دائرة الاوقاف للسماح الى دار اليتيم ببناء مسجد ودار للابتام في هذا الموقع .



صورة جانبية لناووس مكتشف في جوار مار الياس

٦ - هيكل صيدون

يعتقد اليهود انه يعود الى زبلون « ابن النبي يعقوب » ولذا كانوا يزورونه للتبرك به وتقديم الهدايا له وتزيينه بين آن وآخر بالستائر الحريرية والخمالية ذات اللون الاخضر ، ولا يزال فيه ستار منقوش عليه آيات من التوراة باللغة العبرية حتى اليوم .

ويعتقد البعض انه يعود الى صيدون باني صيدا . وهذا الهيكل محترم من المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء وفيه ايضاً ستائر مدون عليها بعض الآيات القرآنية الكريمة . والمقام مستدير الشكل تعلوه قبة ، وهو عائد للاوقاف الاسلامية وتشرف عليه وترعاه « اسرة عوكل الصيداوية » .

ويقع هذا الهيكل او المقام قرب حي البرغوت جنوبي صيدا .



صورة جانبية لناووس مكتشف بالقرب من مقام مار الياس

فما كان من الناس الا ان اطلقوا اسمه على الهيكل الذي تحول الى معبد يهودي ثم مسيحي تكريماً لذكراه واجلالاً لمقامه .

ويقع هذا الدير على قمة الجبل الذي يشرف مباشرة على حارة صيدا ويعود الى الطائفة المارونية ويتولى وكالته السيد سعيد رحيم والى جانب الدير تقع مقبرة تخص الموارنة كانوا يدفنون فيها موتاهم الى عهد قريب . اما تاريخ بنائه فيعود الى القرن السادس عشر . وقد البست جدرانها الحجرية القديمة بطبقة من الكلس في الربع الاول من القرن العشرين لتدعيمه ، فحجبت بهذا آثاره القديمة .

٥ - مقام شرحبيل بن حسنة

يعود هذا المقام الى الصحابي الجليل والقائد البطل الذي اشترك في فتح صيدا صحبة القائد يزيد بن ابي سفيان اذ اقام هذا القائد بعد ان تم فتح بلاد الشام في صيدا حتى توفي ودفن في المكان الذي اقيم على ارضه وفوق القبر بيت مربع الشكل تعلوه قبة مستديرة في بستان يشرف على مدينة صيدا من الجهة الشرقية الجنوبية « الحبابية » . ويعود المقام والبستان الى اسرة آل البابا ووكيله المشرف عليه حالياً ، هو السيد محمود البابا .

٧ - مقام ابو نخله (ابو النخل)

يعتقد انه يعود لمحمد بن الحنفية بن الامام علي بن ابي طالب وليس ما يؤكد صحة نسبته الى ابن الحنفية الا ما يذكره الخلف عن السلف والا وجود القبر في مسجد داخل المدينة القديمة يكاد يكون متهدماً نظراً لقدمه . ومما يذكره الرواة ان والده الامام علي دعا عليه ان يدفن في مسجد ليس فيه منبر للخطابة ولذلك فان المسجد الذي يضم القبر لا يحتوي على منبر للخطابة كبقية المساجد في المدينة .

وابو النخل هو لقب محمد بن الحنفية المذكور .

القلعة البحرية

بنيت في اوائل القرن الثالث عشر من قبل الصليبيين وهي قلعة كبيرة وجميلة ما برحت تحتفظ بالقسم الاكبر من هيكل بنائها وقد حصنت من الجهة



صورة داخلية لقلعة صيداء البحرية

الجنوبية المواجهة للمدينة تحصيناً قوياً لأن الصليبيين كانوا يعتمدون على قوتهم البحرية وتضم القلعة اليوم في قسمها الشرقي برجاً كبيراً له عدة بوابات لا تزال احداها قائمة وعلى سطح البرج يوجد جامع صغير يعود الى عهد المماليك وقد رمم في عهد فخر الدين . اما في القسم الغربي من القلعة فيقوم برج نصف دائري اقامه الصليبيون وقد رمم في عهد ابراهيم باشا المصري وهو لا يزال قائماً .

٩ - القلعة البرية (قلعة القديس لويس)

هي قلعة قديمة طبيعية تعود الى العصور الفينيقية الاولى . رممها اليونانيون والرومان والعرب واقاموا فيها مراكز للمراقبة والدفاع وقد تهدمت بتأثير الحروب



قلعة القديس لويس - (القلعة البرية)

والزلازل . ولما احتل الصليبيون صيدا عمدوا الى ترميمها واقامة سور حولها ليقمها الهجمات ، واشهر من تولى تحصينها لويس التاسع ملك فرنسا الذي اتخذ مركزاً له في حصنها اثناء اقامته في صيدا بين سنة (١٢٥٠ - ١٢٥٤ م) وترك للفرسان الهيكلين امر حمايته بعدئذ ولا تزال آثار قلعة لويس باقية حتى اليوم .

١٠ - هيكل اشمون

يقع الى الشرق الجنوبي من صيدا على مسافة ٣ كيلومترات من المدينة وعلى مرتفع يشرف على نهر الاولي بالقرب من الجسر المعني القديم في ارض يقال لها بستان آل الشيخ وهو يعود للاله اشمون معبود صيدا وقد بني أيام الملك بدعشترت بن عازر بن تبنيث ملك صيدا في اواخر القرن الخامس قبل الميلاد الذي بناه لإلهه اشمون الاقدس .

وتعمل الان دار الآثار اللبنانية في اظهار معالم هذا الهيكل الرائع الى عالم الوجود اذ تجري عمليات التنقيب في المكان المشار اليه وقد ظهر للعيان الآن ، باحة الهيكل بأعمدته الضخمة وحجارتها البيضاء الجميلة .

١١ - الجامع العمري الكبير

يقوم هذا المسجد على ربوة مرتفعة بعض الشيء ، تطل على البحر من جهة



منظر حديث لصيدا

الغرب . وموقعه في احياء صيدا القديمة الى الغرب من كلية المقاصد الاسلامية للبنين . وهو اوسع مساجد المدينة على الاطلاق ؛ جميل الهندسة ، متين الدعائم ؛ بناه فرسان القديس يوحنا « Les HosPitaliers » في اواسط القرن الثالث عشر ليكون كنيسة تحمل اسم شفيعهم . ثم حوله المماليك مسجداً بعد استعادتهم صيدا في مطلع القرن الرابع عشر ولا يزال .

منظره الحالي يدل على جمال بنائه ؛ وتظهر من ركائزه القوية المتعددة على جوانبه متانة البناء ؛ كما تكشف طريقة هندسة نوافذه وابوابه وجدرانها طرازه الصليبي .

١٢ - قصر آل دبانة

يملك هذا القصر الذي يعود تاريخ بنائه الى أيام الأمير فخر الدين المعني الثاني الكبير في أوائل القرن السابع عشر - السيد جورج دبانة . ويعتبر هذا القصر الذي ما برح يحتفظ بطابعه الشرقي الجميل المزين بالزخارف



منظر داخلي من قصر آل دبانة

الايطالية البندقية من اجل القصور القديمة ويعود الفضل في الحفاظ عليه وبشكله الحالي الى صاحبه الذي يبذل الكثير من عنايته ليظل هذا القصر ينطق عن عظمة السلف الطيب .

١٣ - قاعة شمعايا

تقع هذه القاعة في قصر السيد نجيب جنبلاط في بلدة البرامية المشرفة على مدينة صيدا وقد بني القصر في أوائل القرن التاسع عشر. أما القاعة فقد جدد بناءؤها مؤخراً وتعتبر قطعة فنية خالدة لما تحويه من نقوش جميلة وتماثيل مرمرية وبحيرة قائمة على قواعد هي تماثيل أسود من الرخام الابيض الايطالي.. وهي من أجمل ما تقع عليه العين، مبنية على الطرازين العربي والتوسكاني .



قاعة شمعايا الأثرية في قصر آل جنبلاط بالبرامية

قائمة

بعض المراجع العربية المعتمدة

- ١ - الآباء اليسوعيون
تقويم البشير - « اجزاء مختلفة »
- ٢ - ابن الاثير
الكامل « ٦ مجلدات » القاهرة ١٩٤٠
- ٣ - الخوري عيسى أسعد
تاريخ حمص « الجزء الاول » حمص ١٩٤٠
- ٤ - ا. بواد بار وج. لوفري
صيدا التحسينات الاثرية لميناء صيدا - وزارة الأشغال العامة اللبنانية - بيروت ١٩٥١
- ٥ - غالب الترك
محاضراته عن محافظة الجنوب
الندوة اللبنانية وفادي الخريجين للجامعة الاميركية - بيروت ١٩٦١ و ١٩٦٤
- ٦ - الدكتور علاء الدين الخاني وواصف الخيمي ووصفي عفلق
« تاريخ العرب - الحديث والمعاصر » دمشق : وزارة التربية والتعليم ١٩٦٠
- ٧ - قسطنطين خمار
الموجز في تاريخ القضية الفلسطينية - المكتب التجاري - بيروت ١٩٦٥

٨ - اميل خوري وعادل اسماعيل

السياسة الدولية في الشرق العربي « ٣ اجزاء » - بيروت
دار النشر للسياسة والتاريخ ١٩٥٩ - ١٩٦١

٩ - المطران بولس الخوري

المدن القديمة - المدينة الفينيقية - « احاديث ألقيت
في الاذاعة اللبنانية »

١٠ - يوسف أسعد داغر

مصادر الدراسة الادبية « الجزء الثاني » الفكر العربي الحديث
في سير اعلامه . منشورات جمعية اهل القلم - بيروت ١٩٥٥

١١ - المطران يوسف الدبس

تاريخ سورية - بيروت

١٢ - ل. ول ديورانت

قصة الحضارة (الجزء الثاني) الشرق الأدنى - ترجمة محمد بدران
جامعة الدول العربية - القاهرة ١٩٥٠

١٣ - نقولا زيادة

مدن عربية - بيروت ١٩٦٥

١٤ - الشيخ أحمد عارف الزين

تاريخ صيدا - مطبعة العرفان - صيدا ١٩١٣

١٥ - الشيخ طنوس بن يوسف الشدياق

اخبار الاعيان في جبل لبنان (جزءان) بيروت :
مكتبة العرفان ١٩٥٤

١٦ - الأمير حيدر الشهابي

لبنان في عهد الأمراء الشهابيين - تحقيق اسد رستم
وفؤاد افرام البستاني - بيروت - ١٩٥١

١٧ - سعيد عقل

قدموس بيروت ١٩٦٤

١٨ - الخوري بولس قرألي

الأمير فخر الدين المعني ودولة توسكانا (المطبعة الكاثوليكية
بيروت ١٩٣٧)

١٩ - محمد كرد علي

خطط الشام « ٦ مجلدات » دمشق ١٩٢٥

٢٠ - وليم لانجر

موسوعة تاريخ العالم (٤ اجزاء) ترجمة الدكتور
محمد مصطفى زيادة - القاهرة ١٩٦٣

٢١ - حليم مجدلاي

دليل صيدا الاثري - المكتبة العصرية - صيدا - ١٩٦٥

٢٢ - شاكر مصطفى

في التاريخ العباسي (الجزء الأول) دمشق ١٩٥٧

٢٣ - فؤاد مطر

رؤساء لبنان - من شارل حلو إلى شارل دباس
بيروت سنة ١٩٦٤

٢٤ - الرئيس اول محمد خالد مطرجي

مع أبطالنا في فلسطين دمشق ١٩٥٤

٢٥ - علي ناصر الدين

قضية العرب بيروت ١٩٦٣

٢٦ - صالح بن يحيى

تاريخ بيروت بيروت ١٩١٢

٢٧ - جرجي يني

تاريخ سورية بيروت ١٨٨١

- † 11 — PHILIP K. HITTI Syria, A Short History
(London; Macmillan & CO. 1959)
- 12 — LEON HOMO Histoire d'Orient
Paris, Librairie Arthène Fayard, 1945.
- 13 — H. HOURANI Syria and Lebanon
(London; Oxford, University Press. 1954)
- 14 — ADEL ISMAIL Histoire du Liban du XVII siècle à nos
jours, Tome I
- ك 15 — ADEL ISMAIL Le Liban au temps de Fakhr Ed-din II
Paris, Librairie Orientale 1955) TOME IV
- 16 — H. LAMMENS Histoire de la Syrie — 2. V. Beyrouth
1921.
- † 17 — S. MOSCATI Histoire et civilisation des peuples sémi-
tiques. Paris, Payot 1955.
- 18 — JACUES NANTET Histoire du Liban. Paris, Ed. de Minuit
1963.
- 19 — CHARLES-ROUX La France et les Chrétiens d'Orient.
Paris 1939.

قائمة

بعض المراجع الاجنبية المعتمدة

- 1 — ROBERT BOULAN- (Liban)
GER (Paris, Librairie Hachette 1955)
- 2 — MICHEL CHEBLI (Une histoire du Liban à l'époque des
Emirs) 1635-1841)
Beyrouth 1955
- 3 — MAURICE CHEHAB III — Tome Bulletin du Musée de Bey-
routh. Imp. Catholique — Beyrouth.
- 4 — MAURICE CHEHAB Mosaïques du Liban
Imp. Catholique, Beyrouth 1961.
- 5 — G. CONTENEAU (Histoire de la Phénicie)
- 6 — LE CHEVALIER (Paris, Payot 1945).
DARVIEUX Mémoire; 6 Vol. Paris, 1735.
- 7 — G. DE MOMBYNES La syrie à l'époque de Mamelouks.
Paris 1923.
- 8 — MAURICE DUNAND (La Civilisation Phénicienne)
Beyrouth 1965.
- 9 — R. DUSSAUD La Syrie Antique et médiévale, illustrée;
Paris, 1931.
- 10 — STEPHANE GSELL Histoire ancienne de l'Afrique du nord.
8 vol. Paris; (acad. desinscr, 1923.)
المجلدات الثلاثة الأولى — الخاصة بالفينيقيين
وقرطاجة

فهرس اعلام الاشخاص

- ١ -

- ابن عرب شاه ، شهاب الدين - ص : ١٨٧
 ابن عمار ، ص : ١٤٨
 ابن فريخ ، الامير منصور - ص : ٢٠٠
 ابن قطيش ، الشيخ محمد - ص : ٣٠٧
 ابن المبارك ، المحدث - ص : ١٣٥
 ابن محمد ، تمام - ص : ١٤٦
 ابن معرف العسقلاني ، ص : ١٤٨
 ابن يحيى ، صالح - ص : ١٨٣ و ٤١١
 ابو بكر الصديق ، ص : ١٢٠ و ١٢٢
 و ١٢٣
 ابو تمام ، الشاعر - ص : ١٥٠
 ابو حنيفة ، الامام - ص : ١٥٠
 ابو الذهب ، محمد بك - ص : ٢٧٢
 ابو رجيلي ، المطران ثيودوسيوس - ص : ٣٩٩
 ابو زيد ، الحاج حسن - ص : ٣٨٩
 ابو زيد ، سليمان - ص : ٣٨١
 ابو زينب ، حسين - ص : ٣٩٠
 ابو شامات ، سمعان - ص : ٣٨٠
 ابو شهلا ، حبيب - ص : ٣٤٠
 ابو صالح ، زيدان - ص : ٣٨٠
 ابو طالب بن عبد المطلب ، ص : ١١٨
 ابو طوق ، عثمان باشا - ص : ٢٦٢
 ابو ظهر ، زهير - ص : ٣٥٦ و ٣٨٥
 ابو ظهر ، سليم - ص : ٣٩٠
 ابو ظهر ، سعيد - ص : ٣٨٠
 ابو ظهر ، الدكتور فؤاد - ص : ٣٧٨
 ابو ظهر ، الدكتور لبيب - ص : ٣٧٨
 ابد الينموس ، ملك صيدون - ص : ٧٩
 ابراهيم باشا المصري ، ص : ٢٩١ و ٢٩٣ و ٤٠٥
 ابراهيم باشا - والي صيدا - ص : ٢٨٤ و ٢٨٦
 ابراهيم باشا - والي مصر - ص : ١٩٧
 ابراهيم ، حافظ - الشاعر - ص : ٣٦٤ و ٣٦٩
 ابراهيم ، يوسف - ص : ٣٨٠
 ابرهة الاشرم - ص : ١١٨
 ابن آثال ، الطبيب - ص : ١٣٠
 ابن الاثير ، المؤرخ - ص : ١٢٦ و ١٥٧ و ١٦٣ و ١٦٥ و ١٨٠ و ٤٠٩
 ابن تيمية ، الامام - ص : ١٨٧
 ابن جبير ، الرحالة - ص : ١٧٣
 ابن جميع ، الحافظ الصيداوي - ص : ١٤٦
 ابن حنبل ، الامام احمد - ص : ١٥١
 ابن الحنشي ، الامير ناصر الدين محمد - ص : ١٩٦ و ١٩٧
 ابن الحنفية ، محمد - ص : ٤٠٤
 ابن خلكان ، المؤرخ - ص : ١٨٧
 ابن صبح ، شهاب الدين - ص : ١٨٠
 ابن طلاب ، ابو نصر - ص : ١٤٦
 ابن طولون ، احمد - ص : ١٤٢
 ابن العبري ، المؤرخ - ص : ١٧٤

- ابو ظهر ، مصطفى - ص : ٣٨٠
 ابو ظهر ، مفيد - ص : ٣٨١
 ابو ظهر ، وجيه - ص : ٣٨٩
 ابو ظهر ، يوسف - ص : ٣٨٩
 ابو عبدالله الشيعي - ص : ١٤٤
 ابو عبدالله الصوري - ص : ١٤٦
 ابو عبيدة بن الجراح - ص : ١٢٠ و ١٢٢ و ١٢٦
 ابو علوان ، المهندس شامل - ص : ٣٧٩
 ابو الفداء ، الايوبي - المؤرخ - ص : ١٧٩ و ١٨٦
 ابو اللمع ، الامير حسن - ص : ٢٦٢
 ابو اللمع ، الامير حسين - ص : ٢٦٠ و ٢٦٢
 ابو اللمع ، الامير عبدالله - ص : ٢٦٠
 ابو ماضي ، ايليا - ص : ٣٦٩
 ابو هرموس ، محمود باشا - ص : ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١
 ابيفانيوس ، مطران صور - ص : ١١٥
 ابيلا ، المهندس انطون - ص : ٣٧٩
 ابيلا ، الدكتور يوسف - ص : ٣١٦ و ٣٥٨
 اتاتورك ، كمال - ص : ١٩١
 الاتاسي ، هاشم بك - ص : ٣٦٠
 انيشوس ، القائد - ص : ٩٥
 اجينور ، ملك صيدون - ص : ٤٥
 احتمان اوغلو ، حاكم حمص - ص : ١٩٢
 الاحدب ، الشيخ ابراهيم - ص : ٣١٠ و ٣٦٣
 احسان بك ، قائمقام صيدا - ص : ٣٠٠
 احمد ، المهندس حسين علي - ص : ٣٧٩
 احمس ، فرعون مصر - ص : ٤١
 الاخشيد ، والي مصر - ص : ١٤٣
 الاخشيدي ، بشارة - ص : ١٤٧ و ١٤٨
 الاخشيدي ، كافور - ص : ١٤٣
 الاخل التفلي ، الشاعر - ص : ١٣٣ و ١٣٧
 ادريس ، السيدة نهلة - ص : ٣٧٥
 ادلي ، عبدالله - قائمقام صيدا - ص : ٣٠٠
 اده ، الرئيس اميل - ص : ٣٤٠ و ٣٩٣
 ادهم باشا - متصرف صيدا - ص : ٣١٤
 ادونيس ، - ص : ٢٩
 ادي ، الدكتور وليم كنغ - ص : ٣٧٠ و ٣٧٢
 اذينة بن السميذع التدمري - ص : ٩٥ و ٩٦
 ارتحششتا الثاني (الفارسي) - ص : ٧١
 ارتحششتا الثالث (اوخوس) - ص : ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٩
 ارسلان باشا ، والي صيدا - ص : ٢٣٢
 ارسلان ، الامير توفيق - ص : ٣٩٥
 ارسلان ، الامير شكيب - ص : ٣٦٩
 ارسلان ، الامير عادل - ص : ٣٩٢
 الارسلاني ، الامير جمال الدين - ص : ١٩٦
 الارسلاني ، عضد الدولة - ص : ١٥٥ و ١٥٦
 الارسلاني ، الامير غالب - ص : ١٤٢
 الارسلاني ، الامير النعمان - ص : ١٤١
 اركاديوس ، الامبراطور - ص : ١٠٦
 ارمونيا ، بنت افروديت - ص : ٤٦
 ارميا ، مطران صيدا - ص : ٣٩٨
 الارناؤوط ، احمد سليم - ص : ٣٩٠
 الارناؤوط ، والي محمد باشا -

ص: ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٥٦
 ار نظاما ، ملك الميثانيين - ص: ٤٤
 ارنو ، الكولونيل - ص: ٣٣٨
 اريزو بن عبد الشري ، ملك الحثيين - ص: ٤٨
 آريس ، اله الحرب - ص: ٤٦
 اريسطو . الفيلسوف اليوناني - ص: ٧٧ و ٨٣ و ٨٧
 آريوس ، مؤسس المذهب الآريوسي - ص: ١١٤
 ازدشير بن بابك الساماني - ص: ٩٥
 ازمليكوس ، ملك صور - ص: ٧٩
 اسرحدون الاشوري - ص: ٦١ و ٦٢
 استراتون الاول ، ملك صيدون - ص: ٦٩ و ٧٠ و ٧١
 استراتون الثاني ، ملك صيدون - ص: ٦٩ و ٧٤ و ٧٩
 اسطفان ، الدكتور جورج - ص: ٣٧٨
 اسطفان ، نزيه - ص: ٣٥٧
 اسعد ، الخوري عيسى - ص: ٥ و ٢٤ و ٧٢ و ١٣٥ و ٣٦٩ و ٤٠٩
 الاسعد ، كامل - ص: ٣٦٤
 اسعد مخلص باشا ، والي صيدا - ص: ٢٩٨
 الاسعد ، ناصيف - ص: ٣٧١
 الاسكندر المكدوني ، - ص: ٤١ و ٧٤
 ٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و ٧٩ و ٨٠ و ٨٣
 اسماعيل آغا ، حاكم صيدا - ص: ٢٢٨
 اسماعيل باشا ، والي عكا - ص: ٢٥٦ و ٢٨٦
 اسماعيل ، الدكتور عادل - ص: ٢٩٦ و ٤٠٩ و ٤١٢ و ٤١٣
 اسماعيل ، المهندس فؤاد - ص: ٣٧٩
 اسود ، المهندس جان - ص: ٣٧٩
 الاسير ، عبد السلام - ص: ٣٩٧
 الاسير ، الشيخ يوسف - ص: ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣٦٣

اشبريان ، ميصائيل - مطران صيدا
 ص: ٣٩٩
 الاشرف ، سلطان الماليك - ص: ١٦٧ و ١٨٤
 اشرودر ، العالم الالماني - ص: ٢٣
 اشمون ، اله الشفاء - ص: ٢٩ و ٦٨ و ٦٩ و ٤٠٦
 اشمون عازار الاول ، ملك صيدون - ص: ٦٧ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٠
 اشمون عازار الثاني ، ملك صيدون - ص: ٦٩
 اشور بن سام - ص: ٥٦
 اشور نازيربال ، - ص: ٥٧ و ٦٠ و ٦٣
 اشيل ، البطل اليوناني - ص: ٥٥
 اصلان اليهودي - ص: ٢٧٥
 اغسطوس ، القيصر - ص: ٨٦ و ١٠٠ و ١١١
 اغسطينوش ، القديس - ص: ٢٥
 افثيموس ، الدكتور سليم - ص: ٣٥٨
 افثيموس ، الدكتور فرانسوا - ص: ٣٧٨
 افثيموس ، نقولا - ص: ٢٨٥
 افروديت ، الآلهة - ص: ٨٤
 افلاطون ، الفيلسوف - ص: ٨٣ و ٩٦
 الالباني ، حسن آغا - ص: ٢٣٠
 الياس ، القديس - ص: ٤٠١ و ٤٠٢
 اليلايوس ، ملك صور وصيدون - ص: ٦٠ و ٦١ و ٦٣
 امانيا ، الوزير المصري - ص: ٤٨
 امبرتيوس ، فرعون مصر - ص: ٤١
 امشترت ، ملكة صيدون - ص: ٧٠
 آمنة بنت وهب - ص: ١١٨
 امنمحات الاول ، فرعون مصر - ص: ٣٦
 امنهوتب الرابع (اخناتون) - ص: ٤٠ و ٤٩

امنوفيس الثاني ، فرعون مصر - ص: ٤٤
 امنوفيس الثالث ، فرعون مصر - ص: ٤٤
 آموري ، ملك القدس - ص: ١٦١
 الامين ، حسن - ص: ٢٨١
 الامين ، السيد محسن - ص: ٣٦٩
 الامين ، الأنسة نور - ص: ٣٨٠
 الامين ، الأنسة نجوى - ص: ٣٨٠
 امينياس الاثيني - ص: ٦٦
 اناتوليوس ، المشرع البيزنطي - ص: ١١٠
 انثيفون اليوناني - ص: ٨١ و ٨٢
 انجرامي ، الاميرال التوسكاني - ص: ٢١١
 اندراوس ، اسقف صيدا - ص: ١١٤ و ١١٥
 انسطاسيوس ، الامبراطور - ص: ١١٤
 الانصاري ، شريف - ص: ٣٨٢ و ٣٨٩
 الانصاري ، المهندس محمد - ص: ٣٧٩
 انطاكي ، الكسندرا - ص: ٣٧٣ و ٣٧٤
 انطاكي ، الدكتور لطفي - ص: ٣٧٨
 انطونيائي ، قيصر - ص: ٢١٢
 انطونيوس ، مرقس - ص: ٨٦
 انطيوخوس الاول - ص: ٨٢
 انطيوخوس الثاني - ص: ٨٢
 انطيوخوس الثالث (الكبير) - ص: ٨٢
 انطيوخوس ابيفانوس - ص: ٨٢
 انطيوخوس اوباتور - ص: ٨٢
 اوبوار ، الحاكم الفرنسي - ص: ٣٩٣
 اود نيراري الثاني ، الاشوري - ص: ٥٧
 اورخان ، السلطان العثماني - ص: ١٨٨
 اورخي نحشوب ، الحثي - ص: ٤٣

اورليان ، الفقيه السوري - ص: ١١٢
 اورليانوس ، الامبراطور الروماني - ص: ٩٧ و ٩٨
 اوروب ، بنت ملك صيدون - ص: ٤٥ و ٤٦
 اوزمباردي ، الوزير التوسكاني - ص: ٢١١
 اوسابيوس ، اسقف صيدا - ص: ١١٥
 اوطيخا ، - ص: ١١٤
 اوغست ، الملك فيليب - ص: ١٦٤
 اولمبياس ، ام الاسكندر المكدوني - ص: ٧٦
 اومو . ليون - ص: ٤١٢
 اياس باشا ، الوالي - ص: ١٩٣
 ايبك ، عز الدين - ص: ١٧٧
 ايتوبعل ، ملك صيدون - ص: ٦١ و ٦٣
 ايجو الثالث . الاعرج - ص: ١٦٥
 ايزولي ، القومندان - ص: ٣٣٦
 ايفاغوراس القبرصي ، ملك صيدون - ص: ٦٩ و ٧٤
 ايليا ، الدكتور الياس - ص: ٣٧٨
 ايليا ، ايليا - ص: ٣٨٠
 ايليا ، البطريك الاورشليمي - ص: ١١٤
 ايليا ، جميل - ص: ٣٨٠
 ايلوكابال ، الامبراطور - ص: ٩٤ و ٩٥
 ايوب ، الصبدي سليم - ص: ٣٧٩ و ٣٨٨
 ايوب ، السلطان نجم الدين - ص: ١٧٧
 ايوب ، الدكتور نلي ولارس - ص: ٣٧٨
 ايوب ، الصيدلي وديع - ص: ٣٥٨ و ٣٧٩
 الايوبي ، صلاح الدين - ص: ١٤٤

و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٨٤
 الايوبي ، الملك العادل - ص : ١٦٥
 الايوبي ، الملك الكامل ناصر الدين - ص : ١٦٦
 الايوبي ، الملك المعظم - ص : ١٦٦
 الايوبي ، الامير معن - ص : ١٥٩
 - ب -
 البابا ، احمد عبد الحليم - ص : ٣٩٠
 البابا ، احمد مختار - ص : ٣٨٩
 البابا ، صلاح طه - ص : ٣٧٥ و ٣٨٢ و ٣٩٧
 البابا ، الدكتور عبد الرحمن - ص : ٣٧٨
 البابا ، محمود - ص : ٤٠٣
 البابا ، السيدة مريم عرب - ص : ٣٧٥
 بابنيان ، الفقيه - ص : ١١٢
 بارباروس ، فريدريك - ص : ١٦٤
 بارت ، الكابيتين - ص : ٣٩٧
 البارودي ، الدكتور اسكندر - ص : ٣٦٠
 باريس ، من ابطال الياذة - ص : ٥٦
 باز ، جرجس - ص : ٢٨٤ و ٢٨٦
 باسيانوس ، الكاهن والقيصر - ص : ٩٤
 باسيلا ، الدكتور ناصيف - ص : ٣٧٨
 الباشا ، الخوري قسطنطين - ص : ١٣٥
 باشو ، نبينه - ص : ٣٨٣
 باشيكالوي ، التوسكاني - ص : ٢٤١ و ٢٤٢
 بانسون ، المستشار الفرنسي - ص : ٣٩٧
 بتشكوف ، القومندان - ص : ٣٩٧
 بجاني ، اميل - ص : ١١٢
 البحري ، الشاعر - ص : ١٥٠
 البخور ، محمود - ص : ٣٩٠
 بدران ، محمد - ص : ٤١٠
 بديع ، المهندس خضر - ص : ٣٧٩ و ٣٨٤
 بديع ، عفيف - ص : ٣٣٣
 بربير ، محمد - ص : ٣٨٤
 البرشا ، الدكتور نقولا - ص : ٣٧٩
 بركات ، شعبان - ص : ٣٨٠
 برونو ، المستشار الفرنسي - ص : ٣٩٧
 برويس ، الامبراطور - ص : ٩٨
 بروكس ، التاجر الانكليزي - ص : ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٦
 برونه ، الاخ جورج ليون - ص : ٣٧٣ و ٣٨٠
 البزري ، المحامي اديب - ص : ٣٨٠
 البزري ، المهندس امين - ص : ٣٧٩
 البزري ، انور - ص : ٣٨٣
 البزري ، الحاج سعيد - ص : ٣٩٦
 البزري ، الشهيد سعيد - ص : ٣٤٣
 البزري ، صلاح - ص : ٣٩٦ و ٣٩٧
 البزري ، عبدالله - ص : ٣٣٢
 البزري ، عبد المنعم - ص : ٣٨٢
 البزري ، عبد الوهاب - ص : ٣٨٦
 البزري ، الحاج علي - ص : ٣٨٥
 البزري ، علي - ص : ٣٧١
 البزري ، المهندس فؤاد - ص : ٣٧٩
 البزري ، محي الدين - ص : ٣٣٢
 البزري ، الحاج مصباح - ص : ٣٩٦
 البزري ، الدكتور نزيه - ص : ٣٧٨ و ٣٨٨ و ٣٩٤ و ٣٩٦ و ٣٩٧
 البزري ، القاضي يونس - ص : ٢٩٠ و ٢٩١
 البساط ، بدوي - ص : ٣٦٢
 البساط ، المهندس بهاء الدين - ص : ٣٧٩ و ٣٨٣
 البساط ، الشهيد توفيق - ص : ٣٦٢
 البساط ، (التاجر) توفيق - ص :

٣٨٣
 البساط ، الصيدلي عاطف - ص : ٣٧٩
 البساط ، عصام - ص : ٣٨٤
 البساط ، المحامي غازي - ص : ٣٨٠ و ٣٨٤
 البساط ، محمود - ص : ٣٩٠
 البساط ، الحاج مصطفى - ص : ٣٥٤ و ٣٨٩
 البساط ، منير - ص : ٣٨٩
 بساماتيک الاول ، فرعون مصر ، ص : ٤٠ و ٦٣
 بساماتيک الثاني ، فرعون مصر - ص : ٤١
 بساماتيک الثالث ، فرعون مصر - ص : ٤١ و ٦٥
 البستاني ، الأنسة اسماء - ص : ٣٧٣ و ٣٨٠
 البستاني ، اميل - ص : ٣٥٨
 البستاني ، المطران اوغسطين - ص : ٣٩٩
 البستاني ، بطرس - ص : ٣٠٦
 البستاني ، الدكتور فؤاد افرام - ص : ٢٦٢ و ٢٦٦ و ٤١٠
 بسيسو ، سليم - ص : ٩٣
 بشير باشا ، والي الشام - ص : ٢٢٧
 بشير باشا ، والي صيدا - ص : ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦٢
 بطاح ، محمد - ص : ٣٨٩
 بطرس ، المطران الماروني - ص : ٣١٣
 بطرس ، الناسك - ص : ١٥٤
 بطليموس سوتير الاول - ص : ٨٠ و ٨١
 بطليموس ايوارجستيس - ص : ٨٢
 البطان ، يحيى - ص : ٤٠٢
 بعاصيري ، الأنسة دلال - ص : ٣٨٠
 بعاصيري ، محمد محمود - ص : ٣٨٩
 بعاصيري ، نريه - ص : ٣٥٧
 بعل ، الآله - ص : ٦٢
 بعل لانور ، ملك صور - ص : ٦٣
 البفداي ، محمد - ص : ٣٩١
 بليزار يوس ، القائد - ص : ١٠٨ و ١١٠
 البني ، يوسف - ص : ٣٨٣
 بوادر ، ص : ٤٠٩
 البوبو ، عبد اللطيف - ص : ٣٩٧
 البوبو ، فؤاد - ص : ٣٨١
 بودوين الاول - ص : ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٨٤
 بوربر ، المؤرخ - ص : ٥٩
 بورشكوني ، الايطالي - ص : ٢٤٥
 بوزوني ، الكابيتين - ص : ٣٣٧
 بوست ، الدكتور جورج - ص : ٣٦١
 بوشر ، الكابيتين - ص : ٣٩٢
 بوكيو كولت ، الاميرال - ص : ١٨٠
 بولانجير ، روبرت - ص : ٤١٢
 بولس ، اسقف صيدا - ص : ١١٤
 بولس الانطاكي ، اسقف صيدا - ص : ١٣٥ و ١٣٦
 بولس الخامس ، البابا - ص : ٢٠٨ و ٢٠٩
 بولس الرسول ، - ص : ٩٣
 بولس السميساطي - ص : ٩٦
 بومبيوس الروماني - ص : ٨٦
 بونابرت ، نابليون - ص : ٢٨٣ و ٣١٢
 بونسو ، هنري - المفوض السامي - ص : ٣٩٤
 بوهيموند ، النورمندي - ص : ١٥٤
 بيبرس ، الملك الظاهر - ص : ١٦٧
 بيتان ، الماريشال - ص : ٣٣٤
 بيدر ، حنا - ص : ٢٧٤
 بيروني ، المطران اغناطيوس - ص : ٣٩٨
 بيروني ، الدكتور البير - ص : ٣٧٨
 البيضاوي ، المحامي عبدالله - ص :

بيضون ، عبد الرحمن - ص : ٣٨٤
 بيضون ، فؤاد - ص : ٣٨٤
 بيضون ، السيدة نادرة - ص : ٣٧٤
 البطار ، خليل - ص : ٣٨٤
 البطار ، محمد - ص : ٣٩٠
 بيفاس ، اسقف صيدا - ص : ١١٤
 بيكو ، جورج - ص : ٣٩٣
 بينوتريس ، ملك مصر - ص : ٣٩
 بينيه ، الجنرال - ص : ٣٩٤
 بيو ، جبريال - المعوض السامي - ص : ٣٩٤

- ت -

تاركيز ، القنصل الفرنسي - ص : ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨
 نبت مانتسوس ، الصيدوني - ص : ٦٦
 تبنيت الاول ، ملك صيدون - ص : ٧٠ و ٦٩
 تبنيت الثاني ، ملك صيدون - ص : ٦٩
 تحوتمس الاول ، فرعون مصر - ص : ٤٤
 تحوتمس الثاني ، فرعون مصر - ص : ٤٠ و ٤٤ و ٤٨
 تحوتمس الرابع ، فرعون مصر - ص : ٤٤
 ترابو ، القومندان - ص : ٣٩٣
 الترك ، غالب (المحافظ) - ص : ٣٤٩ و ٣٩٥ و ٤٠٩
 تفلات ، بلاسر الاول ، (الاشوري) - ص : ٥٧
 تفلات ، بلاسر الثالث (الاشوري) - ص : ٥٧ و ٦٠
 التفتحي ، احمد باشا (الوالي) - ص : ٢٥٦
 تقي ، سليم - ص : ٣٤٢
 التقي ، المهندس منيف - ص : ٣٧٩

تقي الدين ، محمود (المحافظ) - ص : ٣٩٥

تلحوق ، الشيخ شاهين - ص : ٢٦٦
 تلحوق ، الشيخ محمد - ص : ٢٦١
 تنكريد ، الايطالي - ص : ١٥٤
 التنوخي ، الامير سيف الدين - ص : ١٩٨ و ٢٠٠
 التنوخي ، الامير شرف الدين يحيى - ص : ١٩٦
 التنوخي ، عز الدين الحسن - ص : ١٨٠
 التنوخي ، عز الدين صدقه - ص : ١٨١

التنوخي ، الامير منذر - ص : ١٩٨
 التنوخي ، الامير ناصر الدين الحسن - ص : ١٧٩ و ١٨٠
 تنيس ، ملك صيدون - ص : ٦٩
 و ٧١ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤
 التوتنجي ، احمد آغا - ص : ٢١٨
 تورهايا ، ملك الحثيين - ص : ٤٢
 تيساليون ، الوزير الصيدوني - ص : ٧٢ و ٧٣
 تيمورلنك ، المغولي - ص : ١٨١ و ١٨٧

- ث -

ثابت ، الرئيس ايوب - ص : ٣٩٣
 ثاوذورس ، اسقف صيدا - ص : ١١٣
 ثيودوسيوس ، الامبراطور - ص : ١٠٦

- ج -

جاكوم ، القومندان - ص : ٣٩٧
 جانبولاد ، علي باشا - ص : ٢٠١ و ٢٠٢
 الجاهل ، ميشال (المحافظ) - ص : ٣٤٥ و ٣٩٥
 الجبيلي ، عبدالله - ص : ٣٨٧
 الجبيلي ، عمر - ص : ٢٨٩

جحي ، قيصر - ص : ٣٧٠
 جحي ، وداد خوري - ص : ٣٧٠ و ٣٨٠

جرادي ، اديب - ص : ٣٢٣
 جرادي ، عز الدين - ص : ٣٨٣
 جراحة ، سليمان باشا - ص : ٢٨٤
 جرجس بن مارون ، اسقف قبرص - ص : ٢٠٩ و ٢٢٣

جرجس ، جورج - ص : ٣٨١
 جرداق ، جورج - ص : ٣٨١
 جردلي ، السيدة سعدية تقوزي - ص : ٣٨٦

جردلي ، عفيف - ص : ٣٤٣
 جردلي ، الانسة فاتنة - ص : ٣٧٤
 جردلي ، محمد علي - ص : ٣٨٦
 جريس ، (الشاعر) - ص : ١٣٣ و ١٣٧

الجزار ، احمد باشا - ص : ٢٧٠ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦
 و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٨١ و ٢٨٢
 و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٣٠٣ و ٣١٢
 جزينيه ، الشفاليه اوستاش - ص : ١٥٨

جسب ، ستوارت - ص : ٣٧٢
 جسب ، صموئيل - ص : ٣٧٢
 جعفر الصادق - ص : ١٤٤
 جعفر باشا ، الاميرال - ص : ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥
 جلفاف ، المطران باسيليوس - ص : ٢٦٦ و ٣٩٨
 جمال باشا ، احمد (السفاح) - ص : ٣٦٢

الجمال ، باسيلا - ص : ٣٨٦
 جمال ، محمود بك (القائمقام) - ص : ٣٠١

جمال ، مصطفى - ص : ٣٩٠
 الجمالي ، بدر - ص : ١٤٨ و ١٤٩
 جمعه ، سليم - ص : ٣٩١ و ٣٩٧

جنادة ، الازدي - ص : ١٣٠
 جنبلاط ، الشيخ بشير - ص : ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٩ و ٢٩٠
 جنبلاط ، حسن - ص : ٢٨٢
 جنبلاط ، رشيد (المحافظ) - ص : ٣٩٤
 جنبلاط ، السيدة سامية عارف - ص : ٣٨٥

جنبلاط ، الشيخ علي - ص : ٢٦٢ و ٢٦٨ و ٢٦٩
 جنبلاط ، عمر - ص : ٢٨٤
 جنبلاط ، الشيخ قاسم - ص : ٢٧٦ و ٢٨١ و ٢٨٢

جنبلاط ، الشيخ نجم - ص : ٢٩٠
 جنبلاط ، نجيب - ص : ٤٠٨
 جهان ، الاميرة - ص : ٢٥٠
 جواد انبي ، التوسكاني - ص : ٢١٠
 جوانان ، معاون القنصل الفرنسي - ص : ٢٩٥

جوفي ، بير - ص : ٦١
 جوفيانوس ، الامبراطور - ص : ١٠٥
 جولبيان ، حاكم صيدا (الصليبي) - ص : ١٦٧

جوهر ، المطران اثناسيوس - ص : ٣٩٨

جوهر ، الصلبي - ص : ١٤٤
 جوهر ، نبيه - ص : ٣٨٣
 الجوهري ، ابراهيم - ص : ٣٩٦
 الجوهري ، الحاج احمد رياض - ص : ٣٧٤ و ٣٨٧

الجوهري ، بهيج - ص : ٣٩٦
 الجوهري ، توفيق - ص : ٣٣٢
 الجوهري ، حسن - ص : ٣٧١
 الجوهري ، حسين - ص : ٣٧١
 الجوهري ، محي الدين - ص : ٣٧١
 الجوهري ، يوسف - ص : ٣٩٥ و ٣٩٦

- ج -

حاتوشيل الاول ، الحثي - ص : ٤٢
حاتوشيل الثالث ، الحثي - ص : ٤٣
الحاج ، الدكتور اسكندر - ص : ٣٧٨
الحاج ، حسين - ص : ٣٨١
الحاج ، يوسف - ص : ٣٧٣
الحارث الفساني - ص : ٨٣
حافظ باشا ، والي الشام - ص :
٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٩ و ٢١١ و ٢١٣
و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦
الحاقلاني ، ابراهيم - ص : ٢٥٢
الحاوي ، الشيخ قاسم - ص : ٢٥٧
حايم ، اليهودي - ص : ٢٨٦
الجبالي ، سعد الدين - ص : ٣٧٥
الجبلي ، احمد - ص : ٣٨٤
الجبلي ، عثمان محمد - ص : ٣٨٨
حبيب ، الانسة لوبزيت - ص : ٣٨٠
حتي ، الدكتور فيليب - ص : ١٦٩
و ٤١٢
حجار ، المطران باسيلوس - ص :
١٠٣ و ٣٩٨
حداد ، ابراهيم وديع - ص : ٣٥٥
الحداد ، الدكتور حنا - ص : ٣٧٨
حرفوش ، الامير - ص : ١٩١
حرفوش ، جوزيف - ص : ٣٨٣
حرفوش ، مارون - ص : ٣٨٣
حرفوش ، يونس - ص : ٢٢١ و ٢٢٢
الحريري ، احمد - ص : ٣٩١
و ٣٩٧
حريصي ، الصيدلي نزار - ص : ٣٨٦
و ٣٨٧
حريصي ، الصيدلي نقولا - ص : ٣٧٩
الحسن بن الامام علي - ص : ١٢١
الحسن ، عبد الفتاح - ص : ٣٨١
حسني ، محمد - ص : ٣٨٤
الحسين بن الامام علي - ص : ١٢١
و ١٣٢

حسين ، شريف مكة - ص : ٣٢٣
حتيشو ، عفيف - ص : ٣٨٣
حتيشو ، محمد - ص : ٣٨٩
حتيشو ، محمد علي - ص : ٣٦٥
حتيشو ، محمد محي الدين - ص :
٣٧١
الحفار ، الدكتور عبد الرزاق - ص :
٨ و ٩ و ١٠
حقي ، اسماعيل بك (المتصرف) -
ص : ٣٩٢
حكيم ، جورج - ص : ٣٧٦ و ٣٨٠
الحلاق ، الشهيد عبد الحكيم - ص :
٣٢٣
الحلاق ، الشيخ عمر عبدالله - ص :
٣٨٩
الجلبي ، عمر - ص : ٣٨٩
الجلبي ، البطريك كيرللس - ص :
٣٠٦
الجلبي ، البطريك مكاريوس - ص :
٣٠٦
الحو ، انيس متري - ص : ٣٧٢
الحو ، الرئيس شارل - ص : ٣٩٣
و ٤١٠
الحو ، نسيم متري - ص : ٣٧٢
الحو ، الخوري يوحنا - ص : ٣٧١
حماده ، شبلي بك - ص : ٣٠١
الحمداني ، ابو فراس - ص : ١٤٩
الحمداني ، سيف الدولة - ص :
١٤٣
حمصي ، بهيج - ص : ٣٥٧
حمود ، المهندس امين سليم - ص :
٣٧٩ و ٣٩٧
حمود ، الشيخ انيس - ص : ٣٩٨
حمورابي ، الكلداني - ص : ٥٨
الحموي ، هبة الله - ص : ١٨٧
حميدة بنت النعمان - ص : ١٣٧
حنا ، فارس نقولا - ص : ٣٧٢

حنا ، الدكتورة كليز نخلة - ص :
٣٧٨
حنقير ، عبد السلام - ص : ٣٩٠
حنين ، ادوار - ص : ٣٥١
حنينه - الدكتور رفيق - ص : ٣٧٨
و ٣٩٧
الخوراني ، الشيخ ابراهيم - ص :
٣١٦
حوراني ، يوسف - ص : ٣٨١
حيرام الاول ، ملك صور - ص : ٥٩
حيرام الرابع ، ملك صور - ص : ٦٣
- خ -
الخازن ، ابراهيم - ص : ٢٠٠
الخازن ، الشيخ ابو قانصوه - ص :
٢٣٠
الخازن ، الشيخ ابو نوفل - ص :
٢٢٤ و ٢٣٠ و ٢٣٢
الخازن ، الشيخ حسن - ص : ٢٣٠
الخازن ، الشيخ خاطر - ص : ٢١٥
الخازن ، الشيخ رباح - ص : ٢٠٠
الخازن ، الشيخ سركيس ابو نادر -
ص : ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٤٥ و ٢٥٣
الخازن ، الشيخ كسروان (المحافظ)
- ص : ٣٩٥
الخازن ، الشيخ نادر - ص : ٢٢٧
خاطر ، الانسة عابدة - ص : ٣٨٠
خالد بن الوليد - ص : ١٢٠ و ١٢٣
و ١٢٤
الخالدي ، احمد - ص : ٢٥٢
الخاني ، الدكتور علاء الدين - ص :
٤٠٩
خايربك ، والي حلب - ص : ١٩١
خدبجة بنت خويلد - ص : ١١٨
الخراساني ، ابو مسلم - ص : ١٣٥
و ١٤٠ و ١٤١
الخراساني ، الشيخ عبدالله - ص :
٤٠٠
الخروبي ، عبدالله - ص : ٣٣٢

خرياطي ، المطران اثناسيوس - ص :
٣٩٩
خريش ، المطران انطونيوس - ص :
٣٩٩
الخنندار ، عبدالله باشا - ص :
٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١
الخنندار ، علي باشا - ص : ٢٨٨
خسروناصري ، الرحالة - ص : ١٥١
خطار ، الامير يوسف - ص : ٢٠٩
الخطيب ، نزيه - ص : ٣٧٦ و ٣٨٠
خفرع ، فرعون مصر - ص : ٤١
خلاط ، شفيق - ص : ٣٥٦ و ٣٨٧
و ٣٨٨
خليفة ، الدكتور محمد - ص : ٣٧٩
خليل ، المطران باسيلوس - ص :
٣٩٩
خليل باشا ، الوزير - ص : ٢٢٠
الخليل ، حسين - ص : ٣٨٢
الخليل ، الدكتور سعدالله - ص :
٣٧٨ و ٣٨٨
خمار ، قسطنطين - ص : ٣٣٢ و ٤٠٩
خورشيد باشا - والي - ص : ٢٩٩
و ٣١٤
خورشيد ، محمد فريد (القائمقام) -
ص : ٣٧١ و ٣٨٤
الخوري ، الدكتور الياس - ص :
٣٧٩
خوري ، اميل - ص : ٢٩٦ و ٤٠٩
خوري ، (القائمقام) اميل - ص :
٣٩٥
لاخوري ، الدكتور انطوان - ص :
٣٧٨
الخوري ، الدكتور انطوان - ص :
٣٩٩
خوري ، بسام - ص : ٣٨٥
الخوري ، الرئيس الشيخ بشارة -
ص : ٣٣٩ و ٣٤٢ و ٣٤٥ و ٣٦٧
و ٣٩٣

الخوري ، الشيخ بشاره - كاتب
الامير بشير - ص : ٢٩٤
الخوري - بشاره (الشاعر) - ص :
١٦٩
الخوري ، المطران بولس - ص : ٣٠
و ٣٩٩ و ٤٠٩
خوري - جورج (الناجر) - ص : ٣٥٥
خوري ، المحامي جورج - ص : ٣٨٠
الخوري ، الدكتور جوزيف - ص :
٣٧٨
الخوري ، السيدة حنيئة نحاس -
ص : ٧
الخوري ، الدكتور راشد - ص :
٣٧٨ و ٣٧٩
الخوري ، الدكتور سعد - ص : ٣٧٩
الخوري ، الشيخ سعد - ص : ٢٧٧
الخوري - الدكتور سليم - ص :
٣٧٩
الخوري ، عزيز - ص : ٣٨٩
الخوري ، الشيخ غندور بن سعد -
ص : ٢٨١
الخوري ، فارس بك - ص : ٣٥٨
و ٣٦٤ و ٣٦٩
الخوري ، فايز بك - ص : ٣٦٤
خوري ، مجيد - ص : ٣٥٥
الخوري ، منير - ص : ٣ و ٧ و ٨ و ١٠
الخوري ، المحامي نصري - ص : ٣٨٠
خوفو ، فرعون مصر - ص : ٣٩
الخطاط ، المحامي صلاح - ص : ٣٨٠
خير الله ، عادل - ص : ٣٨١
الخيمي ، واصف - ص : ٤٠٩
- د -
دارفيو ، قنصل فرنسا - ص : ٢٢٨
و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٦ و ٤١٢
دارا (داريوس) الكبير - ص : ٦٤
و ٦٥ و ٦٦
داريوس اوخوس ، ص : ٤١

داريوس الثالث - ص : ٤١ و ٥٩
و ٧٧ و ٧٨
دارمنو ، السفالييه - ص : ٤١٢
الداعوق ، احمد - ص : ٣٣٥
داغر ، سليم الحاج - ص : ٣٨١
داغر ، الدكتور يوسف اسعد - ص :
٣٠٨ و ٣١١ و ٣٦١ و ٣٦٩ و ٤١٠
دالي بلطه ، الانسة آمنه - ص : ٣٤٣
داميانوس ، اسقف صيدا - ص :
١١٤
دانتز ، الجنرال - ص : ٣٩٤
دباس ، الخوري اتاناسيوس - ص :
٢٦٦
دباس ، الرئيس شارل - ص : ٣٢٥
و ٣٩٣ و ٤١٠
دبانه ، السيدة اوجيني - ص : ٢٨٥
دبانه ، جورج - ص : ٢٨٥ و ٢٨٨
و ٤٠٧
دبانه ، السيدة ماري - ص : ٣٨٦
الديس ، المطران يوسف - ص : ١٣٥
و ٤١٠
دبغي ، اميل - ص : ٢٨٣
الدحداح ، سلوم - ص : ٣٨١
الدحداح ، الشيخ منصور - ص :
٢٩٥
الdda ، الحاج حسن - ص : ٣٩٨
الdda ، يوسف - ص : ٣٨٧
درويش آغا ، بن جعفر آغا - ص :
٢٨٦ و ٢٨٧
دسون ، دوق صقلية - ص : ٢١٦
و ٢١٧
الدفتردار ، علي باشا - ص : ٢٢٩
و ٢٥٦
دقاق ، شمس الملوك - ص : ١٥٥
دلاجر ، البارون - ص : ٢٤٢ و ٢٤٣
و ٢٤٥
الدمشقي ، شمس الدين - ص : ١٨٧
دمشقية ، الانسة نبيلة - ص : ٣٨٠

دمنة ، جوليا - ص : ٩٤
دندشلي ، المهندس محمود - ص :
٣٧٩
دندشلي ، مصطفى محمود - ص :
٣٩١
الدنكرلي ، احمد آغا - ص : ٢٦٩
و ٢٧١ و ٢٧٢
دورثيه ، المشرع البيزنطي - ص :
١١٠
دونان ، موريس - ص : ٣٥ و ٦٠
و ٦٨ و ٧٢ و ٤١٢
الدويهي ، البطريك اسطفان - ص :
٢٢٣ و ٢٣٤ و ٢٥٢
ديادومينوس ، القيصر - ص : ٩٤
ديب ، المطران ايليا - ص : ٣٩٩
دي بويون ، غودفروا - ص : ١٥٤
و ١٥٥
دي تولوز ، ريموند - ص : ١٥٤
و ١٥٥
دي جوفنيل ، المفوض السامي
الفرنسي - ص : ٣٩٤
الديبراني ، امين - ص : ٣٨٤
دير كاليو ، القنصل الفرنسي - ص :
٣١٣
دي سانت جيل ، برتران - ص : ١٥٦
و ١٥٧
ديسو ، - ص : ٤١٢
دي سييني ماتيونالدي - ص : ٢٣٥
دي شاتيللون ، رينو - ص : ١٦٣
دي غول ، الجنرال شارل - ص : ٣٣٤
دي فرانسانو ، فرنسيس - ص : ٢٤٣
دي فردياك ، الجنرال - ص : ٣٣٩
دي لابرنير ، القومندان - ص : ٣٣٧
دي لوسينيان ، غي - ص : ١٦٣
دي ليفير ، اسكندر - ص : ٣٥٧
دي ليونيسا ، جوزيف - ص : ٣٧٣
دي مارتيل ، الكونت - ص : ٣٩٤
دي مارسى ، المستشار الفرنسي -

ص : ٣٩٧
الديماسي ، عفيف - ص : ٣٩١
الديماسي ، الحاج علي - ص : ٣١٤
الديماسي ، محمود - ص : ٣٨٤
ديمون ، المستشار الفرنسي - ص :
٣٩٧
دي نواتيل ، المركيز - ص : ٢٣٢
ديو كلتيانوس ، الامبراطور - ص :
٩٨
ديوران ، ل. و ل. - ص : ٤١٠
- ذ -
ذورثاوس ، مطران صور - ص :
١١٤
- ر -
الراسي ، المعلم يواكيم - ص : ٣٧٢
راكائن ، ملك الهكسوس - ص : ٤٠
رجيم ، سعيد - ص : ٤٠٢
رزق ، غانم - ص : ٣٨١
رزق الله ، جبريال - ص : ٣٩٧
رزق الله ، المهندس فرانسوا - ص :
٣٧٩
رزق الله ، المهندس فريد - ص : ٣٧٩
رزق الله ، السيدة وطفاء - ص : ٢٨٦
رستم ، الدكتور اسد - ص : ٢٠
و ٢١ و ٢٢ و ٢٦٢ و ٢٦٦ و ٤١٠
رضا ، الشيخ احمد - ص : ٣٦٩
رعمسيس الاول - ص : ٤٩
رعمسيس الثاني - ص : ٤٠ و ٤٣
و ٥٠ و ٥١
رعمسيس الثالث - ص : ٥٢
الركابي ، رضا - ص : ٣٦٠
رمضان ، مصباح - ص : ٣٦٣
رو ، شارل - ص : ٤١٣
الرواس ، محمد - ص : ٣٩١
الرواس ، نزار - ص : ٣٨١ و ٣٨٤
روجيه ، الاب - ص : ٢٣٤
الروحي ، الفقيه محمد - ص : ٣٠٧
روميلوس ، - ص : ٨٥

الرياشي ، لبيب - ص : ٣٦٤
ريب عداي ، أمير جبيل - ص : ٤٨
الريحاني ، أمين - ص : ٨٧ و ١٦٣
و ١٩٣ و ٣٦٩
ريشيليو ، الكردينال - ص : ٢٤٨
ريكاردوس ، قلب الاسد - ص :
١٦٤ و ١٦٥
رينيه ، القنصل جان - ص : ١٩٥

- ز -

زبدي ، التدمري - ص : ٩٧
الزبير بن العوام - ص : ١٢١
زخريا ، الشيخ يوسف (المحافظ) -
ص : ٣٩٥
الزعتري ، سليم - ص : ٣٨٢
الزعتري ، السيدة سهام مجذوب -
ص : ٣٧٤
الزعتري ، الحاج علي - ص : ٣٥٥
و ٣٨٩
الزعتري ، مصطفى احمد - ص :
٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٨٥
الزعتري ، نازك مولوي - ص : ٣٨٦
زفس ، كبير الآلهة - ص : ٤٥ و ٤٦
زميردا ، ملك صيلون - ص : ٤٩
زنتوت ، الانسة ايفا - ص : ٣٤٣
زنتوت ، عبد السلام - ص : ٣٧١
زنتوت ، هلال - ص : ٣٨٣
زنوبيا ، ملكة تدمر - ص : ٩٦ و ٩٧
و ٩٨
زنوبوس ، اسقف صيدا - ص : ١٠١
زهار ، جان - ص : ٣٨٥
زهار ، جورج - ص : ٣٨١
زهار ، الخوري يوسف - ص : ٣٧٣
زياد بن ابيه - ص : ١٢٩
زيادة ، ابراهيم باشا - ص : ٣١٤
زيادة ، الدكتور محمد مصطفى -
ص : ٤١٠
زيباوي ، خيري - ص : ٣٨٦

زيدان ، محمود - ص : ٣٨٣
الزين ، الشيخ احمد عارف - ص :
٢٥ و ٩٣ و ٢٧١ و ٢٩١ و ٣١٥
و ٣١٦ و ٣٥٤ و ٣٥٩ و ٣٦٣
و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٤١٠
الزين ، الشيخ بهاء الدين - ص : ٣٩٨
الزين ، رائف - ص : ٣٨١
الزين ، زيد - ص : ٣٨١
الزين ، سليم - ص : ٣٨٣
الزين ، الدكتور عبد الرحمن - ص :
٣٧٩

الزين ، الحاج عثمان - ص : ٣٩٨
الزين ، المهندس عدنان - ص : ٣٧٩
الزين ، المهندس عصام - ص : ٣٥١
الزين ، الشيخ محمد سليمان - ص :
٣١٣
الزين ، المحامي معين - ص : ٣٧٩
الزين ، الدكتور نزار - ص : ٣٨١
الزين ، المهندس وجيه - ص : ٣٧٩
الزين ، يوسف - ص : ٣٢٦

- س -

سابا ، مطران صيدا - ص : ٣٩٨
سابور بن ازدشير - ص : ٩٥
ساتي الاول ، فرعون مصر - ص :
٤٠ و ٤٣ و ٤٩
ساراي ، الجنرال - المفوض السامي -
ص : ٣٩٤
سانتي ، يوحنا - ص : ٢١٢ و ٢٣٩
و ٢٥٣
سانتينا ، بكري - ص : ٣٩٠
سايس ، الانكليزي - ص : ٢٣
ستانهوب ، الليدي استير - ص : ٢٨٧
و ٢٨٨
سترابو ، المؤرخ - ص : ٨٧
سترانج ، الفيلسوف - ص : ١٠٣
ستوبفورد ، الاميرال - ص : ٢٩٥
سرجون ، الاشوري - ص : ٦٠ و ٦١
سرجيوس ، البابا - ص : ١٣٣

سرحال ، المحامي جورج - ص : ٢٨٠
سركيس ، المهندس الياس - ص :
٣٧٩
سركيس ، مطران دمشق - ص :
٢٠٨ و ٢٠٩
سعاده ، عبدالله الخوري (المحافظ)
ص : ٣٩٥
السعد ، الرئيس حبيب - ص :
٣٩٢ و ٣٩٣
سعد ، معروف - نائب صيدا - ص :
٣٤٤ و ٣٤٨ و ٣٥٢ و ٣٨٣ و ٣٩٦
و ٣٩٧
السعدي ، الشيخ فرحان - ص :
٣٣٢
السفاح ، ابو العباس - ص : ١٣٥
و ١٣٩ و ١٤٠
السقياني ، علي بن عبدالله - ص :
١٤٦
سقراط ، الفيلسوف - ص : ٨٣
سلامه ، رياض - ص : ٣٥٧
سلامه ، يوسف فضل الله - ص :
٣٥٩
السلجوقي ، نور الدين زنكي - ص :
١٦١
سلطان ، المهندس فريد - ص : ٣٧٩
سلوقس الاول - ص : ٨٠ و ٨١ و ٨٢
سلوقس فيلوباتر - ص : ٨٢
سليم الاول ، السلطان العثماني -
ص : ١٣٩ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١
و ١٩٢ و ١٩٦ و ١٩٧
سليم الثالث ، السلطان العثماني -
ص : ٢٨٤
سليم باشا ، مملوك الجزائر - ص :
٢٧٧
سليم باشا ، والي صيدا - ص :
٢٩٦ و ٢٩٨
سليمان باشا ، مملوك الجزائر - ص :
٢٧٧

سليمان باشا ، القائد الفرنسي - ص :
٢٩٣
سليمان ، بن عبد الملك - ص : ١٣٤
سليمان ، الدكتور سليمان - ص :
٣٧٩
سليمان القانوني ، السلطان - ص :
١٩٢ و ١٩٥
سليمان ، النبي والملك - ص : ٥٩
سماره ، المهندس سمير - ص : ٣٧٩
سماره ، سهيل - ص : ٣٨٥
سماره ، فيليب - ص : ٣٨٥
سمعان ، نسيب - ص : ٣٧٩
سمعان ، النقيب جوزيف - ص :
٣٣٧
السمعاني ، يوسف - ص : ٢٥٢
سمهون ، كرم - ص : ٣٩٠
سموره ، نور الدين - ص : ٣٨٤
سميث ، الاميرال - ص : ٢٨٤
سنجر ، محمد - ص : ٣٩٠
سنجر ، الانسة نهلة - ص : ٣٤٣
سنحريب ، الاشوري - ص : ٦٠
و ٦١
سنفور ، ليوبولد الرئيس السنغالي -
ص : ٣٥١ و ٣٥٢
السنوره ، الحاج محمود - ص :
٣٨٩
سوباتر ، الفيلسوف - ص : ١٠٣
سوطارنا ، ملك الميثانيين - ص : ٤٤
سويلوليوما ، ملك الحثيين - ص :
٤٤ و ٤٩
سويد ، احمد - ص : ٣٨١
السيد ، احمد - ص : ٣٨٢
السيد ، المهندس محمد - ص : ٣٧٩
السيد ، المهندس مصطفى - ص :
٣٧٩
السيد ، الانسة ندى - ص : ٣٨٢
سيشه ، القومندان - ص : ٣٩٢
سيفا ، حسين باشا - ص : ٢١٤

و ٢١٥
 سيفاء ، الامير علي - ص : ٢٠١
 سيفاء - عمر - ص : ٢٢١ و ٢٢٢
 سيفاء ، يوسف باشا - ص : ٢٠١
 و ٢٠٧ و ٢١٥ و ٢١٩
 سيفروس ، اسكندر - ص : ٩٥
 سيفروس ، سبتيموس - ص : ٩٤
 سيليني ، الرسام الفرنسي - ص : ٢٣٥
 سيمون ، النرويجي - ص : ١٥٧
 سيوفي ، الانسة سميرة - ص : ٣٨٠
 - ش -
 الشاب ، الدكتور رمزي - ص : ٣٧٨ و ٣٧٩
 الشاب ، الدكتور نبيه - ص : ٣٧٨
 و ٣٧٩
 شارنتير ، القومندان - ص : ٣٩٧
 شارلكان ، الامبراطور - ص : ١٩٥
 شارلمان ، الامبراطور - ص : ١٤٠
 الشافعي ، الامام محمد بن ادريس - ص : ١٥١
 شاكرك بك ، القائمقام - ص : ٣٠٠
 شامدين ، محمد - ص : ٣٨٤
 الشامي ، المحامي ايوب - ص : ٣٩١
 الشامي ، الدكتور خليل - ص : ٣٧٩
 الشاويش ، عثمان آغا - ص : ٢٨١
 شبلي ، ميشال - ص : ٢٩٠ و ٢٩٦
 و ٣١٣ و ٤١٢
 شتوي ، انطوان - ص : ٣٥٦
 شجرة الدر ، الملكة - ص : ١٧٧
 شختورة ، اميل - ص : ٣٧٢
 الشدياق ، احمد فارس - ص : ٣١٠
 الشدياق ، الشيخ طنوس - ص : ١٤١ و ١٨٠ و ١٨٢ و ١٨٣ و ٢٩٦
 و ٤١٠
 الشدياق ، كميل (المحافظ) - ص : ٣٣٠ و ٣٩٥
 شرارة ، عبد اللطيف - ص : ٣٨١

الشرتوني ، سعيد - ص : ٣٦٣
 شرحبيل بن حسنة - ص : ١٢٠ و ١٢٣ و ٤٠٣
 شرف الدين ، السيد صدر الدين - ص : ٣٨١
 شرف الدين ، السيد عبد الحسين - ص : ٣٦٩
 شرف الدين ، المقدم - ص : ٢٦٢
 الشركسي ، احمد - ص : ٢٨١
 الشريف ، بشير - ص : ٢٤٣
 الشريف ، عفيف - ص : ٢٨١
 شعيب ، سامي - ص : ٣٨٤
 شعيب ، الدكتور عبد السلام - ص : ٣٨٠
 شعيب ، عبد المنعم - ص : ٣٩٧
 شلمنصر ، الاشوري - ص : ٦٠ و ٤٣
 الشمس ، الخوري يوسف - ص : ١٣٥
 الشماع ، المهندس عرفان - ص : ٣٧٩
 الشماع ، الصيدلي فضل - ص : ٣٧٩
 الشماع ، محمد علي - ص : ٣٨٥ و ٣٨٩
 الشماع ، نجيب - ص : ٣٨٩
 شمس ، زوجة الامير بشير - ص : ٢٨١
 شمس الدين ، عبد الحفيظ - ص : ٣٩٠
 شمس الدين ، محمد عفيف - ص : ٣٩٠
 شمس الدين ، مصطفى - ص : ٣٨٤
 شمعون ، المهندس جورج - ص : ٣٧٩
 شمعون ، الرئيس كميل - ص : ٣٤٢ و ٣٤٥ و ٣٤٧ و ٣٩٣
 شهاب ، الانسة رداح - ص : ٣٨٠
 شهاب ، الدكتور رياض - ص : ٣٧٩

شهاب ، الامير اسمير - ص : ٣٥٧
 شهاب ، الامير عبدالعزيز - المحافظ - ص : ٣٩٥ و ٣٤٥
 شهاب ، الرئيس اللواء فؤاد - ص : ٣٤٧ و ٣٩٣
 شهاب ، الامير مالك - ص : ٣٩٢
 شهاب ، المحامي محمد - ص : ٣٨٠ و ٣٨٥
 شهاب ، الامير موريس - ص : ٦٨ و ٣٥١ و ٤١٢
 الشهابي ، الامير احمد - ص : ٢٢٠
 الشهابي ، الامير احمد بن حيدر - ص : ٢٦٢ و ٢٦٦ و ٢٦٧
 الشهابي ، الامير اسماعيل - ص : ٢٦٨ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧
 الشهابي ، الامير افندي - ص : ٢٧٥
 الشهابي ، الامير امين بن بشير - ص : ٢٨١ و ٢٨٩ و ٢٩٣
 الشهابي ، الامير بشير الاول - ص : ٢٣٢ و ٢٥٧ و ٢٥٨
 الشهابي ، بشير الثاني - الكبير - ص : ٢٦٧ و ٢٧٦ و ٢٨٠ و ٢٨١
 و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٦
 و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠
 و ٢٩١ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥
 و ٢٩٦ و ٣٠٣
 الشهابي ، الامير بشير ملحم - ص : ٢٩٠ و ٢٩١
 الشهابي ، الامير جهجاه - ص : ٢٩٣
 الشهابي ، الامير حسن بن علي - ص : ٢٨٩
 الشهابي ، الامير حسن بن قاسم - ص : ٢٦٧ و ٢٨٢ و ٢٨٣
 الشهابي ، الامير حسين - ص : ٢٢٧
 الشهابي ، الامير حيدر بن موسى - ص : ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٥٧ و ٢٥٨
 و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣
 و ٢٨١
 الشهابي ، الامير حيدر (المورخ) - ص : ٢٩١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٤١٠
 الشهابي ، الامير خليل بن بشير - ص : ٢٨١ و ٢٨٦ و ٢٨٩ و ٢٩٠
 و ٢٩١ و ٢٩٣
 الشهابي ، الاميرة سعدى - ص : ٢٨١
 الشهابي ، الامير سليمان بن سيد احمد - ص : ٢٨٩
 الشهابي ، الامير سيد احمد بن ملحم - ص : ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٨٠
 الشهابي ، الامير عباس - ص : ٢٨٤ و ٢٨٩
 الشهابي ، الامير عبد الله بن حسن - ص : ٢٩٣
 الشهابي ، الامير علي بن منصور - ص : ٢٣١ و ٢٥٠
 الشهابي ، الامير علي بن بشير الاول - ص : ٢٥٠ و ٢٦٦ و ٢٧٨
 الشهابي ، الامير قاسم - ص : ٢٢٧ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨
 الشهابي ، الامير كعدان - ص : ٢٨٢
 الشهابي ، الامير مجيد - ص : ٢٩٣
 الشهابي ، الامير محمود - ص : ٢٩٣
 الشهابي ، الامير مسعود - ص : ٢٩٣
 الشهابي ، الامير ملحم بن بشير الاول - ص : ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦
 الشهابي ، الامير منصور - ص : ٢٣١ و ٢٥٧ و ٢٦٦ و ٢٦٧
 الشهابي ، الامير موسى - ص : ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٥٧ و ٢٥٨
 الشهابي ، الامير نجم - ص : ٢٣٢ و ٢٥٨
 الشهابي ، الامير يوسف بن ملحم - ص : ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١
 و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥
 و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٨٠
 و ٢٨١

شوقي ، احمد (الشاعر) - ص : ٣٦٤ و ٣٦٩
شركوه ، اسد الدين - ص : ١٦١
- ص -
صادر ، المهندس جوزيف - ص : ٣٧٩
صالح بك ، حاكم صيدا - ص : ٣٠٠
صالح ، محمد - ص : ٤٠٢
صالح ، المحامي مصطفى - ص : ٣٨٠
صالح وامق باشا - ص : ٢٩٨
صانداري ، ملك كوندي - ص : ٦١ و ٦٢
صباح ، المحامي علي - ص : ٣٨٠
صباغ ، الشهيدة ثروت - ص : ٣٤٣
الصباغ ، حسن - ص : ٣٨٦
صباغ الخطيب ، السيدة حكمت - ص : ٣٤٣ و ٣٧٦ و ٣٨٠ و ٣٨١
الصباغ ، الشيخ رضوان - ص : ٣٠٧
الصباغ ، محمد - ص : ٣٩١
الصباغ ، محمد خضر - ص : ٣٩٠
الصباغ ، محمد سليم - ص : ٣٣٣
صبحية ، حبيب فارس - ص : ٣٧٢
الصدر ، السيد موسى - ص : ٣٨٨
الصعبي ، سليمان - ص : ٢٦٤
الصفير ، اسماعيل بك - ص : ٣١٤
الصفير ، الحاج محمد - ص : ٢٥٨
الصفير ، مشرف - ص : ٢٥٨ و ٢٥٩
الصفدي ، احمد سميح - ص : ٣٩٠
الصفدي ، صلاح الدين - ص : ١٨٧
صفرونيوس ، البطريك الاورشليمي - ص : ١٣٧
صفي الدين ، شوقي - ص : ٣٨٤
صقر بن محفوظ - ص : ٢٧٦
الصلح ، احمد باشا - ص : ٣٦٥
الصلح ، رضا بك - ص : ٣٠١
و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦٥
الصلح ، رياض بك - ص : ٣٣٩
و ٣٤٠ و ٣٤٢ و ٣٥٨ و ٣٦٥

و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٩٤
و ٣٩٦
الصلح ، الحاج سعد الدين - ص :
٣٩٨
الصلح ، المهندس عبد السلام - ص :
٣٧٩
الصلح ، عبد المولى - ص : ٣٨١
و ٣٨٨
الصلح ، الحاج عفيف - ص : ٣٨٧
الصلح ، محمد منح - ص : ٣٧١
الصلح ، محمد منيب - ص : ٣٧١
الصهيوني ، الاب جبرائيل - ص :
٢٥٢
صوايا ، فؤاد (المحافظ) - ص :
٣٩٥
صوفان ، المحامي محمد - ص : ٣٨٠
الصيداوي ، محمد بن عثمان - ص :
٣٠٥
صيدح ، جورج - ص : ٣٦٩
صيدون بن كنعان - ص : ٢٤ و ٢٥
الصيفي ، المطران افثيموس - ص :
٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩
- ط -
طراد ، الرئيس بيترو - ص : ٣٣٩
و ٣٩٣
طراد ، المطران جراسيموس - ص :
٣٩٩
طلحة بن محمد - ص : ١٢١
الطنطاوي ، علي بك - ص : ٢٧١
طنوس ، الدكتور عفيف - ص : ٣٧٩
طوقان ، رضوان بك - ص : ٢٩١
طومان باي ، السلطان - ص : ١٩١
الطويل ، الشيخ حسين - ص : ٢١٥
و ٢١٨
طيار ، جعفر (القائمقام) - ص :
٣٠٠ و ٣١٥
طيباريوس ، الامبراطور - ص : ١٠٩

- ظ -

ظافر ، محمد - ص : ٢١٢ و ٢١٦
الظاهر ، الشيخ سليمان - ص : ٣٦٩
- ع -
العابد ، المهندس حكمت - ص : ٣٧٩
عازار ، جابي - ص : ٣٨١
عازار ، الأنسة سميرة - ص : ٣٨٠
عازوري ، المعلم فارس - ص : ٣٧٢
عازوري ، فؤاد (القائمقام) - ص :
٣٩٤
عاصي ، سليم - ص : ٣٩٠
عاصي ، علي - ص : ٣٨١
عاصي ، المحامي محمد - ص : ٣٨٠
عائشة بنت ابي بكر - ص : ١١٨ و ١٢١
عبد الجواد ، حسيب - ص : ٣٨٣
عبد الحميد الاول ، السلطان
العثماني - ص : ٢٧٣
عبد الحميد الثاني ، السلطان
العثماني - ص : ٣٦٤
عبد الرحمن بن ملجم - ص : ١٢١
عبد الشري ، ملك الحثيين - ص :
٤٨
عبد العفيف ، الشيخ يزبك - ص :
٢١٤
عبد الفني بن سعيد ، ص : ١٤٦
عبدالله بن الحسين ، الملك - ص :
٣٦٨
عبدالله بن عبد المطلب - ص : ١١٨
عبدالله بن عقيل - ص : ١٣٢
عبدالله بن علي - ص : ١٣٥
عبدالله بن قيس - ص : ١٣٠
العبدالله ، كامل - ص : ٣٨١
عبد المجيد الثاني ، السلطان العثماني
ص : ١٩١
عبد المطلب ، (جد النبي العربي) -
ص : ١١٨
عبد الملك بن مروان - ص : ١٣٢

و ١٣٣ و ١٣٨
عبد ملكوتي ، ملك صيدون - ص :
٦١ و ٦٢
عيسي ، الدكتور جوزيف - ص :
٣٧٩ و ٣٨٧ و ٣٩٧
عيسي ، عاطف - ص : ٣٨٤
عبود ، ابراهيم - ص : ٣٥٦
عبود ، الدكتور ادوار - ص : ٣٧٩
عبود ، البير - ص : ٣٥٦
عبود ، الدكتور باسيل - ص : ٣٧٩
عبود ، الدكتور روبير - ص : ٣٧٨ و ٣٧٩
عبود ، سليم - ص : ٣٨١
عبود ، شحاده - ص : ٣٨١
عبود ، الدكتور نويل - ص : ٣٧٩
عبيد الله بن زياد - ص : ١٢٩
عتابا ، جوزيف - ص : ٣٨١
عثمان الاول ، السلطان العثماني -
ص : ١٨٨
عثمان الثاني ، السلطان العثماني -
ص : ٢٢١
عثمان بن عفان - ص : ١٢١ و ١٢٦ و ١٣٠
عجرم ، سعد الدين - ص : ٣٨٩
عجرم ، يوسف - ص : ٣٨٣
عدناني ، محمد - ص : ٣٧١ و ٣٨٠
عرب شاه ، شهاب الدين - ص : ١٨٧
عزت باشا ، الصدر الاعظم - ص :
٢٩٨
عزت باشا ، الفريق - ص : ٢٩٨
عزقول ، المحامي نظمي - ص : ٣٨٠ و ٣٨٧ و ٣٨٨
عزيز ، الترجمان اسحق - ص : ٢١٠
عسيران ، توفيق - ص : ٣٨٣ و ٣٨٦
عسيران ، سامي - ص : ٣٨٩
عسيران ، المحامي سميح - ص : ٣٨٠
عسيران ، الرئيس عادل - ص : ٢٤٢ و ٣٩٤

عسيران ، المحامي عاكف - ص : ٣٨٠
 عسيران ، الحاج عبد المنعم - ص : ٣٨٩
 عسيران ، الدكتور عماد - ص : ٣٧٩
 عسيران ، الدكتور فؤاد - ص : ٣٧٨
 و ٣٧٩ و ٣٨٧ و ٣٩٤
 عسيران ، الأنسة مليحة - ص : ٣٨٨
 عسيران ، الشيخ منير - ص : ٣٢٧
 عسيران ، المهندس نبيل - ص : ٣٧٩
 عسيران ، نجيب - ص : ٣٩٥ و ٣٩٦
 عشتروت ، الآلهة - ص : ٢٩ و ٦٨
 و ٧٠
 عطية ، المطران اغناطيوس - ص : ٣٩٨
 عطية ، الخوري الياس - ص : ٣٧١
 العظم ، اسعد باشا - ص : ٢٦٢
 و ٢٦٤
 العظم ، سعد الدين باشا - ص : ٢٦٤
 و ٢٦٥
 العظم ، سليمان باشا - ص : ٢٦٤
 و ٢٦٥
 العظم ، محمد باشا - ص : ٢٦٨
 العظم ، مصطفى باشا (القواص) - ص : ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧
 العظيمة ، يوسف - ص : ٣٢٥
 عفلق ، وصفي - ص : ٤٠٩
 عفيف ، الأنسة فريدة - ص : ٣٨٠
 عقل ، اسعد (المحافظ) - ص : ٣٩٥
 عقل ، سعيد - ص : ١٧ و ٢٥ و ٣٤
 و ٤٥ و ٤١٠
 عكر ، عادل - ص : ٣٨١
 عكره ، الشهيد محمد ديب - ص : ٣٤٤
 علاقة ، البحار الصوري - ص : ١٤٨
 علم الدين ، الامير احمد - ص : ٢٦١
 علم الدين ، الامير علي - ص : ٢٢٦
 و ٢٢٧ و ٢٦١
 علم الدين ، الامير محمد - ص : ٢٢٩

علم الدين ، الامير منصور - ص : ٢٢١ و ٢٦١
 علم الدين ، الامير موسى - ص : ٢٢٢
 علم الدين ، الامير يوسف - ص : ٢٦١
 علي باشا ، امير البحر - ص : ٢١٩
 و ٢٢٠
 عي بن ابي طالب - ص : ١١٨ و ١٢١
 و ١٢٨ و ٤٠٤
 العماد ، الشيخ سرحال - ص : ٢٢٩
 العمادي ، المعتي - ص : ٣٠٦
 عمر بن ابي ربيعة ، (الشاعر) - ص : ١٢١
 عمر بن الخطاب - ص : ١٢٠ و ١٢١
 و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٦
 العمر ، الشيخ ضاهر - ص : ٢٦٨
 و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢
 و ٢٧٣ و ٣١٢
 عمرو بن صبيح الصيداوي - ص : ١٣٢
 عمرو بن العاص - ص : ١٢٠ و ١٢٢
 و ١٢٩
 عمرو ، شيخ المفارجة - ص : ٢٠٩
 و ٢١٥
 عنتر ، عثمان - ص : ٣٩١
 عواد ، الأنسة نوال - ص : ٣٨٠
 عوده ، جورج - ص : ٣٥٦ و ٣٨٩
 عوض ، خيري - ص : ٣٨١
 عوكل ، الدكتور سعد الدين - ص : ٣٨١
 عون ، رشاد - ص : ٣٨١
 عويس ، المهندس الياس - ص : ٣٧٩
 عيد ، المهندس اندره - ص : ١٧٩
 عيسى ، المهندس بشاره - ص : ١٧٩

- غ -

غاليان ، الروماني - ص : ٩٦
 غانم ، المهندس روبر - ص : ٣٧٩

غريفوار الثاني عشر ، البابا - ص : ١٩٦
 غريفوار الثالث عشر ، البابا - ص : ٢٥٢
 غزال ، الاب سليم - ص : ٣٨٥
 و ٣٨٦ و ٣٨٨
 الغزالي ، الفيلسوف - ص : ١٥٠
 الغزالي ، جان بردي - ص : ١٩١
 و ١٩٢ و ١٩٦
 غصن ، نقولا (المتصرف) - ص : ٣٩٥
 غورو ، الجنرال - ص : ٣٩٣
 الغوري ، قانصوه (السلطان) - ص : ١٩٠ و ١٩١

- ف -

الفارابي ، الفيلسوف - ص : ١٤٩
 فارس ، الشيخ احمد - ص : ٢٦٤
 فارس ، الشيخ حيدر - ص : ٢٦٤
 فارنا بازوس الفينيقي - ص : ٦٧
 فاطمة الزهراء - ص : ١١٨ و ١٢٠
 و ١٤٤
 فاعور ، عبد العزيز - ص : ٣٨١
 فالنتيانوس ، الامبراطور - ص : ١٠٥
 فاليريانوس ، الامبراطور - ص : ٩٦
 فان ديك ، الدكتور كرنيليوس - ص : ٣١٠ و ٣٦١
 فانيسي ، فرنسيس - ص : ٢٣٥
 و ٢٣٦
 فران ، جان - ص : ٣٥٧
 فران ، جورج - ص : ٣٥٧
 فرانسانو ، فرنسيس - ص : ٢٤٤
 و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨
 و ٢٥٠ و ٢٥١
 فرانسوا الاول ، ملك فرنسا - ص : ١٩٥
 فرح ، المطران جراسيموس - ص : ٣٩٩
 فرحات ، الياس - ص : ٣٦٩

فرديناند الاول ، غراندوف توسكانا - ص : ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥
 و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨
 فرديناند الثاني ، غراندوف توسكانا - ص : ٢٤٢ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦
 و ٢٤٧ و ٢٥٠
 الفرزدق (الشاعر) - ص : ١٣٣
 و ١٣٧
 فرهاد باشا ، القائد العثماني - ص : ١٩٢
 فرهود ، المحامي حبيب - ص : ٣٨٠
 فريدريك بارباروس - ص : ١٦٤
 فريدريك الثاني ، (الالمانى) - ص : ١٦٦
 فضل الله ، الدكتور عبد الرؤوف - ص : ٣٨١
 فضلي آغا - ص : ٢٥٧
 فلايانوس ، البطريك الانطاكي - ص : ١١٤
 فلوريانوس ، الروماني - ص : ٩٨
 فندنبورغ ، الجنرال - ص : ٣٩٣
 فؤاد باشا ، الوزير العثماني - ص : ٢٩٩ و ٣١٠ و ٣١٤
 فواز ، المحامي علي - ص : ٣٨٠
 فورد ، الدكتور جورج - ص : ٣٦٩
 و ٣٧٢
 فوكا ، الامبراطور - ص : ١٠٩
 فولناي ، السائح الفرنسي - ص : ٣٠٢
 فيجر ، الكابتن - ص : ٣٩٧
 فيصل الاول ، ملك سورية - ص : ٣٦٠ و ٣٦٦
 فيليبس المكيدوني - ص : ٧٦ و ٧٧
 فيميوس ، معلم هوميروس - ص : ٥٤

- ق -

قاسم ، باشا ، حاكم حماه - ص : ١٩٢

الفاضي ، المهندس محمد - ص : ٣٧٩
قانسوه ، الشيخ حمدان - ص : ٢٠٩
قباذ ، ملك الفرس - ص : ١٠٨
القبر صلي . ابراهيم - ص : ٣٩١
القبوجي ، مراد باشا - ص : ٢٠٠
القبوذان ، حسن باشا - ص : ٢٧٢
و ٢٧٣ و ٢٧٤
قدموس بن اجينور - ص : ٣٤ و ٤٥
و ٤٦
قدوره ، صفى الدين - ص : ٣٨٩
قرالي ، الخوري بولس - ص : ٢٠٠
و ٢٠٦ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٦
و ٢٣٩ و ٢٤١ و ٤١٠
قوه جه باشا ، والي حلب - ص :
١٩٢
القسام . الشيخ عر الدين - ص :
٣٣٢
قسطن بن لوقا - ص : ١٥٠
قسطنطين الكبير - ص : ١٠٢ و ١٠٣
و ١٠٥
قسطنطينوس ، القيصر - ص : ٩٨
القصار . فضل - ص : ٣٦٣
القطب ، مصطفى - ص : ٣٩٧
قطر ، الملك المظفر - ص : ١٦٧
و ١٧٧
قعوار ، المهندس رائف - ص : ٣٧٩
قلاوون ، السلطان - ص : ١٦٧
قمبج بن كورش الفارسي - ص :
٤١ و ٦٥
القنواطي ، مصطفى حكمت - ص :
٣٠١
قنوتي ، يوسف - ص : ٣٨٣
القواص ، المحامي محمد ابو الفضل
ص : ٣٧٩
القواص ، نصر الدين - ص : ٣٨٣
قورقماز اوغلو ، محمد بك - ص :
١٩٢
قوزما الثاني ، غراندوق توسكانا -

ص : ٢٣٦ و ٢٤٢
قوسطنس ، البيزنطي - ص : ١٠٥
قيومجي ، المطران ثاودوسيوس -
ص : ٣٩٩

- ك -

كاترو ، الجنرال - ص : ٣٣٩ و ٣٤٠
و ٣٩٤
كانشياري ، الايطالي - ص : ٢٣٥
كاسندر ، ملك مكدونية - ص : ٨٠
و ٨١
كافيس ، القائد - ص : ٩٥
كالاريوس ، القيصر - ص : ٩٨
كالو ، محمد عربي - ص : ٣٥٥
كالو ، الدكتور نزيه - ص : ٣٧٩
كالو ، وجيه - ص : ٣٥٥
كاليوس ، الامبراطور - ص : ٩٦
كامل باشا ، والي صيدا - ص : ٢٩٨
كابلا ، الحاكم الفرنسي - ص : ٣٩٣
الكتامي ، الامير سليمان - ص : ١٤٢
الكتبي ، صلاح الدين الحلبي - ص :
١٨٧
كراكلا ، الامبراطور - ص : ٩٤
كرامه ، بطرس - ص : ٢٩٦
كرامي ، عبد الحميد - ص : ٣٤٠
و ٣٤٢ و ٣٦٧
الكرجي . عثمان باشا - ص : ٢٦٩
و ٢٧١
الكرجي ، درويش باشا - ص : ٢٦٨
الكرجية ، محمد منير - ص : ٣٨٩
كردانا ، القنصل - ص : ٢١٠
كرد حمزه ، - ص : ٢٢٢
كرد علي ، محمد - ص : ٤١٠
الكرددي ، ممدوح - ص : ٣٨١ و ٣٨٤
كرم ، جان - ص : ٣٨١
كريتيس ، ام هوميروس - ص : ٥٤
كساب ، فؤاد - ص : ٣٩٠
كستو ، خليل - ص : ٣٥٤

كسرى انوشروان - ص : ١٠٨ و ١١٨
كسرى الثاني - ص : ١٠٨
كشتيان ، حسن - ص : ٣٨١
الكلش . المهندس احمد - ص : ٣٧٩
و ٣٨٥
الكلش . المهندس محمد - ص : ٣٧٩
كناني ، رياض - ص : ٣٨٣
كنث ، شارل - ص : ٤٩
كوبروللي ، احمد - ص : ٢٢٩
كوتوفيكس . الرحالة - ص : ٢٣٥
كوتون الاثيني ، - ص : ٦٧
كوثراني ، وجيه - ص : ٣٨١
كوجك ، احمد باشا - ص : ٢٢٣
و ٢٢٤ و ٢٢٦
كورش ، الفارسي - ص : ٥٩ و ٦٣
و ٦٤
كونتينو ، جورج - ص : ٤١٢
كيران ، السائح الفرنسي - ص : ٢٠٢
و ٣١٣
كيرلس ، الاسكندري - ص : ١١٤
كيلاني . رشيد عاي - ص : ٢٢٥
كيلاني ، محمد - ص : ٣٨٤
كيوان ، الحاج خليل - ص : ١٩٨
و ٢٥٦
كولي ، المهندس - ص : ٢٣٥

- ل -

لابرو ، القومندان - ص : ٣٩٢
لابيير . بوفيه - ص : ٤٥ و ٤٦
لامنس ، هنري - ص : ٤٨ و ٤١٣
لانجر ، ولیم - ص : ٣٣ و ٤١٠
لاون الكبير ، الملك - ص : ١١٤
لاونديوس ، اسقف صيدا - ص :
١١٤
لحدود ، هنري (المحافظ) - ص :
٣٥٢ و ٣٩٥ و ٣٩٧
لطفی ، السيدة رفاه شهاب - ص :
٣٨٠
لطفی ، المحامي شفيق - ص : ٣٨٨

لطفی ، عبدالله - ص : ٣٧١
لطفی ، عبد اللطيف - ص : ٣٧١
لطفی ، الشيخ محمد صالح - ص :
٣٥٤
لطفی ، مصطفى - ص : ٣٨٢
لطفی . السيدة مهى - ص : ٣٨٠
لوبو ، باشيكا - ص : ٢٤١
لوسينيير ، المستشار الفرنسي - ص :
٣٩٧
لوقا . الانجيلي - ص : ٩١ و ٩٢
و ١٠٠
لونجين ، الفيلسوف الحمصي - ص :
٩٦
لويس التاسع - ملك فرنسا - ص :
١٦٧ و ١٧٠ و ٤٠٥
لويس الثالث عشر ، ملك فرنسا -
ص : ٢٤٨
لويس الرابع عشر ، ملك فرنسا -
ص : ٢٣١
ليسيماك ، الملك - ص : ٧٧ و ٨٠
ليوبولد . النمساوي - ص : ١٦٤
لونسيني . فرنسيس - ص : ٢٠٢
و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦
و ٢٠٧ و ٢٤٣

- م -

مابن بن سيروم السوري - ص : ٦٦
ماتيوآزا ، ملك الميثانيين - ص : ٤٩
ماجور التركي - ص : ١٤١
مار ، المستشار الفرنسي - ص : ٣٩٧
مارتان ، القومندان - ص : ٣٩٧
المارديني ، رامز - ص : ٣٨٦
مارون ، البطريرك يوحنا - ص : ١٣٣
مارون ، القديس - ص : ١١٣ و ١٣٨
ماربال بن اكبال - ص : ٦٦
ماشنجي ، كارلو - ص : ٢١٢ و ٢٣٨
ماكزينوس ، القائد - ص : ٩٤ و ٩٥
مالك بن انس ، الامام - ص : ١٥٠
مالك ، سليمان - ص : ٣٥٧

المامون - الخليفة العباسي - ص: ١٤٠
 و ١٤٦
 مانيتون ، الكاهن - ص: ٣٩
 مايار ، المؤرخ - ص: ٥٧
 متى ، الانجيلي - ص: ٢٢ و ٩١
 و ٩٢ و ١٠٠
 متى ، ملحم - ص: ٢٨١
 المتنبي - ابو الطيب (الشاعر) -
 ص: ١٤٣ و ١٤٩
 المتنبي - نسيب (الصحفي الشهيد)
 ص: ٣٤٧
 المتوكل ، الخليفة العباسي - ص:
 ١٤١
 متينا ، ملك صور - ص: ٦٠
 المثني بن حارثة - ص: ١٢٠
 مجدلاني ، جليم - ص: ٩٣ و ٢٨١
 و ٤١٠
 المجدوب ، المهندس سمير - ص:
 ٣٧٩
 المجدوب ، الدكتور عبد السلام -
 ص: ٣٧٩ و ٣٩٧
 المجدوب ، محمد - ص: ٣٩٧
 المجدوب ، الأنسة نجيبة - ص: ٢٨٢
 المحبي ، المؤرخ - ص: ٢٠٠ و ٣٠٥
 محجوب ، الشهيدة شفيقة - ص:
 ٣٤٣
 المحصل ، عثمان باشا - ص: ٢٦٥
 محفوظ ، ايلي - ص: ٢٥٦
 محمد بن عبد الله (ص) - ص: ١١٨
 و ١١٩ و ١٢٠ و ١٢١ و ١٣٦
 محمد بن عبيد ، - ص: ١٥٦
 محمد باشا ، الاميرال - ص: ٢٠٢
 محمد باشا ، الصدر الاعظم - ص:
 ٢١٨
 محمد الثاني ، (الفاتح) - ص: ١٨٩
 محمد علي باشا ، (خديوي مصر) -
 ص: ٢٨٩ و ٢٩١ و ٢٩٣ و ٢٩٥
 و ٣١٢

محمود نديم باشا - ص: ٢٩٨
 مخلوف ، يوحنا (البطريرك) ص:
 ٢٠٩
 المدور ، القائد الياس - ص: ٣٣٣
 مدبشتي ، الامير انطوان - ص: ٢١١
 مراد الاول ، السلطان العثماني -
 ص: ١٨٨
 مراد الرابع ، السلطان العثماني -
 ص: ٢٢٥
 مراد باشا ، الصدر الاعظم - ص:
 ٢٠٨
 مرجان - الحاج محمد - ص: ٣٨٩
 مرجان ، المحامي محمود - ص: ٣٨٠
 مرجان ، الصيدلي محي الدين - ص:
 ٣٧٩
 المرجي ، الشيخ حسن - ص: ٢٥٨
 المرسي ، مصطفى - ص: ٣٨٦
 مرسي ، ميسر - ص: ٣٨٣
 مرقس ، ابراهيم - ص: ٣٧٢ و ٣٨١
 مرقس ، الانجيلي - ص: ٢٢ و ٩١
 و ١٠٠
 مرقس ، مطران صيدا - ص: ٣٩٨
 مروان بن الحكم - ص: ١٣٢
 مروان بن محمد - ص: ١٣٥
 مروه ، حسين - ص: ٣٨١
 مريم ، العذراء (ام المسيح) - ص:
 ٩٢ و ٩٣ و ١٠٣
 مسعد ، الاب بولس - ص: ٣٤
 المسيح - يسوع - ص: ٢٢ و ٩١
 و ٩٢ و ١٠٠ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٣٦
 المصري ، شفيق سعد - ص: ٣٨٣
 المصري ، عثمان باشا - ص: ٢٦٩
 المصري ، الدكتور محمد - ص: ٣٧٥
 و ٣٨١
 المصري ، محمد شريف - ص: ٣٩١
 مصطفى آغا ، (وكيل فخر الدين) -

ص: ٢٢٠
 مصطفى باشا ، والي صيدا - ص:
 ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٧٢ و ٢٩٨
 مصطفى باشا ، (والي الشام) -
 ص: ١٩٧ و ٢٢١
 مصطفى باشا ، (والي ديار بكر) -
 ص: ٢١٤
 مصطفى ، شاكر - ص: ١٤٤ و ٤١٠
 المصور ، نقولا - ص: ٢٨١
 مطر ، المطران اثناسيوس - ص:
 ٣٩٩
 مطر ، المطران اغابيوس - ص:
 ٣٩٦
 مطر ، فؤاد - ص: ٤١٠
 مطران ، خليل (الشاعر) - ص:
 ٣٦٤
 المطرجي ، ارسلان باشا - ص: ٢٥٧
 و ٢٥٨ و ٢٥٩
 المطرجي ، قبلان باشا - ص: ٢٥٨
 و ٢٦٢
 المطرجي ، محمد خالد - ص: ٤١١
 معاوية بن ابي سفيان - ص: ١٢١
 و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩
 و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢
 معاوية بن يزيد ، - ص: ١٣٢
 المعتصم ، الخليفة العباسي - ص:
 ١٤١
 المعري ، ابو العلاء - ص: ١٤٩
 المعز لدين الله الفاطمي - ص: ١٤٤
 المخلوف ، عيسى اسكندر - ص:
 ١٨٣ و ٣٦٤
 المعني ، الامير احمد بن يونس - ص:
 ٢٢٤ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١
 و ٢٣٣ و ٢٥٧
 المعني ، الامير حسين بن فخر الدين
 ص: ٢٢٢ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٣٢
 و ٢٥٧
 المعني ، الامير زين الدين - ص: ١٩٦

المعني ، الامير عثمان - ص: ١٨٢
 المعني ، الامير علي - ص: ٢٠٣ و ٢١٠
 و ٢١٥ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٠
 و ٢٢١ و ٢٢٤ و ٢٣٥ و ٢٤٣
 و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٥٠
 و ٢٥٣
 المعني - الامير فخر الدين الاول -
 ص: ١٨٢ و ١٩١ و ١٩٦ و ١٩٧
 و ٢٢٤ و ٢٥١
 المعني - الامير فخر الدين الثاني
 الكبير - ص: ١٦٨ و ١٨٤ و ١١٧
 و ١٩٨ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣
 و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧
 و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١
 و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥
 و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩
 و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣
 و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦
 و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠
 و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤
 و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨
 و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢
 و ٢٤٣ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨
 و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣
 و ٤٠٥ و ٤٠٧ و ٤١٠
 المعني ، الامير قرقماز - ص: ١٩٦
 و ١٩٧ و ١٩٨
 المعني ، الامير قرقماز الثاني - ص:
 ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢
 المعني ، الامير ملحم بن يونس - ص:
 ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨
 المعني ، الامير يونس - ص: ١٩٧
 و ١٩٨ و ٢١٠ و ٢١٢ و ٢١٤
 و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢٢٠ و ٢٢٤
 و ٢٢٥ و ٢٥٣
 المعوشي ، جان - ص: ٢٥٧
 المعوشي ، الدكتور جوزيف - ص:
 ٣٧٩
 المعوشي ، حبيب - ص: ٢٩٥

المعوشي . ميشال - ص : ٣٥٧
 المعربل . الأنسة رياض - ص : ٣٧٦
 المغربي . الشيخ كمال - ص : ٣٩٨
 المغربي . الشيخ محمد كامل - ص : ٣٧١ و ٣٨٤
 المغربي . الشيخ مصطفى - ص : ٣٩٨
 المغربي . الشيخ النجم - ص : ٣٥٠
 مغنية . المحامي ابراهيم - ص : ٣٨٠
 مغنية . الشيخ محمد - ص : ٣٦٩
 مفيزل . المحامي جوريف - ص : ٣٨١
 المقرري . ابو العباس - ص : ٣٠٦
 المكاوي . الحاج حسن - ص : ٣٩٧
 مكاوي . رياض - ص : ٣٨٢
 مكاوي . غالب - ص : ٣٨٢
 المكاوي . محمد سعيد - ص : ٣٨٧ و ٣٩١
 مكحول . المحدث - ص : ١٣٥
 مكسيمين . الوالي - ص : ٩٥ و ٩٨
 مكسيميانوس . القيصر - ص : ٩٨
 مكي . حسين - ص : ٣٨١
 الملا . الشيخ مصطفى المجدوب - ص : ٣٩٨
 ملقارت . اله صور - ص : ٢٩ و ٦٢
 و ٧٩ و ٨٤
 ملك . محمد باشا - ص : ٢٧٣ و ٢٧٢
 ممتاز بك . المتصرف - ص : ٣٩٢
 منتس . الربان - ص : ٥٤
 المنتصر . الخليفة الفاطمي - ص : ١٤٨
 المنصور . ابو جعفر - ص : ١٤٠ و ١٤٤
 منصور . امين - ص : ٣٥٧
 منصور بن سرجون - ص : ١٣٠
 منفتاح . فرعون مصر - ص : ٤٠
 منير الدولة . الفاطمي - ص : ١٤٩
 منيس . ملك مصر - ص : ٣٩
 منيف . علي بك - ص : ٣٩٢

المهتدي بالله . (الخليفة العباسي) - ص : ١٤١
 المهدي . عبيد الله - ص : ١٤٣ و ١٤٤
 مواتلو . الحثي (موتنار) - ص : ٤٣ و ٥٠ و ٥١
 موتون الاول . ملك صور - ص : ٦٣
 مورسيل . الحثي - ص : ٤٢
 موريق . الامبراطور - ص : ١٠٩
 موسكاتي . المؤرخ - ص : ٢٦ و ٥٦ و ٦٢ و ٤١٣
 موسى . يوسف حنا - ص : ٣٧٢
 ميتشيري . يوحنا - ص : ٢٤٣ و ٢٤٥
 الميداني . الشمس - ص : ٣٠٥
 ميرعل . ملك صور - ص : ٦٢
 ميستو . المؤرخ - ص : ١٦٣
 ميسن . الأنسة - ص : ٣٦٩
 ميسون . زوجة معاوية - ص : ١٢٨
 - ن -
 النابلسي . بدوي - ص : ٣٩٧
 النابلسي . الشيخ عبد الغني - ص : ٣٠٧
 النانوت . علي - ص : ٣٩١
 ناسيوس . الامبراطور - ص : ٩٨
 الناشف . بهيج - ص : ٢٨١
 ناصر الدين . علي - ص : ٤١١
 ناصري خسرو . الرحالة - ص : ١٥١
 ناصيف . اليكو - ص : ٣٨٥
 نافع . المحدث - ص : ١٣٥
 ناتني . جاك - ص : ٢٥ و ٨٣ و ٨٤
 و ٩٣ و ١٢٦ و ١٥٨ و ١٥٩
 و ١٨٠ و ١٩١ و ١٩٦ و ٤١٣
 نبعه . المطران نيقولاوس - ص : ٣٩٩
 نبوبلاسر . الكلداني - ص : ٥٨
 نبوخذ نصر . - ص : ٤١ و ٥٩ و ٦٣
 نبونيد . ملك بابل - ص : ٦٣
 نجار . الأنسة نجلا - ص : ٣٨٠

نجم . الدكتور الياس - ص : ٣٧٩
 نجم الدين ايوب - ص : ١٧٧
 النحاس . اديب (المحافظ) - ص : ٣٣٨ و ٣٩٥
 النحاس . غازار - ص : ٣٨٩
 نجمي . ابراهيم - ص : ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦
 نحولي . عمر - ص : ٣٧١
 نخله . الدكتور جورج - ص : ٣٧٩
 نحو الثاني . فرعون مصر - ص : ٤٠
 نرسييس . البيزنطي - ص : ١١٠
 نسب التنوخية . (ام فخر الدين) - ص : ١٩٧ و ١٩٨ و ٢١٥ و ٢١٦
 و ٢٢٣ و ٢١٨
 نسطور . (مؤسس مذهب) - ص : ١١٤
 نصر . انطوان - ص : ٣٨٥
 نصوح باشا . (الصدر الاعظم) - ص : ٢٠٩ و ٢١٦
 نصوح باشا . والي دمشق - ص : ٢٦٠
 نصير الدولة . الفاطمي - ص : ١٤٩
 نغسان . الصيدلي فردينان - ص : ٣٧٩ و ٣٨٥
 نعمان باشا . والي صيدا - ص : ٢٦٧
 النعماني . محمد - ص : ٣٧١
 النعماني . وفيق - ص : ٣٥٦
 نعهه . الشيخ عبدالله - ص : ٣١٣
 نقاش . الرئيس الفرد - ص : ٣٣٩ و ٣٩٣
 نقاش . مارون - ص : ٣٠٨ و ٣٠٩
 النقوزي . درويش - ص : ٣٩١
 النقوزي . المهندس كمال - ص : ٣٧٩
 النقوزي . محمد - ص : ٣٨٩
 النقيب . احمد توفيق اسماعيل - ص : ٣٩٦
 النقيب . اسماعيل - ص : ٣٨٣
 النقيب . المهندس عفيف - ص : ٣٧٩

النقيب . مصطفى - ص : ٣٤٢
 نكد . الشيخ بشير - ص : ٢٧٥ و ٢٧٦
 نكد . الشيخ كليب - ص : ٢٧٤ و ٢٧٥
 نكد . الشيخ محمود - ص : ٢٧٤
 نكد . الشيخ واكد - ص : ٢٧٤
 النكدي . عارف - ص : ٣٦٩
 نمرود الكوشي - ص : ٢٦
 نمور . جان - ص : ٣٥٦
 نمور . جولي - ص : ٣٦٤
 نمور . حبيب (الشاعر) - ص : ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥
 نمور . المحامي حبيب - ص : ٣٨٠
 نمور . السيدة روز - ص : ٣٨٦
 نمور . الأنسة صونيا - ص : ٣٨٠
 نمور . المحامي مارون - ص : ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٨٠
 نمور . نبيه - ص : ٣٨١
 نمور . الدكتورة هيلدا - ص : ٣٧٩
 نوام . الدكتور عدنان - ص : ٣٧٩
 نيقولاوس . امير البحر - ص : ٨٢
 نيكفور . الامبراطور - ص : ١٤٣

- ه -
 هاشم . المحامي جوزيف - ص : ٣٨٠
 هاشم . غالب - ص : ٣٨١
 هبش . الأنسة وفيقة - ص : ٣٤٣
 هراكيان . القائد - ص : ٩٦
 هرقل . الامبراطور - ص : ١٠٩
 و ١١٠ و ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥
 هرون الرشيد (الخليفة العباسي) - ص : ١٤٠
 هشام بن الغاز - ص : ١٣٥
 هشام بن عبد الملك - ص : ١٤٣
 هلولو . (المندوب الفرنسي) - ص : ٣٤٠ و ٣٩٤
 هنوريوس . الامبراطور - ص : ١٠٦
 هوايت . الدكتور فرنك ل - ص : ٣٧٢

هورميسس - الانري - ص : ٢٦
 هولوكو - المفولي - ص : ١٣٥
 هوميروس ، ص : ٥٣ و ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٩٦
 هيرودوتس ، المؤرخ - ص : ٢٦
 هيل ، دجلال - ص : ٢٧٢ و ٢٨٠
 هيلانة ، (ام قسطنطين الكبير) - ص : ١٠٢ و ١٠٣
 هيلانة ، (بطلة الايالة) - ص : ٥٦
 - و -
 واكيم ، جميل - ص : ٣٨١
 واكيم ، روجيه - ص : ٢٨٥
 واكيم ، الصيدلي فضل - ص : ٣٧٩
 وامق ، صالح باشا - ص : ٢٩٨
 وكيع ، المحدث - ص : ١٣٥
 الوليد بن عبد الملك - ص : ١٣٤
 و ١٣٧ و ١٣٨
 الوليد بن المغيرة - ص : ١١٨
 وليم الصوري ، الاسقف - ص : ١٦٤
 وهب اللات بن اذينة - ص : ٩٦ و ٩٧
 وهبي ، احمد - ص : ٣٨١
 وهبي ، مصطفى - ص : ٣٨٩
 وود - ريتشارد - ص : ٢٩٦
 ويفاند ، الجنرال - ص : ٣٩٤
 ويلسن ، الجنرال - ص : ٣٣٩
 - ي -
 اليازجي ، الشيخ ابراهيم - ص : ٣٦٣
 اليازجي ، حسين - ص : ٢١٥
 اليازجي ، الشيخ ناصيف - ص : ٣١٠ و ٣٦٣
 ياسين آغا ، عبد الرحمن - ص : ٣٩٠
 ياسين بك - (حاكم بيروت) - ص :

٢٦٥
 ياقوت الحموي - ص : ١٣٥ و ١٧٤
 يحيى ، صالح بن ، - ص : ١٨٠ و ١٨٢
 يحيى ، النبي - ص : ٤٠١ و ٤٠٢
 يزيد بن ابي سفيان - ص : ١٢٠ و ١٢٣ و ١٢٦ و ٤٠٣
 يزيد بن معاوية - ص : ١٢٨ و ١٣٢
 يشوع بن نون - ص : ٢٤ و ٢٥
 يعقوب ، المهندس ميشال - ص : ٣٧٩
 يعقوب ، النبي - ص : ٤٠٣
 يلبغا ، الاتاكي - ص : ١٨٠
 بملك ، ملك صور - ص : ٦٣
 أليمن ، فاروق - ص : ٣٤٣
 بني ، جرجي - ص : ٦٦ و ٧٢ و ٨٣ و ٨٤ و ٩٨ و ١٢٦ و ٤١١
 يوحنا ، امير المردة - ص : ١٣٣
 يوحنا ، الانجيلي - ص : ١٠٠
 يوحنا ، الدمشقي - ص : ١٣٧
 يوحنا ، الذهبي الفم - ص : ١١٣ و ١١٥
 يوحنا ، المعمدان - ص : ٤٠١
 يوستينانوس الاول - ص : ١٠٩ و ١١١ و ١٣٣
 يوستينانوس الثاني - ص : ١٠٩
 يوسف باشا ، (والي الشام) - ص : ٢٨٦
 يوسف بن يعقوب ، - ص : ٤٠
 يوسفوس ، المؤرخ اليهودي - ص : ٢٤ و ٦٣
 يوشيا ، ملك يهوذا - ص : ٤٠
 يولييان الجاحد ، الامبراطور - ص : ١٠١ و ١٠٥
 يونان ، عفيف - ص : ٣٩١
 يونس بن معن - ص : ١٥٩

المستدرك

الخطأ	الصفحة	الخطأ	الصفحة
العثمانيين	٣٨	الصواب	
٣٨٤ - ٣٦٢	٢١	الميثانيين	
٣٦٢ - ٣٤٦	٢٢	٣٦٠ - ٣٤٦	
٣٤٦ - ٣٦٠	٢٢	٣٤٦ - ٣٦٠	
مخاربي	٧٧	مخاربي	
ليسياس	٨٠	ليسياس	
الهندسة البنائية	١٧٠	الهندسة البنائية	
السني	١٨١	السني	
العثمانيين	١٩٧	العثمانيين	
وامسكتني وحشت	٢٢٠	وامسكتني وحشت	
جمع الطوائف	٢٥٠	جمع الطوائف	
والي صيدا والشام	٢٦٠	والي صيدا والشام	
والي دمشق وطرابلس	٢٦٤	والي دمشق وطرابلس	
سليمان باشا والقائد	٢٩٣	سليمان باشا ، القائد	
الميداني والنجم المغربي	٣٠٥	الميداني والنجم المغربي	
صياد (١)	٣٥٣	صياداً مسجلاً في النقابة بالاضافة	
الي ٧٠ صياداً فلسطينياً		الي ٧٠ صياداً فلسطينياً	
يوسف فضل	٣٥٧	يوسف فضل الله	
كرفيلوس	٣٦١	كرفيلوس	
١٩٥٤	١١	١٨٥٤	
الفصل الثامن	٣٩٢	الفصل السابع	
الفصل التاسع	٤٠٠	الفصل الثامن	

المشتمل

كلمات مأثورة وأبيات شعرية	للخوري عيسى اسعد	٥
والدكتور علي الشلق		
بقلم منير الخوري		٧
مقدمة الكتاب	بقلم الدكتور عبد الرزاق الحفار	١٠-٨

الحقبة الأولى

صيدا من ٢٨٠٠ حتى ميلاد السيد المسيح

استهلال	لمؤلف الكتاب	١٥-١٣
---------	--------------	-------

الفصل الأول

الحديث عن تاريخ صيدا : لمحة جغرافية عنها

٢٣-٢٠	
-------	--

الفصل الثاني

تاريخ لبنان : الهجرات السامية - الفينيقيون - تسميتهم ومن اين جاءت .

٣٤-٢٤	
-------	--

الفصل الثالث

صيدا : تسميتها - تاريخ بنائها - حكومتها - ديانة السكان - التجارة - الحضارة - اللغة والكتابة .

٣٧-٣٥	
-------	--

الفصل الرابع

صيدا قبل الغزو العموري - صيدا والعموريون (الآموريون) .

الفصل الخامس

٤٦-٣٨

صيدا أيام المصريين والحثيين والميثانيين - اهم حوادث هذه الحقبة .

الفصل السادس

٥٢-٤٧

صيدا خلال الصراع الحثي والمصري .

الفصل السابع

٦٣-٥٣

صيدا من سنة ١١٠٠-٥٣٩ ق.م : هوميروس - الآشوريون - الكلدانيون - الفرس - صيدا في عهد سنحريب - ثورة صيدا سنة ٦٧٦ ق.م .

الفصل الثامن

٧٥-٦٤

صيدا تحت الحكم الفارسي : معركة سلاميس - اشمون عازار وسلالته - صيدا واثينا - بطولة صيدا وحريقها - الحالة العمرانية والاقتصادية .

الفصل التاسع

٨٤-٧٦

صيدا في العصر الهليني : الاسكندر المقدوني - السلوقيون والبطالسة - حصار صيدا .

الفصل العاشر

٨٧-٨٥

صيدا في العصر الروماني : الرومانيون - الحالة الاجتماعية .

الحقبة الثانية

صيدا من سنة ١ م . الى ١٢٩١ م .

الفصل الأول

١٠١-٩١

ظهور المسيحية : المسيح وامه في صيدا - القديس بولس - صيدا في عصر الابطرة السوريين - اذينة وزنوبيا - الحالة الاقتصادية - الفنون والعلوم - الديانة - الأسقف زنوبيوس .

الفصل الثاني

١٠٢-١١٥

الحكم البيزنطي : قسطنطين الكبير - التشكيلات الادارية البيزنطية -
العوامل المؤثرة في هذا العصر - يوستينيانوس الكبير - هرقل - الصناعة -
التجارة - الآداب والفنون والحركة الفكرية - كلية الحقوق الصيداوية -
اشهر اساقفة صيدا .

الفصل الثالث

١١٦-١٢٧

الفتح العربي الاسلامي : النبي العربي - العقيدة الاسلامية - الخلفاء الراشدون
(ابو بكر ، عمر ، عثمان وعلي) - حالة بلادنا قبل الفتح - القواد الفاتحون
- المعارك الحاسمة - التشكيلات الادارية - فتح صيدا .

الفصل الرابع

١٢٨-١٣٨

الامويون : معاوية بن ابي سفيان - البحرية عند العرب - الحضارة - يزيد
ابن معاوية - عبد الملك بن مروان - البطريق يوحنا مارون - الوليد بن
عبد الملك - انقراض الدولة الاموية - هشام بن الفـاز - المطران بولس
الانطاكي - الحالة الاجتماعية - الحركة الفكرية - الحالة الفنية ، الاقتصادية
والدينية .

الفصل الخامس

١٣٩-١٥١

الدولة العباسية : خلفاؤها - بعض حكام صيدا - الدويلات الاقليمية
(الطولونية ، الاخشيدي ، المهدانية والفاطمية) - بلادنا خلال هذه الفترة
- الحافظ الصيداوي - بشارة الاخشيدي - بدر الجمالي - منير الدولة -
الحالة الفكرية - الصناعة والتجارة - الحالة الدينية - جمال صيدا .

ص

الفصل السادس

١٥٢-١٦٠

الحروب الصليبية واسبابها : حالة بلادنا قبيل الحروب الصليبية - الحملة
الاولى - الصليبيون عند ابواب صيدا - بودوين الاول - فتح صيدا -
بارونية صيدا - قبيلة ربيعة - المجتمع الصيداوي .

الفصل السابع

١٦١-١٦٨

صلاح الدين الايوبي : استعادته مدينة صيدا - الحملة الصليبية الثالثة - صيدا
في ايدي الصليبيين ثانية - عودتها الى المسلمين - عودة الصليبيين اليها .

الفصل الثامن

١٦٩-١٧٤

نتائج الحروب الصليبية واثرها في الشرق والغرب : التفاعل الحضاري -
الحالة الاجتماعية - القضاء في عهد الصليبيين - التجارة والصناعة والزراعة
- الازياء والملابس والرياش - الحالة الفكرية .

الحقبة الثالثة

من عهد المماليك حتى نهاية المعنيين ١٢٩١ - ١٦٩٧ م .

الفصل الاول

١٧٧-١٨٢

المماليك : ميزة عصرهم - التشكيلات الادارية - آل تنوخ حكام صيدا
الامير عز الدين صدقة التنوخي .

الفصل الثاني

١٨٣-١٨٧

القبائل العربية المستوطنة قبل الفتح العثماني : بنو بختر ، بنو معن ، آل شهاب - بلادنا حتى نهاية القرن الخامس عشر ؛ الحضارة خلال عصر المماليك .

الفصل الثالث

١٨٨-١٩٤

الفتح العثماني : نشأة الدولة العثمانية : سرعة فتوحات العثمانيين - حالة دولة المماليك في القرن السادس عشر - معركة مرج دابق - ثورة الغزالي - نظرة الى للعهد العثماني .

الفصل الرابع

١٩٥-١٩٧

الامتيازات الاجنبية : تعريفها - عصيان حاكم صيدا - فخر الدين المعني الاول - الامير قرقهاز .

الفصل الخامس

١٩٨-٢١٢

فخر الدين المعني الثاني (الكبير) : الاحداث السياسية في عهده - هجرته الى اوروبا - مخبراته مع توسكانا - السفير ليونسيني في صيدا - محاضر الجلسات المعقودة في صيدا - المساعدات التي طلبها فخر الدين - فخر الدين والبابا - فخر الدين ووالي دمشق - فخر الدين في ايطاليا - بعثته الى صيدا .

الفصل السادس

٢١٣-٢٢٥

حوادث لبنان اثناء هجرة فخر الدين : عودة بعثته من صيدا - العفو عن فخر الدين - زيارته الى صقلية - زيارته الحاطفة لمدينة صيدا - حسين

الطويل - عودة فخر الدين الى بلاد - حروبه مع ابن سيف - بيروت عاصمة فخر الدين - القرصان التونسيون - الامير يوسف امارته - نهاية فخر الدين .

الفصل السابع

٢٢٦-٢٣٣

نهاية حكم المعنيين : الامير ملحم المعني - معركة وادي القرن - هجرة الجالية الفرنسية الى عكا - الامير ان احمد وقرقهاز - الواليان الدفتردار والارناؤوط - سفير فرنسا يزور صيدا - نهاية المعنيين .

الفصل الثامن

٢٣٤-٢٤٣

الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية خلال حكم المعنيين : الامراء المعنيون وصيدا - اعمال فخر الدين العمرانية - الطرق التجارية - الزراعة والصناعة - التجارة - تجارة صيدا مع توسكانا - البعثات التجارية .

الفصل التاسع

٢٤٤-٢٥٤

نشاط صيدا الاقتصادي (قنص) : البعثة التوسكانية - الهدايا المتبادلة مع بلاط توسكانا - شكوى القنصل الفرنسي - تقارير قنصل توسكانا - الحركة الفكرية - الجيش الوطني .

الحقبة الرابعة

صيدا من سنة ١٦٦٠ - ١٩١٤

من عهد الشهابيين الى بداية الحرب العالمية الاولى

الفصل الاول

صيدا والشهابيون : صيدا مركز ولاية جديدة - الامراء الشهابيون -
موقعة المزيرعة - الامير حيدر الشهابي - محمود ابو هرموش - القضاء على
اليمنيين في عين داره .

الفصل الثاني

ولاة صيدا من آل العظم : الامير ملحم الشهابي - مصطفى باشا العظم
(القواص) - الشيخ شاهين تلحوق - زلزال لبنان سنة ١٧٥٩ - الامير
يوسف الشهابي .

الفصل الثالث

ضاهر العمر واحمد الجزار : المعارك حول صيدا - معركة الغازية - ضاهر
العمر والي صيدا - محمد بك ابو الذهب - احمد باشا الجزار - الامير
اسماعيل الشهابي - الجزار والامير يوسف الشهابي .

الفصل الرابع

الامير بشير الشهابي (الكبير) : مقتل الامير يوسف - الامير بشير في
صيدا - بونابرت والجزار والامير بشير - ابراهيم باشا والي صيدا - الليدي
استير ستانوب - الامير بشير وآل جنبلاط - القاضي يونس البزري -
ابراهيم باشا بن محمد علي - الامير عبدالله الشهابي - نكبة صيدا بالزلزال -
نهاية الحكم الشهابي - التدخل الاجنبي واثره في لبنان .

X الفصل الخامس

ولاة صيدا وحكامها : حوادث مؤلمة - صيدا تصبح متصرفية فقائقامية
- متصرفو صيدا - القوام مقامون .

الفصل السادس

الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في صيدا : محمد بن عثمان الصيداوي -
المطران اقليموس الصيفي - الشيخ عبد الغني النابلسي - مارون نقاش -
الشيخ يوسف الاسير .

الفصل السابع

مطامع الدول الاجنبية : صيدا زمن كارثة ١٨٦٠ - متصرفية صيدا -
الحاج علي الدياسي - الحركة الادبية - الشيخ ابراهيم الحوراني - اعلان
الدستور العثماني .

الحقبة الخامسة

١٩١٤ - ١٩٦٦

صيدا في عصرها الحديث

الفصل الاول

تركيا تدخل الحرب العالمية الاولى - صيدا خلال الحرب - الحكومة
العربية الموقتة - الجيش الفرنسي في صيدا - النقد السوري واللبناني -
الملك فيصل - دولة لبنان الكبير - التقسيمات الادارية - الجنرال ويغاند
- الجنرال فاندنبورغ - تقسيم لبنان الى ١١ محافظة - محافظة صيدا -
صيدا والصهيونية - صيدا في معركة فلسطين .

الفصل الثاني

الحرب العالمية الثانية واستقلال لبنان : الاحداث في لبنان - استقالة الرئيس
اميل اده - الرئيس الفرد نقاش - القتال في لبنان - بداية المعارك .

الفصل الثالث

وضع صيدا الاقتصادي : الزراعة والصناعة - زراعة الاكيدنيا - المصانع - فروع المصارف في صيدا .

الفصل الرابع

الحركة الفكرية في صيدا : الصحافة والطباعة - شخصيات صيداوية بارزة - رضا بك الصلح - الدكتور اسكندر البارودي - الشهيد توفيق البساط - مصباح رمضان - الشاعر حبيب نمور - محمد علي حشيشو - رياض بك الصلح - الشيخ احمد عارف الزين .

الفصل الخامس

المدارس : المدارس الخاصة - المدارس الثانوية الرسمية - اسماء المدارس الابتدائية والتكميلية الرسمية - مجموع طلاب وطالبات صيدا .

الفصل السادس

معالم النهضة الحديثة : المستشفيات - الاطباء - الصيادلة - اطباء الاسنان - المهندسون - الاساتذة حملة الشهادات العالية - الجمعيات الثقافية : المجلس الثقافي للبنان الجنوبي - جمعية الادب والثقافة - الاندية الرياضية والكشفية - الجمعيات الخيرية والاجتماعية - غرفة التجارة والصناعة - النقابات الحرفية - النقابات العمالية .

الفصل السابع

حكام لبنان من ١٩١٥ - ١٩٢٦ : العهد العثماني - الحكم الفرنسي - الحكم بعد اعلان دولة لبنان الكبير - رؤساء الجمهورية اللبنانية - المفوضون

السامون الفرنسيون - رؤساء المجلس النيابي والوزارة والوزراء الصيداويون - محافظو صيدا - نواب صيدا - رؤساء البلدية - المستشارون الفرنسيون - المفتون - الاساقفة الكاثوليك - الاساقفة الارثوذكس - الاساقفة الموارنة .

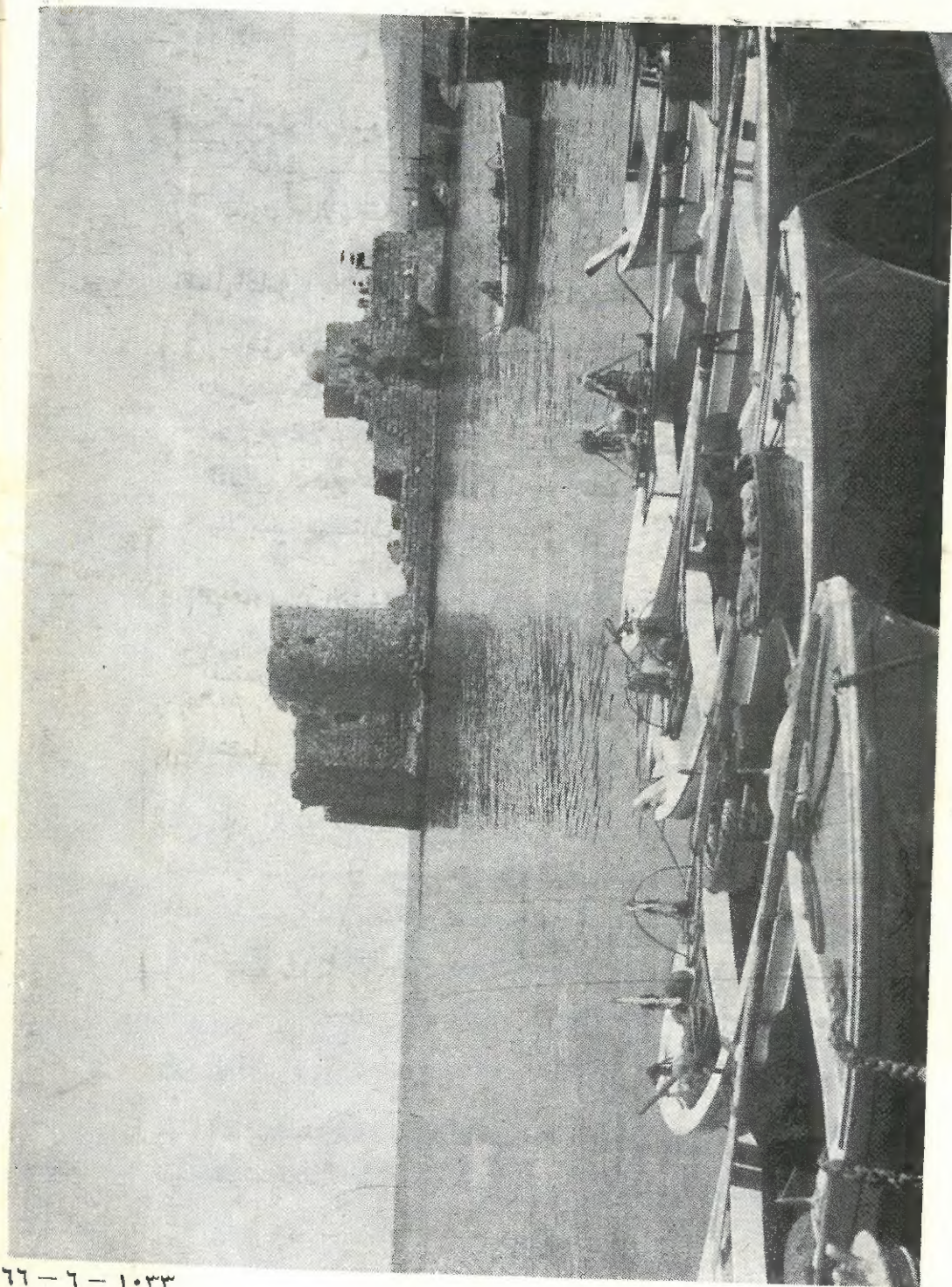
الفصل الثامن

المناطق الاثرية في صيدا : مقام ابروح - مقام الست نفيسة - مقام النبي يحيى - مقام مار الياس - مقام شرحبيل بن حسنة - هيكل صيدون - مقام ابو نخلة - القلعة البحرية - القلعة البرية - هيكل اشمون - الجامع العمري الكبير - قصر آل دبانة - قاعة شمعايا - المراجع العربية والاجنبية للكتاب .

فهرس اعلام الاشخاص

المستدرك

المشتمل



القلعة البحرية ومرفأ صيدا (حالياً)

١٠٣٣ - ٦ - ٦٦